



58  
61

|      |           |
|------|-----------|
| DATE | ISSUED TO |
|------|-----------|

| DATE ISSUED                                                         | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE |
|---------------------------------------------------------------------|----------|-------------|----------|
| FEB 28 11 15 '77                                                    |          |             |          |
| CARREL USE<br>1979-1980<br>XXXXXXXXXXXXX<br>1980-1981<br>OCT 2 1981 |          | JUN 15 2003 |          |
|                                                                     |          | JUN 15 2002 |          |
| AUG 31 2010                                                         |          |             |          |



PRINCETON UNIV

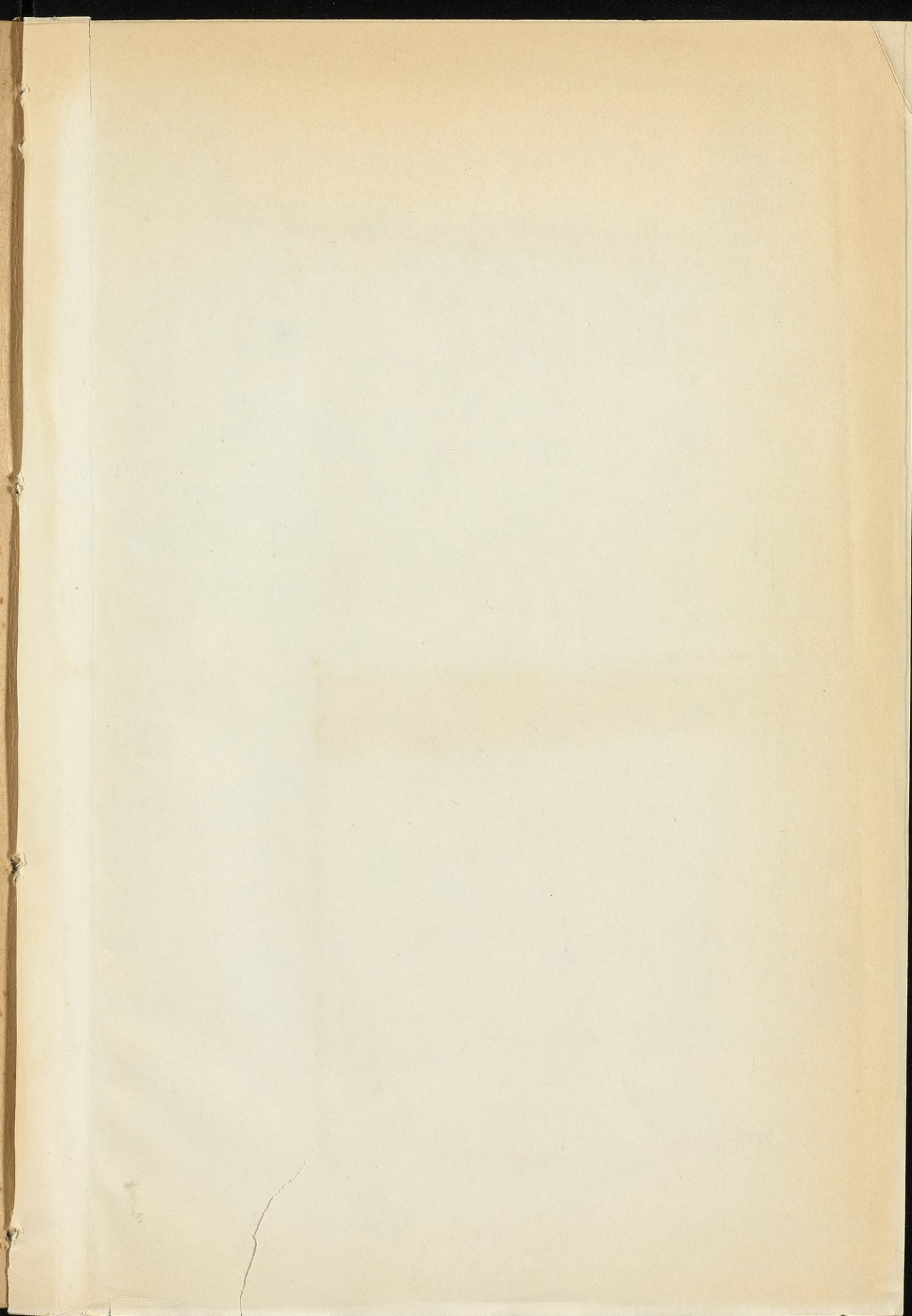


a32101



002030615b







# رَسَائِلُ الصَّاحِبِ بْنِ عِمَادٍ

صححها وقدم لها

شوقي ضيف

مدرس

بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

عبد الوهاب عزائم

عميد

كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

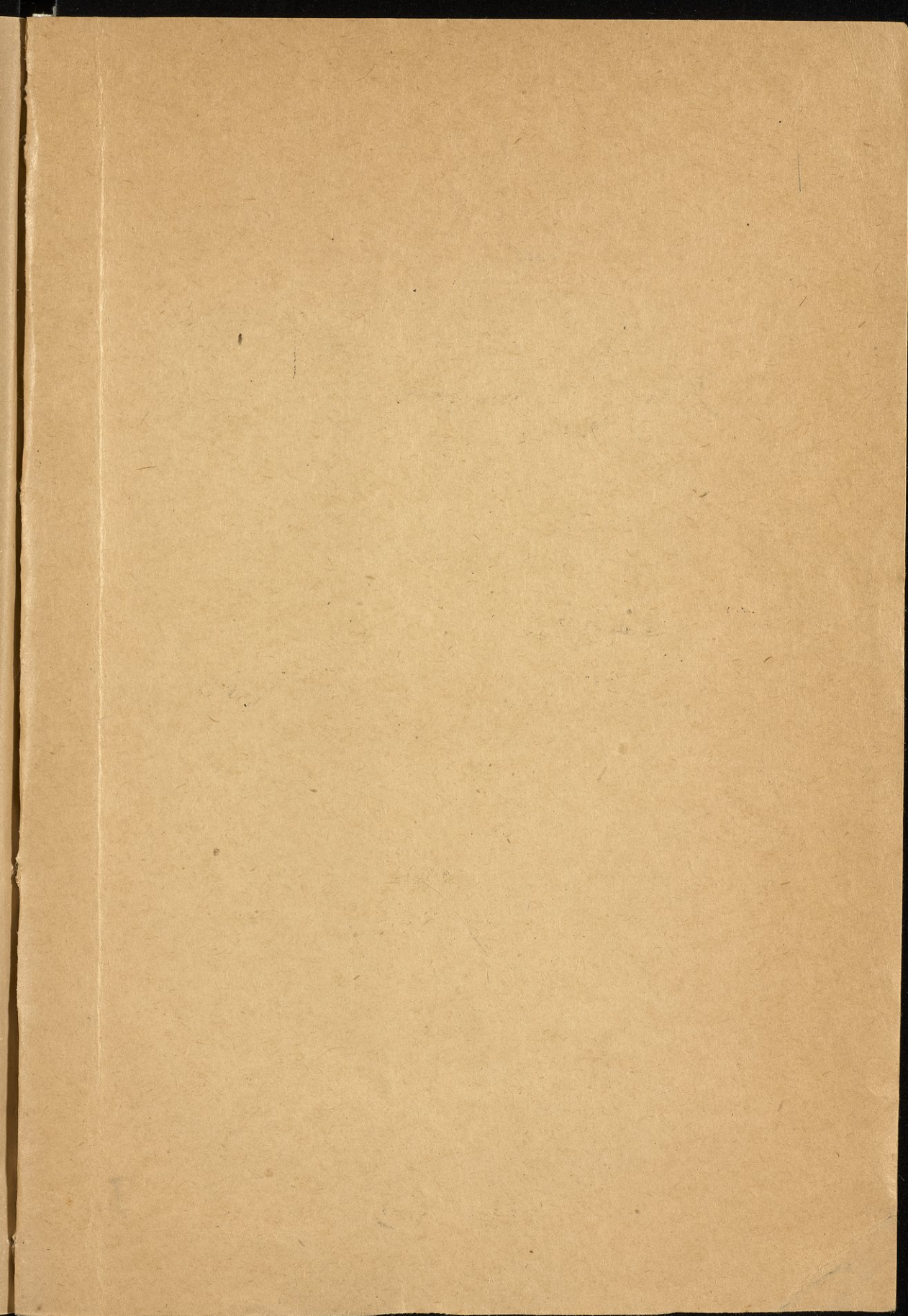
الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

دار الفكر العربي







al-Sāhib al-Tālgānī, Abū al Qāsim Ismā'īl ibn  
Abbād

رَسَائِلُ

Rasā'il

الصَّاحِبِ بْنِ عَمَّادٍ

صححها وقدم لها

شوقي ضيف

مدرس

بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

عبد الوهاب عزائم

عميد

كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

دار الفكر العربي





فالت

بدرية لجان

2271  
402  
1374  
2274  
79848  
1374

مدرسة

التي

مدرسة

مدرسة

مدرسة

مدرسة

مدرسة

مدرسة

مدرسة





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

١

عثرنا في دار الكتب المصرية على نسخة مصورة من رسائل صاحب إسماعيل بن عباد . والصاحب — على مكانته في الأدب ، وذيوع صيته فيه ، وتوليّه الوزارة زمننا مديدا في القرن الرابع ، عصر ازدهار الكتابة العربية — لم تنشر رسائله ، فلم يقدر الأدباء مكانته بين كتّاب عصره ، إلا بما قرءوا في كتب الأدب ، نبذاً من كلامه ، أو إطاراً لأدبه ، أو نقداً لطريقته .

فرائنا أن نبادر إلى نشر هذا المجموع ، تعريفاً بأدب صاحب خاصة ، وبالكتابة العربية في ذلك العصر عامة ، ولم نؤثر التأني حتى نعثر على نسخة أخرى نحقق بها النص ، فاعتمدنا على النسخة التي وجدناها ، وصححنا غلطها ، وقوّمنا تحريفها ، جهد الطاقة ، ونشرناها نصّاً كاملاً صحيحاً ، إلا كلمات قليلة تعوزها المراجعة ، وإن يسّر لنا البحث نسخاً أخرى رجعنا إليها في الطبعة الآتية إن شاء الله .

٢

والنسخة التي أخذنا عنها محفوظة بدار الكتب الملكية المصرية (رقم ٤٨٨٠ أدب) ، وهي مصورة عن مخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس ، كُتبت في القرن السادس للهجرة ، وختمها ناسخها بهذه الجملة :

”فرغ من كتابتها أبو الحسن علي بن أحمد بن زكريا ، المعروف بابن الشصاص البغدادى ، بهمدان ، في شهر رمضان ، من سنة سبع وسبعين وخمسة“ .

وكتبت عنواناتها بخط الثلث ، ورسائل الكتابة بخط النسخ ، وإعجامها تام إلا ما منها عنه الناسخ ، وشكلها قليل . وقد وضع الناسخ مع الحاء والراء والسين والعين علاماتٍ تميزها من أخواتها المعجمات ، سُمّية الناسخين القدماء . والكتابة واضحة في الجملة . وليس في الرسائل حلية إلا علامات ، تشبه دائرة ، يتصل بها شكل مخروطي ، تحتمل بها الفصول .

١١٤-٦٧

١٩٨٥



وعدد أوراق النسخة مائة وأربع عشرة ، وعلى كل ورقة رقم عربي في الوسط وأفرنجي إلى اليسار . ويظهر أن الأرقام من عمل المكتبة الأهلية الباريسية . وعدد سطور الصفحة بين ٢٢ و ٢٤ ، وطول الصفحة ٢٤ س . م ، وعرضها ١٨ . وتشغل الكتابة منها ١٨ س . م طولاً ، في ١٢ عرضاً .

وقد أثبتنا بين أقواس كلمات يقتضيها سياق الكلام ، قدرنا أنها سقطت من الناسخ ، ولم نزد على هذا إلا ترقيم الرسائل في كل باب ؛ ليسهل الرجوع إليها .

ولا تتضمن النسخة رسائل صاحب كلها ، فهي مختارات منها ، مرتبة على أبواب ديوان الرسائل . ويقول جامع هذه المختارات في أولها : ” وخرجت من كل باب من أبواب ديوان رسائله عشر رسالات ، ليخف حجم هذا المجموع ، ولا يعتاص تحفظه “ ولكننا نجد في الباب التاسع والباب العاشر والباب الخامس عشر إحدى عشرة رسالة .

### ٣

وقد عرضنا ما في النسخة من رسائل على مارواه ثقات الأدباء والمؤرخين ، فلم نجد منها إلا رسالة في الجزء الثالث من خزانة الأدب للبغدادى ، وهى الرسالة التاسعة من الباب الحادى عشر ، ورسالة في ترجمة يتيمة الدهر للصاحب ، وهى الرسالة الثامنة من الباب التاسع عشر . ولم نكتف بهذا في تحقيق الرسائل ، بل عرضناها على التاريخ ، فوافق ما تضمنته من الأحداث والأحوال ، مارواه الثقات من المؤرخين عن دولة بنى بويه ، ففيها من أحوال دولتهم ، وأخبارها ، وذكر رجالها ، مالا يدع شكاً في أنها لوزير من وزرائهم . وفيها من الأمور الأخرى التى تخص صاحب كاستقبال عضد الدولة إياه ، واهتمامه بالمعتزلة ومذهبهم ، مالا يترك ريبه في أن كاتبها هو صاحب إسماعيل بن عباد ، الوزير البويهى ، الذى عرف بدعوته إلى الاعتزال . ولو لم تنسب هذه الرسائل إليه ما صعب على القارئ أن يثبت أنها له . وقد حاولنا جهدنا أن ننشر هذه الرسائل على أحسن وجه ، وفاتنا بعض ما نرجو ، ولكننا قاربنا على قدر الطاقة . والله نسأل أن يرزقنا السداد والإخلاص في الفكر والقول والعمل ، وهو حسبننا ونعم الوكيل .



# مدخل

١

بنو بويه

كتبت رسائل صاحب بن عباد وزير بني بويه في أزهى عصور دولتهم ، نقصد عصر ركن الدولة وأولاده : عضد الدولة ، ومؤيد الدولة ، وفخر الدولة . وقد كان البويهيون ينسبون أنفسهم إلى بهرام جور<sup>(١)</sup> . وكان ركن الدولة وأخواه عماد الدولة ومعز الدولة أول الأمر قوادا في جيش ما كان بن كاكي الديلمي ، فلما انتصر عليه مرداويج بن زيار صاحب جرجان وطبرستان تحولوا إليه ، فولّى عليا الذي لقب فيما بعد بلقب عماد الدولة ، الكرج<sup>(٢)</sup> . وأخذ الإخوة الثلاثة ينشطون في فتح بلدان الجبل وفارس ، واستمروا حتى قتل مرداويج سنة ٣٢٣ هـ فاستقلوا بما في أيديهم<sup>(٣)</sup> . وما زال سلطانهم يتسع حتى استطاع أحمد ، الذي لقب فيما بعد بلقب معز الدولة ، أن يستولى على بغداد سنة ٣٣٤ هـ<sup>(٤)</sup> ، وخلع عليه الخليفة المستكفي ، ولقبه بمعز الدولة ، كما لقب أخاه عليا ، وكان قد استولى على فارس ، بلقب عماد الدولة ولقب أخاه حسنا ، وكان قد استولى على بعض بلدان الجبل ، بلقب ركن الدولة ، وأذن لهم أن تضرب السكة باسمهم<sup>(٥)</sup> ، وبهذا صار الخليفة في بغداد لعبة في أيدي البويهيين ، فهم يخلعونه حين يريدون ، ويولون غيره ، وليس له شيء من سلطان سوى ذكر اسمه على المنابر<sup>(٦)</sup> .

ونحن نعرف أنه قبل دخول بني بويه بغداد بسنوات معدودة توزعت الخلافة العباسية إمارات مختلفة ، فبينما استقل بنو بويه بفارس والجبل وأصبهان والري ثم بغداد أخيرا ، استقل السامانيون بخراسان وما وراء النهر ، والزياريون بجرجان وطبرستان ، ومحمد بن إلياس

(١) تاريخ ابن الأثير طبع أوروبا ١٩٧/٨ .

(٤) ابن الأثير ٣٣٧/٨ .

(٥) مسكويه ٨٥/٦ .

(٦) ابن الأثير ٣٣٧/٨ .

(٢) ابن الأثير ١٩٩/٨ .

(٣) تجارب الأمم لمسكويه طبع أمدرود ٢٩٥/٥ .

وما بعدها .



بكرمان ، والبريديون بالأهواز وواسط والبصرة ، وأبو طاهر القرمطي باليمامة والبحرين ،  
وبنو حمدان بالموصل وديار ربيعة ومضر ، والإخشيديون بمصر والشام ، ولم يبق للخليفة إلا  
بغداد<sup>(١)</sup> ، بل هذه استولى عليها أخيرا معز الدولة البويهى .

وقد كانت رئاسة البيت البويهى للأخ الأكبر ، وهو عماد الدولة ، فلما توفى انتقلت  
رئاسة البيت إلى ركن الدولة ، فكان معز الدولة لا يعصى له أمرا<sup>(٢)</sup> ، وقد أقامه الخليفة مقام  
أخيه عماد الدولة على فارس<sup>(٣)</sup> ، لأن عماد الدولة لم يترك عقباً ، وقد كان يتبنى عضد الدولة<sup>(٤)</sup> ،  
ولعل ذلك ما جعل ركن الدولة يقيم ابنه عضد الدولة على فارس منذ توفى أخوه . واستولى  
عضد الدولة على كرمان . وقد قسم ركن الدولة مملكته بين أولاده ، فجعل لعضد الدولة فارس  
وكرمان وأرجان ، ولمؤيد الدولة الرى وأصفهان ، ولغفر الدولة همدان والدينور<sup>(٥)</sup> ، وجعل  
لعضد الدولة الرئاسة على أخويه ، وجعلهما خليفتهين له على ما بأيديهما . وخدم كل منهما أخاه  
بالريحان ، على الرسم المعروف للبويهيين<sup>(٦)</sup> . غير أن فخر الدولة لم يلبث أن حاول الاستقلال  
عن أخيه ، فخرج عليه ، واستعان بقابوس صاحب جرجان وطبرستان<sup>(٧)</sup> ، ولم تنفعه استعانتة  
به ، فقد حاربتهما جيوش عضد الدولة ، ونزعت منهما مملكتهما<sup>(٨)</sup> ، فاستنجدا بالسامانيين ،  
وتبعتهما جيوش عضد الدولة إلى نيسابور ، ونكّلت بجيوش السامانيين تنكيلا<sup>(٩)</sup> .

وعضد الدولة (٣٦٥ — ٣٧٢ هـ) هو أعظم حكام هذه الدولة ، فقد استولى فى مفتتح  
ملكه على ما بيد ابن عمه من بغداد والعراق ، وكذلك استولى على ما بيد الحمدانيين من  
الحصون والقلاع ، وقد استولى على جرجان وطبرستان ، وشنت جيوشه الغارات على الروم ،  
وأنزلت بهم هزائم منكرة . ويظهر أنه كانت فى عضد الدولة شدة ، فقد بلغ من خوف  
بعض قواده منه ، وهو المطهر بن عبدالله ، أن قتل نفسه خشية أن يتغير عليه ، حين لم يكتب له

- 
- |                                            |                                           |
|--------------------------------------------|-------------------------------------------|
| (١) ابن الأثير ٢٤١/٨ وانظر مروج الذهب      | (٦) مسكويه ٣٦٣/٦ .                        |
| للمسعودى طبع أوربا ٣٠٦/١ ، ٧٣/٢ .          | (٧) ذيل تجارب الأمم لأبى شجاع طبع آندروز  |
| (٢) ابن الأثير ٣٦٦/٨ .                     | ص ١٥ .                                    |
| (٣) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى طبع دار  | (٨) أبو شجاع ص ١٥ وما بعدها ، وابن الأثير |
| الكتب ٢٩٩/٣ .                              | ٨/٩ .                                     |
| (٤) أحسن التقاسيم للمقدسى طبع لندن ص ٤٤٩ . | (٩) أبو شجاع ص ٢٨ وابن الأثير ٩/٩ .       |
| (٥) ابن تغرى بردى ١٠٩/٤ .                  |                                           |



الظفر في حرب بعض الثائرين<sup>(١)</sup>. وقد قصده المتنبي في فارس وهو لا يزال أميراً، فأشاد به في غير قصيدة، ومن قوله فيه :

وقد رأيتُ الملوك قاطبةً      وسرتُ حتى رأيتُ مولاها  
ومن منايهمُ براحتيه      يأمرها فيهمُ وينهاها  
أبا شجاعٍ بفارسٍ عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه

ويصفه ابن الأثير فيقول : إنه كان عاقلاً، فاضلاً، حسن السياسة، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ثاقب الرأي، محبا للفضائل وأهلها، باذلاً في مواضع العطاء، مانعاً في أما كن الحزم، ناظراً في عواقب الأمور<sup>(٢)</sup>. وقد بلغ من حزمه أنه تدلّه بفتاة، فلما خشي على ملكه من تدلّيه بها، أمر بتغريقها<sup>(٣)</sup>. وكان كثير البر والصدقات<sup>(٤)</sup>. وهو أول من خوطب بالملك شاهنشاه في الإسلام، وأول من خطب له على منابر بغداد بعد الخلفاء، وأول من ضربت الدباب على باب داره. ويُروى أنه لما أحسّ بالموت تمثل بقول القاسم بن عبيد الله الوزير :

قتلتُ صناديد الرجال فلم أدعْ      عدوّاً ولم أمهل على ظنّةٍ خلقا  
وأخليتُ دور الملوك من كل نازل      وبددتهم غرباً وشرّدتهم شرقاً<sup>(٥)</sup>

وقد خلفه في فارس والعراق أولاده، بينما استقل أخوه مؤيد الدولة بالجليل وجرجان وطبرستان. ولم يلبث مؤيد الدولة أن توفي بعد أخيه بنحو عشرة أشهر<sup>(٦)</sup>، ولم يعقب، فاستدعى وزيره صاحبُ بن عباد أخاه فخر الدولة من نيسابور، وسلمه مقاليد الدولة<sup>(٧)</sup> عام ٣٧٣ هـ، وما زال فخر الدولة يدير شئونها حتى توفي سنة ٣٨٧ هـ.

وهؤلاء هم ملوك بني بويه الذين خدم صاحب في دواوينهم، وقد بلغت الدولة في عهدهم كل ما كان يحلم به أصحابها من سلطان وهيبة وثروة. ويكفي في تقدير ذلك ما يروى من أن عضد الدولة بنى داراً بشيراز، كانت تشتمل على ثلاثمائة وستين حجرة، ويقول المقدسي في وصفها : "لم أرى شرق ولا غرب مثلاً، ما دخلها عامي إلا افتتن بها،

(٥) ابن تقي بردي ١٤٢/٤.

(٦) ابن تقي بردي ١٤٤/٤.

(٧) أبو شجاع ص ٩٣ وابن الأثير ١٩/٩.

(١) ابن الأثير ٥١٥/٨.

(٢) ابن الأثير ١٤/٩.

(٣) أبو شجاع ص ٤٢.

(٤) ابن الأثير ١٦/٩ وأبو شجاع ص ٦٦.



ولا عارفٌ إلا استدللَّ بها على نعمة الجنة وطيبها ... وعندي أنه إنما بناها على مثال ما سمع من دور الجنة<sup>(١)</sup>“ .

ويروى المؤرخون أن خزانة الدولة خلف نحو مليونين وثمانمائة ألف من الدنانير ، ونحو مائة مليون من الدراهم ، كما خلف من الجواهر واليواقيت والماس واللؤلؤ ما قيمته ثلاثة ملايين من الدنانير ، وخلف مثل ذلك أيضا من أواني الذهب<sup>(٢)</sup> .

وهذا ثراء مفرط ، ومن هذا الثراء كان البويهيون ينفقون على العلماء والأدباء ، وقد كانوا بعيدين في أول الأمر عن الثقافة العربية ، فإن معز الدولة حين قدم بغداد احتاج إلى مترجم بينه وبين علي بن عيسى<sup>(٣)</sup> ، ولسكنا نراهم بعد ذلك يقبلون على الثقافة العربية ، ويتعلمون أدبها وشعرها ، ويصبح منهم شعراء . وقد عقد صاحب اليتيمة فصولا في قيمته لمن كان ينظم الشعر منهم ، مثل بختيار وعضد الدولة<sup>(٤)</sup> . ويقول صاحب اليتيمة : إن الأخير كان يحب الشعر ، ويعطى الشعراء ، ويؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء<sup>(٥)</sup> . ويقول الرواة : إن كتاب الأغاني لم يكن يفارق عضد الدولة في سفر ولا في حضر . ويقول ابن تغرى بردى إنه كان فاضلا نحويا<sup>(٦)</sup> ، وكان يفتخر بأنه غلام أبي على الفارسي<sup>(٧)</sup> . وكان يقرب العلماء ، ويجلس معهم يعارضهم في المسائل ، فقصده العلماء من كل بلد ، وصنفوا له الكتب ، منها الإيضاح في النحو ، والحجة في القراءات لأبي على الفارسي ، والملكي في الطب ، والتاجي في التاريخ للصابي<sup>(٨)</sup> ، وهو في تاريخ بني بويه . وقد كانت له خزانة كتب كبيرة بشيراز ، ويقول المقدسي : إنه لم يبق كتاب صنف إلى وقته من أنواع العلوم كلها إلا وحصله فيها<sup>(٩)</sup> .

وقد كان بنو بويه شيعة ، ويظهر أنهم كانوا غالين في تشيعهم<sup>(١٠)</sup> ، فقد زعم بعض

- |                                                 |                           |
|-------------------------------------------------|---------------------------|
| (١) أحسن التقاسيم للمقدسي ص ٤٤٩ وما بعدها .     | (٦) ابن تغرى بردى ٤/١٤٢ . |
| (٢) ابن تغرى بردى ٤/١٩٧ .                       | (٧) ابن تغرى بردى ٤/١٥١ . |
| (٣) انظر المقدمة الإنجليزية لكتاب تاريخ الوزراء | (٨) ابن الأثير ٩/١٦ .     |
| لهلال الصابي طبع بيروت ص ٧٠ .                   | (٩) المقدسي ص ٤٤٩ .       |
| (٤) انظر اليتيمة طبع الشام ٢/٢ وما بعدها .      | (١٠) ابن الأثير ٨/٣٣٩ .   |
| (٥) اليتيمة ٢/٢ .                               |                           |



المؤرخين أن معز الدولة أمر أن يكتب على المساجد بلعن الصحابة<sup>(١)</sup> ، ويقال إنه أول من سنّ سنة مأتم الحسين ونذبه في يوم عاشوراء<sup>(٢)</sup> ، ويصرّح ابن تغرى بردى مراراً<sup>(٣)</sup> بأن البويهيين رافضة ، ويقول إنهم لم يفشوا ذلك خوفاً على الملك<sup>(٤)</sup> .

غير أن البويهيين — على ما يظهر — لم يجعلوا للتشييع أثراً في دولتهم ومعاملة أهلها ، فقد أبقوا على الخلافة العباسية ، وساموا الناس سياسة رشيدة ، فلم يفرقوا بين نخلة ونخلة ، ومذهب ومذهب ، وقد اتخذ عضد الدولة وزيراً نصرانياً ، هو نصر بن هرون ، وأذن له ، في عمارة البيع والأديار ، ومساعدة الفقراء من أهل الذمة<sup>(٥)</sup> .

## ٢

### الصاحب بن عباد

وصاحب الرسائل هو إسماعيل بن عباد أبو القاسم ، الملقب بكافى الكفاة ، ولد عام ٣٢٦ هـ وتوفى عام ٣٨٥ هـ ، وهو العام الذى توفى فيه أبوه<sup>(٦)</sup> . وهو فارسى الأصل ، من أهل الطالقان وهى ولاية بين قزوین وأبهر<sup>(٧)</sup> . وقد كتب أبوه عباد ، ووزر لركن الدولة<sup>(٨)</sup> ، وكان على ما يظهر من الراسخين فى العلوم الدينية ، فقد ألف فى أحكام القرآن كتاباً نصر فيه الاعتزال وجوّد فيه<sup>(٩)</sup> . ولا نعرف عن أم الصاحب إلا ما يروى من أنها كانت تعطيه كل يوم فى حدائته ، أثناء ذهابه إلى المسجد للدرس ، ديناراً ودرهماً وتقول له : تصدّق بهذين على أول فقير تلقاه<sup>(١٠)</sup> .

وقد تخرج الصاحب على يد أديب عصره : ابن العميد ، وزير البويهيين المشهور<sup>(١١)</sup> ،

- 
- |                                                               |                                                   |
|---------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------|
| (١) تاريخ أبى الفدا تحت عام ٣٥١ هـ .                          | الصاحب فى ابن خلكان .                             |
| (٢) انظر ابن تغرى بردى ٣/٣٣٤ وابن الأثير                      | (٧) معجم الأدباء لياقوت طبع مصر ١٦٨/٦ .           |
| ٨/٤٠٣ ، ٤٠٧ .                                                 | (٨) ياقوت ٦/١٧٢ وانظر ترجمة الصاحب فى ابن خلكان . |
| (٣) انظر ابن تغرى بردى ٣٠٧٣ ، ٣٠٨ ، ٣٣٤ ، وكذلك ٤/١٤١ ، ١٤٢ . | (٩) ياقوت ٦/١٧٢ .                                 |
| (٤) ابن تغرى بردى ٤/١٤٢ .                                     | (١٠) تذكرة العلماء والشعراء : نسخة مصورة          |
| (٥) ابن الأثير ٨/٥١٨ .                                        | بدار السكت (رقم ٩١٠٩ أدب) الورقة ٢٥ .             |
| (٦) ابن تغرى بردى ٤/١٧٢ وانظر ترجمة                           | (١١) انظر ترجمة الصاحب فى ابن خلكان .             |



ويظهر أن ابن العميد أعجب به فقر به منه ، وما زال يرقيه في دواوينه ، حتى اختاره وزيراً لمؤيد الدولة في أثناء إمارته على أصبهان في عصر أبيه . ولما توفي ركن الدولة عام ٣٦٥ هـ قصده أبو الفتح ابن أستاذه ذي الكفایتين ابن العميد ، فأزاله عن وزارة مؤيد الدولة ، ولكنه سرعان ما انتصر عليه وعاد إلى الوزارة<sup>(١)</sup> ، وظل فيها ، حتى توفي مؤيد الدولة ، فوزر من بعده لأخيه فخر الدولة ، واستمر في الوزارة حتى توفي عام ٣٨٥ هـ .

ولم تكن مكانة صاحب في دولة بني بويه ترجع إلى أنه كان أديبا خصب ، فقد كان كاتباً ووزيراً وقائداً<sup>(٢)</sup> ومديراً لشئون الدولة ؛ ولهذا عظمت مكانته لدى ملوك بني بويه ، فقد خرج عضد الدولة لاستقباله حين زاره عام ٣٧٠ هـ في همدان<sup>(٣)</sup> ، وروى ياقوت أن صاحب كان إذا قال في مسألة قولاً ، وقال فخر الدولة قولاً آخر ، امثل قول صاحب<sup>(٤)</sup> .

كانت للصاحب منزلة عظيمة في دولته ، وقد أخذت هذه المنزلة تكبر وتعظم على مر الزمان ، حتى قيل إن قواد بني بويه وحكامهم ومن يوالونهم من الأمراء كانوا يقفون ببابه ”ومن يؤذن له في الدخول عليه ، يظن أنه قد بلغ الآمال ، ونال الفوز بالدنيا والآخرة ، فرحاً ومسرّة ، وشرفاً وتعظيماً ، فإذا حصل في الدار ، وأذن له في الدخول إلى مجلسه ، قبل الأرض عند وقوع بصره عليه ثلاث مرات أو أربعاً ، إلى أن يقرب منه ، فيجلس من كانت رتبته الجلوس ... ثم ينصرف بعد أن يقبل الأرض أيضاً مراراً ؛ ولم يكن يقوم لأحد من الناس ولا يشير إلى القيام ، ولا يطعم منه أحد في ذلك“<sup>(٥)</sup> . ولما توفيت أمه سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ركب إليه فخر الدولة معزياً ، فأما سائر الأمراء والقواد ... فإنهم كانوا يحضرون حفّة خُسرًا ، وكان كل واحد منهم إذا وقعت عينه على صاحب قبل الأرض ، ثم توالى بعد ذلك إلى أن يقرب منه ويأمره بالجلوس ، فيجلس ، وما كان يتحرك ولا يستوفز لأحد بل كان جالساً على عادته في غير أيام التعزية<sup>(٦)</sup> . ومما يدل على عظم منزلته ما يروى من

(١) ياقوت ٢٥٠/٦ . حيث يقول إن عضد الدولة استقبله

في بغداد .

(٤) ياقوت ١٧٢/٦ .

(٥) ياقوت ٢٤٤/٦ .

(٦) ياقوت ٢٣٨/٦ .

(٢) ابن الأثير ٣٩/٩ وقد قيل إنه سلم لفخر

الدولة حسين قلعة . انظر ابن تغري بردى ١٧٠/٤

وياقوت ٢٥١/٦ .

(٣) ابن الأثير ٤/٩ وانظر ابن تغري بردى



أنه لما توفي أُغْلِقَتْ له مدينة الري ، واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته ، وحضر مخدمه فخر الدولة وسائر القواد ، فلما خرج نعشه من الباب قام الناس بأجمعهم ، فقبلوا الأرض بين يديه ، وخرقوا ثيابهم ولطموا وجوههم ، ومشى فخر الدولة أمام نعشه ، وقعد للعزاء أياماً<sup>(١)</sup> . وقد رثاه الشعراء رثاءً حاراً<sup>(٢)</sup> ، ومن قول أبي سعيد فيه :

أبعد ابن عبادٍ يَهْشُ إلى السُّرى      أخو أمِّلِ أو يُسْتَحْ جَوَادُ  
أَبَى اللهُ إلا أن يموتا بموتِهِ      فما لها حتى المعادِ معادُ<sup>(٣)</sup>

وهذه المنزلة الممتازة للصاحب كان يعضدها خلق رفيع ، فقد حدث الرواة أن رجلاً ممن ينطوى له على موجدة دخل داره في غمار الناس ، فكتب له بعض أصحابه بذلك ، فوقع : دارنا هذه خان ، لمن وثق ومن خان<sup>(٤)</sup> . وقالوا إنه استدعى يوماً شراب السكر ، فجاء بقدر منه ، فلما أراد شربه ، قال بعض خواصه : لا تشربه فإنه مسموم ، فقال له : وما الشاهد على صحة ذلك ، قال : أن تجرب به على من أعطاكه ، قال : لا أستجيز ذلك ، ولا أستحله ، قال فجر به على دجاجة ، قال : إن التمثيل بالحيوان لا يجوز ، وأمر بصب ما في القدر ، وقال للغلام : انصرف عني ولا تدخل داري بعدها ، وأقرّ رزقه عليه<sup>(٥)</sup> . ويظهر أنه كانت في الصاحب رقة ودماثة ، فقد روى الرواة أنه كان يقول : ” نحن بالنهار سلطان ، وبالليل إخوان ”<sup>(٦)</sup> . وكانت فيه إلى جانب ذلك فكاهة ؛ حدث الرواة أنه في أثناء درسه في شبابه ببغداد ، تعرض لشخص يسمى ابن شمعون ، كان متصوفاً وكان فيه هوس يطيله ويسهب فيه ، فسأله في أثناء درس له عن قدّ سيكونيات العلم إذا وقعت قبل التوهم ، وهو يريد بذلك أن يقطعه ، فأطرق الرجل ساعة ، ثم أخذ في ضرب من الهذيان ، فلما سكنت قال له الصاحب : هذا الذي تقوله بعد التوهم ، وإنما سألتك قبله<sup>(٧)</sup> ! . ويتصل بهذا الجانب الفكاهة في الصاحب أنه كان يفسح في حضرته لشعراء الكذبة ، من أمثال أبي دلف الخزرجي<sup>(٨)</sup> .

- (١) ياقوت ٢٧٥/٦ وابن خلكان في ترجمة  
الصاحب وابن تغري بردي ١٧١/٤ .  
(٢) البيهقي للعتبي مع شرح المنيني ٢٠٢/١ .  
(٣) ابن خلكان في ترجمة الصاحب  
(٤) البيهقي ٣٨/٣ .  
(٥) ياقوت ٢٦٨/٦ .  
(٦) البيهقي ١٧٤/٣ .  
(٧) ياقوت ١٨٥/٦ .  
(٨) البيهقي ٣٩/٣ .



وقد كانت حضرة الصاحب محطّ رحال العلماء والأدباء في عصره ، وكان يتعهدهم جميعا بالعطاء . فمن ذلك ما قيل من أنه كان ينفذ في كل سنة إلى بغداد خمسة آلاف دينار تفرّق في الفقهاء وأهل الأدب<sup>(١)</sup> ، وفي ياقوت أن عطاياه للأدباء والعلماء والأشراف كانت تزيد على مائة ألف دينار في العام الواحد<sup>(٢)</sup> . وإن الإنسان ليخيّل إليه أنه لم يبق أديب في عصره إلا قصد إلى حضرته لينال من عطاياه . يقول الثعالبي : " احتفّ به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يُرّبي عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنهم في الأخذ برقاب القوافي ، وملك رقّ المعاني " <sup>(٣)</sup> . ورؤى عنه أنه قال : " مدحت بمائة ألف قصيدة شعر عربية وفارسية " <sup>(٤)</sup> . ويدل مديح الشعراء له بالشعر الفارسي على أنه كان يتقن الفارسية ، وفي ياقوت ما يدل على أنه كان يتكلم بها أحيانا<sup>(٥)</sup> ، ويقال إنه اختبر مهارة بديع الزمان في الترجمة من الفارسية إلى العربية<sup>(٦)</sup> .

ولم يحلّ الصاحب على عظم خدماته للأدب في عصره ممن زاروا حضرته وارتدّوا حائقين عليه ، إذ لم يحقق لهم كل ما ربههم . ومن هؤلاء أبو حيان التوحيدي ، فقد وفد عليه ، ولم يلبث أن خرج مغاضبا له ، فألف في ثلّبه وفي ثلب ابن العميد كتابا سماه : أخلاق الوزيرين ، وينقل منه ياقوت كثيرا<sup>(٧)</sup> ، وقد تعقبه بالثلب أيضا في كتابه ( الإمتاع والمؤانسة )<sup>(٨)</sup> ، ثم في رسالته المسماة ( الصداقة والصدق )<sup>(٩)</sup> . غير أن ثلب أبي حيان الصاحب لا يقدح فيه ، لأنه يرجع إلى أسباب شخصية ، قال ياقوت : " إن أبا حيان كان قد قصد ابن عباد في الري ، فلم يرزق منه ، فرجع عنه ذامّا له ، وكان أبو حيان مجبولا على الغرام ، بثلب الكرام ، فاجتهد في الغضّ من ابن عباد " <sup>(١٠)</sup> ، وهو غضّ خَصَم شديد الخصومة .

- |                                                                                                   |                                                         |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------|
| (١) المنتظم : نسخة مصورة بدار الكتب ( رقم ١٢٩٦ تاريخ ) الجزء السادس ، القسم الثاني ، الورقة ٤٥٠ . | (٦) لباب الألباب لمحمد عوفى طبع ليدن ١٧/٢ .             |
| (٢) ياقوت ٢٤٩/٦ .                                                                                 | (٧) ياقوت ٢٦/١٥ وما بعدها .                             |
| (٣) التيممة ٣٣/٣ .                                                                                | (٨) الإمتاع والمؤانسة طبع لجنة التأليف ص ٥٤ وما بعدها . |
| (٤) ياقوت ٢٦٣/٦ .                                                                                 | (٩) الصداقة والصدق طبع القسطنطينية ص ٣٣ .               |
| (٥) ياقوت ١٦/١٥ .                                                                                 | (١٠) ياقوت ١٨٦/٦ و كذلك ١٣/١٥ ، ٣٣ .                    |



والحق أن الصاحب كان حسن السيرة ، وكان ما يزال يطلب الأدباء والعلماء إلى حضرته ، ومن طلبهم إليها القاضي عبد الجبار<sup>(١)</sup> شيخ المعتزلة في بغداد ، وقد ولّاه القضاء في دولته . وكان العلماء يرفعون إليه كتبهم كما يرفع الشعراء قصائدهم ، وقد رفع إليه ابن فارس كتاب الصاحبي .

وقد كان الصاحب على ما يظهر علما في فنون شتى ، فله تأليف كثيرة<sup>(٢)</sup> ، ألف في اللغة معجما ضخما يقع في سبع مجلدات سماه المحيط ، وفي دار الكتب المصرية قطعة منه ، وقد نشر له برونله كتاب المقصور والممدود ، وفي دار الكتب نسخة مخطوطة من كتابه الإقناع في العروض . وكما كان الصاحب لغويا كان محدّثا ، أخذ الحديث عن أبيه وغيره<sup>(٣)</sup> ، ويروون أنه خرج يوما وهو وزير متطلسا متحنكا بزى أهل العلم ، لرواية الحديث وإملائه على الناس<sup>(٤)</sup> . وكان مثل أبيه يذهب مذهب الاعتزال<sup>(٥)</sup> . ويقول أبو حيان إنه كان يكره الفلسفة<sup>(٦)</sup> ، ولكن له رسالة طبية في الباب التاسع عشر ، وهي تدل على صلته بالثقافة الفلسفية ، وقد قال فيها بعض الأطباء : " لو علمها ابن قُرّة وابن زكريا لما زادوا عليها " <sup>(٧)</sup> .

وقد عرف بسعة العلم . يقول صاحب المنتظم إنه " لم يكن من يذكر عنه العلم من وزراء الدولة الديلمية كما يذكر عن الصاحب " <sup>(٨)</sup> . وقد قالوا : إنه جمع من الكتب ما يحتاج في نقله إلى أربعمائة جمل<sup>(٩)</sup> ، وكان يعنى بطلب النسخ الصحيحة إلى خزانة كتبه عناية عظيمة<sup>(١٠)</sup> ، وقال أبو الحسن البیهقي إنه رأى فهرست كتبها ، وهو يقع في عشر مجلدات <sup>(١١)</sup> . وقد أسس سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهی دارا للعلم في الكرخ غربي بغداد ، ونقل إليها كتبها كثيرة ، وقد صنع ذلك منافسة للصاحب بن عباد <sup>(١٢)</sup> .

وكان الصاحب مثل ساداته من البويهيين متشيعا ، وقد ألف في إمامة علي بن أبي طالب

- |                                        |                                                          |
|----------------------------------------|----------------------------------------------------------|
| (١) المنية والأمل طبع حيدر آباد ص ٦٦ . | (٨) المنتظم : الجزء السادس ، القسم الثاني ، الورقة ٤٤٩ . |
| (٢) انظر فهرست كتبه في ياقوت ٦/٢٦٠ .   | (٩) ابن الأثير ٧٧/٩ .                                    |
| (٣) ياقوت ٦/١٧٢ .                      | (١٠) ياقوت ٧/٢٤٢ ، ٢٥١ .                                 |
| (٤) ياقوت ٦/٢٥١ .                      | (١١) ياقوت ٦/٢٥٩ .                                       |
| (٥) ياقوت ٦/٢٨٤ .                      | (١٢) Nicholson , Lit. Hist. of Arabs, P. 267 .           |
| (٦) ياقوت ٦/١٧٥ .                      |                                                          |
| (٧) يتيمة ٣/٤٢ .                       |                                                          |



كتاباً<sup>(١)</sup> ويقول أبو حيان : إنه كان يقول بمقالة الزيدية<sup>(٢)</sup> ، ويروى الرواة عن القاضي عبد الجبار أنه كان يقول : ” أنا لا أترحم عليه لأنه مات عن غير توبة “<sup>(٣)</sup> . ولسنا ندرى أيريد بذلك أنه كان غالياً في تشيعه ، أم يريد شيئاً آخر ؟ . ولم يرزق الصاحب سوى بنت واحدة ، زوجها أحد الأشراف ، فلما أعقبت منه سر سرورا عظيماً . ومدحه الشعراء بهذه المناسبة مدائح كثيرة ، وقال هو فيها أيضاً شعراً يدل على مسرته وبهجته بهذه الحادثة ، فمن ذلك قوله :

الحمد لله ——— داءاً أبداً إذ صار سبب رسول الله لى ولداً<sup>(٤)</sup>

ونحن نختتم حديثنا عن الصاحب بما قاله صاحب المنتظم من أنه كان أفضل وزراء بني بويه<sup>(٥)</sup> ، وما قاله الثعالبي ، من ” أنه كان صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن لا حرج في مدحه بما يمدح به كل مخلوق ، ولولاه ما قامت للفضل في دهره سوق “<sup>(٦)</sup> .

### ٣

#### الرسائل

ورسائل الصاحب ليست رسائل إخوانية كأكثر رسائل أبي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمداني ، بل هي رسائل ديوانية ؛ ومن هنا كان لها قيمتان : قيمة تاريخية وقيمة أدبية .

#### في قيمتها التاريخية

وترجع قيمتها التاريخية إلى أنها سجلت طائفة من حروب بني بويه ، كما سجلت أسماء طائفة من حكامهم وقوادهم وقضاةهم . وقد صورت فيها بعض التصوير معاهداتهم ، كما صورت سياستهم ، ومعاملتهم الرعية ، واجتمع الناس في عصرهم . فهي وثائق تاريخية مهمة في أمور الدولة البويهية السياسية والاجتماعية .

(٥) المنتظم : الجزء السادس ، القسم الثاني ،

الورقة ٤٥١ .

(٦) يتيمة ٣٢/٣ .

(١) ياقوت ٢٦٠/٦ .

(٢) ياقوت ١٧٥/٦ .

(٣) ابن الأثير ٧٧/٩ وأبو شجاع ص ٢٦٢ .

(٤) يتيمة ٧٣/٣ وما بعدها .



حق أن مسكويه كان معاصرا للصاحب ، وكتب في تجارب الأمم فصولا طويلة عن البويهيين . ومع ذلك فمسكويه ينقصه كثير من التفاصيل التي ألت بها هذه الرسائل ، كما تنقص هذه التفاصيل أيضا أبا شجاع صاحب ذيل تجارب الأمم .

وقد كتب أبو إسحاق الصابي في تاريخ البويهيين كتابه التاجي ولكنه مفقود ، وكذلك كتب عنهم حفيده هلال بن الحسن في تاريخه الكبير ، ولكن هذا التاريخ أيضا مفقود ، ولم يبق منه إلا ما يتناقله المؤرخون ، وإلا ما طبع في بيروت بعنوان تاريخ الوزراء ، وهي قطعة تتصل بوزراء المقتدر ، ولما عرضت لوزراء بني بويه .

ونحن لا ننكر قيمة ما قصه ابن الأثير وابن تغري بردي وصاحب المنتظم عن البويهيين ، غير أن ما قصوه جميعا لا يتضمن كل التفاصيل السياسية والاجتماعية لهذا العصر . ومن ثم كانت كل وثيقة سياسية جديدة تُنشر عن هذا العصر البويهي تعتبر عظمة الفائدة ، ولا سيما حين يكتب هذه الوثيقة وزير معاصر مشارك في أحداث الدولة وسياستها مثل صاحب بن عباد .

ونحن نستعرض موضوعات هذه الرسائل التي كتبها صاحب حتى نقف على قيمتها السياسية والاجتماعية . وإن من ينظر فيها يجد الباب الأول منها خاصا بفتح عضد الدولة وحروبه . وهو يفتتحه برسالة تصور حربه مع أخيه فخر الدولة وقابوس بن وشمكير صاحب جرجان وطبرستان . ويقص صاحب ما كان من هزيمتهما على باب إسترااذ . ومن طريف ما يقصه أن بني بويه كانوا يطلقون من يقع في أيديهم من أسرى أعدائهم ، يمنون عليهم بذلك حتى يتألفوهم .

ونقرأ في الرسائل التالية لهذه الرسالة في الباب حروب عضد الدولة مع الروم ، وابن حمدان وكيف قضى عليه ، كما نقرأ إصلاحه بين سعد وربيعة . ونراه يتحدث في الرسالة السادسة عن استنجد إبراهيم بن المرزبان بركن الدولة على عمه وهسودان ، وقد اغتصب منه ومن إخوته ملك أذربيجان بعد وفاة أبيهم . ويفصل صاحب الحديث في إغاثة ركن الدولة إياه ، ويدكر من أرسله معه من القواد وما كان بعد ذلك من هزيمة وهسودان . وبينما تذكر كتب التاريخ أن ركن الدولة أغاث إبراهيم لأسباب شخصية<sup>(١)</sup> ، نجد صاحب يذكر أنه

(١) ابن الأثير ٤٢١/٨ .



أغاثه لأسباب سياسية ، إذ كان وهسوذان مغاضبا للدولة ، يكيد لها ، ويشير عليها الفتن . وقد خصَّ الصاحب الرسالة السابعة بحرب عضد الدولة وابن عمه بختيار ، وكيف استولى على بلاده ، وهو يفصل الحديث في ذلك . ومن طريف ما ذكره أن خليفة بغداد كان يرسل عضد الدولة سرا ، وأنه خرج لاستقباله في ديالى بعد انتصاراته .

وربما كانت الرسالة الثامنة أخطر رسائل هذا الباب ، وقد خصَّها الصاحب بنهاية حرب قابوس وغز الدولة ، وما كان من استعانتها بالدولة السامانية ، إذ ساقَت جيشا بقيادة تاش . ولم يكن حظ هذا الجيش خيرا من حظ جيوش قابوس ، فقد سارعت جيوش عضد الدولة إليه في نيسابور ، وسرعان ما دارت عليه الدوائر ، إذ قتل منه نحو ثلاثة آلاف ، وليس هذا كل ما في الرسالة ، فإن فيها وصفا دقيقا لحروب السامانيين والبويهيين ، منذ قامت دولتهم ، وإن الصاحب ليعدّ هذه الحروب ، ويعدّد أسماء قواد السامانيين فيها . وقد ذكر مادة طريفة في إحدى معاهدات البويهيين مع السامانيين ، وهى : ” أن لا يُقبَلَ في جهة من الجهتين أثباقي العساكر ، ولا يمهَّد في جنبه من الجنبتين للخالع والنافر ، ولا يُحاجى على من عصا فشرد ، وشقَّ العصا وانفرد “ . ونقف من هذه الرسالة على شيء طريف آخر هو أن السامانيين كانوا إذا خلع بنو بويه خليفة وولوا مكانه آخر ، لا يدعون للمولى مكانه على منابرهم .

ونترك هذا الباب الخاص بالحروب إلى الباب الثانى الخاص بالعهود ، فنقرأ فيه أوامر الدولة وعهودها للقضاة والولاة والمحتسبين ، وهى تبدأ بعهد عبد الجبار قاضى القضاة فى الدولة ، وفيه نرى الصاحب يأمره باتباع الكتاب والسنة والإجماع ثم القياس ، كما يأمره أن لا يأخذ بالآراء الشاذة ، وأن لا ينقض آراء من سبقه من القضاة إلا ما خرج عن اتفاق الأمة ، وقد دعاه إلى أن يثبت من الشهود ، وأن يعدل بين الخصوم ، وأن يسوى بين الفنى والفقيه فى لحظه ولفظه وحكمه . ونرى من هذا العهد أن القاضى هو الذى كان يشرف على تعيين الأوصياء على اليتامى ، والنظار على الوقوف ، والقوَّام على السكة . وجاء فى هذا العهد أيضا ألاَّ ترد التركة إلى بيت المال ، بل يأخذها الأبعد من ذوى الأرحام . وفى هذا ما يدل دلالة صريحة على أن بنى بويه لم يكونوا يتعرضون للتركات ، وقد امتدحهم المقدسى ونوّه بهم لذلك <sup>(١)</sup> .



وبلى هذا العهد عهد في الحسبة ، ومنه نطلع على صفة المحتسب ، وأنه ينبغي أن يكون من الفقهاء ، كما نطلع منه على عمله وأنه كان يقوم بمراقبة المسكايل والموازن في السوق ، كما كان يقوم بمراقبة السلع وحفظها عن الغش ، وكذلك كان يراقب النساء في الأسواق ، وأهل الزمة ولبسهم للغيار وعقد الزنار . وقد كان له حق الحبس والتأديب . وإن صاحب يأمره أن يسوّى في العقاب بين أبناء الثروة واليسار ، وإخوان الخلة والإعسار .

ونقرأ بعد ذلك عهدا لحاكم ، وهو العهد الرابع من هذه العهود ، ومنه نعرف سياسة بني بويه في معاملة الرعية ، وما يأخذون به حكامهم ومرءوسيهـم في هذه المعاملة ، سواء أصحاب الصدقات ، وأصحاب الخراج ، وسواء المتولون لدور الضرب والقائمون على حراسة المسكايل والموازن ، وأصحاب معاون والشرط . وقد أمر صاحب هذا الحاكم بالعمل على نفـض الطرق من اللصوص ، كما أمره بالعدل المطلق بين الناس . ومن غريب ما جاء في هذا العهد أن صاحب أمر الحاكم ألاّ ينفذ الحدود إلا بعد الرجوع إليه ” حتى يأتيه من الأمر ما يبرمه ، ومن الحكم ما يرتسمه “ . وجاء في هذا العهد أيضا ما يدل على أن الدولة كانت تراقب سوق الرقيق مراقبة شديدة .

ونستمر حتى العهد الثامن وهو خاص بقسمة الماء في بعض الأودية ، وفيه نرى صاحب يأمر الحاكم بالعدل في قسمة الماء بين أصحاب الضياع ، بحيث لا يقطع أحد ماء في غير حقه ، ولا يسد فاه النهر في غير شربه . وقد أمره أن يعاقب من يخالف ذلك حتى لو كانت ضيعته من خاص ضياع الدولة وخالص أملاكها . وإن في هذا ما يدل دلالة واضحة على عدل بني بويه ، وهو عدل تنتشر الدعوة إليه في جميع صحف هذه الرسائل والعهود ، بحيث يخيّل إلى الإنسان أن بني بويه كانوا من أعدل الحكام في الشرق . وفي كل مكان من رسائل صاحب نجد الآيات الدالة على ذلك . ومن الرسائل التي تفسره في دقة ، الرسالة الخامسة في الباب الثالث ، إذ نجد صاحب يأمر الموظفين في الدولة أن يرّموا أنفسهم عن أن يطلبوا شيئا من الناس فوق الضرائب المقررة لهم .

وكما عني البويهيون بالعدل عنوا بالأمن ، ونفـض الطرق عن أهل العيث والفساد ، وإن في الباب الرابع الخاص بالحجيج والمصالح والثغور ما يفسر ذلك تفسيراً وافياً . وقد كان



البويهيون يكرهون كل ما يحدث خلافاً في الدولة أو يثير فتنة فيها ، ولعلمهم من أجل ذلك لم يحاولوا أن ينصروا مذهبهم الشيعي ، أو يؤيدوه في أي بقعة من بقاع دولتهم . وفي الباب السادس رسالتان طريفتان هما الخامسة والسادسة ، وقد كتبنا بصدد نشوب ثورة في قزوين بين العلوية وغيرهم ، وقد دعا فيهما صاحب إلى وجوب الألفة بين الطوائف المختلفة ، بحيث لا يتعصب لإحدى الطوائف على الأخرى ، ولا يلزم أحد بالعدول عما اختاره من مذهب وطريقة .

وليس في الرسائل ما يدل على دلالة على أن دولة بني بويه كانت تدعو إلى التشيع . وقد كانت تتخذ العيون والجواسيس كما تدل الرسالة السادسة من الباب الثالث عشر ، ولكنها فيما يظهر كانت تستعملهم على خصومها السياسيين .

ونحن نجد في الرسائل نزعة واضحة إلى القول بالاعتزال والدعوة إليه ؛ فقد جاء في الرسالة التاسعة من الباب العاشر "مولاي يتدين بتعديل ربه ، ويعرف مواقع اللطف من صنعه ، ولا يشك في اقتران الصلاح بفعله" . وتكرر فكرة التعديل هذه في الرسائل كثيراً . والغريب أن صاحب لا يدعو إلى التشيع في رسائله ويدعو إلى الاعتزال ! . وهناك رسالتان طريفتان في الباب السابع عشر وهما نصان صريحان في أنه كان يبعث دعاة له إلى البلدان المختلفة يدعون الناس إلى الدخول في مذهب المعتزلة . ولسنا ندري أكان هذا من عمله هو أم كان من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة يذهب — فيما يظهر — إلى الاعتزال<sup>(١)</sup> ، ويعرف التاريخ صلة دائمة بين التشيع والاعتزال منذ كانا . ويظهر أن التشيع اقتزن في هذا العصر اقتراناً تاماً بالاعتزال ، إذ كان أهل السنة يكرهون التشيع والاعتزال جميعاً .

والرسائل تصرح بأن العلوية كانوا يخاطبون في هذا العصر بالشرفاء والأشراف ، وأنه كان يتخذ منهم النقباء . وقد أظهر صاحب في الرسالة الحادية عشرة من الباب العاشر ، وهي خاصة بالتعزية ، حرقاً شديداً على نقيب توفاه الله . وكذلك أظهر صاحب هذه النزعة الشيعية في الرسالة التاسعة من الباب التاسع عشر وهي موجهة إلى بعض الأشراف . ونجد في هذا الباب أيضاً رسالة طريقة ، وهي الرسالة العاشرة ، وهي عهد إلى بعض النقباء ، وفيها ما يدل



على كثرة الصلات التي كانت تصل إلى العلويين من البويهيين ، وفيها أيضا ما يدل على أن النقيب هو الذي كان يتولى الحكم بين العلوية ، حتى لا يحكم بينهم أحد من الخارجين عن الأسرة . ومعنى ذلك أنه كان للعلوية قضاء مستقل في الدولة ، وأنه كان ينهض به في كل بلدة قاض منهم . ومن طريف ما في هذا العهد أنه يشير إلى أن أناسا كثيرين كانوا ينتحلون لأنفسهم نسبا في الدوحة العلوية ، ولذلك نرى الصاحب يأمر هذا النقيب بتتبع المنتحلين للنسبة ، وإشهار أمرهم . ويظهر من جوانب أخرى في الرسائل أن الذي كان يحج بالناس في هذا العصر شريف من الشرفاء .

وليس الذي ذكرناه كل ما في هذه الرسائل من دلالات سياسية واجتماعية ، وإنما هو بعض دلائلها أثرناه لندل به على غيره ، حتى نصور بعض التصوير قيمة الرسائل من الوجهة التاريخية .

### قيمة الرسائل الأدبية

قلنا آنفاً إن رسائل الصاحب وثائق تاريخية مهمة في العصر البويهى ، ولا ريب أن قيمتها الأدبية أعظم من قيمتها التاريخية ، فقد تناولت موضوعات يصعب تطويعها للأساليب الأدبية ، من مثل سقى الأرض والخراج وأمن الطرق ، وأمور أخرى تحدّثها الحقائق ، ولا يتسع فيها الخيال ، ويصرّفها العقل ولا ينفسح فيها مجال العاطفة ، فلا يستطيع إلا كاتب قدير أن يسرد هذه الموضوعات وأشباهاها في أسلوب أدبى . وهذا دليل من أدلة كثيرة على اتساع الأدب العربى لموضوعات لا تعدّ في النظرة الأولى من موضوعات الأدب ، ولا يتسع المجال هنا للإفاضة في هذا الجانب .

ولم ينشر قبل هذه الرسائل لوزير من وزراء بنى بويه مجموع من الرسائل يماثل هذا المجموع ، بل لقد ضاعت رسائل هؤلاء الوزراء جملة ، ولم يبق منها إلا قليل روى في القيمة ومعجم الأدباء وغيرها من كتب الأدب . وأعظم وزيرين أدبيين عرفا في فارس أيام البويهيين هما ابن العميد وتلميذه وخريجه ابن عباد . ولم ينشر لابن العميد ما يكشف عن فنه وأساليبه كشافا تاما . فكان لنشر هذه الرسائل فوائد كثيرة إذ نطلع منها على رسوم الكتابة الديوانية في إيران لهذه العصور .

وأول ما يدرك القارئ من رسوم هذه الرسائل الصاحبية ، أنها تبتدى بالتحميد والصلاة



على النبي وأحيانا بالدعاء ، وغالبا ينوّه صاحب باسم سيده الذى تصدر الرسالة فى عهده ، وهو حين يذكره لا يُطَنَّب فى تلقيبه ، بل يكتفى باللقب الذى خلعه عليه الخليفة مثل مؤيد الدولة أو ركن الدولة ، وهو يذكر عضد الدولة باسم الملك السيد ، أو الملك شاهنشاه . ويعبر صاحب بكلمة الحضرة السامية ، أو الحضرة الشريفة ، أو الحضرة البهية ، وكذلك يعبر بالمجلس العالى والمجلس الشريف ، وقد يعبر عن نفسه بأنه عبد سيده ، ولكنه لا ينحدر من ذلك إلى الخنوع والتذلل ، على نحو ما حدث بعد ذلك فى الرسائل الديوانية ، من الغلو فى الأوصاف والإكثار من الألقاب والتفخيم فيها فى صدور الرسائل ، وقد بالغ الكتاب بعده فى ذلك بصور مختلفة حتى قالوا : " خادم الخدمة الشريفة فلان " ، وقالوا : " قالت الخدمة ، وفعلت الخدمة ، وسئلت الخدمة <sup>(١)</sup> " .

ويجتمه صاحب رسائله أحيانا بالدعاء ، ولا يطيل فيه ، إلا إذا كان بصدد فتح عظيم ، فإنه يسهب فيه ويطنب ، على نحو ما صنع فى الرسالة الثامنة من باب الفتوح ، فقد امتد الدعاء فيها إلى نحو عشرين سطرا . وربما يعرض الدعاء والتحميد أثناء الرسائل ، ولكن هذا نادر .

وإذا تركنا طريقة الافتتاح والاختتام فى الرسائل إلى اللغة والأسلوب ، فسألنا أكان للفرسية أثر فى كتابة صاحب ، وقد قلنا آثما إنه كان يتقن الفارسية ، ويقول الجاحظ : " اللغتان إذا التقتا فى اللسان الواحد ، أدخلت كل واحدة منها الضيم على صاحبتها " <sup>(٢)</sup> . فهل أدخلت الفارسية الضيم على عربية صاحب ؟

والإجابة عن هذا السؤال ينبغى أن نحتاط فيها ، إذ يجرى على أقلام بعض الأدباء دعوى تأثر العربية بالفارسية كلما كتبوا عن الأدب العربى فى العصور الإسلامية . وهى دعوى لا يستطيع إقامة الدليل عليها إلا بالرجوع إلى الأدب الفهلوى ، الذى اشتق منه الأدب الفارسى الحديث ، وإلا بمسيرة الأدب العربى فى تطوره أثناء العصور الإسلامية الأولى . والذى يبدو لمن درس الأدبين أن موضوعات انتقلت من الأدب الفارسى المنشور إلى الأدب العربى ، وأن بعض رسوم الرسائل الفارسية تسربت إلى كتابة الدواوين العربية ، وأن ألفاظا فارسية كذلك استعملت فى العربية . وأما أن تركيب الجملة العربية طابع تأثير

(٢) البيان والتبيين للجاحظ طبعة السندوبى ١٣٩١

(١) تاريخ الوزراء للصائى ص ١٥٠ وما بعدها .



الفارسية ، أو أن أسلوبا من أساليب العربية يعدّ محاكاة لأسلوب فارسي ، فأمر عويس ينبغي أن لا يقدم عليه الباحث المثبت إلا بعد بحث طويل دقيق . ولولا هذا لأحلنا بعض عبارات الصاحب على عبارات فارسية .

ومن أجل ذلك تقتصر — في إجابة السؤال السابق — على مالا شك فيه من استعمال الصاحب ألفاظا فارسية في أمور الخراج وسقي الأرض ونحوها لم يجد من استعمالها مناصا ، وهي مبثوثة في رسائله . وقد استعمل الظاء بدل الضاد في بعض كلماته مثل إفضاء فقد كتبت إفضاء<sup>(١)</sup> والضعائن كتبت الظغائن<sup>(٢)</sup> ولسنا ندري أهذا من عمله أم من عمل النساخ . وعلى كل حال نحن لا نملك القطع بأن الصاحب غلبت عليه العجمة لمثل هذا الاستعمال . وقد جاء في الرسالة التاسعة من الباب الأول كلمة "مسجد جامعها" يريد مسجدتها الجامع ، وهذه صياغة فارسية إذ يضيف الفرس الموصوف والصفة معاً إلى المضاف إليه .

والصاحب يختار ألفاظه من ذات الحروف الضخمة ، حروف التفتيح والإطباق ، فتكثر في كلماته حروف القاف والضاد والطاء والصاد والطاء ونحوها مما يجعل الكلام جزلا ذا جلجلة ورنين . ومن أجل ذلك كان بناء الصاحب قويا ضخما يروع القارئ لأول وهلة بصلابته ومتانته ، وهو يقصد إلى ذلك قصدا ، حتى يخلق في أجوائه العليا من فن الكتابة كما يتصورها وكما تقع في وهمه . ويتصل بذلك أنه يُغرب أحيانا في ألفاظه ، فيختارها من المعجم غير المؤلف رغبة منه في الارتفاع ، وقد ساعده في بلوغ ما يريده من ذلك ، أنه كان واسع العلم باللغة ، وقد ألف فيها معجما كما ذكرنا قبلا

وإذا تركنا ألفاظ الصاحب إلى أساليبه كان أهم ما يلفت فيها كثرة الاعتراض والفواصل ، فقد يفصل بين المبتدأ والخبر بجملة تمتد إلى ثلاثة أسطر<sup>(٣)</sup> ، وقد يفصل بين الفعل ومفعوليّه بجملة تمتد إلى خمسة أسطر<sup>(٤)</sup> ، وقد يفصل بين فعل الشرط وجوابه بنحو سبعة أسطر<sup>(٥)</sup> . وقد آخذ السابقون على ذلك ، وقالوا إن هذا يحدث تعازلا في أساليبه<sup>(٦)</sup> . وكما يكثر من الاعتراض يكثر من البُعْد بين المتعاطفات ، وخاصة إذا كانت مجرورة ، ولذلك شكلناها

(١) انظر الرسائل ص ٧٦ .

(٢) الرسائل ص ٩١ .

(٣) الرسائل ص ١٥ .

(٤) الرسائل ص ١٦ .

(٥) الرسائل ص ١٧٥ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة ٦٤/١ .



في مواطن كثيرة ، حتى يستبين القارئ تعلق الكلام ببعضه ببعض . وأكبر الظن أن صاحب كان يريد أن يدل على مقدرة ؛ وقد كانت لديه نزعة للإغراب . ويدل على تغلغل هذه النزعة فيه أن بعض أصحابه كتب إليه رقعة في حاجة فوقع فيها ، ولما ردت إليه الرقعة لم ير فيها توقيعاً ، وقد تواترت الأخبار بالتوقيع فيها ، فعرضها الرجل على أبي العباس الضبي ، فما زال يتصفحها حتى عثر بالتوقيع ، وهو ألف واحدة ، وكان في الرقعة : "فإن رأي مولانا أن ينعم بكذا فعل" . فأثبت صاحب أمام فعل ألفاً يعني أفعل<sup>(١)</sup> . وأيضاً روى الثعالبي أن صاحب صنع قصيدة معرأة من الألف التي هي أكثر الحروف دخولا في المنظوم والمنثور ، فتداولها الرواة وعجبوا منها ، فصنع صاحب قصائد ، كلٌّ منها خالية من حرف من حروف الهجاء . وهذا كله يؤكد أن صاحب كان ينزع إلى الإغراب ، كما كان ينزع إلى أن يشق على نفسه ، حتى يظهر قدرته ومهارته ، ومن هنا يأتي استخدامه للغريب ، وإكثاره من الاعتراض الطويل بين المعطوفات .

وقد كان صاحب يخضع في أساليبه لما شاع في عصره من استخدام السجع والبديع ، وقد اشتهر في عصره بأنه يكلف بالسجع كلفاً شديداً ، قال أبو حيان : "كان كلفه بالسجع في الكلام والقول عند الجد والهزل يزيد على كلف كل من رأيناه في هذه البلاد ، قلت لابن المسيبي : أين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع ؟ قال : يبلغ به ذلك لو أنه رأى سبعة ينحلق بموقعها عروة الملك ، ويضطرب بها حبل الدولة ، ويحتاج من أجلها إلى غرمٍ ثقيل وكُلْفَةٍ صعبة ، وتجشم أمور ، وركوب أهوال ، لما كان يخف عليه أن يُفرج عنها ويُخليها ، بل يأتي بها ويستعملها ، ولا يعبأ بجميع ما وصفت من عاقبتها" <sup>(٢)</sup> . ويزعم الرواة أن ابن العميد قال : خرج ابن عباد من عندنا من الرى متوجهاً إلى أصفهان وطريقه رامين ... تجاوزها إلى قرية غامرة وماء ملح ، لا شيء إلا ليكتب إلينا : "كتابي هذا من النوبهار ، يوم السبت في نصف النهار" <sup>(٣)</sup> . ويستمر الرواة فيقولون : إن سَجْعَةً اضطرت صاحب إلى عزل قاضي قم ، فقد كان عنده ، فقال له : أيها القاضي بقم ، وأراد أن يكمل السجعة فأعياء ذلك ، فقال : قد عزلناك فقم <sup>(٤)</sup> .

(١) يتيمة ٣٨/٣ . معجم الأدباء ٢٢٠/٦ .

(٢) انظر مادة قم في معجم البلدان لياقوت .

(٣) يتيمة ٣٨/٣ . معجم الأدباء لياقوت ٢٠٧/٦ .

(٤) انظر مادة قم في معجم البلدان لياقوت .



ولا ريب أن هذه روايات بولغ فيها ، فما بين أيدينا من رسائل الصاحب لا يدل على هذا الكلف الشديد بالسجع ، إذ نراه كثيراً ما يكتب بالازدواج . وربما كان هذا كله مما لفق عليه خصمه أبو حيان أو خصوم آخرون ، وأعانهم عليه تكلف الصاحب أحياناً في أسجاعه ؛ وإن سجعاً ليترد في كثير من فصوله اطرادا ، فلا يعوقه عائق ، ولا يخالطه تصنع أو تكلف .

وكما كان الصاحب يعني بالسجع في أسلوب رسائله كان يعني بالبديع ، وأكثر حلي البديع استهواء له حلية الجناس ، وكانت تغلب عليه حتى في أحاديثه . روى عن بعض ندمائه أنه قال : كنت يوماً بين يدي الصاحب ، فقدم البطيخ ، فقلت لا مُتْرَك ، فقال بالعجلة : لمُتْرَك ، وكنت أريد أن أقول : لا مترك للبطيخ ، فسبقني إلى التناذر بهذا التجنيس (١) .

وقد غنى الصاحب في رسائله بالاقتناس ، ولا سيما من القرآن الكريم ، فهو مولع باقتباس الألفاظ والعبارات القرآنية ، وإدخالها في مادة لغته . وفي أحوال كثيرة نراه يختم الفصل في رسالته بآية من القرآن ، وقد صنع ذلك في طائفة من عهوده ، فالتزم فيها اختتام كل فصل بآية من الذكر الحكيم . وكما يقتبس الصاحب من القرآن يقتبس من الشعر والأمثال ، ولكنه لا يكثر من ذلك .

وقد تعلق الصاحب باستخدام التشبيهات والاستعارات في رسائله ، وطلب شاذها وغريبها كقوله : ” فلم يكتسب بطلب الفرصة إلا تجرّع القصة ، ولا من تتبع الغرّة ، إلا تدرّع الحرّة “ (٢) . والحرّة معروفة ولكن تدرّعها هو الغريب ، ومن ذلك قوله : ” عبد مولانا أخص بالخدمة ، وألبس للنعمة ، من أن يخبر عما تورده هذه الفتوح على نفسه ، وتأتيه في إعلاء منكبها وطرفه “ (٣) . والتعبير بما تأتيه هذه الفتوح في إعلاء منكبها وطرفه غريب . ومن ذلك قوله ” أمسك ونيران قلبي تفور ، وأرض صدرى تمور “ (٤) .

ولعل مرد هذا كله إلى ما كان في الصاحب من ميل إلى الإغراب والتأنيق ، وقد كان يتأنيق حتى في خطه ، وما يستعمله من قراطيس في رسائله ، فقد روى أنه لما أنشأ العهد إلى القاضي

(١) يتيمة ٣/٣٦ .

(٢) الرسائل ص ١٤ .

(٣) انظر الرسائل ص ٧ ، والحرّة : شدة العطش .

(٤) الرسائل ص ١٢٠ .



عبد الجبار — وربما كان العهد الأول في الباب الثاني من هذه الرسائل — كتبه له بخطه ، واعتنى بزخرفته ، ويقال إنه كان سبعة سطر ، كل سطر في ورقة سمرقندی ، وله غلاف آبنوس يطبق كالأسطوانة الغليظة ، وقد أُهْدِيَ هذا العهد إلى نظام الملك في القرن الخامس<sup>(١)</sup> .

ونرى من كل ما سبق أن صاحب عُني في رسائله بالسجع ، فلا ينفك عنه إلا نادرا ، كما عُني بطول الجمل وتحليتها بالبدیع ، وخاصة الجناسات والاقتباسات والتشبيهات والاستعارات . وإن من يقرن رسائله إلى رسائل القاضي الفاضل وحلبته من كتاب العصور التالية ، يدرك أن هؤلاء الكتاب إنما استنوا في رسوم كتاباتهم بالسنن التي نراها هنا عند صاحب ، ونقصد سنن تطويل العبارات ، وما يطوى فيها من سجع وبدیع . وهي سنن اقتفى صاحب فيها أستاذه ابن العميد ، ومن المعروف أن ابن العميد تناول الكتابة ممن سبقوه ، وهي مليئة بالسجع ، على نحو ما نجد عند كتاب المقنن ووزرائه<sup>(٢)</sup> . ولم يكتفِ ابن العميد بالسجع فقد أضاف إليه البديع وكان يشغف بالطباق ، ثم جاء صاحب من بعده ، فارتفع بالكتابة الديوانية إلى الصورة التي وصفناها . وهي صورة تستمد خطوطها وألوانها من السجع والتشبيهات والاستعارات والجناسات والاقتباسات وكل ما يمكن أن يُعدَّ حلية بيانية . وقد تحكمت هذه الصورة في الأجيال التالية بحيث لم تستطع أن تضيف إليها جديدا مهماً ، سوى ما كان من لون التورية .

ومجمل القول أن صاحب كان علما من أعلام البلاغة في عصره وبعد عصره ، وحق ما يقوله الثعالبي من أن "كلامه سار مسير الشمس ، ونظم ناحيتي الشرق والغرب" . وهو ليس كلاما مكرورا ، مما نقرؤه عند أصحاب الرسائل الإخوانية ، بل هو في موضوعات من التاريخ والسياسة والاجتماع ، وهي موضوعات لا يوفق إلى الإجابة فيها ، إلا من أوتي علم صاحب باللغة ، ودرسه للأدب ، وطبعها مدادا ، وملكة قياضة . والله المستعان ؟

٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤

وكذلك معجم الأدباء ١٧ / ١٣٦ ، ٩٧ / ١٨

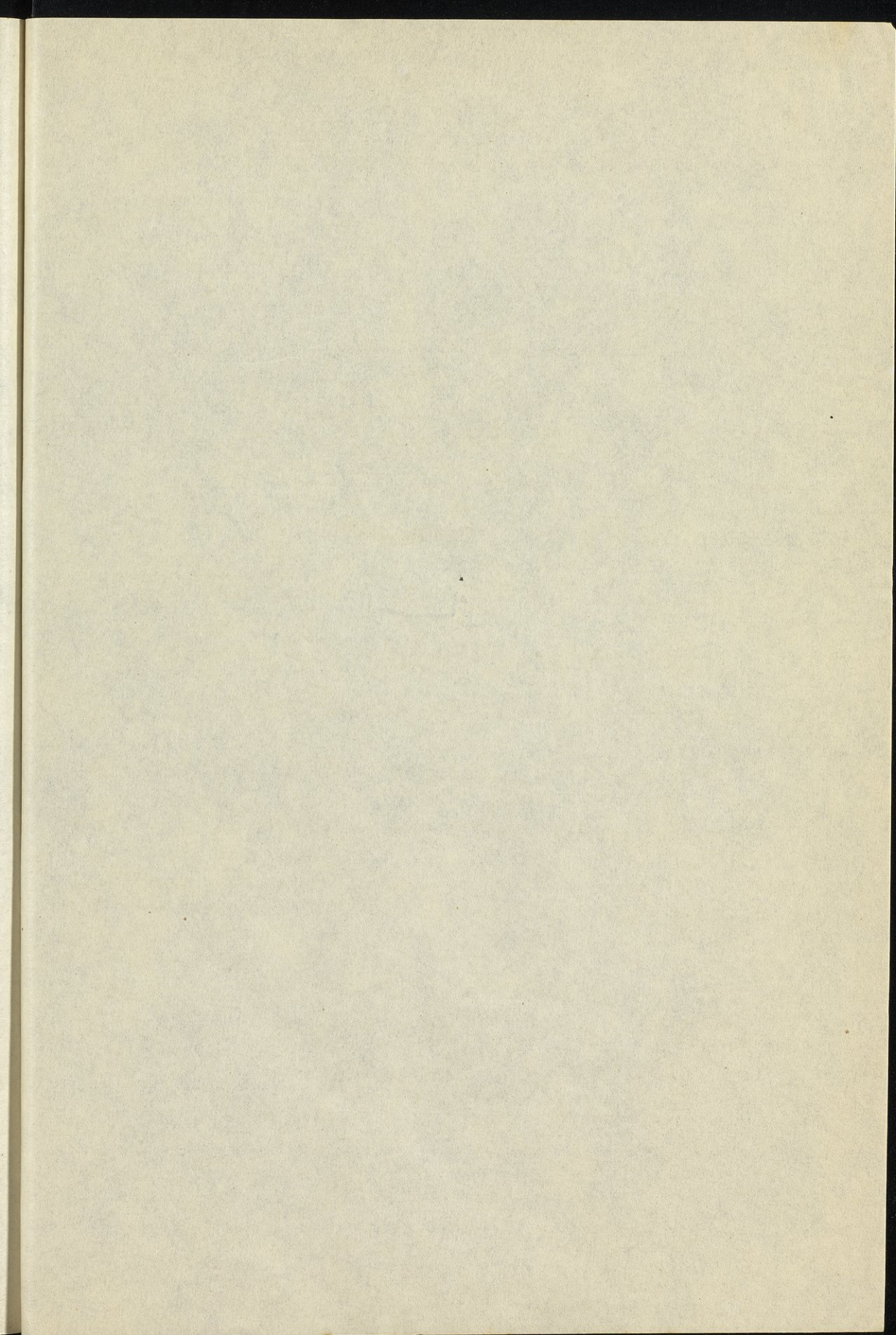
(١) طبقات السبكي ٣ / ٢٣٠ .

(٢) انظر تاريخ الوزراء للصافي ص ٢٧٧ ،



الرسائل







# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

ذكرت - أطال الله بقاءك - شديد حرصك على تحفظ بعض رسائل  
الصاحب كافي الكفاة رضى الله عنه ، واحتياجك إلى من تستعين به على جمع  
ذلك مبوبا ، فختارا الأشف فلاشف منه . فوعدتك القيام لك به ، وجردت له  
عنايتي ، وخرجت من كل باب من أبواب ديوان رسائله العشرين عشر  
رسالات ليخفف حجم هذا المجموع ولا يعتاص تحفظه . وقد رجوت أن يقع  
ذلك منك موضع الوفاق ، والله ولي التوفيق والإرشاد .



|                   |                                                                                        |
|-------------------|----------------------------------------------------------------------------------------|
| فالباب الأول      | في البشائر والفتوح .                                                                   |
| والباب الثاني     | في العهود .                                                                            |
| والباب الثالث     | في الأمان والأيمان والمواقفات والمناشير ومراعاة<br>الكنيسة من السنين وما يجري مجراه .  |
| والباب الرابع     | في أمر الحجيج والمصالح والتغور .                                                       |
| والباب الخامس     | في الاستعطاف وما يجانسه .                                                              |
| والباب السادس     | في إصلاح ذات البين والدعاء إلى الطاعة وتهجين<br>العقوق بين ذوى الأرحام وما يشاكل ذلك . |
| والباب السابع     | في المدح والتعظيم .                                                                    |
| والباب الثامن     | في الذم والتهجين وما يجري مجراه .                                                      |
| والباب التاسع     | في التهاني .                                                                           |
| والباب العاشر     | في التعازي .                                                                           |
| والباب الحادى عشر | في الإخوانيات والمداعبات .                                                             |
| والباب الثانى عشر | في التشكر .                                                                            |
| والباب الثالث عشر | في الاستزادة والتقريع .                                                                |
| والباب الرابع عشر | في التنصّل والاسترضاء .                                                                |
| والباب الخامس عشر | في الشفاعات .                                                                          |
| والباب السادس عشر | في توصية العمال بتجلّب المال وإظهار العفاف<br>وحسن السياسة .                           |
| والباب السابع عشر | في الأدب والمواظ .                                                                     |
| والباب الثامن عشر | في فصول وُغَرَّر ، وتوقيعات ودُرَر .                                                   |
| والباب التاسع عشر | في النوادر وهى الكتب النادرة .                                                         |
| والباب العشرون    | في الشوارد و [هى] الكتب المختلفة المعانى .                                             |



# الباب الاول

## في البشائر والفتوح

١

كتابنا — أدام الله عزك — من المعسكر بظاهر إستراباذ<sup>(١)</sup> ، وقد أنزل الله علينا النصر ، وسهل لنا بعلو جَدِّ مولانا الملك السيد<sup>(٢)</sup> العلو والقهر ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله وصحبه أجمعين .

وأحسنُ نعم الله تعالى غُرّاً وأوضاحاً ، وأبينها فلَقاً وصباحاً ، وأولاهها إذا تُصَفِّحت المواهب أخذاً بحظ السابق ، وأولاهها إذا تُتَبَّعت المناجح فوزاً بالعز الشاهق ، وأحراها بأن تُتَنَّى عليها ألسنة الأيام والليالي ، وتُتَنَّى إليها أعناق المحامد والمعالى ، نعمةٌ صادفت حمداً وشكراً ، وجمعت فتحةً ونصراً ، ونظمت نُجُجاً وقهراً ، واستدلت ممتطياً للبحود لاهياً عن غوره ، مُسْتَشْرِياً في الغموط عادياً لطوره ، وتلك<sup>(٣)</sup> النعمة عند مولانا الملك السيد ، إذ عَصَدَ الدولة ، وتَوَجَّ الملة ، وحرس الأمة ، وزحزح القمّة ، ورفد الخلافة ، وبَسَطَ العدل والرأفة ، وطهر البلاد ، وعَمَرَ الحجب والجهاد ، وساس الجمهور ، وسدّ الثغور . فشهدت فتوحه بأنه مُؤَيَّدٌ من عند الله ، ومحفوظ الملك بيد الله ، لا ينازع رأيه منازِعٌ إلا تُلَّ لجبينه ، وعوجل بقطع وتينه . ولا يمانع رايته ممانع إلا غُلَّت يده دون مطلبه ، واقتطع أمدّه عن مهربه . ولم يَعَزَّ بالتحصن عليه مارق ، والتمنّع دونه مشاقٌّ مفارق ، إلا استولى عفواً على غايات احتماله وأقاصيه ، ومكّن منه القضاء سمحاً فاستنزل عن معاقله وصياصيه . وعيانُ ذلك لمشاهده ، قبل إقامة شواهد ، حادثٌ ما أجرانا الله عليه في ظله ، وباعتلاق

عضد الدولة .

(٣) في الأصل : فتلك .

(١) إستراباذ : مدينة في شمال فارس وكانت في

العصور الوسطى المدينة الثانية في إقليم جرجان .

(٢) يريد الصاحب دائماً في رسائله بالملك السيد



حبله ، في أمر الغامط قابوس<sup>(١)</sup> بن وشمكير ، إذ مضى أخوه<sup>(٢)</sup> وكان للطاعة عبداً ، ومع أيدي أوليائها يداً ، وهذا الجاحد مغمور في أهله ، مخفور في نفسه وفعله ، يكاد ضمور القدر يخفي شخصه ، وغموض الذكر يتولى غمضه ، واستجار بنا وهو في قران ذهول ، وضمان خول ، فظنناه إذا اصطنعناه لمولانا الملك السيد ولنا<sup>(٣)</sup> — منتضين له من غمد الامتهان والابتدال ، ومستلين من عادية الامتحان والاختلال — واستخلفناه على بلاد جرجان وطبرستان يشكر النعمة ويرتها ، ويُدمن الخدمة ويحسنها ، فرفعنا خسيسته ، وجبرنا نقيسته ، وجمعنا له بين التمكن من هذه الأعمال والبقاع ، والإيثار بما فيها من المعامل والقلاع . فحين رأت عيناه ، ما لم يبلغه مناه ، واتسعت نعمته ، بحيث لم تُنله همته — وقد نقلناه إلى رتبة لم يدر أنه راقٍ إلى سماءها وأثقلناه بنعمة لم يأمل أن يتعلق بعلاوتها — نفخ الشيطان في سحره ومناخره ، وضرب بالأسداد بين أوائل أمره وأواخره ، وجبب إليه العناد حتى سيط بلحمه ودمه ، وكره إليه الرشاد حتى ألقاه وراء ظهره وتحت قدمه ، وأقبل على الشروط ينقضها ، والمواثيق يرفضها ، والرعية يحتنكها ، والدماء يسفكها ، وسُنن الظلم يحبيها ، وسير العدل يميئها ، والنفوس البريئة يرتتها ثم يقاتلها ويُفيتها .

ومولانا الملك السيد في كل ذلك يُؤليه صفحة صفحة ، ويوليه العفو من عفوه ، فيتجاوز عنه حلماً ، ولا يتجاوز به التنبيه كظماً ، ونسلك فيه هذا المذهب ونعمته ، ونحذر في أثناء الإغضاء ونُرشد ، رجاء أن ينزع أو يتزع ، أو يُقْلِع أو يرتدع ، إلى أن عاد بُدؤ شره فادحا ، وفتي جهله قارحاً ، فاستبد استبداد المطاع لا الطائع ، والخدم والمتبوع لا الخادم التابع واستلان لبس الخازي ومدَّ سُجُوفها ، وتلقَّب شمس المعالي<sup>(٤)</sup> وكان كسوفها ، صنيع من لم يُؤت بسطة في علمه ولا جسمه ، واستولى البؤس على عيشه واسمه . وما غادر مع ذلك من المروق مناظا إلا بلغه ولجج ، ولا بابا من الفسوق إلا قرعه وولج ،

(٣) يريد هنا مؤيد الدولة وكان صاحب وزيره ومشيره .

(٤) هذا اللقب لقَّبه به خليفة بغداد على عادته في تلقيب ملوك الدول الإسلامية التي نشأت في ذلك العصر ألقاباً مختلفة .

(١) أحد ملوك الدولة الزيارية التي تسلطت في طبرستان من عام ٣١٦ إلى عام ٤٧٠ هـ .

(٢) هو بيسـتون بن وشمكير الذي توفي عام ٣٦٦ هـ ، خلفه أخوه قابوس أميراً على طبرستان ، انظر ابن الأثير طبع أوروبا ٥٠٦ هـ .



إلى أن صار السبب في استزلال فلان<sup>(١)</sup> ، فدلّاه بغروره ، واستهواه إلى جانب ثبوره ، كأن لا رِقْبَةَ عليه ولا محاسبة ، ولا عصمة بينه وبين الطاعة ولا مناسبة . ولم تُرضه هذه المساوىء التي لا مُساوَىَ له في ارتكابها ، وقد ملأ حقائبه من اجترامها واحتقابها . فأخرج فلانا إلى جبل<sup>(٢)</sup> شهر يار ، وبه<sup>(٣)</sup> أخونا أبو الحسن على<sup>(٤)</sup> بن كامة مولى أمير المؤمنين — أدام الله عزه — من لا يَصْطَلِي الخلفون بناره ، حتى يحرقهم بشراره ، وقد نَسَخَ الجبل<sup>(٥)</sup> قرنا بعد قرن ، وأوسع أركانهم وهنا بعد وهن ، فردوا نا كصين على الأعقاب ، متقمصين لباس الخُسْر والتباب .

ثم تصدّع شمل المقيم على العقوق<sup>(٦)</sup> ، والمديم للمروق<sup>(٧)</sup> ، تصدّعا نتجتة الخيفة والمهابة ، لا الرُّجْعَى والإِنَابَةَ . فعلم أن الله قد وكله إلى حول نفسه وخَلَّاه ، وخاف أن ينتقم منه وقد أملاه . وقرر مولانا<sup>(٨)</sup> بحضرة سيدنا ومولانا الأمير<sup>(٩)</sup> وقتا وقتا حال النواحي ومن كنا وليّناه ، ودفعه بيد الكفر في صدر ما أوليناه<sup>(١٠)</sup> . فكاتبني أمير المؤمنين على ما أشعت من الذكر ، وأشبت من النشر مستكفيا ، وأهاب بي لارتجاع الوديعة من جاحدها مستصفيا . ورأى أن تكون جرجان وطبرستان مضافتين إلى ما نليه حاضر النظر ، ونذره تدير العيان دون الخبر<sup>(١١)</sup> . ووافانا من حضرة مولانا<sup>(١٢)</sup> أبو حرب زيار<sup>(١٣)</sup> بن شهرا كويه مولى أمير المؤمنين — أدام الله عزه — وعينه فرارُهُ ، واختاره حيث اختياره ، قد نجدّته الحروب ، وخفّت عليه الخطوب ، زعيا على من ضامته من خيل ، كقطع الليل ، ورجال ،

(١) يقصد هنا نخر الدولة فقد خرج على أخيه عضد الدولة ، وهاجر إلى قابوس مستنجداً به فقام وكانت حمايته له سبب هذه الحرب .

(٢) أحد حصون بلاد الجبل أو الجبال التي كانت تقع جنوب طبرستان .

(٣) في الأصل : وبها .

(٤) أحد قواد الدولة البويهية العظام وقد توفي عام ٣٧٤ هـ . انظر ابن الأثير ٢٨/٩ .

(٥) هكذا في الأصل ولهما الجبل وهم سكان جيلان وهو إقليم وراء طبرستان .

(٦) يريد نخر الدولة ، انظر ذيل تجارب الأمم نشر آملدروز ص ٢٥ .

(٧) يريد قابوس بن وشمكير .

(٨) يريد مؤيد الدولة .

(٩) يريد عضد الدولة .

(١٠) يريد قابوس .

(١١) يشير هنا إلى ما كان من سؤال عضد الدولة

الحليفة الطائع لله — حين حمى قابوس نخر الدولة —

أن يعقد لمؤيد الدولة على أعمال جرجان وطبرستان فأجابه إلى ذلك ، انظر ذيل تجارب الأمم ص ١٥ .

(١٢) يريد عضد الدولة ، انظر المرجع السابق ص ١٥ .

(١٣) في الأصل : زياد بن اشهر كويه وهو

تخريف ، وكان زيار هذا من كبار قواد عضد الدولة

ثم ابنه صمصام الدولة .



خلقوا لقطع الآجال ، مقرونا من فلان بالسديد رأيا وروية ، الشهير في مجارى التدبير مشورة ناصعة وبصيرة قوية ، فنهضنا وقد ضممننا الخليل الواردة إلى جيوش ترجف — بعون الله — لها الأرض ، ويستوى بها — والمنة لله — النشر والخلفض .

وراسلنا المغرور نناشده حق الصنيعة ، ونبصره فرض الشريعة ، ونعلمه أن هواء الغمط ونيّ ، وفناء النكث فناءً وحجّي ، وأنه — إذا حللنا بعقوته — غرضُ الخوازم ، وهَدَفُ الخواطف<sup>(١)</sup> ، وأن أتباعه رِجْلُ جراد وافت بها الريح في يوم عاصف . وعادت عنه أجوبة حَقَّتْ أن الغامط مسوق إلى جزاء أعماله ، مسبوق بقضاء لا مطمع في انحلاله ، إلى أن شافهنا طبرستان وقد طار عنها أخوه<sup>(٢)</sup> ، والآخرون ذووه ، واقين بظهورهم صدورهم ، وبأصلاهم نحورهم . فبسطنا بها المعدلة سهولا وجبالا ، وأمضينا<sup>(٣)</sup> فيها الإحسان يمينا وشمالا ، وألف الجاحد بإسترا باز عديده ، وأرهف حَدَّه وحديده ، مستوثقا من مضايقتها ، معمقا لخنادقها ، مقدرا أن الحصون واقية من يطلبه جند الله وحزبه ، وحامية من يَدَّهه سخط الله وحر به . والمستأمنة منذ أول حطّنا بويمة<sup>(٤)</sup> ، إلى أن أمضينا في المناجزة العزيمة ، يتقاطرون نافضين أيديهم بالخذلان وزعيمه<sup>(٥)</sup> ، آيضين إلى ذمام التوفيق وحر يمه .

وقد كان المشبور حسب المجاهدة تقع على باب إسترا باز المفضى إلى سمت سارية<sup>(٦)</sup> ، وهو ضَنْك على الفارس والراجل ، ضيق على الزارق والنابل ، رجاء أن تتدارك المدافعة ، أو تتماسك الممانعة ، وتأميلا لأن تكون جرجان وراء ظهره ، وباقية مدة مطاولته تحت أمره . وأملنا عنه أعنة الخيول إلى باب إسترا باز المواجه لجرجان برأى صائب سافر ، على طريق بكر لم يفتزع بخف ولا حافر ، فبردت أرواح الضلال ، وعلموا أن سعيهم في وبال وخبال . وشحنّا جرجان بخيل سربناها إليها ، وضممنّاها إلى أبي الوفاء بكتكين الحاجب مولى مؤيد الدولة — أيده الله — ليطنب عليها ، فقد كان أهلها من عَسَف المارق وخبْطه ، فيما ضاعفه عند نهوضنا لمحاصرته وضغطه ، فأرْخى من خناق تلك الرعية ،

(٤) وية : بلدة صغيرة كانت في الجبال بين

الري وطبرستان .

(٥) يقصد بالزعيم قابوس

(٦) لإحدى مدن طبرستان .

(١) الخوازم : السيوف ، والخواطف هنا : الرماح

(٢) هو جركاس بن وشمكير ، انظر ذيل تجارب

الأمم ص ١٧ .

(٣) في الأصل : وأقصينا .



واستخلصت من أنياب العسف ومخالب الأذى ، وخيمنا فأعدنا الذكري على الغار مع الاقتدار ، وحذرناه العقبي على قرب الدار ، آخذين بإذن الله ، عند مقاتلة البغاة ، ومقابلة الخوارج العتاة ، فحيل إلى المضعوف أن تركنا التسرع إلى قصده ، استصعب للخطب دون حصده ، ناسياً أن الحتف يتاح دفعة فلا يبقى ولا يذر ، والحين يساق ضربة فلا يؤخر ولا ينظر . ورصد في بعض أيامه لطليعة خفيفة قربت منه فتلقاها بأحجابه جميعاً ، وطمع في أن يركب منها مركبا فظيعاً ، فلم يكتسب بطلب الفرصة ، إلا تجرع الغصة ، ولا من تتبع الغرة ، إلا تدرع الحرّة ، فتحققنا عند ذلك أن تركه في اغتراره ، غلو في تأخيره وإنظاره ، لا سيما وقد بدأ وهو مطلوب ، وتعرض وهو مغلوب ، فصممنا على اللقاء ووجوبه وقد استعدنا من البغي وركوبه ، وزحفنا يوم كذا مستظهيرين بعادة الله وعِدته ، معلنين بشعار أمير المؤمنين ودعوته ، ومستنبحين بدولة مولانا الملك السيد وكمته .

وأطاع القامط أذهب وجهيه<sup>(١)</sup> مع الغرة ، وأقضاها بالشقوة المستمرة ، وأقدم على المساورة ، وحض أصحابه على المصابرة ، وخف الأولياء إليهم فحلت الجبال سائرة ، والبحار ثائرة ، والأسلحة تبص عليهم لمعان الشمس ، وتروع أطباق القلوب قبل إزهاق النفوس ، وشاهد الخاذيل منهم ما أطار العيون عن حجاجها ، وأطاح القلوب من انزعاجها . وشمرت الحرب عن ساقها ، وتنمرت بحمرة أحداقها ، ودارت كأس الموت دهاقا ، وعاد لقاء القرن للقرن عنقا ، فكسرنا المداير بالديلم زرقاً ، وبالعلمان رشقاً ، ومليك عليهم الخندق<sup>(٢)</sup> بعد أن جعل قتلاهم معابر ، وجرحاهم قناطر ، فما انتصف النهار إلا وقد انتصف الله للحق من الباطل ، وكُنِفْنَا بالأيد القاهر والنصر الشامل ، واقتسمت الخاذيل الهزيمة بين قتلى أجروا من دمائهم الجداول ، وأسرى استنفدوا الكبول والحبائل . وكان من وجوه المأسورين وأعيانهم ، والمعدودين في جمهور أعضادهم وأركانهم لشكرستان بن لنكرين وفلان وفلان ، فأما من سواهم فلم يتميز بعد مجهولهم عن معروفهم ، لدخول مئتهم في أضعاف ألوفهم . وأفلت المغرور ، في فل الثبور ، مفرداً مزوداً<sup>(٣)</sup> ، موحداً مهدوداً . قد عرّف نفسه أوعرفها ،

الرامة ، انظر ذيل تجارب الأمم ص ١٦ .  
(٣) في الأصل : مزوداً .

(١) في الأصل : نغنه .  
(٢) يشير إلى الخندق الذي حفره قابوس بظاهر  
إستراباذ ، وكان قد بنى عليه أبراجاً رتب فيها



وَجُمِعَتْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَسَاوِيهِ الَّتِي اقْتَرَفَهَا ، وَهُوَ مَتَّبِعٌ إِلَى أَنْ يَذِيْقَهُ اللَّهُ بِأَسْهٍ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَذَاقَهُ ، وَيَلْقِيهِ جَزَاءَ كُفْرِهِ وَقَدْ شَدَّ لَهُ نَظَاقَهُ .

فَأَمَّا مَا مَلَكَهُ هُوَ وَأَشْيَاعُهُ مِنْ مَالٍ وَكَرَاعٍ وَرَقِيقٍ وَسِلَاحٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَفَاءَ مِنْهُ غَنَمًا عَلَى الْأَوْلِيَاءِ ، مَا سَبَقَ يَدَ الْحَضَرِ وَالْإِحْصَاءِ ، وَقَدْ تَقَدَّمْنَا بِالْمَنْ عَلَى الْأَسْرَى اقْتِدَاءً بِالسَّنَةِ الْمَتَّبُوعَةِ فِي حَقِّ الدِّمَاءِ ، بَعْدَ سَكُونِ الدَّهْمَاءِ ، وَإِثَارِ الْأَسْتَبْقَاءِ ، بَعْدَ الْاِقْتِدَارِ وَالْاِسْتِيلَاءِ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَعَ الْحَقِّ وَنَاصِرِهِ ، وَمَذِلِّ الْبَاطِلِ وَقَاهِرِهِ ، الْعَدْلُ فَلَا يَلِيتُ أَعْمَالُ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا يَرُدُّ بِأَسْهٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ، حَمْدًا يَدِيمُ لِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَاءِ الْحِكْمَةِ ، وَمَضَاءِ الْكَلِمَةِ ، وَأَهْبَةِ الْإِمَامَةِ ، وَعَظْمَةِ الزَّعَامَةِ ، وَإِرْثِ الرِّسَالَةِ ، وَعِزِّ الْحُجَّةِ وَالِدَلَالَةِ ، فَالَّذِينَ مَالُمُ يُقَرَّنُ بِطَاعَتِهِ نِفَاقُ ، وَالذُّنْيَا مَا لَمْ تَسْكُنْ مَعَ جَمَاعَتِهِ شِقَاقُ ، وَأَطَالَ بَقَاءَ مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ حَارِسًا بَعْرَتَهُ الْإِسْلَامَ وَحُوزَتَهُ ، وَأَقْيَا بَيْسُطَتَهُ وَقَبْضَتَهُ الْإِيمَانَ وَبَيَّضَتَهُ ، وَلَا يَنْجُمُ فِي أَوْسَاطِ الْأَرْضِ وَأَطْرَافِهَا نَاجِمٌ فَتَنَةً إِلَّا عَاجِلُهُ غَيْرُ مُنْتَظَرٍ ، وَغَادِرُهُ هَشِيمُ الْمُحْتَظَرِ ، وَأَوْزَعْنِي اللَّهُ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ وَقَدْ أَيْدَنِي وَأَيْدَبَنِي ، وَأَصْلَحَنِي وَأَصْلَحَ عَلَى يَدَيْ . وَوَفَّقَنِي لِأَنْ أُنْتَضِتَنِي يَدَ الْخِلَافَةِ صَارِمًا أَذَبَ عَنْ أَنْصَارِ الْمَلَّةِ فُضِّيتَ ، وَارْتَضَتْنِي حَاكِمًا أَقْضَى عَلَى كِفَارِ النِّعْمَةِ قَقْضِيَّتٍ مَفْضُوفًا فِي كُلِّ حَالٍ إِلَيْهِ عَزَّ ذِكْرُهُ ، وَمَوْقِنَا أَنْ الْقُوَّةَ بِهِ وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ .

طَاعِنَاكَ — أَدَامَ اللَّهُ عَزْرَكَ — بِهَذَا الْفَتْحِ الزَّاهِرِ ، وَالشُّجْعِ الْبَاهِرِ ، لَتُؤَفَّرَ حَظُّكَ مِنَ الْأَنْسِ لَهُ ، وَالشُّكْرِ عَلَيْهِ ، وَتُنْطَقَ أَعْوَادُ الْمَنَابِرِ وَالسَّنَةِ الْحَاضِرَةِ ، فَرَأَيْكَ — أَدَامَ اللَّهُ عَزْرَكَ — فِي إِعْلَامِنَا مَوْقِعَ هَذِهِ الْبُشْرَى لَدَيْكَ ، وَمَا تَوْرَدُهُ مِنَ السَّرُورِ عَلَيْكَ ، وَذَكَرَ مَا تَتَوَقَّعُهُ مِنْ خَبْرِكَ مَوْفَقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

## ٢ — وَلَهُ فِي فَتْحِ قَلْعَةٍ

كِتَابِي ، وَنِعْمَ اللَّهُ عِنْدَ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ فِيمَا يَعْطِيهِ مِنْ نَجْمَةٍ ، وَيَمْنِيهِ مِنْ حَكْمَةٍ ، مَتَوَالِيَةٍ ، وَكَلِمَةٍ فِي مَصَارِفِ الزَّمَانِ ، وَأَحْوَالِ السُّلْطَانِ ، عَالِيَةٍ ، وَأَنَا سَالِمٌ مِنْ بَعْدِهِ ، وَبِعَالِي جَدِّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

وَوَصَلَتْ كَتَبُ سَيِّدِي مَفْصُحَةٌ مِنْ آثَارِهِ عَمَّا يُطِيبُ النَّشْرَ ، وَيُطِيلُ الْفَخْرَ ،



وعرفت ما يَسِّرته له سعادة الدولة القاهرة ، والعزة الظاهرة ، حتى طَهَّرَ تلك البلاد عن شوائب الفساد ، وأطلع فيها كواكب السداد ، فصَدَّ له من أمر القلعة التي حسب مودعها أولاده ومستحفظها عتاده<sup>(١)</sup> أن حماها لا يُرام ولا يُدرك ، وقاطنها لا يُضام ولا يُملَك فلما غشَّها سيدى هَوَلة الانتقام ، وولَّاهَا جانب الاصطلام ، انحلَّت بساكنيها<sup>(٢)</sup> معاقدها ، وزلزلت عليهم قواعدها ، فملكت قَسْرًا ، وألبسوا ذُلًّا وقَهْرًا . وتلك عادة الله عند مولانا في أوليائه وأعدائه ، وتابعى رايته ومخالفى رأيه ، وعدته للأمير في الواقفين مع أمره ، والصادقين عن<sup>(٣)</sup> رسمه ، والمتمسكين بشعاره ، والمتحكيكين بناره ، فلمن أخلص نجيح السعادة وبلوغ المرضاة ، وإدراك الآمال عن كُتْب ، ونيل الأمانى بأقرب طلب ، ولمن داهن الخزيِّ العيم ، والدمار المقيم ، والسعى الذميم ، والعذاب الأليم .

وسيدى سيف الضريبة ، وليث الكتبية ، ما جرده مولانا — أدام الله علاهما — في خطب إلا نفذ وجدَّ ، وبرى وقدَّ ، ولا أفرداه بأمر إلا أوفى على الذروة والغارب ، وحاز منية الطالب ، وبغية الراغب ، فالحمد لله حمد العارف بمقادير النعم ومحالها ، ومواقيت الشكر وأحوالها ، حمدا يزيد أبناء الحق ظهورا ويوسع أشياع الباطل ثبورا . وعرضت في المجلس العالى ما ورد ، فارتاح مولانا لمودعه ، واهتزَّ لمُتصفِّحه ، واستقبل من حمد الله على مننه ما هو رباط عطايه وعقلها ، والداعى إلى أن تتصل موادها وأمثالها .

والقلعة الأخرى إذا صرَّف مولاي أهلها بين خشونة إيعاده ، ولين ميعاده ، وأراهم بريق حسامه ، مشفوعا ببروق إنعامه ، لم يلبثوا أن يسلموها خاشعين ، ويستسلموا لأمره متتابعين ، اللهم إلا أن تكون الشقوة عليهم مكتوبة ، والختوف مصبوبة ، والمتالف لهم راصدة ، وإليهم قاصدة ، فلمولاي حينئذ استنزال<sup>(٤)</sup> عوائد الله عند مولينا ، حتى يسوق إليهم المنايا الحمر ، ويرَوِّى منهم الرايات الزرق والصوارم البُثُر . وسيدى يُضغى إلى ما يورده مولاي حق الإصغاء ويتأمله تأمل مثله من أولى العزائم والآراء ، ويأخذ فيه بأدب الأناة حتى يتدبَّره ، ويتصور أوله وآخره ، إن شاء الله .

(١) لعله يريد قابوس ، انظر ابن الأثير ٨/٩ . (٢) في الأصل : مع .  
(٣) في الأصل : لسكنيها .  
(٤) في الأصل : في استنزال .



### ٣ — وله جواب بشارة بتذلل الروم وطلبها للهدنة

وصل إلى خادم مولانا الملك السيد — أطل الله بقاءه — ما شَرَفَ بالمكاتبة فيه من نبأ النعم التي كتب الله له أثبتتها أساساً ، وسهّل لجلده أشرفها أغراساً ، حتى لا تتوجه من هممه العالية همة إلى أعظم مرقوب إلا أطاع ودان ، ولا يمتد من عزائم الماضي عزيمة إلى آخر مطلوب إلا كان واستكان ، تكفلاً منه — تعالى جده — بجمع الذخائر لديه ، وقصر المعالي والمآثر عليه ، وآيةً نصّبها للعيون المبصرة ، والعقول المتصورة في أن الدنيا له — أدام الله سلطانه — أنشئت أقاليمها وأمصارها ، وإلى أمره مصيرها ، وعلى حكمه مدارها ، فمن استشعر التسليم ، وسلك الصراط المستقيم ، فذاك امرؤ انحلت ربقته ، وربحت صفقته ، ومن تقاعد عن مالك الدهر ، وتقاعس عن ولى الأمر ، فالحثف له بمرصاد ، والهلك منه على ميعاد . وعرف عبده وابن عبده ما أنشأه الرأى العالى في تدير الروم بما ترك الشرك في أشراك التحير وامتلاك الكُتُب والتعثر ، وصرف الكفر بطرف خاشع ، وخدّ ضارع ، وذلك حين أرهقهم الخفاة بقدر ما دنت المسافة ، وعلموا أن معاهد الإسلام لا تحل ، وطوائل الإسلام لا تطلّ ، وقد أطلع الله عليهم شمس الانتقام ، وأجرى فيهم قدر الاصطلام ، وألقى بأسهم بينهم مقدمة لما يمضيه ، وفتحة لما يقضيه .

واستجرت المهابة رسل الجماعة إلى الباب المعمور للاستجارة ، فصرفهم مولانا على ما كان لشمّل الدين أجمع ، ولكلمة الضلال أقمع ، واستخلص ما حازوه من معاقل ظلما استندوا منها إلى أركان متينة ، واعتصموا بحصون حصينة ، واستنقذ من المسلمين من تراخت مدة بلواه ، وكاد يُفْتَن في دينه بدنياه ، وغشى الثغور من ظله ما غادر الكفر يرمقه ساهم السحنة ، ساجد الجبهة ، واقع اليد ، مترجع الايد ، فكثرت<sup>(١)</sup> — أطل الله بقاء مولانا — عدد من شكر وحمد ، وركع وسجد ، ودعا وأمن ، وأثنى وأحسن .

ولولا أن أيام مولانا يُستصغر فيها كل عظيم ، ويُستحقّر لعزّها كل جسيم لكان ما تجدد أكبر مأثور ومؤثر ، ومعبر عنه ومُخبر ، وللزم أهل المشرقين ممن نطق بكلمة التوحيد وعرفها ،

(١) في الأصل : فيكثر .



وأمل نُصْرَةَ الدين وتشوّفها ، أن يشغل لسانه وزمانه ، وقلبه وجَنَانه ، بالدعاء لمولانا ما اعتقب ظلام وضياء ، وتقابلت أرضٌ وسماء ، والله يطيل بقاء مولانا لعلّة والذمة ، والدولة والحوزة ، والأمة والبيضة .

وخادمه مستشرفٌ لقراءة ما يخاطب به — إنشاء الله — محدّثاً باستصفاء الروم وما يليها من بلاد الكفرة ، ومواطن المردة ، وإن كانت قد امتلكت بيد الهيبة ، واستولى على من فيها بسلطان السطوة ، والاستدلال أحد الأسرين ، وغرسُ المهابة أحدُ الملّكين .

#### ٤ — وله كتاب بشري

كتابي ، وإذا عُدّدت النعم لتُحصّل مواقعها من العظم ، وتُميّز مراتبها في المنح والقسم ، ويُقابل كل منها بما يطاق شكراً يُفأض فيه ، ونشراً يُشاد بمعالیه ، كان أجدرها بالتعظيم والإجلال ، وأظهرها في تحقيق الظنون والآمال ، وأحقها بأن يتصل له الشكر فتعم جوادّه ، ويدوم عنها الحمد فلا تنقطع موادّه ، نعمة الله عند أمير المؤمنين فإنه — عزّ اسمه — جعل رايته العليا ، وآيته الكبرى ، وزه ما أولاه عن أن تسعى إليه الأوهام فتدركه ، وأجلّ ما حباه أن تغلوه الأمانى فتملكه ، ونصبَ الأيام تواريخ لما يُعزّ من نصره ، والساعات مواقيت لما يظهر من أمره . فمن وقف في ظل طاعته أخذ بالأمان من الحوادث والنوازل ، واستوطن من الزمان أحمد المقارّ والمنازل ، واستظهر في مصارفه ، وظفر في مواقفه ، وحمد يومه وغده ، ورعى من العيش أهناه وأرغده . ومن تعرّض للورطة العظمى من سخطه وإنكاره ، وتهوّك<sup>(١)</sup> في الخطة الكبرى بمخالفة أعوانه وأنصاره خذلت يمينه شماله ، وباينت أعضاؤه أوصاله ، وكان في الأشقين مكتوباً ، وللم واليدين مكبوباً ، لا يسعى خلاص إلا تعرّ في أذياله ، وتكور<sup>(٢)</sup> في ضلاله ، وعاد اجتهد بهورا ، واحتياه هباءً منشوراً ، ليكون ما يؤقّي الله تابعي حكمه ، والمنقادين لرأيه وهمّه ، أقوى الدواعي إلى حسن البصيرة ، والازدياد من خلوص السريرة ، وما يحلّه بمشاقّ أوامره المتبوعة ، ومفارق ألويته المرفوعة ، أوكد الزواجر عن خرّق جماعته ، وأوضح الفروق بين أهل معصيته وطاعته .

(١) تهوّك : تردّى .

(٢) في الأصل : تكرر . وتكور : صُرع .



هذا ، وقد عرّف الله الكفاة ممن نهض به فحّصه وتنقيره ، أو قعد به عجزه وتقصيره ، أنه — تبارك اسمه — سهّل طرائق ذلك ومجاريه ، ورفع قواعده ومبانيه ، بمن انتضى دون الخلافة سيفه فصدق رجاءه ومضاهه ، وجرد عن الإمامة عزمه فنفذ قضاؤه ، ووقف على حماية الدين خواطره فساعدته الأقدار ، وشغل بالزيادة عن المسلمين عساكره فخير له الاختيار ، وهو مولانا الملك السيد<sup>(١)</sup> فما يقصد وعراً إلا أض سهلاً ، ولا يحكم عقداً إلا استعاض حلاً ، ولا ينادى بلفظه مصرّاً إلا أجاب بالتسليم ، ولا يناجي بفكره صقلاً إلا دان لبأسه العظيم ، ولا يضمن له المداجاة مضمراً إلا خبا جمره ، وتبرّم به عمره ، وتقطعت وصائل بقائه ، واتصلت حباله هلكه وفنائه ، فضلاً من الله فات روية المروين<sup>(٢)</sup> ، وسبق أخبار الراوين .

وكنّت عرفت سيدى حال ابن حمدان<sup>(٣)</sup> حين نفته الأرض عن مناكبها ، وضاق عليه من جوانبها ، ونحى اسمه من صحيفة الأحياء ، إلا ما أُملى له لاستكمال الشقاء ، وأن الحيرة في مهار به رمت به إلى الروم ، فلما ظن الشرك يستر نفسه ، والكفر يستخفي شخصه ، تبعته من سطوة الملك السيد صاعقة خطوب على هؤلاء الأعلاج إيراً<sup>(٤)</sup> لمكانها ، وان رضى بالتذل بين بيعها وصلبانها ، فأخرجوه فريداً حريداً ، وأبعدوه شريداً طريداً ، تملكه الشقوة ويرصده الحمام ، ويزعجه الصبح ويذعره الظلام .

وكان الملك السيد كاتبَ عرب الشام في اقتناصه ، وإبهام الوجوه دون خلاصه ، فاستقرت أخباره ، واقتفيت آثاره ، وعاجله في البوادي التي تطوّح بينها وجوه العرب ، وحشوا إليه رواحل الطالب ، معلنين بشعار الدعوة ، مُعزّزين إلى منتهاها ، مستظلين بأكنافها ، مُوضحين بسيماها ، والتقوا فقبكت ريح الإقبال لأولياء الله ، ودبرت ريح الإدبار لأعداء الله ، وأخذ ابن حمدان أسيراً ، وخرّ عقيراً ، ورُفِع قتيلاً ، وغُتّت تنمة ماله ، واضطلمت بقية رجاله ، وصُلِبَت جثته إتماماً للهبة ، وأصدر رأسه على الرسم إلى الحضرة ، فلم يبق لتلك

(١) يريد عضد الدولة .

آمدروز ٣٨٤/٦ وما بعدها وتاريخ ابن الأثير ٥٠٨/٨ وما بعدها .

(٢) في الأصل : الراوين والفعل من الروية روى

(٣) هو أبو تغلب بن حمدان . انظر حربه مع

عضد الدولة في تجارب الأمم لابن مسكويه نشر

(٤) في الأصل : إيواء . وإيراً من أوراً بمعنى

أعلم وأظهر .



العصبة المجاهرة بعداوتها وعدوانها ، المترددة بين كفرها وكفرانها ، من ينتمى إليها بسبب ، أو يضرب فيها بعرق ونسب ، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة .

ووافق ورود هذه البشرى حضرة مولانا الملك السيد طلوع أخرى جارتها في رهانها ، وزادت في علو شأنها ، وذلك أن بني شيبان كان شرّها استفحل ، وداؤها أعضل ، بعجز من تقدم من الولاة عن رميها بأحجارها ، ومحو آثارها ، وحسم أطعامها ، وقصر أبواعها . فلما عاد الملك السيد إلى مقر عزمه من دار الإمامة ، وجوار الخلافة ، جهّز إليها من مقانب النصر ، وجيوش السكفاية والقهر<sup>(١)</sup> ، من يقيمها على مناهج الاستقامة إن لم تسلمها جرائرها ، ويعيدها إلى مدارج السلامة إن لم توبقها كبائرها ، فأبى الله إلا أن يذيقها وبال ما ارتكبت ، ويُخنيها ثمار ما احتقت . وحسبت ترك المعارف إلى الجاهل يقيها ما أظلمها ، والإيفال في المسارب والمهارب يحميها ما أفلها ، فجّد الأولياء في طلبها ، وأتاح الله لها قرب الإحاطة بها ، فقسّم الجمهور منها بين أسيرٍ سريع ، وقتل ذريع ، وملكت عليها ذراريها وأولادها ، وعدتها وعتادها ، وكراعها وسوائمها ، وولدانها وولائدتها ، وطهر الله البلاد من أدناسها ، فتركها عبرة لأضرابها وأجناسها ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين ، ولا يُردّ بأسه عن القوم المجرمين .

فالحمد لله ، ثم الحمد لله ، ما دام الحمد منطوقاً به وملفوظاً ، وكان الشكر لازماً ومفروضاً ، إذ مهّد لأُمير المؤمنين الخلافة فعظّم دلائلها ، وفخّم جلائلها ، وظاهر أمارات صحتها وثباتها ، وضاعف سموّ منازلها وعلورتباتها ، وعضدها من الملك بحافظ عزتها ، وتاج ملتها ، وسائس أجنادها ، ورافع عمادها ، ومذلّ من نكّب عن محجّتها وصدف ، ومال عن قبلتها وانحرف ، وأوزعنى الله أن أشكر هذه المنن التي يقصر عمر الزمان عن إحصائها عدداً ، وحضرها لساناً ويدا ، إنه فعال لما يشاء .

ولما كان ما يتبيّأ من هذه المطالب ، ويُهنّأ من هذه المواهب ، مختصاً بسيدى للأحوال التي شاركت بين النفوس في المناخ ، والمحاسن والمناجح ، بشرته بهذه الرغائب الجامعة إلى الاستبشار ، اعتباراً بلطائف الله تعالى ، وإلى الابتهاج ، إكباراً لعوارف الله .



## ٥ — وله جواب فتح

كتابي — أطل الله بقاء الملك — والأرض مهتزة الأعطاف والمناكب ، ريباً الأطراف والجوانب ، لما يوالى الله تعالى لمولانا الملك من العز الممنوح ، ويظهر لأنصاره من عز الفتوح . ومن أقرب ذلك عهداً ، وأوجبه شكراً وحداً ، ما وردت به البشرى الكبرى ، وتجددت معه النعمى العظمى ، فى افتتاح البصرة أحد العراقين ، وأشهرها ذكرها فى الخافقين ، حين مُلكت بجيش الرُعب ، قبل امتلاكها بأبناء الحرب ، ومَلَك الخافقين فيها من الذعر والرهَب ، ما كفى كُلفَةَ اللقاء والطلب ، ووردها أبو الوفاء طاهر بن محمد <sup>(١)</sup> — أيدى الله — فى المضمومين إليه من أبناء الدعوة ، وأنشاء القربة والحضرة ، فأفصحوا فيها بشعار الحق ، وخلصوا أحرارها من سمة الرق ، وأماتوا فيها سُنن الجور والاعتساف ، وأحيوا فيها سير العدل والإنصاف .

وقد سَعِدَت سَعْدٌ بالطاعة ، وحَصَلَت حَصْلَ السابقين إلى عز الجماعة ، وربع على ربيعة من هُجْنَةِ الزَّيْغ ما عَفَّتْهُ بالإِثَابَةِ والمُنَابَةِ <sup>(٢)</sup> ، وتلافته بالتماس العفو وحسن المثابة . فإن الموهبة بذلك كادت تجلّ عن لسان الشاكر ، وتعظم عن ذكر الذاكر . فالحمد لله على حسن <sup>(٣)</sup> نظره للأرض برها وبحرها ، سهلها ووعرها ، معلومها ومجهولها ، صعبها وذلولها ، بجمعها إلى خطة مولانا الملك السيد وَحَوَزَتِهِ ، وتَغَشَّيَتِهَا بِأَيْدِهِ وعِزَّتِهِ ، حمدا يُسَعِدُ ما طلعت عليه الشمس وغربت ، بالانطواء فى أثناء سلطانه ، وإضاءة الأرجاء بنور زمانه ، إنه فعّال لما يريد .

وعبد مولانا أَخَصَّ بالخدمة ، وألبس للنعمة من أن يخبر عما تورده هذه الفتوح على نفسه ، وتأتيه فى إعلاء منكبهِ وطرفه ، ويقوم به من فرض الله — تعالى — على عظيم مننه ، والتحدث على المنابر ، فى الأندية والمحاضر ، بما يجدد الله تعالى من فضله .

(٣) فى الأصل : حسب حسن ، وحسب زائدة لا داعى لها .

(١) أحد قواد عضد الدولة . وانظر فى وروده البصرة تجارب الأمم نشر آمدروز ٣٧٠/٦ .  
(٢) فى الأصل : المثابة .



## ٦ - ولله

كتابنا — أدام الله عزك — عن سلامةٍ قد وصل الله أسبابها بالسعادة ، وأجرى فيها على كريم العادة ، والحمد لله رب العالمين . وموَّاهبُ الله عند مولانا الملك السيد — وإن كانت فائِزةً للتعدد ، ضامنةٌ للزيد ، سابقةٌ للحصر ، غامرةٌ للشكر ، متجاوزةٌ حدود العرف ، ممتنةٌ على أيدي<sup>(١)</sup> الإحصاء والسنة الوصف ، مقبلةٌ بالفتوح المتوالية ، مشتملةٌ على الكلم العالية ، ناظمةٌ أشتات العوائد ، شافعةٌ غرَّ المسائر بزهر الحامد — يحكم تفضُّل الله فيها باستعلاء نجمه ، واستخراء الزمان لحكمه ، وتطامن الأقدار لرسمه ، واستجابة الأقطار لهمه ، حتى لا يُستثنى عند ذكر ممالكه بلد ، ولا يَشَدَّ عن احتذاء مراسمه أحد .

إن لكل رغبة تُستقبل ، ومنقبة تُوثَّل<sup>(٢)</sup> ، ومسعاة تُسنَّجَح ؛ ومملكة تُفتتَح ، وراية تذهب قُدُما ، وروية تتج غُما ، وداء أعْضَل الأمم السالفة فهان بدولته علاجه ، وطرف أعيان الولاة السابقة فدان لعزته رتاجه ، لحقاً<sup>(٣)</sup> من الإشاعة والإشادة ، والإفصاح بما جدد الله من كريم العادة ، ليعلم المستعلم<sup>(٤)</sup> كما عرف الناظر ، ويوقن البادى كما أيقن الحاضر ، أن الله — تعالى — النافذ أمره ، العزيز نصره ، الجلىَّ صنعه ، الخفى مكره ، قد ذلَّ لمولانا الملك السيد ولنا فى ظل دولته مصاعب الأمور ، وألَّف على طاعتها مذاهب الجمهور ، فمن مسعود يسبق إليها فى قران التخيير ، ومن مثبور يُجمل عليها فى ضمان التسخير . ذلك بما صرف إليه مولانا الملك السيد عزائم المرتضاة ، وصوارمه المنتضاة ، من حراسة حريم الدين وحياطة حوِّمته ، وحماية زمامه وشد عُروته ، والقيام لمولانا أمير المؤمنين بإيفاء الخلافة حقَّ الإكبار والتوقير ، والخروج إليها من فرض الإجلال والتعزير<sup>(٥)</sup> ، وشرح صدور المُخْبِتِينَ لها بما اعتقدوه وشحذ بصائرهم فيما قصدوه واعتمدوه ، لثلاثيم بهم السبل ، ويختلف عليهم القول والعمل ، واستمالة الناكثين عن لوازمها المكتتبة ، واستتابة الحائدين عن فروضها الموجبة ، بالوعظ إذا أغنى وأقنع ، والإيقاع بمن جمح وامتنع . والله يزيد مولانا الملك السيد ولَّى النعم المآثر التى قعدت دونها خطرات القلوب ، وعيَّت بها همات النفوس ، وكذبت

(١) فى الأصل هكذا : إيد .

(٢) فى الأصل : توبل .

(٣) فى الأصل : لحق .

(٤) فى الأصل : المستسلم .

(٥) التعزير : التوقير والتعظيم .



عنها مصارف الآمال ومبالغ العقول ، إنه فعّال لما يشاء .

وقد كنا أعلمناك — عند ذكرنا حال إبراهيم بن المَرْزبان<sup>(١)</sup> في انتقاض عزيمته ، واستمرار هزيمته ، واستنقاذ الأجل دَمَاء من طَلَبِ السيوف وقد شارفته ، وشبا الختوف وقد شافته ، وذهابه على وجهه فريداً موحداً ، وطريداً مشرّداً ، لا يعلم أين المفر ، وكيف المفر ، قد احتملته رياح الخيفة ، ومهابة الزانات المطيفة ، واستأمن أتباعه متعرفين الخير في مبادعته ، كما تعرّفوا الخُسْر في مساعدته — أن<sup>(٢)</sup> وهسودان بن محمد قد طالت للدولة العالية مداجاته ، ودامت لأوليائها مماراته ، يوهم ، متى ضُغِط ، طاعةً يُضْمَرُ خلفها ، ويثير ، متى أهْمِل ، فتنةً يَسْتَدِرُّ أخلافها ، متردداً بين مكائِد ينصبها فتني\* إليه بتيار ، وتشتمل عليه بدمار ، وتوبقه في خسار ، وتجمع له نكالا إلى صَعَار . قد غره أن نَفْسَ من خِناقة وعُدِل عن إرهاقه ، وإنا عازمون على تحميله أثقال المعاقبة ، وتعريفه آيات سوء العاقبة ، بفضل الله وطوّله ، وظل مولانا الملك السيد وصوّله .

وكان خُيِّل إليه أن حزنونة المسالك إلى بلده تُثَبِّطُ الخيول عن استباحة صفحته ، وصعوبة المنافذ إلى مقرّه تستأني الجيوش عن الإناخة بساحته ، ولم يَدْرِ أن سعادة مولانا الملك تستخدم الأفضية ، وتعيد الدروب أفضية ، ومناجح سلطانه تَرَجع الجاهل معارف ، وتثني المناكر معالم ، وعكف على إخراج بلده ، واقتلاع مساكنه بيده ، طمعا في أن تُصَرَف عنه الأعنة ، وتصدف دونه الصفاح والأسنة ، فتبقى تلك البقاع محرمة على الطالبين ، مزورة الوجه عن الخاطبين ، فخطبنا الولي الصريح والكمي المسيح ، والوفى النصيح ، أخانا أبا الحسن على بن كامة مولى أمير المؤمنين — أدام الله عزه — في المسير إليه ، والانتقاض في الأولياء المنهضين معه عليه ، وإذاقته وبال ما خَبَّب فيه ووخذ ، وقام به وقعد ، مفوضا إلى الله ، فهو المدبّر والمُنيل ؛

ما يرى القارى\* في تلك الرسالة . ويظهر أن هذه الجيوش كلها كانت بإمرة عضد الدولة لأن التنبي مدحه بقصيدة طويلة ذكر فيها انتصاراته على وهسودان ، ومطلع القصيدة ( أزاثر يا خيال أم عائد ) .

( ٢ ) أطال صاحب هنا الفاصلة بين أعلم ومفعولها .

( ١ ) إبراهيم بن المَرْزبان هذا كان أبوه صاحب أذربيجان ، ولما توفي قامت خروب بينه هو وإخوته وبين عمه وهسودان الذي حاول أن يستولى على قلاع أذربيجان وأن يطرد أولاد أخيه ، وقد حارب إبراهيم فهزمه ، على نحو ما يصف ذلك صاحب ، ثم لجأ إبراهيم إلى ركن الدولة ، فأمدّه بالجيوش لمحاربة وهسودان ، وقد تغلبت عليه أخيراً على نحو



والمنتقم والمذيل ، ومعتمداً على راية مولانا الملك السيد فى الكافلة بافتتاح الأمصار ، وتملك الديار ، وارتفاع الأولوية والأعلام ، وحيازة مزايا الاستظهار والانتقام ، المؤذنة فيمن شرد عن ولائه الأزم ، وانفرد عن سواده الأعظم ، بتساقط القوى ، وتقاطع العرى ، وتخاذل المنن ، وتهافت الجنن .

وقد كان من أبى نصر المرزبان بن اسماعيل<sup>(١)</sup> — أدام الله عزه — ما عرفته إعلانا بشعار الدولة القاهرة والدعوة الظاهرة ، مبينا لجدده وخاله ، ونافضا بهما ليمينه وشماله ، ومستوليا على قلعة شميران<sup>(٢)</sup> كما وافقناه عليه ، وأهبنا به إليه ، منتظرا ما نرسم له فيها ، وفى سائر الأمور التى تليها ، فسار أخونا أبو الحسن والأولياء المضمومون إليه بقلوب تستعير الليوت ثباتها ، وصراهم تستخوف المنون شداتها . فما كان إلا أن عرف وهسودان خبر إطلاعهم على تلك الديار ، حتى طار كل مطار ، وعاذ بقلعة الكوكبان ، ومدينة عظم مناه ، يود لو لم يلبه أبواه ، وقدّر عند لصيقه<sup>(٣)</sup> مدافعة إن لم يحمل بلاء ، ولم يُثمر غناء ، ولديه متنفساً دون معالجة الثبات ، ومفاجأة سوء الانفلات ، فنفضهم سرعان الخيل نفضة أوسعهم ثبورا ، وتركهم هباء منشورا ، وامتلك الطرم<sup>(٤)</sup> عليهم بنواحيها ، وضُمّ منتشر حواشيها ، وأقيمت فيها الخطبة على سنتها ، وطهرت من ميسم بدعتها . وقد كان من وليها من أهل ذلك البيت صادفين عن الدولة العباسية عنادا ، ومظهرين لها شقاقا وإلحادا .

وامتد فلان إلى فناء الكوكبان محاصرا لهسودان ، وإن كان يسأل ويستميل ، ويخشع ويستقبل ، ويبدل أعزّ بنيه رهينة عنه ، ويحكم فى معقله وسائر ما يراد منه ، ويرقق بذكر سنه وكبرته ، ويخضع فى إقالته سابق عثرته ، وإن قل الإصغاء إليه بمسابقة الحل لعقوده ، ومعالجة النكث لعهوده ، ومبادرة الحنث لأيمانه ، ومساوقة الفجور لأقسامه . ولم يبق بمشيئة الله من أمره إلا غبرّ اهتام ، وعدة أيام ، إلى أن يُستزل مستأسرا ، ويقضى عليه الرعب متحسرا .

(١) التنبى فى القصيدة السابقة فقال :

ما كانت الطرم فى عجابتها

إلا بعيراً أضله ناشد

يسأل أهل القلاع عن ملك

قد مسخه نعامه شاردا

(١) هو المرزبان بن اسماعيل بن وهسودان السابق .

(٢) قلعة بأرمينية .

(٣) فى الأصل : لفيقه .

(٤) الطرم ناحية كبيرة فى الجبال ، وقد ذكرها



وولدنا أبو نصر المرزبان<sup>(١)</sup> بن إسماعيل باذل في مباينة جدّه غاية طوقه وجدّه ، ومجتمع مع أخينا أبي الحسن على بن كامة على ما نحدّ ونمثّل ، ومُرخص المهجة في مزيد زلفة تتحصّل وقربة تتأصل . فالحمد لله بحق الحق بأيدّه ، ومُزهِق الباطل بكيدّه ، ومنزل النصر على مستوجبه ، ومُفرغ الخذلان على مستجلبه ، الحاكم بالعز لمن ذبّ عن حوزة دينه ، القاضي بالذل على من استعاض شكّه من يقينه ، حمدا يديم لمولانا أمير المؤمنين اتّساق الأمر ، وعزّ النصر ، وسياسة الأئمة ، ووراثه الأئمة ، ويواصل لمولانا الملك السيد ارتفاع الحكمة ، وتظاهر العظمة ، وسموّ الراية ، وعلوّ المكانة والكلمة ، ويوفّقنا لشكر ما أولى ، والقيام بحق ما استرعى وولّى ، إنه فعّال لما يريد .

طالعناك — أدام الله تأييدك — نبأ هذا الفتح الجسيم خطرا ، الكريم أثرا ، لتتقدم بإشاعته في الأولياء والرعية ، والتحدث به على المنابر والأندية ، فرأيك في العمل بذلك ، وإعلامنا أخبارك وحاجاتك ، موفّقاً إن شاء الله .

## ٧ — وله

النعم تبدو من مطالع مختلفة الأقدار ، مؤتلفة في جلاء الأبصار ، مفترقة في المواقع والمنازل ، متفقة في إحسان الله الشامل ، لكن أسعدها طوابع ، وأعذبها مشارع ، وأكرمها مناقب ، وأحمدتها عواقب ، نعمة تُشرق لها غرّة الخلافة ، وتُطبّق بعوائدها مصالح الكافة ، وتجلو عن عِراض الدين عوارض التبسط ، وتقصر أيدي أولى الفَرَارة دون التحكم والتسلّط ، وتوافي وقد تقدمتها مواهب ترادفت أرسالا ، وتنصفت جمالا وجلالا ، في فتوح لم يترأخ العهد بين<sup>(٢)</sup> بواديه وتواليها ، ولم يتأد الأمر بين أوائلها وثوانيه ، بل مُدّ<sup>(٣)</sup> كل واحد منها بما هو أوفى عددا ، وأعلى مرّقي ومصعداً ، إلى أن تحصّلت غاية المبتغى ، وبلغت الغاية القصوى . وتلك نعمة الله عند مولانا الملك السيد فيما نهض له ، وأمرُ الله مؤدّ إلى مرامه ، ونصر الله منطوٍ على أعلامه من حراسة بيضة الإسلام وحماية حوزته ، والذيادة عن سُدة السرير الأعظم بتوفيق الله وعزته ، واستخلاص بلاد الله وعباد الله من أيدي مضیعة واهنة ، وعواد

(٣) في الأصل : وعد .

(١) في الأصل : أبو نصر بن المرزبان

(٢) في الأصل : من .



وسبعة راهنة ، فلَقاه الله في كل منزل نزله أجل ما حاوله وأمله ، لا يعتاق رأيه ملتبس ، ولا يعتاص في أحنائه ملتمس .

وكنا طالعناك بما تيسر للملك السيد في فتح أهواز ، إذ حدث الخالفون نفوسهم بالمقارعة وقوارع الأيام تصطلمهم ، وطوال الحمام تحسُّهم وتحترمهم ، إلى أن أجَلَّت الحرب عن حَرَب تردد أشيع الباطل في ضلاله ، وتعثر حزب الشيطان في أذياله ، فمن بين مأسور ومجرَّح ، ومقتول ومطرَّح ، وغريق وطافح ، وشريد وطأح .

وثني بالبشرى ، في فتح البصرة ، وقد استصعبت على وجه الأيام ، واستغلت على إمام بعد إمام ، فألآن الله للملك السيد قيادها ، ورفع أسداها ، ومكَّن حماة الدعوة منها ، وأزال ميسم ذوى العرّة عنها ، ووافاها — أدام الله سلطانه — فرعاها ، وهى ثغر يُرَاع ، وحاطها وهى سَرَحُ يضاع ، وأمات الأحقاد من قبائلها وعشائرها ، وأحيا الصلح والصلاح في باديها وحاضرها ، ووضع الحقُّ بذلك الصقع جِرانه ، ووَسَّع العدلُ مكانه وجيرانه .

وثلثنا بواسط في توجه سرعان الخيل المنصورة إليها ، وقد خيَّم طبقات الخالفين عليها ، فلما نَمَتْ إليهم أنباؤهم استفزتهم بوارق الرعب ، قبل صواعق الطعن والضرب ، فأطاعوا وهلمهم ، وعابنوا أجلهم ، وأجفلوا يظاً آخرهم أولهم ، فصاروا ببغداد تأخذ بهم الآراء الفائلة ذات اليمين والشمال ، وتستطير بهم الخطوب الهائلة بأجنحة الثبور والنكال ، وكانت أمانى الغرور تُمثِّل لبعضهم ثباتا للمواقفة ، ورجوعا للمكاشفة ، فما كان إلا ريث نهوض الملك السيد عن واسط حتى زلزلت الخافة أقدامهم ، ونسخ الإحجام إقدامهم ، وأيقنوا أن وعد الله حق فلا دفاع لما أرمه ، ولا امتناع مما شاءه وأحكمه ، وصاروا شيعا لا تأتلف لهم كلمة ، وفرقا لا تجمعهم حَكَمَة .

فأما معظم الديلم فلاذوا بجوار الاستئمان وذمته ، وتسرعوا إلى حضرة الملك السيد وخدمته . وأما بختيار فرأى أن لا خلاص ولا مناص ، ولا معاذ ولا ملاذ ، غير حكم الملك السيد وإبقائه ، وعفوه وإعضائه . وكتب يسأل تغمده وإخوته وولده بالصفح عن جرائمهم ، وإنحامد الصفاح دون جاجهم ، ليتوجه إلى الشام معلنا بشعار الطاعة ، باذلا



في الخدمة غاية الاستطاعة ، فجرى مولانا على عادته في الرعاية والإرعاء ، والإقالة بعد القدرة والاستيلاء ، فغشاه ظلُّ بقياه ، وفسح له فيما ابتغاه .

ولما خلت بغداد منه ومن خفٍّ معه حدثت العباس<sup>(١)</sup> بن فيلسار أحد نبتاغ الزمان نفسه بتأليف قوم من شذاذ تلك الأجناد إليه ، والالتجاء إلى طرف يحمى عليه ، وأخذ سميت النهروان ، في طريق ينشعب بين الأهواز وحلوان ، وسبق خبره إلى حضرة الملك ، أدام الله سلطانه ، فرسم لأبي القاسم سعد بن محمد الحاجب ، أيده الله ، التعجل في ثلاثة آلاف من الأتراك والأعراب والأكراد لاقتناصه ، والحجاز بينه وبين خلاصه . وتجاوز ذلك المحين جسر النهروان فقطعه ، مقدراً قطع من ينهض ليلتبعه ، فعبر أبو القاسم الحاجب ، أيده الله ، ومن معه في مخاضات ، وعلى عبارات ، ووقف الخذول ، في هؤلاء الفلول ، للمنازلة ، وكثرهم العسكر المنصور حتى أتى على نفسه ، وأرؤيت الأرض من دمه ، ودماء من أوثقته حبائش جهله . ومولانا أمير المؤمنين — أدام الله إعزازه وإعلاءه — في كل ذلك مستقر على سرير عزته ، وضارب حجابيه دون بختييار ومن في جملته ، يكتب الملك السيد مسطرة عند إطفاء الغواة بحفا في ملكه ، ومحاهرة لما انجلت غمامهم عن رواق عزه ، محرّجا عليه إن تأخر عن حضرته ، وخارجا إليه من الأمانة في التعجل إلى نصرته ، شاكرًا ما تجسّمه من الأحوال ، وتحمله من الأثقال ، في الوصول إلى بابه مباءة كل مجد وشرف ، ومثابة كل ذى أدب<sup>(٢)</sup> وطُرف .

فلما جاز الملك السيد ديكالى<sup>(٣)</sup> ، وطالما أدالته من مخالفه ، وقضى الله بها على مكاشفيه ، رأى مولانا أمير المؤمنين أن يقسم له من الإكرام ، أعظم ما صدر عن خليفة وإمام ، فسار أمير المؤمنين في الماء بكبرياء الإمامة وعظمة الخلافة والزعامة مُبْعَدًا في تلقيه ، ووصل الملك السيد إلى على مجلسه مستقبلاً بتمهل بشره وتحفّيه . وابتدأه أمير المؤمنين بالإحجاد لمرضى مسعاته ، والإخبار عن موقعه من اعتداده ومرضاته ، وأنه — أدام الله عزه — لم يزل منذ أتاه الله ما أتاه ، واسترعا ما استرعا ، واثقًا بأن الله سيستخلص له قُرْبَه ، وإن تطاولت الأيام بما أحبه ، ليقوم بنشر الدين فيضّمه ، وشعث المؤمنين فيلّمه ، إذ كانت الدولة

(٣) نهر كبير شرقي بغداد .

(١) أحد أتباع بختييار .

(٢) في الأصل : أوب .



المهاشمية التي رفع الله عماد الحق بها ، وخفض منار الباطل لها ، لم تزل تعتلّ طوراً وتصح أطواراً ، وتختلّ مرة وتستقل مراراً ، من حيث أصلها ثابت لا يتزعزع ، وبنائها راسخ لا يتضعع ، فإذا لحقها الالتياث ، وازدحمت عليها الأحداث ، بغمز يرتع في أكلائها ، وغر يغفل عن شكر آلائها ، أتاح الله لإقرار الأمر في نصابه ، وحفظه على أصحابه ، وليا صفياً ، كافياً وقياً ، فلا تلبث أن تعود الدولة على يده غضة العود ؛ معتدلة العمود ، جديدة اللباس ، متينة الأمراس ، فشكر الأمير السيد لله عظيم منه ، وخليفة الله رحيب فضله . وأنبأ عن أن مجرى عزمه ومفضى همه ، كان القيام دون أمير المؤمنين في جمع الكلمة على الطاعة ، وردّ المفترقين إلى الجماعة ، حتى لا يُنقى — بإذن الله — طرَفاً مأخوذاً إلا ارتجعه ، ولا حقاً مغلوباً عليه إلا انتزعه ، ويعيد إلى السلطان ما خرق من هيئته ، وإلى الفئى ما أضيع من سنّته ، وإلى الحج ما انتهك من حرمة ، ويدبر الثغور بما يرتق الفتوق مع استفحالها ، ويدمل الجروح مع إعضالها . كل ذلك بعون الله ومشيئته ، وعز أمير المؤمنين وميامن أليوته .

وعاد من حضرة أمير المؤمنين إلى معسكره بظاهر بغداد ، فائتاً من سلف من الأقران ، سابقاً غايات أهل الزمان ، قد سنى الله له فتح الفتوح ، وأفضى إليه بأشرف موهوب وممنوح . وأعلم سكان الأرض من دانٍ وقاص ، ودائنٍ وغاصٍّ أن الذى ابتدأه الملك السيد وأجراه ، وأنشأه وأمضاه ، وصل رحيم الدين وشفع وسائله ، وقوى غارب الإسلام وشدّ كاهله ، وإن ساءت — قبل — ظنون قوم آخرين ، وعرفوا نبأه بعد حين .

والحمد لله رب العالمين ، قول العارف بفضل هذه العوارف ، على ماخول فأجزل ، وسهل فعجّل ، ووهب فقرب ، ووفر فيسر ، مؤيد أوليائه بالظهور والغلب ، متوعد<sup>(١)</sup> أعدائه بسوء المكاب والنقلب ، حمداً يقضى لأمر المؤمنين بما قضى به لآبائهم الراشدين — صلوات الله عليهم أجمعين — من النصر المبين ، والكيد المتين ، وإعزاز الأنجاد والأنصار ، وإذلال ذوى العناد على اختلاف الديار والأمصار . ويهنيء الملك السيد ما أتاه من صنّع لم تره النواظر قبله ، ولم ترو الألسنة مثله ، فما يسدّد سهام اقتراحه إلى مرام فيخشى اعتياضه ، ولا يشهر

(١) فى الأصل : متوحد .



حُسام اجتياحه على مرام فيرجي<sup>(١)</sup> خلاصه ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

طالعناك بهذا الفتح المدودة أظلته ، المسعودة أهلتة ، المرفوعة ألويته ، العمورة أنديته ، لتصدع به على المنابر ، وتشيع نبأه بين الرعايا والعساكر ، فيعلم الحاضر والبادي ، ويوقن الموالى والمعادى ، بأن الله متكفل بهذه الدولة الثابتة البنيان ، الواضحة البرهان ، وإن أُملى لأعدائها إلى مدة ، واستدرجهم بعد أنفاس ممتدة ، فرأيك ..

## ٨ — الفتح الأكبر بمرجان الواقع بين الخراسانية<sup>(٢)</sup>

لنعم — أدام الله عزك — من الشكر قيم ، وللمنح من الحمد قسم ، فأغلاها قيمة ، وأغلاها غنيمة ، وأجزلها حظا وقسما ، أثبتها في صحيفة المجد رسما ، وهى وإن تكافأت طورا وتفاضلت أطوارا ، وتقاربت مرة وتباعدت مرارا ، فمنها فرائد يدخرها الله لأفراد ، ويؤخرها لميقات وميعاد ، حتى إذا حان حينها ، وقدر لها كفوها وأمينها ، سبقت إليه لأمدّها المضروب ، ورهنت لديه على سَنَنِها المطلوب ، فعدت كريمة الدهر ، واعتدت يتيمة الفخر ، وأضاءت شمسا طلعت بمناجح الأئمة الأبرار ، وسطعت بمصالح الأئمة الأخيار ، وألبست شمع الحق عزّا تضيء أعطافه وذيوه ، وتبدو غراره وحجوله ، ويطنب شرقا وغربا شعاعه ، ويمتدّ غورا ونجداً ذراعه ، ودرّعت أتباع الباطل ذلاًّ يحتم بالعقاب ، ووهناً يحتم<sup>(٣)</sup> على الرقاب ، ووهياً ينهك القوى والقدر ، وضعفا يملك السمع والبصر ، فلا يغنى عن الضالين التأذر وإن كثروا ، ولا التظاهر وإن أمروا ، كواهب الله التى سوغ مولانا الملك شاهنشاه عضد الدولة وتاج الملة جلائلها ، وقسم لنا فضائلها ، وحازله خصائصها ، ورهن عندنا نفائسها ، وجعل إليه مآلها ومرجعها ، ووسّع بنا مَرادها ومُنْتَجَمها ، وأفاض على دولته عزها وفخرها ، وفوّض إلينا عقدتها وأسرها . ذاك بما عَصَد من دولة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وأيدنا ، وأسس وشيّدنا ، ومثل واقفينا ، وسبق وصلينا ، حتى ضرب الدين بجرانه ، وانبعث الحق بعد حرانه ، واستوسق الملك على نظامه ، وأرخت الحاسن

(١) فى الأصل : يرجى .

(٢) كذا فى الأصل !

(٣) فى الأصل : يحتم .



بأيامه ، وسكنت دهاء الأمة وكانت مضطربة ، وخدت نيران الفتنة وكانت ملتبهة ، وعُرف المعروف وكان منكوراً ، وقهر الإنصاف وكان مقهوراً ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وقد علم من كُشِفَ عن سمعه ، ولم يُغَطَّ على لَبِّه ، وُفُتِحَ عن بصره ، ولم يُخْتَمَ على قلبه ، ما جرت عليه الحال بيننا أهل البيت وبين ولاية خراسان قرناً بعد قرن ، وقراناً بعد قران ، ندعوهم إلى طاعة خلفاء الله في أرضه ، ونأخذهم بما كتب الله لهم <sup>(١)</sup> في لوازم فرضه . هذا وقد كانت خراسان دارالهجرة العباسية ، وأهلها شيعة الدولة الهاشمية ، إلى أن بدَّلَ من ولايتهم من دَرَجٍ أشنع المدارج ، ورتع مرتع الخوارج ، وغبر دهرًا يخطب للأموات على المنابر جرأة على الدين . ويحجد للمطيع لله — صلوات الله عليه — إمرة المؤمنين ، والحرب بيننا وبينه <sup>(٢)</sup> قائمة ، وآفاق الصلح مظلمة قائمة ، يجهز جيوشه إلينا فيُهْزَم ، ويسرَّب خيوله فتحطم ، ويحشد جموعه فتفرق كل مفرق ، ويحشر جنوده فتمزق كل ممزق ، قد فُضَّ أحمد <sup>(٣)</sup> بن محمد بن المحتاج دفعات بذبنا عن الرايات السود . وفُلَّ ابن قراتكين <sup>(٤)</sup> عن ثبات بدفعا عن رواق الخلافة الممدود ، ورد ابن عبد الرزاق <sup>(٥)</sup> هزيمًا كبيرًا . وأوثق ابن ما كان <sup>(٦)</sup> هشيما أسيرًا . فلم يبق من أصحاب جيوشهم إلا من وسمناه بميسم الانفلال ، وشهرناه في موسم الضلال . فمنهم من لجأ إلى طاعتنا فعاش حميداً ، ومضى سعيداً ، ومنهم من شَرَدَ عن جماعتنا فَأَنْظَرَ غَوِيًّا ، وَقَبَضَ شَقِيًّا ؛ إلى أن علموا أن القراع لا ينتج إلا قرع صفاتهم ، والنزاع لا يثمر إلا نزع شباتهم ، فبخعوا بالخطبة للمطيع لله — رحمة الله عليه ورضوانه — على أيدينا التي عودها الله البسطة ، وحرس بها الإمام والأمة ، واستعدنا إليهم ثوب الطاعة وقد خربوه ، وتنجزنا لهم العهد على تلك البلاد وقد حرموه ، فبقوا على هذه الجملة زماناً وعادات الفساد ، تتنزَّى بهم دون

الخراسانية عام ٣٣٤ هـ ، انظر ابن الأثير ٨/٣٤٦ .

(٥) هو محمد بن عبد الرزاق صاحب طوس

وأعمالها . انظر ابن الأثير ٨/٣٥٣ .

(٦) كان مقدم الجيوش الخراسانية عام ٣٤٤ هـ

واشتبك مع ابن العميد في حرب أخذ فيها أسيراً .

انظر ابن الأثير ٨/٣٨٣ .

(١) في الأصل : له .

(٢) في الأصل : بينهم .

(٣) أحد قواد خراسان وقد تولى قيادة الجيوش

الخراسانية كلها عام ٣٢٧ هـ . انظر ابن الأثير

٨/٢٦٧ .

(٤) أحد قواد خراسان أيضاً ، وقد ولي على الجيوش



استعمال الرشاد ، ووشمكير بن زيار<sup>(١)</sup> يدبّ لإغوائهم ديبب الخمر ، ويعرض نعم الله عندهم لصوائب القدر ، فهمثوا بالمعاودة ، واهتموا بالمعاندة ، وطالبوا أبا الحسن محمد بن إبراهيم ابن سيمجور<sup>(٢)</sup> — أيده الله — بالمسير والاجتماع في منازعتنا مع الضال وشمكير ، فسارت تلك الجنود والتخاذل دأبها ، وبلغت الدآمان<sup>(٣)</sup> والتواكل ينتابها ، فلم يرعها إلا خذلان نزل بوشمكير ، فجعله فرية الخنازير ، وكشف لذوى البصائر عن سريرة المقادير ، فاعتبر معتبر ، وانزجر منزجر .

وتراجعت تلك الخيول إلى نيسابور<sup>(٤)</sup> ، فلم تشجع الخرسانية من بعد ذكر المنازلة ، ولم يخطر ببالها ذكر المقاتلة ، وأخذوا يعرضون بطلب الصلح فعرض امتحانا لعقائدهم ، وابتلاء لمغازيهم ومقاصدهم ، إلى أن صرّحوا بعد التعريض ، وصحّحوا بعد التريض . فجنحنا للسلم حين جنحوا لها إذ كان ذلك أدبا من آداب الله ، وأمرنا نصّا في كتاب الله ، وميمتاً للضغائن والإحن ، ومزّيلاً للحوادث والفتن ، ومفرّغاً لتسديد الثغور عن ذوى الشرك والإلحاد ، وموفّراً على عمارة الحج وسبيل الجهاد . وأكّدت العقود ، وأخذت العهود ، وكتبت الشروط وأشهدت الشهود ، وآتى كلّ صاحبه موثقاً من عند الله ، وحلفاً مقرونًا بعهد الله ، وجعل ما أمضى من ذلك مشروطاً على التأييد لا يتعقّب وفاقه بخلاف ، ومقصوداً بالتخليد يرثه الأعقاب عن الأسلاف . فلم يمض ماضيهم لسبيله ، حتى أخذ خلف السوء في تبديله ، بخرق لأوصال الوفاء قطعاً ، وعرق إلى الضلالة السوء نزاعاً ، وبمشورة أحداث لم تعرّكهم الذرية عرا كها ، ولم تغلقهم الحنكة أشرا كها ، كأن لم يعلموا أن من سلف من سلفهم لم يرجعوا للمصاحفة ، إلا وقد عيئوا بالمكافئة ، ولم يجنحوا للمسالمة إلا وقد عجزوا عن المقاومة ، ولم يركزوا الرماح إلا لأنفذ منها مسارب ، ولم يعمدوا الصفاح إلا حدّ منها مضارب .

وكان من فواتح ما أنكرناه أن أرجأوا الخطبة لأمر المؤمنين الطائع لله<sup>(٥)</sup> بعد وقوع

(١) وشمكير : هو صاحب طبرستان وهو والد قابوس ، وتوفى عام ٣٥٦ هـ .

(٢) صاحب جيوش خراسان حينئذ وقد سيره الأمير منصور بن نوح لمساعدة وشمكير ضد ركن الدولة البويهى . انظر ابن الأثير ٤٢٧/٨ .

(٣) بلدة كبيرة بين الرى ونيسابور .

(٤) مدينة كبيرة فى أول إقليم خراسان

(٥) هو الخليفة بعد المطيع ، وتولى الخلافة عام ٣٦٣ هـ .



البيعة وتسليم الأمة ، وإصفاق الكافة ، واستقرار سبيل الخلافة ، على عادتهم الأولى في جحد الإمام الحى واجب حكمه ، وعقد الجمعة بشعار الميت واسمه ، إلى أن نبهناهم من رقدة الإغفال ، وحلّاناهم<sup>(١)</sup> عن مشاريع الإهمال ، وشجنت خراسان بالدعوة ، ومددنا حلم أمير المؤمنين على هذه الهفوة ، وسعينا لهم في تجديد الولاية ، وأكرمناهم بتنجز التشريف وعقد الزاية . وجددوا على نفوسهم الميثاق لنا على الإخلاص ، وأظهروا الرغبة في إعادة الصهر دلالة على الاختصاص .

وكان من قواعد الصلح وأحكامه أن لا يُقبل في جهة من الجهتين أباقُ العساكر ، ولا يُمهّد في جنبه من الجنبتين للخالع والنافر ، ولا يُحامي على من عصى فشرّد ، وشقّ العصا وانفرد ، واعترض — في أثناء هذه الأحوال — أن الخذول قابوس بن وشمكير كشف عن العناد وسفر ، وجحد نعنما عليه وكفر ، فخيب ظنه وعجّل تكذيبه ، وحسّم داؤه ويسّر له طبيبه . وقد كان من قبل راسل الخرسانية يرؤز ما لديهم في بابه ، ويدلّهم على ما كن في نصابه ، فشحدوا بصيرته في الخلاف ، ووعدوهم بالمئونة والاكتناف ، حتى إذا زحزحناه عما أمل وارنقب ، وطوحناه جزاء عما احتقب وارنكب ، لجأ إليهم فهدوا له في جوارهم ، ودلّوه بغرورهم واعتراهم . وقد كان العاق<sup>(٢)</sup> رديفه في الغواية ، وزميله في سوء الهداية ، فراسلهم كرسالته ، وقد ضلّ في مخالفتنا كضلالته ، فحرصوا على قبوله حرصا جليّ عن مدفون ضمائرهم ، وأبدى عن مكنون سرائرهم ، وأوضح أن مرادهم التآليب علينا والتألب ، والتثريب والتحزب ، وأقبل الأغمار المستولون على صاحب بخارى يحسبون ببصائرهم العليّة ، ويرون بأبصارهم الكليّة ، أن أبا الحسن بن سيمجور<sup>(٣)</sup> — أيده الله — حجاب بيننا وبينهم مشدد ، وحجاز مستطيل ممتد ، وأنه لو قد أزيل عن مقرّه ، لاستمرّ تدبيرهم علينا في مرّه . غير عالمين بأن ذلك الشيخ هو الذى قد ارتضع أفاويق الزمان ، وحلب أخلاف الليالى والأيام ، وعرف ما أتانا الله من قوة وإقران ، وعُدّة وإمكان ، وبنود

الدولة . وتذكر كتب التاريخ أنه عزل عن قيادة جيوش خراسان وولى مكانه أبو العباس تاش . انظر ابن الأثير ٧/٩ .

(١) في الأصل هكنا : وطنناهم .

(٢) هو غير الدولة كما سبق بيانه .

(٣) يظهر من كلام صاحب هنا أن ابن سيمجور لم يكن من رأيه مؤازرة قابوس وحرب عضد



مرفوعة للنصر، وجنود كعدد القطر، وأموال ككشبان الرمال، وذخائر أملاء المهم والآمال، وعزائم تُطَبَّع السيوفُ على غرارها ويُتَبَّع ما تَهْجُج<sup>(١)</sup> من آثارها. وطفق يَخْصِف عليهم من ورق الصيانة، لئلا تنكشف عَوْرَاتُ قصورهم، وتتبرَّج هناتُ أمورهم. لا جرم أنهم قرفوه بالمداينة، وصرفوه عن رتبته الراهنة. مقدرين أنهم يرفعون منه سِدَاداً، وإنما عدموا به سِدَاداً، وظانين أنهم يدفعون بعزله شراً مرصوداً، وإنما هتكوا عن عجزهم سِتراً ممدوداً. واعتمدوا لجيشهم تاش<sup>(٢)</sup> يستبدلون من الطيب خبيثاً، ورفدوه بفائق<sup>(٣)</sup> يستعوضون من التذكير تأنيثاً. واستنفدوا قواهم فيما جمعوا من الأموال، وبلغوا مداهم فيمن لقوا من الرجال، حتى أناخوا على بضائع التجار وأهل الصناعات يَجْبُونُهَا غَضَباً، وعلى وقوف المساجد والرباطات يتناولونها نهبا، وعطلوا الثغور باستجاشة من فيها من الحماة، وسلطوا مجاوريهم من المشركين بمن صرفوا عن وجوههم من الكفأة. كل ذلك للطمع أن يشفوا من البغي علينا غليلا، ويشتروا بعهد الله ثمنا قليلا.

وحصل تاش بنيسابور وقد سبقه فائق، واستعجل نحوها العاق<sup>١</sup> وقد وردھا الخذول المارق. فلم ندع أن أصدرنا إلى زعيمهم رسلنا مذكرين بالعهد المبذول، وميثاق العقد الموصول، ومحذرين من عاقبة الناكثين، وما كتب الله من العقاب للناكثين، ومطالبين برد الآبقين، على أمان لهما نتبرع ببذله، وصفح عنهما نأخذ بفضله. فأصرَّ هو ومدبروه على الامتناع، وعوّلوا على الدفاع، وأخذوا يشفعون شفاعة التحكم، ويشفعونها بالتوعد والتجرُّم، يحسبون استثناءنا لهم فكراً في حشرهم وحشدهم، واحتفالاً بجدهم وجندهم. وزاد رققتنا بهم في إغوائهم وإغرائهم، ووَكَّدَ مرائر اجترائهم واستشرائهم. وأخذ الخذول قابوس يوههم من نفسه وبقية خيله أمورا، وملاً مسامعهم بهتاناً وزورا، ماضياً على شاكلة أبيه في التلبيس عليهم والتويه، فيخيّل لهم رَفَرَفَ الباطل حقاً، ويمثّل عندهم زخرف القول صدقا. وبدأ العاق يوسوس إنهم بأن موقعه — كان — من هذا البيت يُمِيلُ إليه الأعناق متى وقع إكْثَاب، ويعطف عليه الأجناد متى انفق اقتراب، ويُرِيهم سوء التبصر ما يأفك به يقينا،

وفائق خصيٌّ من موالى نوح بن نصر ومن قواد  
الخراسانية العظام

(١) في الأصل : يهيج .  
(٢) صاحب الجيوش الخراسانية بعد ابن سيمجور  
(٣) في الأصل : تفريق وهو تحريف واضح ،



وما يتنفق بإيراده برهانا مبينا . فخبسوا الرسل طغيانا لم يعهد في جاهلية ولا إسلام ، وضيقوا عليهم الطعام والمشرب اتضاع هم وضعف اهتمام ، ومنعواهم عن إقامة الصلوات ، ودفعوهم عن الجمع والجماعات ، وفيهم فقهاء أعلام وقضاة تكون بحضرة أمير المؤمنين من دار السلام ، صنيع من لا حياء له يردعه ، ولا دين يهجن له القبيح ويرّعه .

وخفّ الخصى<sup>(١)</sup> والحذول على طريق نسا<sup>(٢)</sup> يتقارضان أكاذيب الأمانى وهى زاد المائق وتعلّة الجاهل ، وامتد التركي<sup>(٣)</sup> والعاق على سمت قومس<sup>(٤)</sup> يتفاوضان تحديث النفس بالباطل ، حتى إذا عرفوا أن اجتماعهم لدينا كافراقتهم ، واختلافهم فى الطرق والعزائم كانفاقهم ، خشوا أن تبده<sup>(٥)</sup> إحدى الطائفتين بانتساف ، ونعجل عليها باختطاف : فأذنت الخفاة بينهم المسافة ، إلى أن صاروا يداً واحدة وقد كتب الله بقصرها ، وحرّم على الأقدار تولى نصرها ، وجدّوا فى المسير قبالة جرجان والإقبال عنهم ممتاز منصرف ، والتوفيق دونهم منحاز منحرف .

وقد كنا استخرنا الله — تعالى — فى البروز<sup>(٦)</sup> بمعسكرنا المنصور إلى ظاهر جرجان على سمت خراسان مفوضين إليه ، معولين عليه ، راجين ما لديه ، عالمين أن الفلج بيديه ، مولين البغى من تولاه ، والنكت من اختاره واصطفاه ، وقرب الحاذيل فكففنا عنهم إلى أن بدأوا بالقتال ، وحسن لهم الطغيان نخوة الصيال ، وقد كان طردهم بل حصدهم ممكنا — بعون الله — من<sup>(٧)</sup> أول لقائهم لولا إيثارنا البقيا فى إمهالهم وإمهائهم<sup>(٨)</sup> ، وتقديرنا أنهم إذا مارسوا الحرب فوقدتهم بنارها ، وأقدتهم بعوارها ، وعرفوا ما بين المطوّع له فى أمره ، والمطبوع على قلبه وصدرة ، تلافوا أحوالهم ، فلم تُرقّ دماؤهم هدرًا ، ولم تُفرّق أشلاؤهم جزرًا ، ولم تذهب أموالهم هَمَلا ، ولم ترجع أملاكهم نَفَلا .

واختلف بيننا وبينهم اثنتا عشرة حربا ، ما انصرفوا عن واحدة منها إلا وقد استحترّ الجرح فى صناديدهم ، وانتقص القرّح من عديدهم ، وغرّضت القيود بأسراهم ، واستغفّت

(١) الخصى هو فائق . انظر ابن الأثير

١٠٥/٩ .

(٢) مدينة بخراسان .

(٣) هو أبو العباس تاش .

(٤) كورة عظيمة قصبها الدامغان .

(٥) فى الأصل هكنا : مده بدون نقط .

(٦) فى الأصل : البروز إلى معسكرنا المنصور

بظاهر جرجان . وأصلحناها بما يقتضيه السياق .

(٧) فى الأصل : عن .

(٨) إمهاء : من أمهى الفرس إذا أرخى له من عنانه .



اللوذ من قتلاهم ، حتى بلغ عدد من قتل قبل الوقعة الأخيرة ، والصدمة المبيرة ، ثلاثة آلاف ، قد باء جالبها بأثامها ، وتطوّق الأوزار في أراملها وأيتامها ، إذ ساقهم ليطفثوا نور الله بأفواههم ، ولم يعلموا أن الله يكبّهم قبل ذلك لجباههم . فأما المستأمنة فجاءت كالقطا أرسلها ، وفارقت حرّم الإدبار مجاهرة وانسلالا . فلم يزد المدابير على الأيام ، إلا إصراراً على الآثام ، ولم ينقادوا للغير اغتراراً بظنون كالأحلام ، إلى أن ناشدنا ما عهد الله إلى الولاة ، في حَسَم أدواء البغاة ، وفرّض على الرعاة ، في إبادة خضراء العتاة .

وكانت لهم يومنا — وهو يوم الأربعاء لثمان بقين من ذى القعدة — حركة إلى المعركة ترجّحوا فيها بين تقديم للأقدام وتأخير ، وتعجيل للإقدام وتعذير . مقدرين أنا نجرى على العادة في إرجائهم وتركهم يعودون من ورائهم ، فجرّدنا استخارة الله في صدق الحملة ، وتصييرها واحدة الدولة والملة . وأهبنا بالأولياء أسود الدّلف وضراغمه ، ونُسور الختوف وقشاعمه ، فرحفوا إلى أعداء الله الفجرة ، وأكثروا من شعار المجاهدين البررة . وثاروا فحِيلَت الأرض مأبجة ، والبحار هائجة ، والنجوم منكدرة ، والسماء منفطرة ، وصار الفارس أقرب إلى الفارس من ظله ، والسيف أدنى إلى الوريد من حبله ، وتواصلت <sup>(١)</sup> الضربات بين زرق بالزانات ، لا يعرف الأحكام انفصامها <sup>(٢)</sup> ، وأخذت الرماح تطير شررها ، والنفوس تفارق قصّرها <sup>(٣)</sup> ، وثملت الزّوينات <sup>(٤)</sup> من الدماء ، فتعثرت في النحور ، وتكسّرت في القلوب والصدور . وعان أعداء الله هول المطلاع ، فولوا الأدبار ، وطاروا كل مطار ، وتبعهم الأولياء يفيضون الصوارم على الترائك <sup>(٥)</sup> ، فيضّ الصباح على النجوم الشوابك . والخاذيل يتطايرون عن القنا جفاء ، ويطيحون عن الظبي هباء ، ولو عرجوا بمعسكرهم لحمة طارف ، أو وقفوا على ذخائرهم خلصة خائف ، لما تخلّص منهم صافر ولا صائت ، ولا نجا منهم ناطق كما لم ينج صامت .

وكيف لهم بالثبات ، وقد مُلِكَ عليهم حتى فيلهم العظيم الذي توارثه آل سامان ، وهوّلوا به في الحروب زماناً بعد زمان . وقد ركب سرعان الخيل أقفاءهم ، يشلّونهم إلى نيسابور

(١) في الأصل : تواصلت .

(٢) في الأصل : انصامها .

(٣) القصّر : أصل العنق .

(٤) الزوين : فارسية وهي حربة قصيرة

(٥) في الأصل : الترابك . والترائك جمع تريكة

وهي بيضة الرأس .



شَلَّ النعام ، ويسلبونهم أرواحهم بأيدي الحمام ، ليوقن هؤلاء الأعتام ، أن الأطواد الشم لا تطل بالنجاف ، والجبال الرُعن لا تزال بِحَصَبَاتِ المقداف <sup>(١)</sup> .

فالحمد لله المانّ على خلقه بما لا تناله الآمال كرما ، ولا تُقلّ الجبال عظما ، القاسم لذوى طاعته مالا مُنيّة بَلَغَتْ ، ولا طَلِبَة اُنْتَجَعَتْ ، كما أعدّ لهم <sup>(٢)</sup> مالا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سَمِعَتْ ، الراصد لمقارفي معصيته بظُللٍ من الخلدان تَرْهَق وتَغْسِف ، وتَرْهَق وتَكْسِف ، وتوبق وتَنْسِف ، وتوثق وتَخْصِف ، كما توعدهم <sup>(٣)</sup> بعذاب الخلود ، حمداً يكون كفاء ما هيئاً فقرَّب ، وهناً فأطْلَب . وإليه تُرْفَع الرغبة الصادقة ، وتقدّم المسألة السابقة ، في الصلاة على النبي ، الهادي المهدي ، أفضل من دعا إلى ربه صادعاً بالأمر ، ونصح خلقه قاطعاً للعدو ، وعلى آله الذين عظمهم توقيراً ، وطهرهم تطهيراً ، وإطالة بقاء سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ساداً مسدداً آبائه الطاهرين ، في شَعَثِ يَلْشُهُ ، ونَشْرِ يَضْمُهُ ، ووَاهِ يَشْدُهُ ، وثَلَمِ يَسْدُهُ ، ليقدح زناد الخيرات بمناره المرفوع ، ويستنزل عهاد البركات بشعاره المتبوع ، وإدامة أيام الملك شاهنشاه السيد ساطع الأدلة ، مشرق الأهلة ، ممدود الأظلة ، عاضداً للدولة ، متوجاً للملّة ، ويوقفنا لحق ما استكفانا من حفظ عراض الحوزة وأطرافها ، واستدلال من أخذته العزة في خلافها ، لنحوط الملك من جوانبه وأرجائه ، وندأب في الله دعوب من رضى من أمثائه . ثم الحمد لله حمداً مجدداً ، باقياً مؤبداً ، على مالئين من أخادع هذا الخطب ، وسوغنا من واسع النصر في هذه الحرب ، بعد أن ساءت ظنون ، وزاغت قلوب وعيون ، وحسب كثير أن قد غمسننا اليد في خُطّة صعبٍ مرامها ، دَخَضَ مقامها ، فحقّق الله الأمل بطوّله ، والاستعانة بقوته وحوله . فأصبحنا وقد شهد العدو مضطراً خاشعاً ، شهادة الولي مختاراً طائعاً ، أن لله لسان هداية يُلبقى على عزائمتنا الصواب محضاً ، ويُفيض بمصارفنا إلى المراد غضاً ، حمداً ترفعه الملائكة المقرَّبون ، ودعاء يؤمّن عليه الكرام الكاتبون .

حدّثناك — أدام الله عزك — بنعمة الله وإن كُبرت عن بيان المُخبر ، ولسان المبشّر ، وإطنا ب الكاتب ، وإسهاب الخاطب ، وكانت واسطة في قلائد الدهور ، وجامعة لفوائد

جمع المذكر السالم  
(٣) في الأصل : توعدنا !

(١) في الأصل : المقداف  
(٢) في الأصل : لها بإعادة الصمير مؤثناً على



الجمهور ، لتعلم أن الله صادقٌ موعده ، محيطٌ بالنا كثرين مرَّصده ، فأشيعُ نبأ ما طالعناك به حقَّ الإشاعة ، وليقرأ على المنابر لتساهم الرعيةُ أولياء الطاعة ، واكتب بذكره إلى النواحي والأطراف ، وأعلن بنشره في النواحي والأكناف ، وأعلننا موقعه منك ومن الكافة وإن كان معلوماً ، وأبدي الشكر وأعده إنه كان فرضاً محتوماً ، إن شاء الله .

## ٩ — نسخة الخطاب بإسقاط مال الإرساد

وكان كتبها عند هذا الفتح ليمينه<sup>(١)</sup>

إن الله — عز اسمه — قد فرض عند كل طارئ من النعم ، وطارف من المنن ، شكراً يُتلقى به إفضاله فيستحفظ معتاده ، وحداً يقابل به إحسانه فيستجلبُ مَزْدَادَهُ . وليس الشكر بمقصودٍ على اللسان دون العقد ولا على القول دون الفعل بل الواجب أن تتكافأ فيه نتائج الألسنة وضمائر القلوب وتوصل له مواقف الثناء بالتقرب المقبول ويُجعل من أمارات المعرفة بحق ما سوغَ الله فرهن ، وأسبغ فأحسن ، تقديم الأعظم فالأعظم مصلحة بين الناس ، والأحسم فالأحسم مفسدة عن العام والخاص ، ليشمل الجمهور عائدة ما يتوخي ويقصد ، وينظم التابع والمتبوع بركة ما يتحرَّى ويعتمد ، ومن عند الله التوفيق . إنه خير من هدى وأسعد ، بالإرشاد إلى الحسنى لا معقب لحكمه ، ولا خير إلا بإرادته وإذنه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون .

ولئن كانت مواهب الله — عز اسمه — لدينا تقوت حصر المحصين ، وتجاوز ذكر المستقصين ، ومناخه عندنا تحوز غايات التأمل ، وتقوز بحسنات التخويل ، فكنا<sup>(٢)</sup> لشكر ذلك مديمين ، وبالحمد عنه مغمورين مرتين ، لا نخلو من الاعتراف بالقصور عما يلزم منه ، ولا نعرى من استدفاع عوارض التقصير عنه . إن ما قسم لنا — تعالى — آثامنا من هذا الفتح العظيم ، والشنع الكريم ، والنشج القريب ، والنصر المستجيب ، وسهل من استدلال الخالفين ، وردهم أسفل سافلين ، ومقابلتهم عن البغي ارتكبهوا بالخسار دُرْعوه ، ومكافأتهم عن النكث احتقبوه بالصغار قنْعوه ، فرض<sup>(٣)</sup> ما يستقل بنفسه ، ويطلب

(١) في الأصل : ليمينها .

(٢) في الأصل : لكنا

(٣) في الأصل : افرض .



في يومه بما قد نذر في أمسه ، والله تعالى أسأل أن يرشدنا لمصالح الأعمال ، ومناجح الأفعال ،  
ويثبت عزائمنا على الخير نصل مرأثره بعُراه ، والعدل بنسبته فيمن نسوسه وزعاه ، إنه  
رءوف رحيم .

وحين روَّأنا في القُرب التي رأينا تجديدها ، والزَّلف التي نذرنا تمهيدها ، وجدنا  
من أولأها بالاهتمام ، وأجراها مع العدل في الأحكام ، إزالة رسوم الإِرصاد بأصبهان قديمها  
وحديثها ، عتيقها وجديدها ، أصولها وفروعها ، كثيرها وقليلها ، والإعفاء مما يجري في حقوق  
البذرة والمكس فيها<sup>(١)</sup> ، وما يلحق من التوابع والمؤن بها ، إذ كان شيئاً لم نأذن في ابتدائه<sup>(٢)</sup> ،  
ولم نرُخص في إنشائه<sup>(٣)</sup> ، وإنما تهوَّكت فيه جماعة أذاقها الله وبالها وأساء عاقبتها ومآلها .  
عالمين بأن نفع ما يُحطَّ من هذه الأحوال يشمل ذوى البضائع في بضاعتهم ، وأولى التجارة  
في تجارتهم ، وأرباب البياعات في بيعاتهم ، وأصحاب الضياع والزراعات في غلاتهم ، ثم  
لا يقتصَر على ذلك الصُّعْ وقُطَّانه ، ولا يتفرَّد بجدواه من يحلّه من سكانه ، حتى يتَخَطَّى إلى  
كافة المجَّهِّزين إليه من البلاد الدانية والقاصية ، والكُور المجاورة والمتراخية ، في شرق  
الأرض وغربها ، وبرها وبحرها . ويدعو إلى زيادة ما يُنقل ويُمتَّار ، ويرد به المجهزون  
والتجار ، فيعظم النفع ويزداد الرخص ، وتشمل البركة ويؤمن البَحْص .

هذا وأصبهان أولى بلاد المملكة — حرسها الله — بالتخفيف ، وأحرى كورها بالحماية  
عن أثقال التوظيف ، إذ كانت منشأ الدولة القاهرة ، ومطلع أنوارها الزاهرة ، والنية فيها  
وفي أهلها أحسن نية ، وأدعاها إلى تصيير الخيرات شورى بين الرعية . وإذ كان الرصد  
في سائر بلادنا مرفوعاً ، والإعتراض به على الرُقَّق والقوافل ممنوعاً ، فذلك البلد بإزالته عنه  
أخلق وأحق ، وتكلفه على الرعية فيه أثقل وأشق . وقد أسقطناه مريدين وجه الله بما أتيناها ،  
لا يثنيها عنه كثرة قدره ، والعُرْجة على نفعه أو ضره ، إسقاطاً يستمر على التأيد . وأوعزنا  
فوضِع بحضرتنا عن الدواوين حتى لا يبقى له اسم ، ولا يحى منه رسم . وأذنا في إقامة النداء

(٣) في الأصل : إنشائها

(١) في الأصل : حقها .

(٢) في الأصل : ابتدائها .



بحذفه في أسواق اصبهان وجامعها ، وأبواب خاناتها ومسجد جامعها ، والتقدم إلى التجار بذكره في كتبهم إلى معاملهم وخطائهم ، ومضاريهم وشركائهم ، لا طلبا منهم للشمعة ، ولا مراعاة بالقربة ؛ بل ليعلموا أن الذي يوردونه ويصدرونه محروسٌ عن التحيف ، محوطٌ عن التخوف ، ويشقوا بأن أموالهم تصل إليهم في ضمان التوفر ، وبضائعهم ترجع عليهم بالزيادة والثمر ، فيكثروا شكرهم لله رب العالمين ، ويشركوا لنا بين الدعاء والتأمين . إن الدعاء مرغوبٌ فيه ، متنافسٌ عليه ، موعود من عند الله بالاستجابة له والإجابة إليه .

فاعمل — أدام الله تأييدك — بما رسمناه ، فقد حثمناه ، وامثل ما حددناه ، فقد جزمناه ، وقدمه فقد تقدمنا بإماطة هذا المال من تلك المعاملات ، وحطه عن التقريرات والتوظيفات . واصرف عن المراكز هؤلاء العشارين الذين عادتهم الظلم ، ومكاسبهم الإثم ، وطعمتهم السُّخْت ، وتقدم بهدم مراكزهم ، وإبارة مراتبهم ومراقبهم ، ليجتاز المجتاز بما يصدر ويورد ، ويحمل وينقل ، وليس عليه رقبة من معارضٍ ولا مُستَوْقف ، ولا نُقْبَة من مطالب ولا مستخرج ، وما احتيج إليه لحافظي دروب البلد من جارٍ ، فأطلقه من بيت المال لئلا يبقى أثر لما حُطِرَ يُتَوَصَّلَ بقليله إلى الكثير ، ويُتَوَسَّلَ بصغيره إلى الكبير ، وراع من بعد الأمر مراعاةً تتوَلَّاها عيونك من الأمانة ، وأهل الثقة في الإخبار والإنهاء ، فإن عثروا بعاشر أو راصد ، أو تابع لهم أو حافد ، قد استخرج بعد النداء ما قلّ قدره ، أو عظم أمره ، فلا ترضَ فيه بغير التنكيل ، واجمع عليه العقاب إلى التمثيل .

واقراً كتابنا على مشايخ البلد ووجوهه وتجاره وعيونه . وتقدم بالإشادة به على المنبرين وبُثَّ نُسَخَه في المصرين ، لتظهر الكلمة وتشتهر ، ويعلمن بذكرها فلا تستتر . إن سماع الخير داعٍ إلى أمثاله ، وقاضٍ بتكثير أعماله . جعلنا الله مريدين بما نأتي ونذر رضاه ، لا نريد الجزاء والشكور من سواه ، وإليه نرفع الرغبة متوسلين بجلاله ، في الصلاة على النبي محمد وآله ، وعليه نعول ليبارك لنا وفينا ، ويصلح بنا ويصلحنا ويصلح على أيدينا ، فإنما نحن له وبه ، ولا ندعى الحول والقوة من دونه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .



## ١٠ — نسخة الخطاب بالفتح العظيم بِجُرْجَان

الذي تقدم الكتاب الكبير به

كتابنا من المعسكر المنصور بظاهر جُرْجَان على سمت خُراسان يوم الأربعاء لثمان بقين من ذى القعدة ، وقد أنزل الله النصر أعم إنزال ، فكشفنا لنا كثرين كشف الاستئصال ، وسرنا إليهم يومنا هذا هاجمين على معسكرهم مستنصرين بنصر الله ، مستظهرين بعون الله ، معولين على ما عود الله مولانا الملك شاهنشاه السيد المنصور عضد الدولة ، وتاج الملة وعودنا من الإظفار والإظهار ، فحكم أولياء الحق في أشياع الباطل سيوف الانتقام ، وجزروهم جزر الأنعام ، فولى المفلول تاش والمنقوص فائق والعاق على والمنحوس قابوس وقد كملوا طبائع الخذلان ، وأتاهم بأس الله من كل مكان ، ناكسين على الأعقاب ، راجعين على الأدراج ، وغنم أنصارنا كراعهم وأمواهم وأسلحتهم وخيامهم ، وهام من نجا من استلحام الحديد عاريا ، لا يُلَوَّى أَوَّلٌ على آخر .

وقد سرَّينا في طلبهم الأتراك ركضاً ، والأعراب حثاً ، والأكراد حضاً ، وأمرناهم بأن لا يُكذَّبوا عن نيسابور بإذن الله ، وسيستأسر من أخطأه السيف بمشيئة الله ، إن الله متبع الخاسرين الغادرين ذلاً بعد ذل ، وَوَهناً بعد وهن ، فالجدد لله الذى منح وأنجح ، ومن ، وأحسن ، ويسر ، ونصر ، حمداً يحرس الدولة ، ويحفظ الدعوة ، ويوزعنا شكر ما ذلل لنا من هذا الخطب الذى أعيى القرون ، وأعجز القروم . رسمنا إصدار هذه الجملة إلى أن يُنفذ المبشر بشرح الفتح فى غد ، إن شاء الله . آخر الباب من الفتوح .



## الباب الثاني

### في العهود

#### ١ — عهد قاضٍ ضُمَّ إلى أعماله أعمال

هذا ما عهد مؤيد الدولة أبو منصور بن ركن الدولة أبي على مولى أمير المؤمنين إلى عبد الجبار بن أحمد<sup>(١)</sup> حين ألفاه الكافي فيما استكفاه ، الوافي بما قلده واسترعاه ، قد نهض من قضاء قضائه ، بما أحمد فيه رضى مسعاته ، مؤدياً حق الله في الأخذ بالعدل ، والحكم بالفصل ، والقضاء بموجب الدين ومقتضاه ، والإمضاء على سنن الشرع ومقتضاه ، لا يميل به هواه عند الارتياح ، ولا يختلف مغزاه في الاعتبار والاجتهاد ، الورع مركبه وسيله ، والحق مقصده ودليله ، قد ضربت بحسن مذهبه الأمثال ، وشدت إلى اقتباس علمه الرجال ، فرأى أن يضيف له إلى ما يليه من أحكام مملكته الحكم على آنف ما استضافه بأمر أمير المؤمنين الطائع لله ، أطل الله بقاءه ، إلى مملكته من جرجان وطبرستان وما يجرى مع أعمالها ويعد من سفوحها وجبالها ، برّ ذلك وبحره ، سهله ووعره ، مُمتعاً رعية هذه البلاد بكفائته ، قاسماً لهم حظوظهم من رعيته ودرايته ، فأولى الولاة من جمع فيه الحلم والحجى ، وأكفى الكفاة من أجمع عليه في العلم والثقى ، والله ولى الخيرة فيما يراه ، والبركة فيما أمضاه ، إنه سميع بصير ، وعلى كل شيء قدير .

أمره بتقوى الله مفتاح الخيرات المنجية ، ومغلاق الشهوات المُرّية ، الداعية من استشعرها لباساً ، وجعلها قاعدة وأساساً ، إلى أجدى الأقوال ، وأزكى الأفعال ، وأهدى الأعمال ، وأرضى الأحوال ، الكاسية من أطرحها وراء ظهره ، وصرفها<sup>(٢)</sup> عن سبيله وأمره ، خسران الصفة ديناً ودنياً ، وانحلال الربة أولى وأخرى ، لا تُقبل منه حسناته ، ولا تكفر

— على ما يظهر من هذه الرسالة — جرجان وطبرستان بعد فتحهما .  
(٢) في الأصل : وصرحها .

(١) قاضٍ معتزلى مشهور ولى القضاء بالرى وبما تحت حكم مؤيد الدولة من البلاد عام ٣٦٧ هـ .  
انظر ابن الأثير ٥١٠/٨ . وقد أضيفت إلى أعماله



عنه سيئاته ، يوم تسودُّ وجوهُ المجرمين ، وتبيض وجوهُ المؤمنين ، وينجي الله الذين اتقوا بمغازتهم لا يمسهم السوء ، ولا هم يحزنون .

وأمره بأن يجعل مصباحه في ظلم الأمور ، واستنجاحه في الحكم بين الجمهور ، كتابُ الله الذي أنزله ، وبينه وفصله ، وأودعه ما قدم وما حدث ، ونصبه حجةً على من ورث ووُرث ، لا تُنزَف بحاره ، ولا تُبلغ أغواره ، ولا تكسِف أضواؤه ، ولا تُخلف أنواؤه ، ولا تلتبس مذاهبه ، ولا تنقض عجائبه ، قاطعةٌ أحكامه ، ساطعةٌ أعلامه ، كافٍ لإزمه ، إليه يرجع كل ذاهب ، وبه يُقمع كل ناكب ، ليس عن محجته مَعْدِل ، ولا يستبدل بمحجته مستبدل ، تنزيل من حكيم حميد .

وأمره بأن يتخذ سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم وعلى آله — تاليةً كتاب الله في الاقتداء ، وجاريةً مجراه في الاقتفاء ، إذ كانت العروة التي لا تنفصم ، والعمدة التي لا تنثلم ، والصراط الذي لا يميل ، والبرهان الذي لا يستحيل ، قد رتبها الله بياناً لما أشكل ، ولساناً لما أعضل ، وعياناً لمن غاب ، وإيقاناً لمن ارتاب ، فالتمسك بها ناجٍ يوم الخيفة ، راجٍ للدرجات المنيفة ، والمحل بها مدخولٌ دينه ، خفيفةٌ موازينه ، ومن يرد الله به خيراً يهيء له من أمره رشداً .

وأمره بأن يتلقى الإجماع بالاتباع ، ويحترس معه من الابتداع والاختراع ، فقد خصَّ الله بفضيلته أمتنا دون الأمم الماضية ، وشرفهم به على القرون الخالية . وهو حبل من الله ممدود ، وكنف في دين الله ممهود ، لا تضطرب أسبابه ، ولا يهتِك حجاباه ، ولا تُعمل الآراء مع وجوده ، ولا تُسوَّغ العبرة<sup>(١)</sup> بعد معقوده ، ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نُؤَلِّه ما تولى ، ونُضِلِّ جهنم وساعات مصيرا .

وأمره إذا عرض له ما لم يفصح به الكتاب نصاً وإسماعاً ، وإن لم يُفرِّط فيه تضميناً وإيداعاً ، ولم تأت به السنة كَشْفاً وتنوياً ، وإن اشتملت عليه فَحْوَى وتنبيهاً ، ولم يسبق فيه اتفاق ، لا يسع من بعده افتراق ، أن ينظر نظراً يُفِعمه ، ويُصاير الفكر فيه فلا يسأمه ، فإن الله إذا علم أن الحق بُغِيته ، والصلاح نِيَّتُهُ ، أدَّى به إلى ما يريد ، ووقفه فلا يضل .

(١) العبرة الاعتبار ، وفي مصطلح الفقهاء القياس .



ولا يحدد ، ورفده بصائب الخواطر ، وهياً له أحلى الأشباه والنظائر ، ولم يُبهم سبيل الرشاد دونه ، وجعله بلطفه من الذين يستنبطونه<sup>(١)</sup> .

وأمره بأن يكون اختياره إذا اختار ، وإيثاره إذا اعتمد الإيثار ، من أقوال السلف المشهورين ، وفقهاء الأمة المذكورين ، رحمة الله عليهم أجمعين ، لا يُعرج بالمذاهب الشاذة ولا يتقبلها ، ولا يترخص في الأقوال الشاردة ولا يتحملها ، ويصدر أحكامه عن قولٍ شهير وبيان مستنير ، واستبصارٍ واضح المنهاج ، واعتبار متلائم السراج ، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

وأمره بالاستظهار على أحكامه بالمشورة ، والمباحثة لأولى المعارف الموفورة ، من الفقهاء الذين جعلهم الله للأحكام قنية ، وللإسلام حلية ، فإنه وإن كان موصوفاً بالاستقلال ، فما أحدٌ خلق للكمال ، وقد جعل الله في وفور العدة ، مزيةً لم يجعلها للوحدة ، وعرف في الاستمداد والاستكثار ، فضيلةً لم يوجدوها في الاستبداد والاستئثار ، ثم له الإمضاء إذا استشار ، والقضاء إذا تخير واستخار ، فقد أفصح منصوص الذكر ، بقوله تعالى : وشاورهم في الأمر .

وأمره بأن يهذب نفسه قبل أن يهذب عمله ، ويؤدب عاداته قبل أن يؤدب من قبله ، ويروض أخلاقه على الحلم فإنه أحمد ما اعتاد ، والصبر فإنه أفضل ما ارتاد ، لئلا يقضى في حال قلق أو غلغلة ، أو غيظ أو حنق ، أو ضجر أو ملال ، أو حرج أو كلال ، بل ينظر بين الخصوص ، وقد سدَّ خصائصه ، وقضى عامّة أربه وخاصّته ، واستظهر بملك نفسه وإربه ، وعرك المساخت والمغايظ بمنجبه ، ليؤدى فرض الله في عظيم ما تطوّقه من الفروج والدماء ، ويحتذى أمر الله في جسيم ما اعتنقه من حقوق الدماء ، فإن الله سائله يوم تشهد الأشهاد ، ويُحشّرُ العباد ، عن قليل ذلك وكثيره ، ومحاسبه على صغير ذلك وكبيره ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، إلا في كتاب مبين .

وأمره بأن يعدل بين الخصوص في مجالس قضائه ، ويعمّمهم بحسن استماعه وإصفائه ،

(١) يشير صاحب هنا إلى الآية الكريمة : "ولو ردوه إلى الرسول ، وإلى أولى الأمر منهم" .



ولا يَجْعَلُ بَيْنَ قَدِ غَشِيَتِهِ هَيْئَةُ الْحُكْمِ فَيَحْصِرَ وَيَخْرِجَ ، ولا مِنْ مَلَكَتِهِ رَوْعُهُ الْخَصْمَ ،  
فِي حَسْرِ وَتِلْجَلِجٍ ، ولا يَقْسِمُ لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي لَفْظِهِ إِذَا لَفَظَ ، وَلَحْظِهِ إِذَا لَحَظَ ، إِلَّا مِثْلَ  
الَّذِي يَقْسِمُهُ لِصَاحِبِهِ ، وَيُوجِبُهُ لِمَنَازَعِهِ وَمُجَادَبِهِ ، لِثَلَا يَطْمَعُ قَوًى فِي انْظِلَامِ ضَعِيفٍ ،  
أَوْ يَجْزِعَ مَشْرُوفٍ مِنْ اهْتِضَامِ شَرِيفٍ ، فَالْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ ذِي مَحَلٍّ وَثَرَةٍ ، وَالدِّينُ  
أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ ذِي مَنْزِلَةٍ وَحُظْوَةٍ ، وَلِلَّهِ عَلَى كُلِّ قَاضٍ فِيمَا يَخْفِيهِ فَيْبُطْنُهُ ، أَوْ يَبْدِيهِ فَيَعْلَنُهُ ،  
رَقِيبٌ لَا تَلْحَقُهُ غَفْلَةٌ ، وَحَسِيبٌ لَا تَقْوَتُهُ خَصْلَةٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَمِيدٌ .  
وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَخَيَّرَ كُفَاتِهِ وَخُلَفَاءَهُ ، وَكِتَابَهُ وَأَمْنَاءَهُ ، فَمَنْ نَصَحَ وَعَفَّ ، وَصَلَحَ وَكَفَّ ،  
أَقْرَبَهُ ، وَفَسَحَ لَهُ مَرَّةً ، وَمَنْ صَدَفَ عَنِ التَّوَرُّعِ وَالظَّلْفِ ، وَانْحَرَفَ إِلَى الْجَشَعِ وَالنَّطَفِ ،  
قَدَّمَ غِرْلَهُ ، وَحَسَمَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ كَلَّهُ ، فَالْمَرْءُ مَسْئُولٌ عَنْ بَطَانَتِهِ ، كَمَا هُوَ مَسْئُولٌ عَنْ أَمَانَتِهِ ،  
يَوْمَ تُؤَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ .

وَأَمْرُهُ بَأَنْ يَتَصَفَّحَ الشُّهُودَ تَصَفَّحَ مَنْ عَدَالَةُ الْمُسْلِمِينَ آثَرُ إِلَيْهِ مِنَ الْجَرَحِ ، وَسَلَامَتُهُمْ  
فِي الدِّينِ أَوْقَعُ لَدَيْهِ مِنَ الْقَدَحِ ، فَالْمُسْلِمُونَ بِظَوَاهِرِهِمْ عَدُولٌ ، إِلَّا مَنْ ثَبَتَ مِنْهُ فَسُوقٌ  
أَوْ غُلُولٌ ، وَأَنْ يَخْبُرَ أَحْوَالَهُمْ بَعْدَ أَنْ لَا يَقْبَلُ ظَنِينًا وَلَا عَبْدًا ، وَلَا مَنْ أَقَامَ عَلَيْهِ الْقَذْفُ  
حَدًّا ، وَيَسْتَشْفَهُهُمْ فِيمَا يُصْدِرُونَ وَيُورِدُونَ ، وَيَتَحْمَلُونَ وَيُؤَدُّونَ ، لِثَلَا يَقْدَمَ أَحَدُهُمْ فِي  
شَهَادَتِهِ عَلَى لَبْسٍ ، أَوْ يَهْجُمَ بِهِ ضَعْفُ دِرَايَتِهِ عَلَى زِيَادَةِ أَوْ نَقْصِ ، فَمَا كُلُّ الشُّهُودِ يُؤْتَى <sup>(١)</sup>  
مِنْ سَوْءِ السَّرِيرَةِ ، وَإِنَّمَا يُؤْتَوْنَ مِنْ سَوْءِ الْمَعْرِفَةِ وَالْبَصِيرَةِ ، وَلِذَلِكَ فُضِّلَ مِنْ فَضْلِهِ عِلْمُهُ  
وَقُدِّمَ مِنْ قَدَمِهِ فَهْمُهُ ، هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ .

وَأَمْرُهُ بَأَنْ يَحْتَاطَ عَلَى مَالِ الْيَتِيمِ بِالْإِحْتِيَاظِ الشَّدِيدِ ، فَلَا يَعْوَلُ فِي حِفْظِهِ إِلَّا عَلَى  
الْأَمِينِ السَّدِيدِ ، وَيُؤَكَّلُ بِهِ عَيْنًا مِنْ مَلَاحِظَتِهِ ، وَيَدَأُ مِنْ حِفْظِهِ وَمَحَافَظَتِهِ ، لِيُؤْمِنَ فِيهِ  
الْأَكْلُ بِالْبَاطِلِ ، وَالتَّعْرِيزُ لَخُبَثِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَاءِ كُلِّ ، وَلِيَنْفَقَ مِنْهُ عَلَيْهِ إِنْفَاقًا وَسَطًا فِي  
التَّقْدِيرِ ، بَيْنَ التَّبْذِيرِ وَالتَّقْتِيرِ ، إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْحُلُمَ وَالنِّكَاحَ ، وَيَسْتَكْمِلَ الرُّشْدَ وَالصَّلَاحَ ،  
فِي حَصْلِ مَالِهِ فِي يَدَيْهِ ، وَيُشْهَدَ بِهِ عَلَيْهِ ، وَابْتَلَوْا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ، فَإِنْ آنَسْتُمْ  
مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ، وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا

(١) فِي الْأَصْلِ : يُؤْتَى بِهِ .



فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم  
وكفى بالله حسيبا .

وأمره بأن يضع المواريث إذا دُفعت إليه مواضعها من الاستحقاق والاستيجاب ،  
ويوصلها إلى أربابها بالأنساب والأسباب على فرائض الله فيما سَمَّى وأسهم ، وأبقى بعد  
ما قسم ، وأن يُجْزَى ذوى الأرحام على ما رآه أكثر الأمة ، وقال به جمهور الأمة ، من  
إيجاب التوريث عند فقد ذوى التعصيب ، فلو لم يكن في ذلك إلا حراسة التراث ، عن (١)  
معارضة عمال المعاون (٢) والأحداث ، لوجب تغليب من هذه فُتْيَاه ، والحق فيها غرضه  
ومرماه ، فكيف وقد تُتلى في نص كلام الله : وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في  
كتاب الله .

وأمره ألا يفسخ حكم القضاة قبله إذا كان مما يُسوغ الرأي مثله ، فلو نُقض الاجتهاد  
بالاجتهاد ، لما استقرت أحكام قضاة البلاد ، وإن هو وجد من ذلك ما خالف إجماع  
الحجة ، وخرج عن اتفاق الأمة ، أتى فيه ، ما يلزمه في تلافيه ، فالباطل أولى بأن يُدفع ،  
والحق أحق أن يتَّبَع .

وأمره بتزويج الأيامي اللاتي ولايتهن إليه ، وعقدتهن بيديه ، متخيِّرا الأَكْفَاء ،  
وطالبا في الصدقات الوفاء ، علما أن تقديم ذلك أدعى إلى العفاف ، وأرجى للكفاف ،  
وأقرب إلى العدل ، وأبعد من العُضْل ، وقد قال الحكيم الرحيم في القرآن المبين : وأنكحوا  
الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، إن يكونوا فقراء يُغْنهم الله من فضله ، والله  
واسع عليم .

وأمره بأن ينصب للوقوف من يحسن وقوفه عليها وقيامه ، ويصدق اشتغاله بها  
واهتمامه ، لئلا تبور أصولها بالضَيَاع ، أو تفوت حقوقها باقتطاع ، ولتجرى أقسامها على  
ذُلِّها ، وتُصرف في وجوهها وسُبُلها ، وتحمى عن مكائد من يسعى في نقضها برأي من  
آراء المجتهدين ، ويتأتى لحلها بفتوى من فتاوى المختلفين ، فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه  
على الذين يبدلونه .



وأمره إذا ثبت عنده الإعسار أن يُنظر ويُمهّل ، ويُؤخّر ويُؤجّل ، فإن الله فرق بين ذى المتربة والمقدرة ، فقال : وإن كان ذو عُسْرَةٍ فَنِظَرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ .

وأمره أن ينصب لحفظ السكك في دور الضرب أمناء يحرسون العيار ، ويعرفون السبك والاعتبار ، ليكون ما يُطَمِّع على الإمام العلوم ، والمثال المرسوم ، فلا يستطيع من أراد دَغَلًا ، أن يوقع خَلَلًا ، فتجرى المعاملات على السداد ، وتُحَفَظَ النقود عن الفساد ، والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

وأمره إذا رُفِعَ إليه ما يوجب حداً أو قطعاً ، أو قتلاً ، أو جلدًا ، أن يأخذ بأبعد المذاهب من إباحة ظهر المسلم فإنه الحى ، وإراقة دمه فإنه الحرمه العظمى ، وإبانة أعضائه فالأصل الحظر ، ولا إطلاق ما استعجم الأمر ، وأن يُجَرَّدَ عند ذلك المسألة عن البيّنات ، ويأخذ بالسنة في درء الحدود بالشبهات ، فإن وضع له ما يوجب إقامة الحد أنهاه ونقذه بحكم الله ، ولم تأخذه رأفة في دين الله .

هذا عهدنا إليك ، وعهد الله به عليك ، لم نألك فيه تذكيرا ، وإن كنت به بصيرا ، ولم ندّخر عنك بيانا ، وإن كنت تقتله علما وإيقانا ، فاستخر الله المقيت يُلقك سَدَدًا ، ويؤتلك ما بقيت رشدًا ، إليه تفويضنا فيما نبدي ونعيد ، وعليه <sup>(١)</sup> تعويلنا فيما نعزم ونريد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

## ٢ — وله عهد في الحسبة

هذا كتاب من مؤيد الدولة أبي منصور بن ركن الدولة أبي على مولى أمير المؤمنين لفلان . إنا لما أُنْهِى إلينا ، وتناهى فى الوضوح لدينا ، من علمك المشهود ، وسترك الممدود وموقعك فى أعيان الفقهاء ، وموضعك من الاضطلاع والغناء ، رأينا اعتمادك لما صدق به اهتمام الأئمة ، ومست إليه حاجة الأمة ، من الحسبة التى تنظم مصلحة الكفاة ، وتجمع مراة الحق إلى حلاوة الرأفة ، ففوضناها بالرى وأعمالها إليك ، ناظرين للرعية ، وطالبيين فيها وجه المزية ، إذ الاحتساب مشتمل على الأمر بالمعارف والزجر عن المناكر والتواصى

(١) فى الأصل : وعلينا .



بالحمد والتناهي عن المقابح . والله ولي إرشادنا وتأييدنا ، وإسعادنا وتسديدنا ، نعم الوكيل ،  
وعليه التعويل .

فباشر ما عَصَبَنَاهُ بِكَ ، مُؤَثَّرًا تَقْوَى اللَّهِ ، فَهِيَ الْعُدَّةُ وَالْعَصْرَةُ ، وَالنَّجْدَةُ الَّتِي فِيهَا  
النَّصْرَةُ ، وَالْحِجَةُ الْأَمْنَةُ مِنَ الْإِخْتِلَالِ ، وَالْمَنْجَاةُ السَّالِمَةُ مِنَ الْإِعْتِلَالِ ، مَنْ اعْتَصَمَ بِحَبَالِهَا ،  
وَتَدَرَّعَ بِسِرْبَالِهَا ، تَقَدَّمتْ خَطَاؤه ، وَسَلَمَتْ دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ ، وَمَنْ زَاغَ عَنْ مَقْتَضَاهَا ، وَرَاغَ  
عَنْ مُقَضَّاهَا ، اتَّصَلَ عَثَارُهُ ، وَأَثْقَلَتْهُ أَوْزَارُهُ . وَأَوَّلَى النَّاسِ بِاتِّبَاعِ مَنْارِهَا ، وَإِقَامَةِ شَعَارِهَا ،  
مَنْ عَدَّ فِي ذَوَى الْعِلْمِ وَالِدْرَايَةِ ، وَاعْتَدَّ فِي أَوَّلَى الْفَهْمِ وَالرَّوَايَةِ ، إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ  
عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ .

وَنَفَّذَ مَا اسْتَرْعَيْتَهُ بَيْنَ عَفَافٍ يُهْتَدَى فِيهِ بِهِدَاكَ ، وَيُقْتَدَى بِمَقْصِدِكَ وَمَغْزَاكَ ، فَإِنْ  
مِنْ أَصْلَحَ مِنْ نَفْسِهِ تُقْبَلُ دَعَاؤُهُ إِلَى الْخَيْرَاتِ ، وَامْتَثِلْ قَوْلَهُ فِي الْكَفِّ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ ،  
وَبَيْنَ غُلْظَةٍ عَلَى أَهْلِ الْفُسُوقِ تَقُومُ دَرَأُهُمْ وَتُثَقِّقُهُ ، وَتَهْدِبُ مَائِلَهُمْ وَتُوقِفُهُ ، فَهَذِهِ الْعَصْبَةُ  
مَتَى لَمْ تَرَجَانِبَا مَنِيعًا ، وَلَمْ تَخْشَ إِنْكَارًا وَسِيْعًا ، انْهَمَكْتَ فِي شَهَوَاتِهَا ، وَتَدَارَكْتَ عَلَى سُوءِ  
عَادَاتِهَا ، وَلَبِنَ عَلَى الْمَشْهُورِينَ بِالْإِسْرَافِ وَالْعَفَافِ ، لِيَرْغَبَ الْمُتَمَارِزُونَ فِي الْإِنْخِيَارِ إِلَيْهِمْ ، فَذَلِكَ  
أَقْوَمُ قِيْلًا ، وَأَهْدَى سَبِيلًا ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

وَاهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمَعَايِيرِ وَالْمَكَايِيلِ ، وَالْقِسَاطَاتِ وَالْمُوَازِينَ ، اهْتِمَامًا يَقْتَضِيهِ افْتِقَارُ الْمَعَامِلَاتِ  
أَجْمَعِ إِلَيْهَا ، وَرَجُوعُ الْمُبَايَعَاتِ عَلَيْهَا ، فَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نَصِّ الْمَصْحَفِ ، وَزَرَ الْبَاخِسِ  
وَإِثْمَ الْمَطْفَقِ ، فَقَالَ : وَيَلُ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا  
كَالُواهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ .

وَأَجْرُ الرِّعْيَةِ ، عَلَى طَرِيقَةِ سُوِيَّةٍ ، فِي الْمَنْعِ عَنِ الْجَاهِرَةِ بِمَا يُحْظَرُ ، وَالْمُبَادَرَةِ بِمَا يَنْكَرُ ،  
غَيْرَ مَفْرَقٍ بَيْنَ أُنْبَاءِ الثَّرْوَةِ وَالْيَسَارِ ، وَإِخْوَانِ الْخَلَّةِ وَالْإِعْسَارِ ، فَالْجَمَاعَةُ عِبِيدُ اللَّهِ ، لَا تَخْتَلِفُ  
فِيهِمْ حُدُودُ اللَّهِ ، بَلِ الْأَغْنِيَاءُ — إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ — أَجْرًا عَلَى الْمُنَاكِيرِ ، وَأَقْدَرُ عَلَى  
بُلُوغِ اللَّذَاتِ بِالتَّبْذِيرِ ، إِنْ أَكْرَمَكَ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ .

وَأَلَزَمَ النِّسَاءَ إِذَا تَخَلَّلْنَ الْأَسْوَاقَ <sup>(١)</sup> وَالْحَالَ ، وَدَاخِلْنَ الشُّوَارِعَ وَقَابِلْنَ الرِّجَالَ ، أَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : الْأَسْوَاقُ .



يُضْرَبُ بِجُمْرِهِنَّ<sup>(١)</sup> عَلَى جَبْوَهِنَّ ، وَيَمْدَدْنَ جَلَابِيهِنَّ عَلَى وُجُوهُنَّ ، فَذَلِكَ أَدْفَعُ لِلْمَحْصَنَةِ الْفَاسِقَ وَنَظَرَتَهُ ، وَأَسْلَمَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ وَعَفَتَهُ ، وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِغَضِّ الْعْيُونِ كَمَا أَمَرَ بِتَحْصِينِ الْفُرُوجِ ، قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ .

وَرَاعَ السَّلْعَ مِرَاعَةً تَحُوطُهَا عَنِ الْغَشُوشِ ، فَأَتَمَّهَا عَظِيمًا ، وَوَزَّرَهَا جَسِيمًا ، وَلَهَا إِفْسَادَ الْبَيَاعَاتِ ، وَتَحْرِيمَ لِلْمَعَامَلَاتِ ، إِلَى الْوَكْسِ الْبَاخِلِ عَلَى أَهْلِ الْمِلَّةِ ، وَأَوَّلَى الْعَهْدِ وَالزِّمَةِ ، وَمَنْ صَحَّ إِصْرَارُهُ عَلَى اسْتِعْمَالِهَا ، وَإِقْدَامِهِ عَلَى وَبَالِهَا ، فَبَالِغٌ فِي تَقْوِيمِهِ يَصِرُّ مِثْلَةً لِمَنْ سِوَاهُ ، وَعِبْرَةً لِمَنْ يَجْرَى مَجْرَاهُ ، إِنْ اللَّهُ لَا يَرُدُّ بَأْسَهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمَاجِرِينَ .

وَأَمْنَعُ مِنْ سَدِّ الشَّوَارِعِ دُونَ السَّابِلَةِ بِأَمْتَعَةِ الْبَاعَةِ وَآلَاتِهَا ، وَبِضَائِعِهَا وَأَدَوَاتِهَا ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَضِيقَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَرَقَهُمْ ، وَيَشْخَنَهَا بِمَا عَسَى أَنْ يَعُوقَهُمْ ، لِيُزِمَ كُلُّهُمْ مِنْهُمْ مَوْضِعَ بَيْعِهِ وَشِرَاهُ ، لَا يَتَخَطَّاهُ وَلَا يَتَعَدَّاهُ ، إِنْ أَذَى الْمُسْلِمَ حَرَامٌ ، وَحَبَّازُهُ دُونَ مَجَازِهِ آثَامٌ ، إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ .

وَحُذِّ أَهْلَ الزِّمَةِ بِلِبْسِ الْغِيَارِ ، وَعَقْدِ الزَّنَارِ ، وَالتَّمْيِيزِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَلْبَسَهُمُ اللَّهُ ثَوْبَ الْعِزَّةِ ، وَأَفْرَدَهُمْ حَتَّى فِي الشُّعَارِ وَالْبِرِّزَةِ ، وَحَامَهُمُ الذَّلَّةَ وَالْهَوْنَ ، وَأَعْلَاهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْبَشَرُ كُونَ .

وَقَدْ أُذِّنَ لَكَ فِي حَبْسٍ مِنْ يَجِبُ حَبْسُهُ ، وَتَأْدِيبٍ مِنْ تَعْرِفُهُ نَفْسُهُ ، لَتَعْمَ الْمَصْلَحَةُ وَتُقْلِعَ الْمَفْسَدَةُ ، وَيُخَفَّ الْعَنْتُ وَتُكَفَّ الْمُرْدَةُ ، بَعْدَ الْأَتَدَعِ تَقْدِيمِ الْإِنْذَارِ ، وَالتَّقْوِيمِ بِالْإِنْكَارِ ، فَإِنْ نَجَحَ الْقَوْلُ فَذَلِكَ أَقْرَبُ مَأْخُذًا ، وَأَرْشَدُ مَنْفَذًا ، وَإِنْ اِحْتَجَّجَ إِلَى تَعَدِّيهِ فَلَا إِقْصَارَ دُونَ الْقِيَامِ بِحَقِّ اللَّهِ وَلَا اقْتِصَارَ<sup>(٢)</sup> عَلَى مَا يُغْرِى بِسَخَطِ اللَّهِ ، إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ .

هَذَا مَا عَهْدَنَاهُ إِلَيْكَ ، فَاسْتَمِرَّ عَلَى مَنَاجِحِهِ ، وَاهْتَدِ بِسَرَّاجِهِ ، وَإِنْ عَرَضَ مَا يَقْتَضِيكَ الْاسْتِمَارَ ، لَا الْاسْتِثْنَاءَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنَ التَّبْصِيرِ مَا يُخْرِجُ عَنْ وَحْشَةِ الْاسْتِبْدَادِ وَالْإِنْفِرَادِ ، إِلَى أُنْسَةِ الْاسْتِظْهَارِ وَالْاسْتِمْدَادِ ، وَاسْتَخِرَ اللَّهُ تَعَالَى يَحْزَرَ لَكَ ، وَيَسُدُّ عَمَلَكَ ، نَعْمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ النَّصِيرُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : وَالْإِقْتِصَارُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : بِجُمْرِهِنَّ .



### ٣ — و ل ه

هذا ما عهد مؤيد الدولة أبو منصور بن ركن الدولة أبي على مولى أمير المؤمنين إلى عبد الجبار بن أحمد ، حين ولاه قضاء القضاة بالرى وقزوین وسهرورد و قم وساوة وما یجرى معها ، ویتصل بها ، علما بما لديه من علم یهتدی بأضوائه ، وورع یستسقى بأنوائه ، وكفاية یکنفها الحلم والحجی ، وأمانة یبعثها النسك والتقى ، وموقع فی علیة أهل الدین ترمقه النواظر ، ومكان من صفوة المسلمين تعقده الخناصر ، والله ولی الإرشاد ، والمعونة علی حسن الارتیاد .  
أمره بتقوى الله ومراقبته ، وتخوف سطوره ومعاقبته . إن التقوى زمام الأفعال الصالحة ، وإمام الأعمال الراجحة ، من لجأ إليها أتاه التوفیق فی مصارفه ، وواتاه السداد فی مواقفه ، ومن مال عنها تحاماه الرشاد فی أنحائه ، وتخطاه الصواب فی آرائه ، ومن یتق الله یجعل له من أمره یسرًا ، ذلك أمر الله أنزله إلیکم ، ومن یتق الله یكفر عنه سیئاته ، ویعظم له أجرا .  
وأمره بأن یجعل القرآن قبله مساعیه ، ووجهة مطالبه ومباغیه ، فینصب إلیه تالیا ، وینتصب له قارئًا ، ویخلو به متدبرًا ، ریواظب علیه متبصرًا ، فهو حادی الحکم ، وهادی الأمم ، والجلاء عند الاشتباه والاستعجام ، والضياء فی مشكلات الإعضال والاستبهام ، من فزع إلى ذخائره أثری من المرشد واستظهر ، ومن عدل عن بصائره أقوی من الحماد وأعسر ، فلو أنزل علی الجبال لخشعت ، أو علی الأطواد لتصدعت ، ما فرط فیهِ ، ولا تجوز فی أواصره ونواهیهِ ، تنزیل من حکیم حمید .

وأمره بأن یتخذ سنة رسول الله — صلى الله علیه وعلى آله وصحبه — مرجعا ، ویرضى بها مرآداً ومُنْتَجَعًا ، فیرد إلیها أحكامه ، ویلتمس منها حلال الدین وحرامه ، إذ كانت العدة إذا اشتبهت الأمور ، والعمدة إذا اختلفت<sup>(١)</sup> الجمهور ، وفیها تفصیل ما أجملته النصوص ، وتبیان ما اعتوره العموم والخصوص ، تنكشف بها<sup>(٢)</sup> الشبه ، ویؤمن بها<sup>(٣)</sup> العمه ، محبتها بیضاء ساطعة ، وحجتها غراء قاطعة ، من یطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك علیهم حفیظا .

(١) فی الأصل : اختلفت .

(٣) فی الأصل : به .

(٤) فی الأصل : به .



وأمره بأن يتلقى سالف الإجماع بحسن الاستماع والاتباع إذ كان حبل الله المقود لا تُنتكث قواه ، وظله الممدود لا تستباح حماه . فضل الله به أمتنا على الأمم ، وجعل كلمتها فيه فوق الكلم ، حتى وسماها في كتابه بالوسط ، وأمننا فيها من الخطأ والغلط<sup>(١)</sup> ، لا يُخشى على اتفاقها عوارض الالتباس ، وقد جعلها الله خير أمة أخرجت للناس ، فليس لدى حكم ونظر ، وآخذ بتأويل آية أو خبر ، أن يخالف ما أطبقت عليه الأمة ، وسبقت إليه الأئمة ، بل عليه التسليم والافتاء ، والتفويض والافتداء ، ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونُضله جهنم وساءت مصيرا .

وأمره إذا عن ما لم يشتمل الكتاب عليه تعيينا ، ولا كشف عنه الأثر تبينا ، ولا سبق به الإجماع يقينا ، أن يُعمل فيه اجتهاده طويلا ، ويُنهض له ارتياده بُكرةً وأصيلا ، ويستشهد مُودع النص وفواه ، ويستنجد موجب الأثر ومقتضاه ، ويقيس الأشباه والنظائر ، ويستنبط الأمارات والدلائل ، فذاك الجدّد الذي كان السلف الصالح — رحمهم الله — يسلكونه وقال الله تعالى . لعلمه الذين يستنبطونه .

وأمره إذا عارض في الأحكام ما يعضل استخراجيه ، ويستبهم رتاجه ، أن يتبين ويتنقذ<sup>(٢)</sup> ، ويفكر ويجهّد ، ويستشير أمثال العلماء ويستمد ، ويأخذ من آراء الفقهاء ولا يستبد ، حتى إذا وضحت له القضية أكمل فضل الاستشارة بيمين الاستخارة ، وأهضى من الحكم ، ما يأمن فيه مصارع الظلم ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون .

وأمره بأن يواصل النظر بين الخصوم ، والأخذ من الظالم المظلوم ، فاتحا لذلك بابه ، ومُلبّنا حجابيه ، ومسويا في الخصومة إذا اشتجرت ، والألحاظ إذا تصرّفت ، والألفاظ إذا جرت ، بين الغنى المثرى ، والفقير المُقوى ، والقوى الموقر ، والضعيف المستحق ، فليس بالثراء تشرف المنازل وترتفع ، ولا بالإقواء تضعف الوسائل وتضع ، وبعد فكلّ عباد الله يسعهم فضله ، وشرع في حكم الله يشملهم عدله ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

وأمره بأن يدرع الهينة ، ويؤثر الوقار والسكينة ، ليعشّي ما استكفّيه جمالا ، ويوفّي ما استرعىه جلالا ، ويسير سيرة لا الضعف يتخللها فيوهنها ، ولا العنف يتجللها فيهبها ،

(٢) في الأصل : يتايد هكذا .

١ يشير إلى الأثر المروي "لا تجتمع أمتي

على ضلالة" .



لتستمر أحواله مكنوفة بالمحاسن ، محروسة عن المطاعن ، مروية في السير الصالحة ، حمية عن الألسن القاذحة ، متوكلاً على ربه ، في قل أمره وكثره ، وصغر شأنه وكبره ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

وأمره بأن يتخير لأحكامه الأوقات التي يجمع لها لُبه ، ويملك فيها إرْبه ، ويأمن معها منازعة الوطر ، ومساورة الضجر ، لتصدر قضاياه عن رأي مُستَجْمِع ، وصدر مُتَّسِع ، ونفس مُرَاحَة ، وعلل مُزَاحَة ، ذا كراً عند القضاء ، فصل القضاء ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وأمره بأن يتسلم ديوان القضاء من المتولى — كان — قبله بمحاضره وسجلاته ، ومثابت حججه وبيّناته ، وذكر المحتبسين بمبالغ الحقوق وأسماء الخصوم ، ويعرضه بفهرست يعقده فهو جامع للمسلمين حقوقاً جمّة ، وعقوداً مهمة ، ويؤكّل به من ثقاته من يحوطه عن الأيدي الممتدة ، والأطاع المشتدة ، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين .

وأمره بأن يختار لخلافته على قضاء البلدان المقررة في يده ، المذكورة في عهده ، ولكتابته ، وسائر ما يتولى من جهته ، من يجمع إلى الرّعة عزوفاً عن النّطف ، وإلى المعرفة عكوفاً على الظّلف ، ويطالع أخبارهم ، ويشارف آثارهم ، فن زاع عن الطريقة المثلى ، ولم يخش وخيم العُقبى ، صرّفه زجراً وتحذيراً ، وردعا ونكيراً ، ومن استقرّ على الحسنى ، وسلك الحجة الوسطى ، أقرّه بعثاً لمثله ، على الأخذ بهديه ، والاقتداء بسعيه ، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

وأمره بأن يستشفّ أحوال الشهود ويستكشفها ، ويبالغ فيها حتى يتعرفها ، فعليهم مدار الأحكام ، وبهم استقرار النقص والإبرام ، فن ألقاه ستيراً سديداً ، حراً مسلماً رشيداً أحله محل المزكّين أعمالاً ، المقبولين أقوالاً ، ومن ارتاب في أمره ، وامترى في ستره ، وقف ببابه إلى أن ينحسر وجه ارتيابه ، ومن انكشف له عن ظنّة لا تؤمن معها مضرتة على الدين ، أو شهادة زورٍ تسكّر بها معرّته على المسلمين ، جرحه جرحاً ظاهراً ، وكفى الناس شره مجاهراً ، فقد قرن الله قول البهتان بعبادة الأوثان ، فقال : فاجتنبوا الرّجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور .



وأمره بإقامة الحدود على مستحقيها إذا وجبت ولزمت ، وقامت بها البيّنات وانتظمت ، وأن يدرأها بالشبهات ما أطاق ، ويَحْتَقِنَ الدم ما جاز ألا يراق ، ولا تأخذه في إمضاءها على حقها رافة مانعة ولا ملالة دافعة ، فقد نبه الله على ذلك تنبيه الزاجر فقال : ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر .

وأمره بأن يحتاط على الوقوف أشد احتياط وأوفاه ، وأحفظه لما لها وأوقاه ، ويعتمد فيها على أمناء يَعْقُونَ عن خَبْثَةِ<sup>(١)</sup> المطاعم ، ويكفون عن خطّة المآثم ، لتصل ثمراتها إلى أصحابها ، وتُنْفَقَ في سبلها الصادرة عن أربابها ، وليوضع ما يجب إنفاقه على المساجد الجوامع ، وإنفاذه إلى الثغور والمصانع ، مواضع الاحتياط ، فتؤمن عوادي التخون ، وتنقبض أيدي الخيف والتخرم ، وتحصل بذلك الزلفة عند الله تعالى ، وما عند الله خير وأبقى .

وأمره بمراعاة العيار ، في هذه الأمصار ، ومطالعة أحوال السكك لتَجَرَّدَ في الحرم كلّ سنة على الشّنة في مثلها ، ويُبْطَلَ مَحْوًا وكَسْرًا ما كان منقوشا قبلها ، وأن يحتاط على الإمام المقرر لدار الضرب بالحمدية عينا وورقا ، ويؤغز إلى صاحب العيار بالتحفظ ممن يوقع غشا ، أو يُعْمِلَ دَعْلًا ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين .

وأمره بتزويج الأياحي اللاتي إليه ولايتهن ، ولا وليّ سواه لهن ، أو يريد الأولياء عضلهن ، إذا وجد الكفء وحلّ العقد ، وبُذِلَ صداق المثل ، ولم تحجز شبهة ، ولم تبقَ عِدَّة ، كما قال الله تعالى في كتابه المبين : وأنكحوا الأياحي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، إن يكونوا فقراء يُعْظِمَ اللهُ من فضله ، والله واسعٌ عليم .

وأمره بالاحتياط على مال اليتيم الحاصل في حجره ، اللازم له تدبّر أمره ، وأن ينفق عليه إنفاقا قصداً ، ولا يُلْقِيَهُ إِسْرَافًا ولا جهداً ، حتى إذا بلغ الحلم ميّزاً بين مصالحه ومفاسده ، ومَصَالِّهِ ومراسده سلّم ماله إليه ، وأشهد به عليه ، قال الله تعالى ، وقوله الحق ، وأمره الحتم : وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً ، فادفعوا إليهم أموالهم ، ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ، ومن كان غنياً فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل كل المعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً .

(١) خَبْثَةٌ بكسر فسكون ففتح : الخبيث



وأمره بحبس من يثبت الحق في ذمته ، ويطالب الخصم بحبسه على توفيته لحقه ، إلى أن يبرأ مما حبس [ عليه <sup>(١)</sup> ] أو يخرج منه على واجبه ، أو تقوم البيّنة على إعساره ، فيؤخذ بحكم الله في إنظاره ، كما قال الله تعالى : وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة .

وأمره بأن لا يفسخ حكم من تقدّمه ، ولا ينقض ما أبرمه ، إلا إذا كان للإجماع خارقا ، وللسان الأمة مفارقا ، فإذا وجد ما قد خرج عن تأويل المتأولين ، وقول المختلفين ، فله أن ينقضه ويتعقبه فيدّ حَصَه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

هذا ما عهدنا إليك فاقنف دليله ، واحتذ تمثيله ، واستهد الله يهدك ويُرشّدك ، واستكفّه يُعِنّك ويُسدّدك ، إليه نفوّض ، وعليه نعوّل ، وهو حسبنا ، ونعم الوكيل .

#### ٤ — ولله

هذا ما عهد مؤيد الدولة أبو منصور بن ركن الدولة أبي على مولى أمير المؤمنين إلى إسفهلار بن كوريكنج <sup>(٢)</sup> مولى أمير المؤمنين حين ولّاه أعمال الصلاة والحرب والأحداث والمعاون وسائر وجوه الجبايات بقزوين ونواحها ، إلى الأعمال التي كان يليها ، مقدّرا فيه حُسن الاضطلاع ، والوفاء بحق الاصطناع ، والأخذ بالهدى الصالح ، والتأدب بالسعى الرابع ، والله ولي التوفيق والتسيد لأحمد نهج وطريق .

أمره بأن يتقى الله حقّ تقاته ، ويحذر عظيم نقماته ، ويراقبه في سرّ أمره وجهره ، ويخشاه في بطن حاله وظهره ، فذلك المشرّع الذي من ورده فاز ونجا ، والمهيّع الذي من تنكبه ضلّ وغوى ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وأمره بإقامة الصلوات على المفروض والمسنون من حدودها ، واستعمال الخشوع في ركوعها وسجودها ، وحراستها عن التأخير والمهل ، وحياطتها من <sup>(٣)</sup> التسويف والكسل ، لتؤدّي على شرائط القبول ، وتُحمّى عن عوارض الخداج <sup>(٤)</sup> والغلول ، ويقام شعار الدعوة

(١) في الأصل : على .

(٢) الخداج : النقص .

(١) زيادة يقتضيا السياق .

(٢) هو أبو منصور بن كوريكنج الملقب بالإسفهلار صاحب قزوين . انظر ابن الأثير



على ماضى السنّة فإنه نظام الجماعة ، وعنوان الطاعة ، وقوام السعادة التامة ، وملاك الخاصة والعامة ، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا .

وأمره بأن يتدبر لوازم القرآن وأوامره ، ويتجنب نواهيه وزواجره ، ويقتفى ما أوصحته السنّة من مجمله ، ودلّ عليه الإجماع من متأوّله ، وأرشد إليه الاجتهاد من ودائع منزّله ، فإنه الشفاء من كل معضل ، والجلاء لكل مُشْكَل ، والبصيرة عند اعتراض العمّة ، والواضحة عند اعتراء الشبهة ، من اعتمد عليه غنم ، ومن ألدّ فيه قُصم . كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على سيد المرسلين ، صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

وأمره بإشاعة العدل بين الرعية ، وحملهم على الحجّة السويّة ، والنظر بالنصفّة بين المستظهر الموسر<sup>(١)</sup> والمُرمَل القوي ، ليرتفع التغالب والتجاذب ، ويعم التعادل والتناصف ، ويأمن الضعيف سطوة القوى ، والفقير غزّة الغني ، فإن الكل من عباد الله ، وشرع في شرائع الله ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

وأمره بأن يجري الخراج والمواقفات وسائر أهل المعاملات على رفوتهم<sup>(٢)</sup> المقدرة ، وشروطهم المقتنّة ، ويستوفى حقوق بيت المال في محالها ونجومها ، وعلى عقودها ورسومها ، لا حيف ولا إغفال ، ولا جفّ ولا إهمال ، ليكون ما يورده ويصدره ، ويقبضه ويدبره ، واقفا مع السيرة العادلة والنصفّة الشاملة ، فإن الله تعالى عالم بما يخفى ويعلن ، ويبدى ويُبطن ، وكان الله بكل شيء عليما .

وأمره بأن ينفذ الطرق عن أهل العيث والفساد ، ويشحنها بأولى الجلد والجلاد ، لتحاط عن الخراب ، وتعمّر بالمير والأجلاب ، وتؤمّن عوادي المتلصّصة على الرُفْق والقوافل ، والجوّد والعوادل ، وتشمل الأمانة فتنتظم ، وتنحسر الخفاة وتنحسم ، فمن ظفر به من قطاع السبيل ، قابله بالعقاب والتنكيل ، إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوْا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

كلمة رفوتهم بمعنى الأوامر ولعلها جمع رفّت الفارسية ومعناها ذهب ، ويكون معناها هنا الأوامر الماضية .

(١) في الأصل : الموتر  
(٢) في الأصل هكذا : رفوتهم وتكرر في الرسائل



وأمره بأن يُعَظَّم النصب للحكم ويُكَبَّره ، ويعزَّره ، ويوقِّره ، إذ الأحكام أولى الأمور بالاهتمام ، وأجلها في شرائع الإسلام ، والمتولَّى لها معتمدٌ لصلاح الدماء ، ومؤتمنٌ على الفروج والدماء ، وأن يقبض الأطماع عن المعارضة فيما يورده ، ويصدره ، ويمضيه ويقرره ، ويقصر الأبوابَ عن مجبسه ويطلقه ، ويفرج عنه ويوثقه ، وأن يُلزم الموسوم <sup>(١)</sup> باللعونة إحضار من عسى أن يتأبى عليه ، أو يتقدَّم بسوء القول والفعل بين يديه ، إن الله لا يضع أجر المحسنين .

وأمره بتخيّر أصحابه ومتصرفيه وكتابه ، إذ كانوا السفراء بين الرعية وبينه ، والمباشرين لكثير من الأمر دونه ، وأن يأخذهم بالتزهد والظلف ، ويزجرهم عن الشره والقطف ، ويقبض أطرافهم عن الرعايا أجمعهم ، ويؤكِّل بهم عيونا لا ترد عن تصفّحهم وتبعهم ، فمن كانت الثقة سبيله ، والرّعة دليله أقرّه على أمره ، وشرح بالإحسان من صدره ، ومن ألقاه خبيث المطعم ، جريئاً على المأثم ، لا يكفّ عن المأكّل الذميم ، ولا يعفّ عن المشرّع الوخيم ، صرفه وأبعده ، ونبذه وشرّده ، إن الله يأمر بالعدل والإحسان .

وأمره بأن يُلزم متولّى دار الضرب إثبات الصحة ، ويقوى المنصب للعيار على حفظ السكك ، ويُلزمهما اتباع الإمام المنفَّذ من الحضرة لئلا يعترض — بعدُ — مخالف ، أو يروّج بهرَج أو زائف ، ومن عرف منه إذهاباً في ذلك وقلة أمانة ، وإجراً إلى غشٍّ أو اجتراء على خيانة ، تُركَ عبرةً للنّاظر ، ومثلاً للنواظر ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين .

وأمره بأن يأخذ أهل الزمة كلّ حولٍ بجوَالِي <sup>(٢)</sup> رؤوسهم ، المستبقية لأرواحهم ونفوسهم ، فيستوفى على كلّ حالم جزيته ، ويحصن بها مهبته ، ولا جالية على معضوب ولا شيخٍ فانٍ ، ولا على الأنث والولدان ، بل يُلزمها الأصحاء البالغون ، ليؤدوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون . وأمره باستيفاء الصدقات على العدِّ والإحصاء ، وحوطها عن الظلم والاعتداء ، واختيار السعاة النصحاء لها ، واستكفاء الكفاة الصلحاء فيها ، لا جمع بين مفترق ، ولا تفريق بين مجتمع ، ولا يد على أكوْلَة <sup>(٣)</sup> الراعى وغل الغنم ، ولا رخصة في اختيار الأعيان

(٣) أكوْلَة الراعى : الشاة التي تُعزّل للأكل وتسمّن ، ويكره لصاحب الصدقة أخذها .

(١) الموسوم باللعونة : هو القائم بأمر الشرطة .  
(٢) الجوالى جمع جالية ويريد بها صاحب الجزية على أهل الزمة .



والعِمَّ (١)، فقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام في الأوامر التي بعثه لها : خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها .

وأمره بأن يؤثّر (٢) الأمر بالمعارف أشدّ إيثار ، ويتعمّد المناكر بأعظم الإنكار ، فهما مفروضان بحسب الإمكان ، وموجبان على اختلاف الأزمان والأديان . لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصَوْا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون .

وأمره بحراسة المسكילים والموازين عن التطفيف والبخس ، والزيادة والنقص ، فشأنها عظيم ، والمتسمّح فيها أثيم ، وقد أنطق الله بالوعيد في ذلك كتابه المبين وأنزل في نصه : ونيلٌ للعطفين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون .

وأمره إذا ارتفع إليه فيما يوجب حداً ، ويُلزم قوداً ، أن يثبّت في تعرف البنات ، ويصل على درء الحدود بالشبهات ، فإذا ثبت لديه ما يصحّحه النظر ويحقّقه ، وتحمّاه (٣) الشبهة فلا تعوّقه ، كتب مُصَوِّراً مستأمرأ ، وأصدر كتاب الحاكم قبّله مستظهاً ، ليأتيه من الأمر ما يُبرمه ، ومن الحكم ما يرتسمه . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون . وأمره بأن يحفظ على المسلمين أباقيهم إلى أن يُعادوا إليهم ، وضواهم ولقّطهم لتُرد — بالتعريف — عليهم . ومن اشتبهت حاله فلم يُهتَدَ لصاحبه ، وما استمر استعجابه ، فلم يُظنّر بمالسه وُضِعَ على يدي موثقٍ به يُسكَنُ إليه ، واستُطْلِعَ الرأى فيما يُفعل عليه . إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها .

وأمره بأن يستكنّى سوق الرقيق عفيفاً في نفسه ، مالكا لإزبه ، خشنا في دينه ، خاشياً لربه ، لِيَكْتَبَ العهد بعد صحة الرق ، في الأمان من الحرية والعق ، ويحتاط على الإماء ، فإن أمرهنّ متصل بشواجر الأنساب ، وبواشج الأحساب ، ومراعاة أحوالهنّ في المواقيت ، أَمْنٌ من دخول الفساد على المواليد ، قال الله تعالى في محكم الفرقان : واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام .

(٣) في الأصل هكذا : معاه .

(١) العِم جمع عيمة ، وهي خيار المال .

(٢) في الأصل : يورث .



وأمره بأن يُغشى العوامَ ظلَّ هيبته ليردعها عن التحزب ، ويمنعها من التعصب ، ويدفعها عن التباين والتدابير والتوصل<sup>(١)</sup> باختلاف المذاهب إلى التماهى والتنافر ، ليقبل كلُّ على عمارة ما آثره لمعاده ، ويشغل بالإقامة على ما تخيره لزاده ، إلا من قال قولاً خرج عن إطباق الأمة ، وخرق إجماع الحجة ، فإن للسلطان — دون الرعية — استكشاف ما أتاها ، والمعاقبة بما يراه ، ومن خالف هذا المنار المضروب ، والمثال المكتوب ، موقدا نار الفتنة ، ورأشاً نبْلَ الفرقة ، أحلَّ به ما يَعتَبَرُ معه أعوانه ، ويزدجر إخوانه . لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغيِّ فمن يكفر بالطاغوت الآية .

وأمره إذا عنَّ له ما لم يعهد فيه إليه أن يطالع ويستمد ، ويتطلع فلا يستبد ، إلى أن يُكَاتَبَ بما يجعله وجهة حلّه وعقدِهِ ، وقبله صدرِهِ وورْدِهِ .  
هذا عهدنا إليك فاقتف معالِمه ، واحتذ مراسمه ، واستعن بالله يسدّدك ، وعوّل عليه يَرشّدك ، وانقطع إليه يؤيّدك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

## ٥ - ولله

كتابى — أطال الله بقاءك — وأنا بدولة الأمير مؤيد الدولة سالم ، والله تعالى شاكر ، وإليه فى الصلاة على النبي محمد وآله راجب .  
ولما ورد — أعزك الله — أمر مولانا الأمير ركن الدولة ، وخرج إذن مولانا الأمير المؤيد بارتياح من بلى ناين<sup>(٢)</sup> ودهاتها<sup>(٣)</sup> ، مدبراً عملها ، ومتلافياً خللها<sup>(٤)</sup> ، ومصلحاً فاسدها ، ومتألفاً شاردّها ، ومعيداً عماراتها ومحصّناً ارتفاعاتها ، ومأخياً ما يننى فيها من آثار الجور والظلم ، وقاصراً ما بسط على الرعية فيها من أيدي الاهتضام والغشم .  
وكنت — أعزك الله — من قد عرفت فى الأيام المتطاولة ، واتصال المعاملة ، لزومك طريقتك المثلى ، وسلوكك الحجة الوسطى ، فاستخرت الله ولّى الخيرة فى تفويض الناحية إليك ، والاعتماد فى ضمانها عليك ، فتقلد — أدام الله عزك — ذلك وتطوّقه ، وتشمّر له واعتنقه ، واجعل تقوى الله — عزّ وجلّ — قبلك التى لا تنحرف عنها ، ووجهتك التى

بالفارسية أى قرية

(٤) فى الأصل : ظلها .

(١) فى الأصل : التواصل .

(٢) ناين من قرى أصبهان .

(٣) فى الأصل : ودواتها ، ودهاتها جمع دِه



لا تَسْتَبْدِلُ مِنْهَا ، فَإِنْ مِنْ اهْتَدَى بِهَا هِدْنُهُ ، وَمِنْ صَدَفَ عَنْ سَبِيلِهَا أُرْدَتْهُ .

وَسِرُّ فِي الرِّعْيَةِ ، بِالنَّصْفَةِ وَالسُّوْيَةِ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَعْتَرِضُ اسْتِيفَاءُكَ عَنَفٌ ، وَلَا يَكْتَنِفُ مَعْدَكَ لَتَكَ ضَعْفٌ ، وَاسْتَوْفَ حَقُوقَ السُّلْطَانِ عَلَى الْعِبْرَةِ الْقَائِمَةِ وَالرَّفُوتِ الْجَارِيَةِ ، وَالْقَوَانِينِ السَّابِقَةِ ، فِي مَوَاقِفِهَا الْمَعْلُومَةِ ، وَعَلَى نَجْمِهَا وَتَوَارِيخِهَا الْمَعْرُوفَةِ ، وَلَا تُخْلِ مِنْ قَعْدَتِ بِهِ حَالَهُ عَنِ الْمَسَارَعَةِ إِلَى التَّصْحِيحِ ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى التَّوْفِيرِ ، مِنْ إِنْظَارٍ وَمِيَّاسَةٍ ، وَإِهْمَالٍ وَمُقَارَبَةٍ ، وَطَهْرٍ الْبَلَدِ مِنْ دَنَسِ الْمَغَالِبَةِ وَالْمَرَاغِمَةِ ، لِيَكُونَ النَّاسُ سَوَاءً فِي الْمَجَاوِرَةِ وَالْمُعَامَلَةِ ، وَحُطِّ السَّابِلَةِ ، وَالرَّفَقِ الصَّادِرَةِ وَالْقَافِلَةِ ، لِنَدْرِ الْأَجْلَابِ ، وَتَتَّصِلُ الْأَحْمَالُ ، وَتَشُقُّ التِّجَارُ ، وَأُذْكَ الْعِيُونِ فِي الْمَفَاوِزِ الْمُتَّصِلَةِ بِعَمَلِكَ عَلَى أَهْلِ الدَّعَارَةِ ، وَالمَتَعَرِّضِينَ لِمَارَّةٍ ، مُسْتَنْشِئًا أَخْبَارَهُمْ ، وَمُقْتَصِّصًا آثَارَهُمْ ، لِئَلَّا يَتَوَجَّهَ لَهُمْ عَلَى أَهْوَالٍ مُجْتَلِبَةٍ <sup>(١)</sup> حِيلَةٌ ، أَوْ تَسْتَمِرَّ مِنْهُمْ عَلَى أَرْبَابِ الْجَلْبِ مَكِيدَةٌ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ أَوْلَى مَا نَطَالِبُ بِهِ ، وَأَوْلَى مَا تَشْتَغِلُ بِضَبْطِهِ .

وَصَحَّحَ الْأَبِي مَنْصُورُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ مَالَ الضَّمَانِ عَلَى وَاقِعِ الْعَقْدِ ، وَوَاجِبِ الشَّرْطِ ، مَغْنِيًا عَنْ هَزٍّ وَحَثٍّ ، وَحُضٍّ وَبَعَثٍّ ، وَأَنَّهُ — أَدَامَ اللَّهُ عَزْكَ — أَمْرَ الْجَنَائِيَّاتِ إِذَا عَظُمَتْ ، وَالْجَرَائِرِ إِذَا كَبُرَتْ ، لِنَحْدَلَكَ فِيمَا يَجِبُ مِنْ عَقُوبَةٍ ، أَوْ وَحْدٍ مَا تَقِفُ لَدَيْهِ ، وَتَعْمَلُ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ ، وَعَلَيْهِ التَّعْوِيلُ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

## ٦ - وَلَهُ

كِتَابِي أَيُّهَا الْقَاضِي — أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِكَ — عَنْ سَلَامَةِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ وَعَافِيَتِي بَعْدَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا لِنِعْمَتِهِ ، وَصَلَوَاتِهِ عَلَى النَّبِيِّ وَعِزَّتِهِ ، وَمَا زِلْتَ أُرَوِّى فِي أَمْرِ [قَاضِي] قَاسَانَ <sup>(٢)</sup> وَأَسْتَعْلِمُ الْقَضَايَا بِهَا وَالْأَحْكَامَ ، فَيُبَلِّغُنِي مِنْ شَرِّهِ الْمَوْسُومِ — كَانَ — بِالْحُكْمِ وَنَظْفِهِ ، وَسُوءِ تَأْتِيهِ وَقِلَّةِ ظَلْفِهِ ، مَا يَبْعَثُ عَلَى النِّكَيرِ ، وَيَفْرُضُ الْإِهْتِمَامَ بِالتَّغْيِيرِ ، فَنَعْوِقُ قَوَاطِعَ ، وَتَعْرِضُ مَوَانِعَ ، فَلَمَّا انْقَطَعَتْ سَمَائُهَا ، وَأُسْفَرَتْ غَمَائُهَا ، أَهْمَيْتُ مَا كَانَتْ الْأَخْبَارُ تَتَوَاتَرُ بِهِ وَتَتَظَاهَرُ ، وَالْأَلْسِنَةُ تَتَرَاوَدُّ عَلَيْهِ وَتَتَنَاصَرُ ، إِلَى مَوْلَانَا الْأَمِيرِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ فَأَوْعِزُ — لِمَا عَلَيْهِ نَيْتُهُ مِنْ إِفَاضَةِ الْمَعْدِلَةِ فِي رِعْيَتِهِ ، وَقَبْضُ يَدٍ مِنْ عَدْلٍ عَنْ سِيرَتِهِ وَمُجِيبَتِهِ —

(٢) قَاسَانَ نَاحِيَةً بِأَصْبَهَانَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : مُخْتَلَفَةٌ .



في صَرَف ذلك الطبري — صرف الله قلبه وتقليد من أَلْحَقَّق سَدَادَه وعلمه ، فلما تَدَبَّرَتْ ونظرت ، وصَوَّبَت وصعَّدت ، لم يَعدُ الاختيار من سبق له الاختبار ، وهو أنت — أدام الله عزك — فأبنتُ عن مكانك من الدَّرَاية والصيانة ، والمعرفة والأمانة ، وأحمدَ مولانا مؤيد الدولة مارأيتَه ، ورسمَ إمضاء ما اجتبيته ، وكاتبك القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر — أدام الله عزه — مفوضاً الحكم بقاسان وأعمالها إليك ، ومعمداً في قضاياها عليك . ولئن كنت برشادك واعتقادك ، وفضلك وسدادك مستغنياً عن التبصير ، مكفياً مؤونة التذكير ، إن رهني لسانى عنك ، وارتهاني بما يبدو منك ، يبعثاني على تقديم الوعظ ، ويقضياني الحُض على موضع الخط ، فاتق الله حقَّ تَقَاتِه ، واخشَ عَظِيم نِقَاتِه ، واعمل بعلمك ، وتصرف على حُكْم عَقْدِكَ ، وانظر إلى الدنيا بعين الخارج عن أبوابها ، ونافس في الآخرة منافسة الواثق بثوابها وعقابها ، وادِرِّع من ثوب عفافك ، ما يشمل كافة أطرافك ، وعدِّل الأمر بين الخصوم ، وخذ من الظالم — وإن عزَّ — للمظلوم ، وسوِّ بين المتنازعين في ملاحظتك ، ثم في مجلسك ومخاطبتك ، واحتطِّ على أموال الوقوف والأيتام ، وزوِّج الأيامي اللاتي ولايتهن إلى الحكم ، وميز أمر الشهود فاقبل من ظهرت عدالته ، وعُرفَت أمانته ، واجرح من تَدَنَس بِحُطَام ، أو تلبَّس بآثام .

وليكن دليلك في كل الذي قلته كتاب الله ، فقد جمع ما يكفي ، وأودِع ما يشفي ، بين حظري يوثق ، وإباحةٍ تطلق ، ونديب يُرْغَب ، وحتمٍ يُوجِب ، وحكمٍ يفصل ، وقضاء يعدل ، وأمرٍ يُلْزَم ، ونهى يُجْزَم ، ووعظٌ يُصْلَح ، وسعْيٌ يُنْجِح ، ثم سَنَةِ رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فهي أثارة العلم التي من اهتدى بها وَرَى زَنْدًا ، وسعدَ جَدًّا ، واهتدى حلاً وعَقْدًا ، ومن أَعْرَضَ عنها تعرَّض في الضلالة ، وتخبَّط في الجهالة ، ودُفِعَ عن موقف الهداية ، ورُدِّد في أثناء الخِزَاية ، ثم إجماع الأمة خير الأمم ، فقيه كشف الغم ، وإنارة الظلم ، وزوال الاختلاف والمضادة ، وانحسام الافتراق والمشادة . ثم لك رأىٌ قد حصَّل شروط الاجتهاد فأثره عند فقد النص والأثر ، وأعماله عند عدم الاتفاق والخبر ، غير طالب الرخص من شواذ الأقوال المتروكة ، ولا منتزِع الفُرُص في شوارد الفتاوى المهجورة ، ففي آراء مشهورى العلماء قُسْحَةٌ للطالب ، ونُدْحَةٌ للراغب .

وليكن جلوسك للحكم بعد تخليتك ذرعك ، واستنفادك في الاستخارة وسُعْكَ ،



وقضائك أوطارَ نفسك ، وجمعك لوقارك وحلمك . والله وليُّ توفيقك وتسديدك ، وإرشادك وتأيدك ، وهو حسبي وكفى .

## ٧ — وله عهد عامل إلى الناحية

هذا كتاب من مؤيد الدولة أبي منصور بن ركن الدولة أبي على مولى أمير المؤمنين لمحمد بن أحمد الكاتب . إنا لما عرفناه من غنائك وكفايتك ، وجرَّ بناه من وفائك وشهامتك ، وشهدت له آثارك فيما مارسه <sup>(١)</sup> ودلت عليه أفعالك فيما لابسته ، ورجونا فيك من مزيد الاضطلاع ، عند زيادة التقديم والاصطناع ، رأينا تقليدك القمدان <sup>(٢)</sup> سنة كذا وما بعدها ، أعمالها وأموالها ، وخراجها وأعشارها ، وصدقاتها وجواليها ، ومراصدها وسائر ما يجري معها وينضاف إليها .

وأمرناك بتقديم خشية الله فيما تبطن وتظهر والاعتصام بمراقبة الله فيما تقدّم وتؤخر ، فإن عصمة التقوى تُهدى المناجح ، وتُدنى السعادات والمصالح .

وأمرناك باقتفاء <sup>(٣)</sup> سنتنا في إفاضة العدل وبسطه ، ونشر الإنصاف وفرشه ، ومحو آثار الظلم والاهتضام ، وإزالة مراسم الجور عن الخالص والعام ، لتنبؤاً الرعية أكناف الأمن والدعة ، وتثقيلاً في أطلال الرفاعة والسعة ، لا يمتد طمع الى تحييفهم ، ولا تنسلط يد على تعسفهم .

وأمرناك بحمل المعاملين مع اختلاف طبقاتهم ، وتباين درجاتهم ، على رفوتهم القائمة ، ورسومهم الثابتة ؛ لا تنقض لأحد شرطاً ؛ ولا تُتبع عقداً مؤبداً حلاً

وأمرناك بتتبع آثار المتلصّصة ، وأهل العبث والدعارة ، وإذكاء العيون عليهم في مظانهم ومكامنهم ، وإفشاء <sup>(٤)</sup> الطلب إليهم في معادهم ومساكنهم ، لتأمين المارة وتنظير السبل ، وتصفو الأطراف وتهذب الطرق ، وتتصل القوافل وتتقاطر المير والرّفق ،

(٣) في الأصل : باقتفاء .

(٤) في الأصل : إنشاء .

(١) في الأصل : رسمته .

(٢) هكذا في الأصل .



ومن ظفرت به من هذه الطبقة ضَيِّقَتْ حبسه ، وأنهيت أمره ، لنجدَّ لك في بابه ما تقتضيه أحكامُ الملة ، وتوجيه معالمُ السنة .

وأمرناك باستيفاء الحقوق السلطانية على شرائط العقد ورسوم من تولى قبلك ، متصرفاً مع المعدلة والتعديل ، ومتوخياً لسواء السبيل ، من حيث لا تُغْمِض عن استبداء واجب ، ولا تُغْضَى عن استيفاء لازم ، حاملاً المؤدين على نجومهم وآمادهم ، وشروطهم وآجالهم .  
وأمرناك بأخذ الجوالى على العد ، من كل ذمىٍ بالغ الحد ، لا جزية على صبيٍّ ولا أنثى ، ولا شيخٍ فإن قد بلغ المدى .

وأمرناك باعتماد من يأخذ الصدقات على فرائض الله المكتوبة ، وأحكامه الماثورة ، لا جمع بين مفترق ، ولا تفريق بين مجتمع .  
وأمرناك باستطلاع الرأى فيما يعرض مما لم يُعْهَدْ فيه إليك ، ولم يُعْرَضْ مثاله عليك ، لتؤمِّرَ بما تلتزم حدّه ، وتقف عنده .

هذا عهدنا إليك فاتهج ما مثل ، وانه إلى مارسم ، واستعن بالله فى أمورك يكفك ، وعول عليه يهدك ، وهو حسبننا ونعم الوكيل .

## ٨ — وله عهد لتولية أمر الوادى

قد اعتمدناك — لما تؤول إليه من كفاية مستفادة عن الدربة ، ودراية مُسْتَقَاة من الحُنْكَة ، وأمانةٍ موجبة للاستئمانه ، وسدادٍ مستدعٍ للسكون والاعتماد — فى تولى قسمة ماء وادى زرين روذ .

ورسمنا لك أن تباشر ذلك باتقاء الله تعالى ومراقبته ، فإنهما يزجران عن احتقاب المآثم ، والإسفاف لخُبْثَةِ المطاعم ، وتعديل الحال بين أهل الرساتيق والضياع ، حتى يستوفى كلُّ حظّه فى وقته المعلوم ، ويستوعب قسطه فى شربه المقسوم ، وتقتصر دون الحيف الأيدى الغالبة ، وتحسم عن الظلم الأطاع الكاذبة ، ويكون الناس فى حقوقهم أمثالاً لا يتفاضلون ، وعلى سواء لا يتفاوتون ، ويجرى الأمر فى المقاسم والقرض والسدود والرشانات على ما توجيهه الدستورات القديمة ، والمثبت العتيقة ، والرسوم المعهودة ، والشئن الموروثة ، وتقع الاستعانة بالجوبذين<sup>(١)</sup> الثقات الذين لا يوطئون العُشوة ، ولا يقبلون الرُشوة ، ويستظهر عليهم بأغلظ

(١) الجوبذ : القسيم على النهر .



الأيمن ، وأؤكد الأقسام ، فمن عُثِر منه على خيانة ، عوقب بما يتركه سُمعة ، ويفادره مُثلة . وإن اجتراً أحد من الأكرّة والمزارعين ، والحماة والمتولين ، إلى اقتطاع ماء إلى غير حقه ، أو سَكَره <sup>(١)</sup> إلى أرضه في غير شرّبه ، عوقب عقاباً رادعاً ، وقوّم نكالاً وازعاً ، ولم يُبَقَّ عليه وإن كانت النضيعة من خاصّ ضياعنا ، وخالص أملاكنا . فالأمر الذي قلده قوام البلد ، وملاك الدخل ، وقيمة الأملاك ، وأحرى المهمات ، بالاهتمام والمراعاة ، أمر [ماء] <sup>(٢)</sup> الوادى الذى جُعِل منه كل شيء حيّاً . فكن عند الظنّ بك ، واحذر خللاً أو زللاً يقعان منك ، فقد علمت أنا نعاقب من تجاوز أوامرنا أو تعدّاها ، كما نثيب من وقف عندها لا يتخطاها . واستوف الرسم الجارى لك ، ولعمال الماء قبلك ، على أحسن وجوه الاستيلاء ، وأرفق طرق الاستيفاء ، والله يهديك للحسنى ، ويوفّقك للطريقة المثلى ، وهو حسبنا وكفى .

## ٩ - وله

هذا كتاب من مؤيد الدولة أبى منصور بن ركن الدولة أبى على مولى أمير المؤمنين لإبراهيم بن محمد الحاجب حين قلده الراروقريذين <sup>(٣)</sup> . أمره بتقوى الله وخشيته ، والاعتلاق بذمة مراقبته ، وتوخي رضاه وإعلانه وإسراره ، وتجرى زلفاه في إبدائه وإضماره ، فالمتقى لله فائز في دنياه ، حائز النجاة في أخراه . وأمره بإقامة الصلوات على هينة ، ووقار وسكينة ، وتوفية لما فيها من فرض ونفل ، وحسنٍ وفصل ، وشحنٍ منابر عمله بشعار الدعوة التي تحصّن الخيرات ، وترتهن البركات ، وتورد مشارع الهدى ، وتُحلّى <sup>(٤)</sup> عن موارد الردى . وأمره ببسط النصفّة لمن فوّض تديره إليه ، واعتمد في سياسته عليه ، وتخوّل جميعهم بياالة لا العنف متخللها ، ولا الضعف متجلّها ، ففي ذلك ما نظم الأمور وأصلح الفاسد ، وهذب الشئون وأقام المائد ، وجمع شمل الخير وضمّه ، وأحصّد <sup>(٥)</sup> حبل البركة وأبرمه . وأمره بأن يستعين بصالحى الولاة ، ويستظهر بأمناء الكفّاء ، الذين يتنزهون عن خبثّة المطاعم ، ويتعففون عن خُطّة المآثم ؛ وأن يكون له عليهم أعين راصدة لا تترقد ، ولو لاحظ

(١) سكر النهر : سدّ فاه .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) هكذا في الأصل .

(٤) في الأصل : تحبلى .

(٥) أحصد الجبل : أحكم قتله .



مُذْكَاةً لا تهجد ، فمن أحسن السيرة وأجملها ، وأخلص السريرة ونَحَلَهَا ، جزاءه عن فعله  
جهيلاً ، ومن أسفَّ إلى الخيانة ، وأخلى طويته من الأمانة ، أوسعه عن جُرمه عقاباً وتنكيلاً ،  
ليتبصَّرَ كَافَّةً من بليته ، وتَرَشَّدَ جماعة من بوليّه ، فيؤمِّنَ التحيفُ للحقوق السلطانية ، واستمرارُ  
الحيف على ضعفاء الرعية .

وأمره باستيداء ما يستأديه على لين في المعاملة ، ومعدلة في المواقفة ، ورفق في المحاسبة ،  
وتأسُّ بالسنن العادلة ، وإماتة للرسوم الجائرة ، واعتمادٍ للمثابت القديمة الراتبة ، وتعويلٍ  
على الدستورات الصحيحة الخالدة ، واستخراج على النجوم المقدرة القائمة ، لتأمن الرعايا غوائلَ  
الاهتضام ، وتسكن أفياء السلامة والسلام .

وأمره بصرف همه ووكدّه ، وجده وجهده ، إلى تطلُّب الأكراد المردّة ، وسائر المتلصصة  
المفسدة ، إذ كانت قد اتخذت تلك البقاع دار هجرتهم ومأواهم ، وجعلتها أمَّ مسكنهم  
ومشواهم ، وصدق النية في إرواء السيوف من نحورهم وطُلاهم ، وتمكين الرماح من أكبادهم  
وكُلّاهم ، لتغفوا آثارهم من تلك الديار بإذن الله ، وتسرع إليهم موادّ التّبار بحول الله ، كما  
فرض الله في أولى العناد ، وأمضى حكمه في الساعين بالفساد .

وأمره بأخذ الصدقات من دون ظلم ولا إغناات ، بل على الفرائض المشهورة ، والسنن المنقولة  
الماثورة ، وعند استكمال الحول في وفاء من النصاب ، لتوضع مواضعها المتلوة من الأصناف <sup>(١)</sup> .  
وأمره بالحماية على أهل الزمة ، واستيفاء ما كتب عليهم من الجزية ، ليشتغلوا بمكاسبهم  
آمنين ، ويؤدّوها عن يدي صاغرين .

وأمره بالتوفر على العمارة بأقصى ما يطيق وأبلغ ما يستطيع ليتشمر الدخل ، ويزول الخلل ،  
وتبدو صفحة الغناء فيما قلَّد ، وتلوح غُرّة الكفاية فيما نُصِب له واعتمد .  
وأمره بالتعديل بين الغنى الموسر ، والفقر المقتّر ، إذا رُفعا إليه وُجعا للنظر بين يديه ،  
لئلا يطعم المكثّر ليساره ، في اهتضام المقلّ لإعساره ، وليكون المشروف والشریف ،  
والقوى والضعيف ، في الحكم على سواء ، لا محاماة تُعتَوّر ، ولا محاباة تُحذَر ، فإن الله  
مسائلٌ عن خطفات العيون ، وخطرات القلوب ، يوم ينادى المنادى من مكان قريب .

(١) يعني بالأصناف أصناف أهل الصدقة  
الفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة  
قلوبهم ، الآية .

المذكورة في سورة التوبة ، وهي : لما الصدقات



هذا عهدنا إليك فاتهج معالنه ، وأمرنا لك فاقتفِ مراسمه ، واستطلع الرأى فى الأمور الساحة عموما ، وفى الحدود الواجبة خصوصا ، يأتِكَ ماتعمل عليه ، وتنهى إليه ، واستخر الله يخرُ لك واستكفنه يرؤف بك ، وهو حسبنا كافيا ومعينا ، وناصرنا ودليلا .

## ١٠ - والـه

هذا كتاب من مؤيد الدولة أبى منصور بن ركن الدولة أبى على للحسين بن أحمد ابن عبد الله بن هرون . إنا لما قدمت من حُرمة مكتسبة وموروثة ، وأثلت من عصمة قديمة وحديثة ، واستظهرت به من وسائل توجب الاقتضاب والاضطناع ، والتجأت إليه من ذرائع تقتضى الإلحاق بأهل الغناء والاضطلاع ، قلْدناك الخراج بأصفهان لسنة كذا وما بعدها ، بعد أن استخرنا الله تعالى طويلا ، ورغبنا إليه فى حسن الهداية كثيرا .

فباشر ما فوّض إلى منابك ، ووكل إلى قيامك ، مستشعرا خشية الله التى من جعلها قبله يتوجه إليها بأعماله ، وعصمة يعول عليها فى أفعاله ، هدته إلى الضياء المبين ، وأعلقتة بالحبل المتين ، وأدّته إلى المِشارع العذبة ، وأخذت به إلى الشرائع الرحبة . واجعل جل ما تمقرب بتوحيه ، وتطلب الزلفة بتحرّيه ، إثارة النصفة فيما تتقلّده ، واستعمال المعدلة فيما تحلّه وتعقده ، والصدوف عن موارد الأثام ، والعزوف عن مسالك الظلم المحفوفة بالظلام ، مقتديا بهدينا فى إيضاح معالم العدل ، وطمس آثار العداء والغشم ، وادّرع من التعفف عن أموال رعايانا ثوبا تلوح عليك جدّته ، وتبقى عليك بهجته ، واحذر خبثة المطاعم التى لا يقارّ عليها وجيه<sup>(١)</sup> لوجاهته ، ولا يرخص فيها مع نبيه لنباهته .

واجمل أر باب الخراج على رسومهم القائمة ، وشروطهم الثابتة ودستورات البلد الخالدة ، وأوارجاته الواضحة ، من دون تغيير لسنة ، ولا فسخ لشريطة ، ولا أخذ واجد بمعدم ، ولا مطالبة برى بمجرم ، ولا إلزام شريك عن شريكه ، ولا بسط يد على قسيم عن قسيمه ، ولا قط<sup>(٢)</sup> لمتخير<sup>(٣)</sup> ، ولا تجديد تقسيط عن بائر ، ليأمن الجميع دركا ينالهم من حيث لا يجب ، وتبعة تلحقهم من حيث لا تلزم .

(٣) متجير الماء : مجتمعه أى المستنقع

(١) فى الأصل : وجيها .

(٢) القِط بالكسر : الصك وكتاب المحاسبة .



وافتح النجوم في الأوقات التي يخرج بها الإذن ، ويتجدد فيها الأمر ، على رفقٍ بالمؤدِّين وإمهال ، محوطين عن التراخي والإهمال ، وأورد الديوان عند كل نجم حساباً بأصله وإضافاته ، وإقطاعاته واحتساباته ، وما تقوم به الحجة من نفقاته ، ليخلد ديوان الأصل بعد تتبعه في ديوان الزمام ، فإذا انقضت السنة الخراجية فارفع حساباً جامعاً لدخلها وخرجها ، وأصلها وفرعها ، وزوائدها ونواقصها ، واحذر إيقاع التحويلات ، إلا على الملأ الثقات ، بعد تصديرها من حضرتنا . واقبض أيدي الكتاب عن تغيير يتجه لهم في اسم ، أو حيلة تنفذ منهم في حاك ، أو تسمح يقدمون عليه في تبديل ونقل ، فالخراج مادة المملكة ، وقوام الجيش ، وقيمة الأملاك ، وأرواح الرعية ، وعمدة السلطان . وبحسب هذه الأحوال يجب على متوليه فرط التشمير والتيقظ . وتناول المسمى لإقطاعك ، ومبلغه عشرون ألف درهم ، مستعينا به على أداء حق النصيحة ، والتنزه عن الماء كل الذميمة ، واستكف الله يكفك ، واستعن به يهدك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .



## الباب الثالث

في الأمان والأيمان والمواقفات والمناشير

ومراعاة الكبيسة من السنين وما يجري مجراه

— ١ —

هذا كتاب من مؤيد الدولة أبي منصور بن ركن الدولة لفلان وفلان وفلان . إنالما  
نؤثره في وفد الله من حجيج بيت الله صيانةً تكنفهم وتحرسهم ، وحمايةً تتعمدُهم وتخصمهم ،  
ورقفا بهم صادرين وواردين ، وإشبالا<sup>(١)</sup> عليهم ذاهبين وعائدين ، رأينا تفويض زعامة  
حجاج الرى والمنضمين معهم إليك ، والاعتماد في تديرهم وتسييرهم عليك ، لما عُرف من سداد  
مذهبك وجميل غنائك في المعصوب بك ، فتولّ ذلك مؤديا حق الأمانة فيما استُرعتيه ،  
وفرض النصح فيما استكفيته ، وتوخّ من الإحسان إلى هذه الرُفقى ما يُجْزَل حظوظها من  
الحماية ، ويعتمدها بفضل الحفظ والرعاية . وسِرُّ بها سيرا لا يجهدُها تعجلا ، ولا يفوتُها  
المناسك تمهلا ، وأحسن التوقف على الضعيف والراجل ، والفقر والمُزمل ، والمبدع<sup>(٢)</sup> به  
وذوى المرض .

وتوخّ في الجماعة أفسح المنازل ، وردّ بهم أعذب المناهل ، وكن شقيقا على أموالهم ،  
رفيقا بهم في أحوالهم . واعرض هذا المنشور في المسالك التي تقطعها ، والمراصد التي تردها ،  
ليُعَلِّم تقليدنا إياك ما قلدناك ، وتؤثّر ومن في جملتك بالعناية في متوجّهك ومغزأك ، وتُتَصَرَّ  
الأبواع من مضارتك ، وتُحَسِّم الأَطَاع عن هَضِيمَتِكَ . والله وليّ توفيقك في مصارف  
الأحوال ، وتأيدنا في مجارى الأقوال والأفعال ، عليه نعول ، وإليه نفوض ، وهو حسبنا  
ونعم الوكيل .

(١) إشبالا : عطا .

(٢) أبدعت الراحة : ظلت وكلّت .



## ٢ — وله كتاب أمان

هذا كتاب من مؤيد الدولة لفلان . إنه أنهى ما اضطرك إلى الحال التي ركبته ، والخطة التي احتقبتها ، والتماسك من نظرنا ما ثبت قدمك ، ومن أماننا ما تلافى به فرطك ، فأنت متى سلمت القلعة إلى ثقاتنا ووردت حضرتنا ، أو أين اخترت من بلاد مملكتنا ، آمن بأمان الله — عز وجل — وأمان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأماننا المقرون بالوفاء ، المعروف حكمه في الدهماء ، ولك عندنا تجديد الاصطناع وسنى الاقطاع ، لا نؤاخذك بجريرة تقدمت ، ولا جريرة سلفت . وعهد الله بذلك مبذول ، وعليه مأخوذ ، والله حسبنا ونعم الوكيل .

## ٣ — وله

هذا كتاب من مؤيد الدولة أبي منصور لفلان . إنك أنهيت الحال في ترويع فلان لك ، وإشفاقك من بعض ما أنكرنا فيه فعلك ، ورغبت في إجرائك على عادة الاحسان ، وإنشاء ما تسكن إنيه من الأمان ، واستظهرت إلينا بشفاعاة النبيه مكانه ، الوجهه كلامه ، فرأينا لما عليه عادتنا في الصفح عن الجرم ، وإقالة المتندم المتحرم ، تحقيق طلبتك ، وتصديق رغبتك ، فعاود مسكنك في كنف أماننا وعهدنا ، لتجربى على سنة إنعامنا ورفدنا ، وتسكن ظلًا من الإعزاز لا ينحسر ممدوده ، ولا يتجافى ممدوده ، ما استأنفت حالا ترضى منك ، وأقلعت عن مثل ما بدر عنك . ومن قرأ كتابنا هذا من الولاة والضمماء ، والعمال والأولياء ، فليعمل بما رسمنا ، وليحذر على ما نهجنا ، وليحذر مخالفة ما أمرنا .

## ٤ — وله

هذا كتاب من مؤيد الدولة لأهل قسبة الدينور . إننا لما عرفناه من حالكم ، وتمثلنا من اختلالكم ، وتصورنا من كثرة عددكم ، واشتراك عالم من الضعفاء وأهل المسكنة في مؤدى خراجكم ، رسمنا تعهدكم بالصيانة والحراسة ، والحماية والحياطة ، وإجراءكم في الخراج المقسوم بينكم على أعدل الشئ ، وأخف القوانين ، لازيادة تلحقكم ولا مؤونة تلزمكم ، ولا



كلفة تتوجه إليكم ، ولا مرفق ولا نائبة عليكم ، ولا تتبع ما تناصقتم بينكم ، ولم يستأكل قوتكم ضعيفكم ، وكنتم على سنن التواصي والتظاهر ، ولم تخرجوا إلى التنادى والتناكر ، وحظرنا أن يزداد عليكم في الإتيان بطروق من يطرق من الخيول ، وزيادة من يزيد من الجيوش ، وتقدمنا بتعفية ما كان عمال السوء وولاة الجيش يأتون مداخله في هذه المعاملة ، يتوصلون بها إلى ارتشاء منكم ، وارتفاق من جهتم . فمن قرأ أو عرّض عليه كتابنا هذا من الولاة وعمال الحرب والخراج والمعاون بكورة ماه<sup>(١)</sup> الكوفة فيعرف ذلك من رأينا وأمرنا ، وليحذر من مخالفة مثالنا ورسمنا ، إن شاء الله .

## ٥ - وله شرط

هذا كتاب كتبه للأمير المؤيد مؤيد الدولة فلان على نفسه مختاراً لأمره ، في صحة من جسمه ، وثبات من عقله ، حين تحوله — أدام الله عزه — بإحسانه ، وظاهر عليه ملابس إنعامه ، ووسمه باقتضابه واصطناعه ، واعتمده بسايع نظره وإقطاعه ، وأوجب له ولأصحابه من مواد خيره وإفضاله ، ما وسعهم كلهم ، وتحمل ثقلهم وكلهم ، واعتمد بهم بحماية الطرقات والمنافذ ، وحراسة الرقّ والقوافل ، وخفارة الضياع والمزارع ، بالرى وقزوين وقم<sup>(٢)</sup> وساوة<sup>(٣)</sup> وآبة<sup>(٤)</sup> والتميرتين<sup>(٥)</sup> وما كان جارياً في حماية من أعمال أصفهان .

شرط فلان على نفسه أن يقوم بما فوض إليه مشيحاً ، ويباشره جاداً نصيحاً ، ويتصرف على أحكام الطاعة وإقامة فرائض الجماعة ، وينفض السبل عن أبناء العيث على اختلاف أجناسهم ، ويظهرها من معارهم وأدناسهم ، ويكفهم مما يخرجون إليه من مدافعة ومقارعة ، وممانعة ومواقعة ، لا يعتن بكثرة أعدادهم ، ولا يحتاج بفضل ازديادهم ، ويكفي أرباب الإقطاعات والتناات<sup>(٦)</sup> والمقاطعات مضاراً أصناف الأكراد والمتلصصة ، والشهبان

(١) ماه بالفارسية : قصبة . وماه الكوفة :

دينور ، سميت بذلك لأن معاوية جعلها لأهل

الكوفة سراداً حين كثروا . انظر معجم البلدان

لياقوت في مادة نهاوند .

(٢) مدينة كبيرة بين أصفهان وساوة .

(٣) مدينة بين الرى ومهذان .

(٤) آبة : قرية من قرى أصفهان أو قرى ساوة

(٥) التيمرتين : قريتان من قرى أصفهان .

(٦) التناات : إقطاعات الدماقين .



والمتشبهة ، لتكون الرساتيق دانيها ونازحها مكنوفة بالأمنه ، والمسالك جوادها وعوادها محروسة عن الخفاة ، مسلوكة بالمير والأجلاب والبضائع والحمول غير محتاجة إلى استظهار من يذب مصاحبا ، ويحمي مسائرا ، فتى وقع في النواحي والطرق التي تكفل بتهديب مدارجها ، وتطهير مناهجها ، عيث أو إفساد ، أو ضرر أو إضرار ، أو سلب أو انتهاب ، كان على فلان تتبع الجاني حتى يسلم أو يهلك ، ورد ما أخذ أو أرشيه بالغامبلغ ، لا يقبل له في ذلك ولا في شيء منه عذر ولا اعتلال ، متى وقع خلل أو إخلال .

وشرط أن يزّم أصحابه ووجوههم ، وأتباعهم وأماثلهم ، وأشياعهم ورءوسهم وأذناهم ، لتكون الطاعة ملاً بسهم ، والغفّة مقاصدهم ، والمسمى لهم مطاعهم ، لا يسفون إلى خبثة المآكل ، ولا يتوجهون إلى وارد أو صادر ، ولا يتجاوز هو ولا هم في الخفارات وغيرها الرسوم المقررة والرفوت المقتنّة ، ويستوفى ذلك على يد الكاتب المنصوب من الديوان المعمور ، ويعفى أهل الضياع بقم والتيمرتين من التنزل على قراهم ، وحلولهم في مشتاهم ، ويقتصر في المسارح والأفياء ، والمياه والأكلاء ، على البقاع التي رسمت له ، ووسمت به ، لا يتعداها إلى ماعداها ، ولا يتخطاها إلى ماسواها ، ومن جاوز من أصحابه هذه الأمثلة المضروبة ، والمراسم المشروطة ، عاجله بالقبض عليه ، وعمل فيه بما تنفذ به الأوامر إليه ، وأن يخف مع هذه الشروط في البيجارات العارضة ، ويتصرف فيها مع ولده ورجاله بالنيات الخالصة ، لا يحتج بأخذ أهبة ، وتأخر عُدّة ، وتناقص عُدّة ، بل يباشر ما يهاب به إليه ، باستقلال من رباط الخيل وشاكي الأسلحة وعدد الاستظهار .

شهد الشهود إقرار فلان بالتزام هذه الشروط واعتناقها بعد معرفته بما بذل فيها ، وذلك في شهر كذا سنة كذا .

## ٦ — وله كتاب أمان

هذا كتاب من مؤيد الدولة أبي منصور بن ركن الدولة مولى أمير المؤمنين لفلان . إنه أنهى عنك إخلالك بمرکزك من كذا خيفة من أحوال رُقيت عنك ، وانبساط أيدي الضمّناء في فضل استخراج منك ، ورغبتك في إنشاء أمان تعود به إلى وطنك ، موفورا



غير مغدور ، فرأينا — لماعليه النية ، في كافة الرعية — الإيعاز بذلك ، فانت — متى عاودت مقرك ، ولزمت شأنك وأمرك — آمن بأمان الله وأمان رسوله وأماننا الذي لاحت لمعقوده ، ولا نقض لمعهوده ، ولك أن نوعز بصيانتك ، وحياطتك ، وقبض الأيدي عن هضيمنتك . ومن قرأ أو عرض عليه كتابنا هذا من طبقات الولاة والضمنا ، والعمال والأولياء ، فليعمل ذلك من رسمنا ، وليقتف ماضى حكما ، إن شاء الله

## ٧ — و —

كتابى — أطال الله بقاءكم — عن سلامة مولانا الأمير مؤيد الدولة ، واطراد السعادات فى أحواله ، وانتظام البركات بإقباله ، وعافيتى فى ظلاله ، والحمد لله ، وصلواته على النبي محمد وآله . وقد علمتم — تولاكم الله — أنكم بدأتكم بحضور البساط العالى راغبين ، وسألتكم القبول والإقطاع طالبين ، فأحسن مولانا الإصغاء لكم ، والرفق بكم ، وأبدلكم من التوحش اصطناعا ، ومن التفرق اجتماعا ، ووُطِّتْ لكم المشاتى والمصايف ، وأفيضت عليكم العطايا والعوارف ، وشهرتم فى جملة الأولياء ، ومُيزْتُم عن النظراء والأكفاء ، ولم تنسلخ سنة إلا عن زيادة تُؤَثِّرون بها ، ووجوه نظر تَوَهَّلُون لها ، من إحسانٍ ونعمة ، وُحْلانٍ وخلعة .

وكان ماينوى فيكم أكثر مما أفيض عليكم ، وما يُدَّخر لكم أوفر مما أوصل إليكم ، ووُثِّق بكم الثقة بالأخصيين من الخدم ، والمتحققين من أنشاء النعم . ثم أنهى أن إخلالا وقع منكم بمراكم ، ومفارقة لمواضعكم ، مع توالى السكتب بأن أكايركم ووجوهكم كرهوا ذلك ولم يتحمدوه ، وأن الأصاغر أقدموا عليه وآثروه ، وأجرت طائفة إلى قطع الطرق ، وأخذ أموال الرُفُق ، نكوصاً على الأعقاب ، وتحككاً بالعقاب .

ووردت الآن [ رسل <sup>(١)</sup> ] منكم يذكرون أن أخبارا كانت سقطت إليكم استطارتم حذرا ، واستفزتم خوفا وذعرا ، فأنهيت إلى مولانا الصورة ، وأوضحت القصة ، واستقلت لكم العثرة ، واستوهبت الزلة ، فقال مولانا : إن حُرُماتهم تقتضى التغميض عن

(١) زيادة يقتضيه السياق .



هفواتهم إذا أنابوا ، وعصمهم تبعث على غفران جرائمهم إذا تابوا . وقد أنشئ المنشور بالأمان ، والوعد بالإحسان ، وختم بعلی ختم مولانا ، لازال نافذا في الأقاليم ، ماضيا مضى المقادير .

وكتبت أبا عيسى بما يذكركم ، ويلقيه إليكم ، لتزدادوا سكون نفس واشتداد ظهور ، فعاودوا مواضعكم ، والزموا أما كنكم ، واجرؤا في الطاعة على رسومكم ، ولا تضیعوا متوكّد حقوقكم ، فظلّ الخدمة أمدّ ، ولباس عزها أجد<sup>(١)</sup> ، وإنما تقع هذه النزوات أياما ثم تأتي العواقب بما لا قبل به ، ولا ثبات في وجهه ، وأبو الهيجاء بكتاش الحاجب مولی مؤيد الدولة قد رُسم بقاسان ، وهو صائر إليها ، ومكاتبٌ بإعزازكم وإكرامكم ، وإيثاركم وبسطكم ، ودفع كل أحد عن مضارّتكم ومساءتكم . وأبو منصور بن محمد مخاطبٌ ببلوغ الغاية في الاشتغال على جماعتكم ، وتوفية حقوق كافتكم . وأنا أنتظر ما يكون منكم ، خار الله لكم ، والخيرة أجمعها في الطاعة المأمونة الفوائد ، المرجوة الفواضل ، الجامعة إلى صلاح المعاش ، صلاح المعاد ، وإلى تحصيل النجاح ، سلامة الأرواح ، وهو — تعالى — حسبنا ، ونعم الوكيل .

#### ٨ — وله في مراعاة أوقات المعاملات والكبيسة من السنين

وصل كتاب الأمير ركن الدولة بما ورد به أمر مولانا أمير المؤمنين من نقل سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة إلى سنة ثلاث ، ليزول التفاوت الذي تخلّل السنين بين الشهور الخراجية والشهور الهلالية ، ولتكون المعاملات جارية على أوقاتها ، والإجازات منسوبة إلى زمانها ، والجماعات مصدّرة بمحالها ، والتواريخ منتظمة على حقوقها ، والكبيسة واقعة على رسومها .

وحمدت الله وشكرت له على ما منّ به على الأمة ، وأفاضه على أهل الملة والذمة ، من نظر أمير المؤمنين ورعايته ، واهتمامه بمصالحهم وعنايته ، وتدير أحوالهم بما يجريها على أذلالها ، ومطالعة أمورهم بما يؤمن من اختلالها ، وتتيق شئونهم بما يضاها سنن آبائه الراشدين ، من الخلفاء الماضين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ممن استرعاهم حياتهم ، ووكل إليهم سياستهم ، حتى أصبحت الكلمة بيمين إيلائه متفقة<sup>(٢)</sup> ، وأسباب البلاد والعباد

(١) في الأصل : واجد .

(٢) في الأصل : متفقة .



متسقة ، وحتى برز الحق في أحسن ملابسه ، ونجم العدل في أزكى مغارسه ، وأصبح الظلم لا يُقْتَدَى بحكمه ورسمه ، ولا يُعْرَف إلا بذكره واسمه ، حمداً يَحْصُنْ لأمير المؤمنين جلاله مواهب الله ونعمه ، ويمْتَرى إليه فواضل مَنَحِهِ وقِسْمِهِ ، ويؤذن له بدوام قدرة لا تختل قواها ، وبسطة لا تنحل عُراها ، ويوجب للأمر ركن الدولة — بذبه عن دين الله ، وقيامه بحق خليفة الله ، وتوفّره على ما أصلح خَدَمَهُ ورعاياه — مزيداً منأمنه وعطاياه .

وقابلت الأمر بامتثاله ، على الرسم في أمثاله ، وأوعزت في بناء الحسابات ، وعقود الضمانات ، وما يجري مجراها من الشروط والمواقفات ، على ما رُسم ومثّل ، وقرّر وحصّل ، فصار كل حول يدعو إلى نفسه ، ويخبر عن دخله وخُرْجه ، لاجابة لعامل ولا معامل إلى تبديل جارى سُنّة ، واستعارة اسم سنة لسنة .

وكاتب بذلك أصحاب الأطراف التي استخدمني الأمير السيد في مراعاتها ، ليُجروا عليها أمر رفوعها وحُساباناتها ، فيكون ما تجدد من رأى أمير المؤمنين شاملاً شمول عوارفه ، وما قدمه الأمير السيد عاماً عموم فواضله ، وليصير رسماً يدوم ويخلد ، ويقرّر على وجه الدهر ويؤبّد ، لانهتدى الأيام إلى فسخه ، ولا ترتقى الليالي إلى نسخه ، فيتجدد لأمر المؤمنين — على تجدد الزمان — الذكر الجليل الماثور ، والثواب الجزيل الموفور ، وللأمير السيد الدعاء المؤذن بالمنائح الشاملة ، والسعادات العاجلة والآجلة . أنهيت إلى مولانا الأمير وليّ النعم ما أقمت به رسم الخدمة ، فإن رأى الأمير أن يديم تشريف عبده <sup>(١)</sup> ، بالتصريف بين أسرته ونهيه ، فعل إن شاء الله .

## ٩ — ولله

هذا كتاب من مؤيد الدولة أبي منصور بن ركن الدولة لصدقة بن أحمد وأولاده . إننا — لما أظهرتموه من انخياز الى جملة الأولياء المخلصين ، وامتياز عن غمار الأكراد الفسدين ، وأبدىتموه من صفحة الإقلاع ، وتعلقتم به من عصمة الارتداع ، والتمستموه من قبول انقطاعكم ، وسألتكم من تجديد اصطناعكم — فسَخْنَا لكم في ورود حضرتنا ، مستظهيرين بأمانتنا وذمتنا ، فأتمم وكل واحد منكم — ما اعتنقتم شروط الموالاته ، وتطوqتم عهود المصافاة ،

(١) في الأصل : عهده .



وكنتم لأشباعنا شيعة ، ولأنصارنا تبعاً ، وعلى المارقين يدا قاصدة ، وعينا راصدة — آمنون على أنفسكم ودمائكم وأرواحكم وشعوركم وأبشاركم ومالككم وكراعكم ، وسائر ما تنضم عليه ملكتكم ، بأمان الله — جل اسمه وتعالى جده — وأمان رسوله — صلى الله عليه وعلى آله الذين اجتبى — وأماننا الذي لا يتسلط الإخفار عليه ، ولا ينبسط الانقباض إليه ، لا تؤاخذون بجرائركم الواقعة قبل إنابتكم ، وكبائركم المكفرة بمثابتكم .

فثقوا بذلك مثني وموحداً ، واسكنوا إليه شتى وجميعاً ، وردوا الباب ليوصل إليكم حلاوة الطاعة وبرّ دها ، وتدرّ لكم أخلاف الإحسان وتوفّر مزيته . ومن قرأ كتابنا هذا ، أو أقرّ به ، أو عرف أمرنا فيه وأنبئه ، فليعرف صدّر ذلك عن أمر جزم ، ونفوذّه عن مضاء غزم ، وليحذر تعدّي أحكامه وحدوده ، وتخطي مراسمه وشروطه ، إن شاء الله .

## ١٠ — وله

إنما لعرفناه من كفايتك ، ورجونا من غنائك ودرايتك ، رددنا أمور الدرب والبدركة<sup>(١)</sup> الموفرة أموالها على العرب إليك ، واعتمدنا في ضبطها واستخراج الواجب منها عليك ، ورسمنا لك أن تستوفي الرسوم من حيث لا يلحق الرعية والسالبة اهتضام ، ولا ينال استحقاقات العرب انتقاص واخترام ، وأن تجعل الإمام الذي ترجع إليه فيما تستوفيه ، للنشور الوارد من الحضرة البهية وما يُبين فيه ، وتُحصّل الأموال على حقوقها مياومة ومُشاهرة ، وعند كل رفقة صادرة وواردة ، ولا تستعين إلا بمن تسكن إلى ثقته ، إذ كنت المؤاخذ بعهدته ، ليخرج حق إبراهيم بن محمد الحاجب من الأموال بقسطه ، ويوفر<sup>(٢)</sup> كل من العرب على حقه وقسمه .

فباشر مامثلناه ، بإيثار للنصح لا تتمدها ، ونقاء من الجيب لا تتخطاه ، ورفق بالمعاملين بحسب مادة التظلم ، واستقصاء للأولياء يغنيهم عن التألم ، واستزد من إحساننا إليك بالمقام على الطريقة الحميدة ، والشيم الراشدة ، إن شاء الله .

(١) البدركة : الحفارة .

(٢) في الأصل : يؤثر .



## الباب الرابع

### في الوصاة بالحجيج والمصالح وأمر الشغور

#### ١ - كتاب في أمر الحجيج

كتابي - أطال الله بقاء الأمير صاحب الجيش - وأمور السلطان وأحوال ممالك مولانا مطردة في استقامة الجارى وتعادُلها ، واتفاق المناجح وتواصلها ، على ما يوجب الحمد مغرقة فيه ، والشكر مسهباً في تعاطيه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد وآله أجمعين . وكان وصل كتاب الأمير على عادته في عمارة سبل الخيرات ، والبعث على الأعمال الصالحات ، أحسن الله أداءه<sup>(١)</sup> ، وشكر إساءه<sup>(٢)</sup> ، فتلقيت رسمه بالامثال ، وأنهيت إلى حضرة مولانا حقيقة الحال ، فاعتدّ للأمير بلطف البداية إلى ما فيه مرضاة مُعْتَمَنة ، وفي تقديمه مشوبة ومكرمة ، وأوغر في أمر الحاج بما لا شك في انتهاء أنبائه ، فلا حاجة في إعادة القول بعد ابتدائه ، وأصبحوا الكتب إلى الحضرة بمدينة السلام ، وإلى طريق الجبل وهذان بما شملهم ظله ، وعمهم فضله . وحين عاد الحجّزة<sup>(٣)</sup> أنهيت هذه الجملة إلى الأمير ، والله يُنْهَضْنِي بالتصرف على مراده ، ويوقفتي لاجتلاب رضاه وإحماده ، بمنّه ، فإن رأى الأمير أن يخاطبني بأمره لأتقيّله ، ورسمه لأمتثله ، فعل إن شاء الله .

#### ٢ - وله جواب كتاب صاحب الشغور بالإجماع له

كتابتنا ونعم الله لدينا موفورة ، وعوارفه مشكورة ، ودعوة الحق بنا منوطة ، وحوزة الدين عندنا محوطة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على النبي محمد وآله أجمعين . ووصل كتابك صادرا عن ثغر أَرْدَبِيل<sup>(٤)</sup> - أحسن الله حمايته ، وتولّى وقايته -

(١) في الأصل : أداءهم .

(٢) في الأصل : إساءهم .

(٣) الحجّزة : الذين يركبون الجمارة : الإبل .

(٤) مدينة كبيرة بإقليم أذربيجان .



تصف استقامة شأنه ، وتراجع مكانه ، وانتظام أموره ، وتكامل العارة في سورة ، بحسن تأتيك ، وجميل تهديك ، وتجردك لتتلافى ما تشعث من بنيانه ، وردّ من نفر من قُطّانه ، حين ألجأهم سوء الملكة ممن كان يليهم ، ويسير سيرة العدوان فيهم ، إلى الإخلال بديارهم ، ومفارقة محالهم ومقارنهم ، فحَمِيَتْ للدين ، حمية مثلك من المهتدين ، وقت بحق الله قيام الجادين المجتهدين ، فعاد الشارد ، واستقام المارد ، وأنس النافر ، وسكن الثائر ، وانحسرت أطاع الكفرة عن الثغر — حرسه الله — بعد امتدادها إليه ، وردّ الله آمالها خائبة بعد انقضاضها عليه ، وأن الذي قطعك عن مكاتبة حضرتنا ، بعد اعتصامك بطاعتنا ورايتنا ، هذه الحواجز التي ملكت عليك اختيارك ، إلى أن بلغت فيها إيثارك ، وأنجح الله مساعيك وآثارك .

وفهمناه حامدين من له الخلق والأمر ، وييده النفع والضر ، على ما تكفل به من إعزاز دينه وإعلانه ، وإظهار أنصاره وأعوانه ، وإنارة برهانه وذليله ، وإعانة المجاهدين في سبيله ، حمدا يقضى لأوليائه بالغلب ، وعلى أعدائه بسوء المنقلب ، وأحمدناك على جدك في خلل أزلته ، وأود عدلته ، ونارح استعدته ، وثلم سدوته ، ووهن شدوته ، كفاء اهتمامنا بما أصلح الدنيا والدين ، وعنايتنا بما أحاط حريم المسلمين ، فقد آذن الله بمحصد شوكة الكفار والفجار ، حزب الشيطان وكلاب النار ، والله المرشد ، والمعين ، والمسدد — في فضّ حكمتهم ، وتفريق كلمتهم ، وفك أسلتهم ، ونحت أثلتهم — عزيمة حاضرة ، تعلو — بمشيئة الله عز وجل — دعوتها ، وتبطل سطوتها ، ويُعلّى جدّها ، ويمضى حدّها ، وتُشرح صدور المؤمنين عندها ، والله بالغ أمره ، متم نصره .

وعذرناك في تأخير كتبك ورسلك حتى الآن ممهود ، وشغالك بما صرفت إليه جهتك ووكذك محمود ، فأحسن المثابرة ، على ما أنت بصدده من المجاهدة ، واستدلال الكفرة بصدق المجالدة ، فكثيرهم قليل ، وعزيزهم ذليل ، ومعاشهم غرور ، ومعادهم ثبور ، وأنصار دين الله قلتها كثرة ، ومحنتها منحة ، وبقاؤها سعادة ، وفناؤها شهادة ، تكتب خطاهم حسنات ، ويُكفّر بها خطيئات بعد خطيئات ، والله زائدهم إلى عزهم عزًّا<sup>(١)</sup> ، ومرسل الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزا ، وثق منا بالعناية الصادقة ، والإلحاق بأهل الخصوص والسابقة ،



والتخوّل بالإحسان والإينعام ، والتعهد بالتشريف والإكرام ، وعرف من لديك من المرابطين لوجه الله ، والمجاهدين في سبيل الله ، ما عندنا إشبالا عليهم وعلى أمثالهم ، واشتمالا على ما قوّى من آمالهم وأحوالهم ، ليزدادوا على الكفرة العجزة ثقل وطأة ، وصدق جرأة ، وحدة جوانب ، وشدة منابك ، إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم .  
وتابع كتبك بأخبارك وآثارك ، فيما يجدد الله من إذلال الكفرة في أطرافك ، وأطرافك ، واستمع من رسولك ما يؤدّيه ، وانتهج نهج الامتثال فيه ، واعرض ما يسنح ويعن من أربك ، والله راعيك وكافيك ، وواقيك وهاديك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

### ٣ - وله في إجماد صاحب الثغر

كتابي ومولانا الأمير مؤيد الدولة فيما يوجبه الله تعالى من ولائه ، وببسطه من ولايته ، ويمضيه من رأيه ويعليه من رايته ، ويعزّه من كلمته ونصره ، وينفذه فيما قرب وبعد من أمره ، على أفضل ما أقام الله به قناة الجماعة ، وألف معه الأهواء على حسن الطاعة ، وما أدبره من أمر خدمته مستقيم ، وإحسان الله فيه جسيم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على نبيه محمد وآله أجمعين .

ووصل كتابك نافذا من ثغر أردييل — حمّاه الله السوء<sup>(١)</sup> — فسرني ما أخبرت به من حاله ، ودلت عليه من عمارته واستقلاله ، وعود سوره بعد اختلاله ، وأوب من إخل من مرابطيه ورجاله ، حين أنالهم من كان يليهم ، ولا يراقب وصية الله فيهم ، ظلما أزعج ساكنهم ، وأخرج قاطنهم ، وكاد الإسلام فيه يضعف ركنه ، والشرك يصدق ظنه ، إلى أن انتدبت انتداب الندب في دينه ، الثبت في يقينه ، المحامى بحميته ، المرامي بحسن نيته ، فتلافيت ما فرط<sup>(٢)</sup> وأدנית [ ما ]<sup>(٣)</sup> اشحط ، واستعدت من شرد ، واستدلت من عند ، وعمرت ما تشعث ، وأبرمت ما انتكث ، واستدف<sup>(٤)</sup> أمر الثغر<sup>(٥)</sup> حاطه الله — وقد شارف

(١) استدف : استقام .

(٢) في الأصل : الثغور .

(٣) في الأصل هكذا : سو .

(٤) في الأصل : فرطت .

(٥) في الأصل : وأشحطت .



الانتشار ، واستمر عقده — وكده الله — وقد صافح الانتار ، وتراجعت آمال الكفرة خائسة على أذنانها ، خائبة على أعقابها ، قد ردَّ الله مكائدها في نحورها ، وبقيَ لواحقها في صدورهما ، وعدَّاهُ منه حقاً في قسم كل من أراد بالدين سُوءاً ، وكان للمسلمين عدواً ، إما في عاجلةٍ تُلبِّسُهُ ثوب الصَّغار ، أو في عاقبة تورده دار البوار .

وقد حمدت الله — تعالى — على ما قواك عليه ، وأجراك إليه ، وسألت الله أن يصلي على محمد خير بشير ومبعوث ، وأفضل وارث وموروث ، وعلى آله ، ويزيد دينه تمهيدا ، والمجاهدين فيه عزّاً وتأييداً ، ويحسن جراك عما اخترت وآثرت وأبليت .

وعرَّض كتابك بحضرة مولانا الأمير المؤيد فاهتز لسماع ما أنهيته ، ولقائك الرضا عما أتيت ، كفاء ما تقتضيه هممه التي وقفها على ضمِّ نشر الإسلام ، ولم شعث الإيمان ، فعمَّ الله الجماعة بعده ، وخصَّ أبناء الطاعة بفضله ، وأوضح منهاج الحق في ظله ، وأتقب سراج الدين بين عزمه وفعله ، وأحمدك على ما أبديته في ملاقات الكفرة أعداء الله من نجدة وباس ، وشدة ومراس ، واعتدك في خاصِّ خدمه ، ورصدك بلاحق نظره ، فوسيلتك أوجه الوسائل وأوقعها ، وذريعتك أنه الذرائع وأرفعها ، جهادٌ في سبيل الله رب العالمين ، واجتهاد في تذليل أعداء الله المشركين ، وبذلٌ للمهجة في مرضاة الله ، وتحملٌ للعشقة في ذات الله .

وقد قبل مولانا ما قدمته من العذر ، وتصوّر تشاغلِكَ عن المكاتبة بمصالح الثغر ، ولا خدمة عنده — أعلى الله جده — أدعى إلى نيل القربة ، وأقضى برفع الرتبة من الاشتغال بمثل شغلك الذي تحمى به من حواشي الإسلام حاشية ، وتسد به من نواحي الجهاد ناحية ، وسينجز الله بموليَّينا الملك السيد والأمير المؤيد وعده ، ويصدّق عهده ، فعزائمهما في اجتماع دوحه الشرك محصية ، قد آن أن يُنجزا ميعادها ، وصوارمهما لاقتلاع عمدة الإفك مرهفة قد حان أن تهجر أعمادها ، وسيشهدُ بمشيئة الله عز وجل عن قرب كيف تحقّق ألوية الحق وراياته ، وكيف تُعلَى قوارع النصر وآياته ، وكيف تجتمع حلقتا البطان<sup>(١)</sup> ، على عبدة الأوثان والصُّلْبَان ، فيعذبهم الله بكفرهم ، ويريهم وبال أمرهم ، لا يجدون في السماء مصعداً ، ولا على الغبراء مقعداً ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن

(١) البطان : الخوادم الذي يكون على صدر الراحلة .



تجد لسنه الله تبديلا ، فهذه الدولة الحمودة ، والدعوة المسعودة ، هي التي أنشأها الله ليعمر بها أفنية الإيمان ، ويضعف أبنية البهتان ، ويعيد وجه الإسلام غضاً ، ويترك جمع الضلال منفصلاً ، له القوة والحول ، ومنه القدرة والطول .

وعنايتي بك عناية يفرضها الدين ، وتكتبها وتقتضيها صحة اليقين ، وتوجبها لما ظهر من حسن قيامك ، وفضل اهتمامك ، ثم لما اعتلقت من حبل الخدمة لمولانا الأمير ، فما أحد اعتصم به إلا أكثب مُرادَه ، وأمرع مرادَه ، وفلجت حجتَه ، ووضحت محبته ، وقد أدى رسولك ماحلتَه ، وصادف من القبول ماملتَه ، وأعدتُ إليه في الجواب ما تسكن إليه ، وتعمل بتوفيق الله عليه ، فذم — أيدك الله — على ما أنت بصددَه ، واستمرَّ على القصد من جدَدَه ، فإنه المنهج الواضح ، والمتجر الراجح ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين . وتابع كتبك إلى الحضرة البهية بما يتجدد من خبر ويتسهل من ظفر ، ويُحمد من أثر ، ويعرض من وطر ، فلاحظة مولانا تضمن الإيجاب في مطالبك ، وتنجزى يسفر في تقريب مآربك ، إن شاء الله .

#### ٤ - وله

كتابي — أطال الله بقاء الأمير صاحب الجيش — والله تعالى عند مولينا منائح تتسابق إلى نهايات السعادة وآمادها ، وتتناسق بعادات الزيادة وأعدادها ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد نبيه وآله أجمعين ، وكان كتاب الأمير ورد على مهنتاً طوله الذي لا أخلو من استغشاء لباسه ، واجتناء أغراسه ، فسألت الله تعالى أن يديم مامنحه ومنح به أوليائه ، ويشكر له عني ما لا أستطيع جزاءه .

وعرفت ما رآه الأمير صاحب الجيش في أمر الحاج اهتمامه بمصالح المسلمين والإسلام ، واختصاصا لبيت الله الحرام ، وعرضت ماورد على محضرة مولانا فكان ارتياحه لمطلعه ومودعه كفاء ما عنده من الاهتزاز لكل ما يجري له صاحب الجيش ذكرا ، ويعبره هما وفكرا . هذا إلى ما لديه من العناية السابقة ، والرعاية الصادقة ، لهذه العصابة القاصدة خير مقصد ومثابة ، وأكرم بقعة متابة ، وقد أقاموا في اجتيازهم وظلال الكرامة تقيمهم ،



ونهبوا وأجفحة الحماية تحميمهم ، وامتد الجمّزان معهم إلى الحضرة العالية ، وسينبيان ماسارت به الركبان عن مولانا الملك السيد في تسيير وفد الله أجمعين بين أطراف محفوفة ، ومصانع معمورة ، ومعالم مُنيّرة ، ومشارع غزيرة ، وللاُمير صاحب الجيش في كل ذلك أجرُ المسامح وثواب المُقاسم ، فالدال على كل خير كفاعله ، والشافع فيه كعامله . وحين انكفأ الجمّزان أنهيت هذه الجملة إليه ، وجُدّدت ذكرى لديه .

## ٥ — وله جواب الكتاب الوارد في إصلاح قنطرة النوبهار

كتّابي — أطال الله بقاء مولانا الملك السيد — والأُمير المؤيد موفور السلامة ضافها ، مسعودٌ في الأعمال التي يخلف مولانا فيها ، والحمد لله وصلاته على نبيه محمد وآله .  
ووصل ما خطبتُ به من المجلس العالى بذكر قنطرة النوبهار<sup>(١)</sup> ، فتشرفت بما استخدمت فيه ، وأهلّت للقيام به ، وحمدت الله تعالى على ما يحضر مولانا الملك السيد في كل حال وأمر من الاهتمام بمصالح الخلق ، وحسن النظر لهم عن قرب وبعد ، والمأثرة في شأن هذه القنطرة عظيمة ، والثوبة جسيمة .

وقد جمعت وجوه القياسين والخصاصين والمصهرجين وأخرجتهم إلى الموضع لتأمله ، وأوصيتهم ببناء الأمر على ما يقصد به التأييد والتخليد ، ويؤمّن عليه عدوان الماء عند الزيادة الحادة ، وتقدمت إليهم ببناء سدٍّ أمام القنطرة يدفع عن أساسها حدة الماء إذا كثر ، فعلى هذا عملت القناطر المتقدمة بهذه الديار ، فلم تتمكن السيول من الإضرار بها ، وحدّدت أن يقدروا تقديرًا ما ، وإن كان الاعتماد في الإنفاق على ما يخرججه العمل بأيدي الثقات .

وأشير في الخطاب العالى إلى استخدام فلان في ذلك ، وهذا أمر يُحتاج له إلى من يلزم ذلك المكان ولا يفارقه إلى حين الفراغ ، وفلان محالفٌ للدار والخدمة ، ولا يكاد يفرغ أكثر نهاره ، وخادم مولانا يستخدم في هذا غيره ممن ينوب منابه ، ويقوم فوق قيامه ، ويُجرى المال على يد فلان ، وينهى أمر التقدير إذا عاد القياسون ، ويتبدىء بابتياح الآلات لتكون مُعدّةً لانحسار البرد . ونسأل الله التوفيق لشروط الطاعة .

(١) النوبهار : موضع قرب الرى .



## ٦ - وله

كتابتى ، ونعم الله عند مولانا على ما يرفع نواظر خدمه ، وأنا سالم بكرىم نظره ، والحمد لله وصلاته على النبي محمد وآله .

ووصل كتاب سيدى فسر فى ازدياد الدار قربا ، وما تولاه به [ الله <sup>(١)</sup> ] فى مسيره كفاية وحفظا ، وسألته أن يجعل مواهبه لديه دائرة لا ينقطع لها مدد ، ولا يقف بها عدد ، وقد كان مولانا متطلعا لأقرب أخباره عهدا ، وأدناها وردا ، وارتاح لما أنهيته ، وأنس بما حكيت . وكان رسم تسمية من يستقبل سيدى ويشحن بالخدمة طريقه ، وفى هذا خرج فلان فيمن أضحج من القواد ، والله يوفقهم للتقرب إليه ، والتخفف بين يديه ، ويسعدنى بوده ، وكرىم عهده .

فأما الحبيب فمولانا على اهتمام بأمرهم ، ومراعاة لأحوال جمهورهم ، وملاحظة لسيرهم ، حتى يقعوا <sup>(٢)</sup> فى ظل الصون والسداد ، ويأمنوا عوارض العيث والفساد ، وإذ قد [ورد] <sup>(٣)</sup> الأمر الممثل بذلك من الحضرة العالية ، فإن النافلة فيه تعود فرضا حتما ، وحكما جزما ، ومتى ورد الكتاب بذكر انفصالهم أخرج العدد والعدد الجم من الأولياء ، وليهم الله ، ليوردوهم بإذن الله مكنوفين محوطين ، من أعين محروسين .

## ٧ - وله فصل فى أمر الحاج

فأما الحاج - أحسن الله كفايتهم ، وأجل حمايتهم - فقد اعتد الأمير المؤيد بما رسم إنشاء فى أمورهم ، وابتداه من هز حقوقهم ، إذ كان جمال ذلك ليس بخافى الخبر ، ولا عافى الأثر ، بل هو مسعد دينا ودنيا ، ومُجد البدء والعقبى ، ومن أولى بأن يهدى للمحنة الوسطى ، وينبه على مواقع الخير والهدى من الأمير ، وهو علم فى العلم بالسياسة ، وجامع مصلحة العامة إلى مصلحة الخاصة ، وقد لزمى عن كل كتاب وصل شكر أستأنف فرضه وأستجد ، واعتداد أجتهد فى حقه وأجد .

(٣) زيادة للسباق .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) فى الأصل : يقع .



وقد كان الأمير — حين عرف انفصال الحاج — رسم إنهاض من ينفذ السبل  
ويقدم الرفق ، ويسير آخر من ورد . ووصلوا مكثوفين ، وهم على الخروج ، محطين ،  
وقد نفذت الكتب مد الطريق بما يبعث الجميع على إعزازهم ، وإكرامهم في مجازهم ، وهم  
بذلك عاملون متقيلون ، بمشيئة الله .

## ٨ — وله

كتابي — أطل الله بقاء الأمير صاحب الجيش — ومولانا الأمير المؤيد مستفيد من  
مزيد العز والنعمة ما يطابق مواقع البغية ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على نبيه محمد  
 وآله أجمعين .

ووصل كتاب الأمير الجليل قد ألبسني فيه من مستجد التقريظ مع قصرى بنفسى  
عن<sup>(١)</sup> رتبة التقريظ<sup>(٢)</sup> ، ما أحسن ظنى بأمرى وقد ساء ، وعظم على منه كيف شاء ،  
فقول الأمير حتم ، ورضاه شرف ومجد ، وحمده ذخيرة وعز .

وقد عرفت ما أحمد الأمير من جميل نشر الحجيج عن هذه الحضرة ، وكل الذى بلغ  
ويبلغ بالمنفصلين عن تلك البقاع — حرسها الله — فظلال الأمير تمتد عليهم ، وسحائب  
اهتمامه تنصب إليهم ، معتقد وجوبه ، مستشعر لزومه ، مقرر بالقصور عن المفروض منه ،  
غير مستدعى — بعد قبول العذر — الشكر عنه ، ومهما وفقني الله له في هذه الأحوال  
فبرأى من الأمير حسن في وأراني الرشد ، وهداني القصد ، أعانى الله على ما يزلف لديه ،  
كما بسط بأنواع العرف يديه .

## ٩ — وله

كتابي يا أخى وأثيرى — أطل الله بقاءك — ومولانا مؤيد الدولة سالم في نفسه ،  
محروس في ملكه ، موفق في أمره ونهيه ، وأنا معافى في ظله الظليل ، موفق بدولته أحكام  
التأميل ، والحمد لله وصلواته على خيرته ، محمد النبي وعترته .

(٢) هكذا في الأصل .

(١) في الأصل : على .



ووصل كتابك صادرا عن الثغر أحسن الله وقايته ، وأجل رعايته ، بعد أن تُرُقَّب لصدق الاهتمام بخبرك وحالك ، وأحوال أتباعك ورجالك ، إذ كان مولانا — والله يعز سلطانه ويعلى شأنه — يراعى من أمور الثغر ما ستتضح — إن شاء الله — مناخه ، وتظهر نتائجه ، فيزداد دين الله ظهورا ، وأعداء الله ثبورا ، وقد أنس — كبت الله حساده ، ورفع عماده — بما أنهيت من حسن قيامك في حراسة ما إليك ، وسياسة من لديك ، والغلظة على الكفار عندة الإيمان ، وعبدية الصلبان .

وقد رسم — أدام الله علوه — أن تُعَدَّ في المستخلصين من أوليائه ، والمختصين بحسن رائه ، ولذلك توابع من كرمه ، وشوافع من نعمه ، وقد وقفت في التماس الخطوة ، كما وقفت في إقامة الدعوة ، ومهما ازددت على الكفر بأسا وشدة ، زادك — أدام الله سلطانه — إكراما وقربة ، وضاعف لك بعد رتبة رتبة ، فأحسن — أيدك الله — الثبات على أمرك ، وقوة بصائر القائمين بنصرك ، فإن الكفار وإن كانوا ذوى عدد كثير قيّد الخذلان يقللهم ، وعز الإيمان يذلهم ، والله الكافل للدين ، والقاصم للملحدين .

وعندى لك — أيدك الله — الإكبار الذى يتبعه الإيثار ، والإكرام الذى يشفعه الإنعام ، كما يفرضه العقد الصحيح ، والدين الصريح ، ثم ما أنبأ به كتابك من فضلك ، ودل عليه من وفور عقلك ، وإذا ورد رسولنا فأكرم مورده ، وأحسن مصدره ، بإذن الله ، فتابع كتبك ، واذكر أنباءك ومآربك ، إن شاء الله .

## ١٠ — ولله

كتابنا عن سلامة ، قد وصلها الله بحسن الولاية ، وارتفاع الراية ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين . ووصل كتابك — أيدك الله — صادرا عن الثغر المعصوب بك — حرسه الله — وقد كنا له متطلعين ، ولما أنهيته من خبرك متوقعين ، كفاء ما فرضه الله تعالى في حكم الدين ، من إعظام أعلام المجاهدين ، فسرنا ما أنبأت عنه من استقامة الأمر ، ولطف كفاية الله في مهمات الثغر ، إلى ما وصفته من حسن مشايعتك ، وحسن موالاتك ومناصحتك وإقامتك الدعوة لنا سالكا أحمد المذاهب ، وحافظا في طاعتنا أسعد الضرائب .



وأحوال الثغور من أهم ما نراعيه ، وأخص ما نُخلص الاهتمام فيه ، وستكشف الأيام  
— بمشيئة الله — عما شحذناه من العزائم ، وأرهفناه من الصّرائم ، حتى ينبجز الله — تعالى —  
على أيدينا وعده ، وينصر تحت رايتنا جنده ، ويُعزّ الدين وحضرته ، ويذل الصليب  
وعبّده ، فكن — أيّدك الله — على عزيمتك الثاقبة ، وبصيرتك الصائبة ، فإن الله يتم  
الإنعام ويسبغه ، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، وإن أهل الكفرة إلى حين ، وأملى  
لهم بكيد متين .

وعنايتنا لك — أيّدك الله — شاملة ، وأمّدادُ نظرنا — متى أردت — متواصلة ،  
ومعونتنا لأبناء الجهاد مبذولة ، وسيوفُ أوليائنا على أبناء الإلحاد مسلولة ، فاقوّ نفساً وظهرأً ،  
ورأياً وأمرأً ، ولا يهولنك كثرة الأرجاس ، فإنهم أزواد الضباع ، وآ كال السباع ، ومشارع  
السيوف ، ومراتع الختوف ، كثيرهم قليل ، وعزيزهم ذليل ، وهم بين سواتين ، إما إملاء بمقت  
— من الله — عظيم ، أو إفضاء<sup>(١)</sup> إلى عذاب أليم ، كما أن المجاهدين في سبيل الله بين  
حُسنيين ، إما سعادة في الحياة الدنيا ، أو شهادة في التي هي خير وأبقى ، والله وليّ تأييدك  
وتسدّيدك ، وتقوية أنصارك وعديدك .

---

(١) في الأصل بكتابة الضاد ظاء .



## الباب الخامس

### في الاستعطاف لقلوب أولياء الدعوة

والتودد إليهم بمباستطهم وما يقارب ذلك

#### ١ — كتاب تودد واعتذار من تأخير إطلاق

كتابي — أطال الله بقاء الأمير صاحب الجيش — ونعم الله عند مولانا الملك السيد في تهذيب الأمور وتسديد الثغور ، وتزايد النصر المبين ، وشفاء صدور المؤمنين ، على أفضل ما وعد تعالى وعود ، وجدد في حال ومهد ، ومولانا مؤيد الدولة مصحح في جسمه ، موفق في بسطه وقبضه ، وحله وعقده ، وما أراعيه جار أحمد مجاريه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على النبي محمد وآله أجمعين .

ووصل كتاب الأمير على عادته لدى في مبرة يصل أسبابها ، ويوثق أطنابها ، ويتابع عددها ، ويلت مددها ، ولو قد كان الشكر وفي ، بسالف مألولى ، لرجوت أن يستقل بفرض ما نستقبله ، ويقابل آنف ما يُحوّله ، ولكن فضله بتواليه يعجز عن أمد الوجوب ، ويقف بصدد القصور والغوب ، فأطال الله بقاء الأمير في نعم تكفنه غير منحسرة ، وتشمله غير مقصورة ، وأدام على المكارم إعانتة ، وإلى المآثر هدايته ، إن الله يفعل ما يشاء .

وقد أدى فلان ماتحمل بذكر الضياع والتماس حلها ، واستخلاصها لحقها ، وعرض ماورد من الحضرة البهية بذكرها ، ووصف اهتمام الأمير بأمرها ، فصادف الجميع عند مولانا ارتياحا للخطاب ، واهتزازاً للاطلاع ، ومحبة لأن تكون تلك الأملاك مقررة على سبلها ، وما تحوى في وجوه دخلها . وقال — أدام الله علوه — إن أمثالها لو أريدت لأصاغر من على ذلك الباب لما رأينا غير الإسعاف والإيجاب ، فكيف بالأوجه رتبة ، الأنبة قرينة .

هذا والأمير صاحب الجيش الوسيط والمشير ، فلا خلاف عليه ، فيما يوصى بالإيثار إليه ، إلا أن الديلم تعرف صورهم في الإقطاعات إذا علّقوها وفارقوها ، وتملكوها وفكّوها ، وإن



ارتجاع ما يراد تخليصه منهم مقتضى أدنى ترفقٍ وتمهلٍ ، والإرضاء بالابدال من دون تهجم وتعجل . ولولا ذلك لما عاد الرسول إلا بالإجابة التي كانت النفس معها أذهب ، ولها أطلب ، وقد مثَّلَ لى أن أشغل كتاب الجيش والإقطاع بتعويض من رضى بالمعوضة ، والإسعاف بالزيادة والمعونة . وهذا أمر يلزمنى فيه مع امتثال الأمر بذل الجهد ، واستغراق الوُسع ، وسيأتى بمعونة الله ما يقرب المدة ويُدْنِيها ، ويبسرها ولا يُرْأخِيها .

## ٢ — ولله

كتابى — أطال الله بقاء الشيخ — ومولانا الأمير سالم النفس ، متظاهر العز ، نحيم السعادة ، نافذ الأمر ، وأنا بدولته — ثبته الله — مستقل الجسم ، مكنوف من الله بلطيف الصنع ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين . ووصل كتاب الشيخ فكان الوافد المؤثر ، والوارد المنتظر ، وتضمن من أنباء الحضرة فى السلامة الجليلة ، والسعادة المتصلة والمسار المتوالي ، والمحابِّ الجمَّة الصافية ، ما يقيم النفوس ، ويشرح الصدور ، ويرفع نواظر الأحرار ، ويرضى عن مجارى الأقدار ، لازالت نعم الله لديه محروسة عن التنكر ، محظورة عن التغير ، باقية بقاء المُسند ، نامية انتهاء الأبد .

وعرفت من خبر الشيخ فى نفسه ، والخاص والعام من أمره ، ما يُهِنُّنى المواهب ، ويُمَلِّئُنِي المنح الرواتب ، فى حراسة الله لرباعه ، وسطه لأمله وباعه ، جمالاً للفضل ومن أخذ منه بخصل ، وقوة للكرم ومن حظى منه بقسم ، فأدام الله ما آتاه ، وأحمده عُقبى كل أمر ومأتاه ، والذي يأتيه الأمير فى مواصلة مولانا لمخاطبته ، ومراسلته ، وعمارة مسالك برّه وشفقته ، قد غرس فى صدره ، من وده ، ما لم تسمع الآذان بشبهه ، ولا يوفى العيان بكُنهه ، فكيف الخبر بتقصى حقه ، والإصابة فى وصفه . وقد عرض فلان ما صحبه من المكاتبات ، وردفها من المشافهات ، وعزَّزها من المبرَّات ، فكان لكل منها أخص موقع فى الاعتداد والتقبل ، والزيادة فى الحمد والتحمد .

أما الخطاب فلما تضمن من خير مؤنسٍ للنفس كان متوقعا ، وأما الشفاه فلتفاوض بودائع الصدر كان متطلعا ، وأما التحف فلرفعها كُلفة الاحتشام ، ودفعها سُدْفَة الانقباض ،



وفسحها الطريق إلى إيثار الاسترسال ، والجري على سَنَنِ الانبساط في كل حال .  
ولما تيسر لفلان وقتُ الإياب ، وَحَمَلَ ما وَجِبَ في كل باب ، كاتبت الشيخ بمواصلته  
التي تهدي إلى الصدر روحاً ومسرة ، وللطرف جِلاءً وقرّة ، وعلى ذكر فلان فهو السديد  
أداءً وسما ، الحقيق تقديمًا واصطناعاً ، ما أعرّته — يشهد الله — شهادة ، ولا أعطيته فيها  
زيادة ، فقد أحمّد مورده ومصدره ، وارتضى مطواه ومُنشَره ، ومولاي أولى بما قيل في  
عظيم من الكرام ، سهل الحجاب مؤدّب الخدام ، ورأى الشيخ في مواصلتي بكتبه ،  
وتصريفى على مآربه ، موفقٌ إن شاء الله .

### ٣ — وله اعتذار وإيجاب

كتّابى — أطال الله بقاء الإصفيهيد<sup>(١)</sup> — ومولانا ثابتُ معاقدِ العز والقدرة ، راهنُ  
عوائدِ الملك والبسطة ، وأنا في ظليل ظله محظوظٌ من إحسان الله وفضله ، والحمد لله .  
وقد أنتنى للإصفيهيد كتب تحمّلت من جميل قوله ما لا أستبدعه مع خلوص وده ،  
وتضمنت من لطيف بره ما لا أستغربه مع خصوص عهده ، ووقفتُ على آخر ما أهدته مخاطبته ،  
وأدّته مراسلته ، وعجبت من الأحوال التي كانت سبقت إلى فكره ، وانتهت إلى تضيق صدره ،  
فقد علم الله مالك الشقاء والسعادة ، وعالم الغيب والشهادة ، أنى منذ وصل الله حبل المشاركة  
بينى وبين الإصفيهيد آخذ نفسى فى الاشفاق على بيته ونعمته ، والإيثار لمحبه ومصالحته ،  
بما لا أحسب أحدا يحاسب ضميره على مثله ، ويجده فى مودّع سره ومتصفح جهره ، لأمر :  
منها مكانه العظيم فى مشايخ الدعوة ، وموقعه الشريف من الإكبار والحظوة ، وتصرفه  
للدولة السامية مع الاخلاص الغضّ ، والوفاء المحض ، فى حالى الضرورة والاختيار ، وزمانى  
الكراهة والإيثار ، ومنها أن التعصب لبيته الرفيع ، وشرفه الواسع ، واجب على كل  
ذى جبلة صحيحة ، وأرومة صريحة ، ومنها ما فى الطباع من مقابلة الجميل بالجميل ، ومكايلة  
الود الوكيد بالإخلاص البليغ ، وقد أظهرت إلى الأيام منه ما عقدت عليه بنائى ، وانصبت  
إليه بجنائى .



هذا إلى سائر البواعث التي يكثر تعديدها ، ويصعب تحديدها ، وكان مما يُقر عيني في بابه ، ويشرح صدرى لأسبابه ، ما أجد عليه مولانا إكباراً لوزنه ، وإيثاراً لبسطه ، وتحسيناً لذكركه ، واهتماماً بأمره ، فإن وقع في وقت استبطاء<sup>١</sup> فغن غير تنكر ، ولا تنمر ، ولا اعتراض تغير ولا تذمر ، بل كما لا يَخْلَى من مثله الأعمام ، والأقارب الكرام ، وكيف جاز أن يتخالج الإصفهيد رَيْبٌ ، أو يَغْشَى فكره رَيْبٌ ، بتسرّع متسرّع إلى مضارّته ، وتعجّل متعجّل إلى محادثته ، لم يُرَفِدْ بإذن ، ولم يُخْلَ من عَتَبٍ .

وسطرت هذا الكتاب بخطى ليزداد الإصفهيد إليه سكونا ، وعليه عكوفاً ، فلعله قد عرف منى أنى لا أطلق يدي إلا بما أقبله يقينا ، وألبسه برهانا مبينا ، فليتحقق أن مكانه من رأى مولانا مكان لا يهتدى له الزمان ، ولا تؤثر فيه الأيام ، ولا تجري بخلاف استقراره الأوهام ، أعان الله الإصفهيد على استحفاظ ذلك بدواعيه ، وغُرَر مساعيه — وفيما يكتب به فلان — مما سمعه لفظاً ، ووعاه عند مولانا حفظاً — غُنِيَّةٌ دون التطويل ، وعمدة تؤثّل الاستئمانه كل التائيل ، وسيعرف من نتائجه ما يُقر الناظر ويسلم الخاطر ، ويُحمد العقب ، وينفى الرّيب بإذن الله ، فإن رأى أن يخاطبني مواصلاً ، ويباسطني مطاولاً ، فعل إن شاء الله .

#### ٤ — وله في إظهار المشايعة والبسط

كتابي وأمور الحضرة على ما عوّد الله فيها من الرجاء رفعة شان ، ومنعة سلطان ، والحمد لله وصلاته على نبيه محمد وآله . ووصل كتابك بوصف ما شاهدت عليه فلانا مقاماً على أجل ما وعد الوفاء عنه ، وشاهدته عين الثقة منه . وعرفته وسائر ما تولّيت الإبانة عن صورته ، والتحدث بحقيقته .

وقد علمت أن مودّتي لفلان ليست لدواعي الرغبة وبواعث الرهبة ، وإن كان مرغوباً إليه ، ومرغوباً منه ، وإنما قصدي عمارة موقعي من رائه ، وأن يعدّني في أوّل نصّحائه ، كما أعد نفسي أولى أوليائه ، وأن يحفظ الله نظام هذه الأمور التي وُكِّدَتْ دعائهما ، ورفضت معاملهما<sup>(١)</sup> ، وكُتِبَ حسدتها ، وقُصِّعَ عنديتها ، ويكون ما خلص له عند مولينا راسخاً على

(١) في الأصل : معاملها .



الدهور، وثابتاً على اختلاف الأمور، لا ترتقى همة الأيام إلى فسحه وتحويله، ولا تقوى مُنة الزمان على حله وتبديله، وأن يعلم — في مصارف الأقاليم — أنى ما توسطت أمراً إلا حفظت شرائطه وحرصتها، ورفعت مبانیه التي ابتدأتها وأسسها، لا سيما إذا كان موليانا — كبت الله حسدتهما — لا ينقضان ما أبنيه، ولا يقفان ما أمضيه.

وكان فلان — على ما أقدر بل أتيقن، وأحسب بل أتحقق — يُحَلِّنى محل من يُرجع إليه، ويعوّل على ماله، ويعلم أنه لا يريد بما ينقض ويبرم، ويؤخر ويقدم، إلا ما هو أرضى لذات البين، وأحمد على مرّ الجديدين، وزادنى ارتياحاً لما ورد منك أن هذه الأيام التي غبت فيها شُحِنَتْ صدورُها وأعجازُها، وبُكِرْها وآصالُها، بكتب مولانا تتضمن من ذكر فلان ما فسح لى في مذاهب الجدل، كما حقق سوابق الأمل، وأنكر — حرس الله ملكه — ما أقدم عليه، وتقدم [به] <sup>(١)</sup> المشكو إليه، إنكاراً كالتنكر، واستبطاءً كالتمتر.

لا جرم أنى أصدرت كتابك على جهته، وكتاب فلان كهيئته، بعد تقديمي مخاطبات، وإسلافي مقدمات، اقتضاها ما كان المنابدون <sup>(٢)</sup> يرجفون به، ويوجفون فيه، من أضاليل شهدت ببطلانها، وأباطيل نصصت على بهتانها. وتوقى قرب عود كما يُغنى عن الإطالة فلا يقعن تأخر دون التعجل، ولا توقف دون التسرع.

## ٥ — وله في تحقيق الأمل وأمن المحذور

كتابى، ومولانا سابغ السلامة والسعادة، ونعم الله لديه مضمونة العادة والزيادة، والحمد لله رب العالمين وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين.

ووصل كتابك فأسنى الله بما أحسن من تأديتك، وأجمل من صحابتك، وسألته أن يَكُنْفَكَ بالخيرات دانياً ونازحاً، وصادراً ووارداً، وعرفت ما ورد عليه من الأمير ثباتاً على وثيق العقد، وإخلاصاً في حفظ العهد، وكانت السعادة المقسومة لأيامه بذلك واعدة، وعليه معاهدة، والثقة من مولينا — أدام الله علاهما — تامة، لا يتغير عليها غيب، ولا يتمشى إليها ريب، ولكنى بما أدين له من طاعته، وأنصب إليه من مشايعته، وأفرضه على نفسى من

(١) زيادة للسياق.

(٢) في الأصل: المنابد بالإفراد.



المشورة بما هو إلى صعود جدّه أقرب وأدنى ، وبسعود نجمه أحكم وأقضى ، أحب أن تكون الأحوال واضحة الصفحة ، رابحة الصفقة ، محروسة عن عوارض الشبهة ، محفوظة عن عوائق المرية ، لا سيما إذ كانت المثونة في ذلك خفيفة لا تُجهد حالا ، ولا توقع اختلالا ، وكانت الجنبه التي وصل الله السبب بها أعلى جنبات العالم ، وأجمعها للسلطان الشامخ والعزاز اهن والملك الشامل . وكنت مع هذا المتطوق للوساطة ، والمعتنق للسفارة ، والناظر بين الموالاة والكفالة ، ولا غرض أرميه ، ولا مغزى أنتحيه ، إلا أن يحرس الله نعمه عند من عمّر صدرى بمحبة أيامه ، ويظاھر منحه لمن وقف فكرى على مصلحة أمواله وبلدانه ، والله يشفع هذه الشوافع بعين حوّطه ، ويدّ صوّنه . ولولا تقريبيك الأمد في العود لكنت أبسط الخطاب وأفرش الكلام ، ولكنني أجد الشفاه أعذب منهلا ، وأقرب متناولا .

وقد أضدّرت كتابك إلى الحضرة العالية ، لأدفع في صدر الأكاذيب المتوالية ، وحداني على ذلك أن مخاطبات مولانا تتابعت على أيدي رسل متقاطرين ، وفيوج<sup>(١)</sup> متظاهرين ، متضمنة من ذكر الأمير ما يشهد الله أنه رفع ناظري ، وجمع خاطري ، إذ دلّ من الاهتمام على ما لا يصدر إلا عن ذلك الكرم الفسيح ، والمجد الصريح ، ولا يُستحقّ إلا في هذا الجنب ، الواسع الرحاب ، الشريف النصاب ، وتَنوُّول من كان شكى من اللوم بأحدّه غرار ، بل من الذم بأشده إنكارا . وأما اعتداد مولانا بما يخصه<sup>(٢)</sup> من ود الأمير مولاي فما أرضى عبارتي للإخبار عنه وإن لم تكن قاصرة لبلوغه<sup>(٣)</sup> النهاية التي لا تُدرك ، واستيلائه على الأمد الذي لا يباحق ، ولولا إن ذِكرَ الوصل بين العطاء تنزّه عن الابتذال للوصف ، لاجتهدت في قصد الشرح والكشف . وأنا أرجو أن تُغني بقرّب الإياب ، عن استعجال الجواب ، فقد أوحشت ببعذك ، وإن آنتست بحسن سعيك . وأنا أتوقع أخبارك ، وأوطارك ، إن شاء الله .

## ٦ - وله تودد واعتذار من اطراح الحشمة

كتابي — أطال الله بقاء الأمير صاحب الجيش — والله ذى المن والإحسان عند الملك السيد ، والأمير المؤيد ، مع مؤتلف الأيام ، ومتصرف الزمان ، منائح متصلة الورود ، جامعة

(٣) في الأصل : لبلوغ .

(١) جمع فيج بمعنى فوج .

(٢) في الأصل : يخص .



أحكام السعود ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين .  
ولولا علم الأمير بأن مولاته دينٌ أكمل به فرائض ووظائف ، ودرس أشحن به مصارف ومواقف ، وأن التحدث بنعم الله في حراسة أيامه ، ونفاضة أعوامه ، شعارٌ لا أخلّ بلوازمه بادئاً وعائداً ، ومنارٌ لا أضلّ عن معالنه جاداً وجاهداً ، لاقتضتني أيادي الأمير عندي بالإفصاح عما يحته صدرى ، ويكنه سرى ، وتتناصف فيه شرائع لسانى ، وودائع جنانى ، وظواهر أخبارى وبواطن استشارى . والله يديم له ما قسم من مواهب أصبح ظلها على الناس ظليلاً ، وفضلها للخاص والعام جزيلاً ، فلم يتفرد بها حتى أفاضها مرتجلاً ومحتفلاً ، وبذلها ملترماً ومتنفلاً ، والله يشكر للشاكرين ويزيدهم دهر الداهرين .

ورأى الأمير أن يُصدر إلى حضرة مولانا أحد أنشاء خدمته ، وأغذياه نعمته ، ليؤدى فصولاً يحملها ، ويعود من سائر الأنباء بما يوفر المسرة ويكملها ، فصدر فلان ورسم أصحابه ما تقبض خفة قدره عن إجراء ذكره ، وإن كان المراد فيه تصيير الاسترسال فرصة توجّد ، وهزّة تعتمد . ولعلم مولانا الأمير بأنى آخذ نفسه للأمر مأخذ المقيمين بحضرته ، المنفردين<sup>(١)</sup> بخدمته ، ما رسم لى أن أكتب ، معرباً عن الغرض فيما أُصدر ، ليتجه العذر إن استنزل .

#### ٧ - وله فى استعطاف وتودد

وصل كتاب الأمير محمد عبده ؛ على كريم عاداته عنده ، لما خدم فيه من أمر الخطابية ، حتى جرى على الطريقة الواجبة ، فليس عبده بذلك شرفاً لا نطمع الأيام فى خلعه ، وأدّرع مجدداً لا يتطلع الزمان إلى نزع . وبواعث الأمر على ما يوافق محاب الأمير ، أكثر من أن يُحتاج معها إلى اجتهد سفير ، وجد نائب ومشير ، إذ هو — أعز الله نصره — يُستقصر فى مسرته ما يعظم عن درك العيان ويكثر عن حد البيان . يوفى الله للخدمة التى فى حجرها رُبيت ، وبلبانها غذيت .

#### ٨ - وله فى شكر وملاطفة

كتابى — أطال الله بقاء الأمير — ومولانا سامى الراية مظفرها ، وافى السعادة موفرها ومولانا المؤيد معمور ساحة العز ، محروس عرصة الملك ، والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله .

(١) فى الأصل : المنفرد .



ووصل كتاب الأمير على عادته المظهرة كل وقت فضلا جديدا لم يشهد ، ومنا عظيما لم يُعهد ، وإحسانا وسيعا لا يضبط قُطراه ، وامتنانا رحيبا لا ينقطع عصره ، وأنبا من استقامة أمور حضرته ، واستيفائها لشروط محبته ؛ عما إذا قارن النعم العظام أوفى <sup>(١)</sup> عليها وزاد ، واستغرق طاقة الشكر أو كاد ، وسألت الله — سؤال من قوله كسيرة صدره ، وسيان لسانا سره وجهره — إطالة بقاء الأمير في عزٍّ مستجد لا يخلق ، وأمل مدرك لا يخفق ، وابتناء للمكارم يستوقف الضمائر على محبة أيامه ، ويستخلص السرائر لاستدامة زمانه .

وعرفت ما اعترمه <sup>(٢)</sup> الأمير من تعهد سيدي أبي فلان برسول يؤدي إليه شريف ما يحمله ، ويظاهر عليه ما يتعهد به جميل خطابه ويتخوله ، وأنه حين ذكر خبر انكفائه عن وجهته ، رأى العدول إلى أفراد الجمز بمخاطبته ، شيمة منه — أدام الله تأييده — عظيمة في إسباغ البر على من قرب بحضرة مولانا موقعه ، وعظم في ظله الكريم مشرعه ، وقد وصل الكتاب إليه ، فأكبر مطلعاه عليه ، وشكر جميل التعهد شكرا لم يدخره مضاعفة وزيادة ، ولم يسأمه بدءا وإعادة ، وصارت هذه اليد مما يكثر اعتداد الملك بها إذا رقي خبرها ، كما اعتد بها مولانا الأمير المؤيد لما أنهى موردها ومصدرها ، إذ <sup>(٣)</sup> كان فلان مرموقا بالدولة — ثبتها الله — لقرنته وزلفته ، وحظه وحظوته ، فإن رأى الأمير أن يخاطبني أمرا وناهيا ، لأجيب مؤتمرا ومنتهيا ، فعل إن شاء الله .

#### ٩ — وله تودد وشكر واستعطاف واعتداد

كتابي ومولانا الأمير المؤيد فيما يواصل الله إلى عراض عزه ، من مزيد إحسانه وفضله ، ويحرس من حمى أيامه وكنف ملكه ، على أحمد ما تسموله الآمال ، وأسعد ما يساعد عليه الإقبال ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين .

ووصل كتاب سيدي موصّل المسار ومسنّتها ، ومتحمّل المبار ومهنّتها ، فتعرفت البركة به مطويا ومنشورا ، واستمليت الغبطة عنه فصولا وسطورا ، وفككته فبشر من انتظام الأمور بحضرة الأمير بما أجد النعمة فيه تنظم الشاهد والغائب ، وتخص الأبعاد

(٣) في الأصل : إذا .

(١) في الأصل : وأوفى وأسقطنا الواو

(٢) في الأصل : اعترفه



خصوصها الأفارب ، إذ كان الله قد جعل محامد أيامه شائعة لا تنفرد بطرف دون طرف ، ولا تحد بكنف دون كنف ، والله يديمها محفوظة عن هم الزمان أن تنالها ، وآمال الحداث أن تتصدى لها .

وعرفت من خبر سيدى فى عافية يسبغ الله ثوبها عليه ويضيفه ، ونعمة يسوغ شربها له ويضيفه ، ما لا تعدونى ثمرته ، ولا تخطونى نتيجه ، بحكم الأحوال التى جمعنا الله عليها ، وأجرى بأسباب مودتنا إليها ، فإني إذا وقفت خنصرى لأثنيه على أكرم عهد أحرزته ، منذ صحبت الزمان وسبرت الأنام ، كان عهد الذى أستوزع الله شكر الموهوب منه ، وأستصرف عيون الكمال ولحاظ التمام عنه ، والله يواصل له ما أعطى وخول ، ويملى أهل وده الجمال بفضله وقد فعل .

والذى وصف سيدى من الأسباب المنعقدة بين مولانا ومولاي أبهر ضياء ، وأرفع سماء وأشرف مناظر ، وأفسح مبادئ ومحاضر ، من أن يأتى عليه الذكر ، وإن اشتغلت به الأيدى الكاتبة ، والألسن القائلة ، واشتركت فيه القلوب الحافظة ، والأذان الواعية . وأما الاسترسال فى الألفاف ، المتوسطة حالى الإخلال والإسراف ، فهو الذى يشرق له أفق المشاركة ، ويعمر به طريق الثقة الصادقة ، وللأمير من الابتداء بهذا البر والعود فيه ، والافتتاح له والرجوع إليه ، ما لا يجارى إلى أمده ، ولا ينازع فى قصبه ، كما استولى من كل فضيلة على سبقها ، وأخذ فيها بأزمة حقها .

وما رأى — وفق الله آراءه وأطال بقاءه — تجديده الآن منه قد عرضه فلان أجمل عرض ، وأخذ من اعتداد مولانا بأوفر حظ ، ورآه نتيجة ودّ يقتضى بالجميل وصالا ، ويستدعى الحسنى منه حالا فخالا . وتصرفت فى القول من الجنبتين كفاء تحقّق بهذه الحضرة البهية ، وتخصّصى بتلك السدّة الزكية ، فإني وإن كنت بعيد الدار عن الأمير فالإخلاص البالغ يدينى من رائه ، ويقرّبني من ولائه .

ولما تيسر عود فلان خاطبت سيدى على يده شاكرًا كتابه الواصل وبره المتضاعف ، وقبل ذلك بما يمهده بحضرة الأمير من موارد قولى وفعلى ، ويصوره من خلوص نيتى وعقدى .



١٠ — وله تأنييس بجميل الرعاية وبعث على الزيادة فيما يكسب حمدا

كتاني ومولانا الأمير موفور أسباب العز والتمكين ، مخفوف بالسلطان الراهن والنصر  
المبين ، وأنا سالم بصعود حَكَمَتِهِ ، وسعود خَدَمَتِهِ ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على  
النبي محمد وآله أجمعين .

ووصل كتابك على حين تطلَّعتُهُ وتشوَّقَتُهُ ، وارتقبتُهُ وتوَكَّفتُهُ ، أنْسا بخطابك ،  
وثقة بودادك ، ومراعاة للحال معك <sup>(١)</sup> ، وإيجابا صادقا لك ، وقبل ذلك ، لما كنت أعرفه  
من جميل رأى مولانا فيك ، ومحافظته على سوابقك ودواعيك ، وملاحظته لمجارى أمورك ،  
ومصارف شئونك ، بعين كرمه ، التى لا ترقد عن خَدَمِهِ .

وقد كان العذر فى تأخير الكتب عن الديوان المعمور ، وإبطاء الرسل على الباب المسعود ،  
واضحاً لا يغير صورتك ، ولا يبدل منزلتك ، وقد عرضت ما ورد منك فصادف من تقبل  
مولانا وإصفائه ، ما أوجب حسن عنايته ورائه ، وصدَّق — حرس الله عزه — قولك ،  
وتمثل — أعز الله نصره — أمرك ، ورسم الكتاب إلى حضرة الملك بالشكر لما أظلك  
من إنعامه ، وقسم لك من شريف اهتمامه ، وذلك مستثمر من مزيد الرعاية ما يسهل إلى  
المطالب ، ويؤمن من أسباب المحاذر ، وسأعرض على فلان ما ينبئ عنه الديوان من معاملتك ،  
وما كان الأمر جاريا عليه من موافقتك .

ويجب الآن أن تعمر ما أمسته من تحصيل القُرْبَةِ ، واستمداد الرُّفَّة ، بالكتب فإنها  
تمهد من موقعك بالحضرة ما يجذب بضْبَعَكَ ، ويختصر الطريق إلى مآرب نفسك ، وتصادف  
لدى من المعونة والعناية الموفورة ما تستوجبه بفضلك وأصلك ، ومحامد أمرك ومكارم نَجْرِكَ .



## الباب السادس

في إصلاح ذات البين والدعاء إلى الطاعة  
وتهجين العقوق بين ذوى الأرحام وما يشاكل ذلك

### ١ - كتاب في مشايعة وإطلاب وشفاعة

كتابي - أطل الله بقاء السلار<sup>(١)</sup> - ومنأخ الله عند الملك السيد ، والأمير المؤيد ، متضمنة من وفور النجح ، وفوز القدح ، وتظاهر القدرة والإمكان ، وتضاعف القوة والإقتران ، ما يشرح صدور الأولياء ، ويجمع أحكام السراء ، وما أخدما فيه جار أحمد مجاريه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين .  
ووصل كتاب السلار ، فصادف لدى المنة التي لا أخلو من لبسها ، ولا أنفك من اجتناء غرسها ، وتعرفت من نعم الله لديه ما أجده يم طبقات الفضل ، ويرفع درجات المجد ، والله تعالى يواصل المواهب إليه وانحة الوجوه ، ويوزعه من شكرها ما يضطلع بالوجوب ، إنه يفعل ما يشاء .

وعرفت ما ذكره السلار في معنى فلان ، وعرضته ، وكشفت عن الغرض وأوضحته ، فقال الأمير : إن هذا الحديث لو لم يكن متصلا بابن يجب كفه عن هجنة العقوق ووصمته ، ودفعه عما يحاوله بفضل غرته ، بل كان مع أجل منازع للسلار ومراجم ، ومضاد في ناحيته ومزاحم ، لما وجد عندنا وعند من تعلق بجلنا إلا الإبعاد والإسلام ، والانتقام والاصطلام ، إذ لا نرى نعمته - فيما يجب من غض الأطلاع عنها ، وقبض الأبواب دونها - إلا لخالص نعمنا ، وخاص الممالك المتوسطة له ولنا .

وقد رسم - أدام الله ملكه - لي ، فأمرت كلا من فلان وفلان بزجر من يتصرف

ابراهيم ، وقد مر ذكرها في ص ١٦ .

(١) سلار معناها سردار أى قائد . وهو لقب لأمرأ أذربيجان ، ولعله المرزبان ، أو ابنه



في مجلهم ، ويعتصم بسببهم ، عن معاونة المسف إلى العقوق ، إن التوى به الطريق ، وانزوى عنه التوفيق ، بل أمروا بأن يكونوا له حربا ، ومع مدافعيه من أصحاب السلار إلبا . والسلار يرى في إعادة فلان رأيا ، فقد طال الأمد ، وكثر الوعد والتردد ، والإيجاب إذا تمدى زمانه ، وتراخت أيامه ، نضب ماؤه ، واقتضب رواؤه .

## ٢ — وله في الدعاء إلى الطاعة والسكون

إلى كتاب أمان وما بسط من الأمانة

كتابي ومولانا معمور الساحة بالعز والملك ، وأنا في ظله سالم النفس ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين .

وقد أنفذت إلى حضرته نسخة الميم التي حلفت بها في تسليم القلعة والضيعة معها إذا أومنت ، وأقطعت ما رُمت ، فخدمت الله تعالى على أن هداك وأرشدك ، وسألته أن يوفقك ويسدّدك ، فإني أعلم أن الضرورة دعتك إلى ماركبته ، وأوقعتك فيما فعلته ، وصورت ذلك في المجلس الشريف حتى تنجزت لك أمان مولانا بكريم صفحه ، مختوما بعالي ختمه ، ووقعت فيه بخطي عن نافذ أمره ، وضمنته كذا إلى ذكر الإقطاع ، ومزيد الاصطناع .

وعرفت أنك تؤثر التسلم ممن يصدر عن الحضرة البهية فتسكن إلى مكانه ، وتركن إلى كلامه ، واخترت فلانا إذ كان مع موقعه من رأى مولانا وإيجابه ، وتقدمه في أكابر حاشيته وحجابه ، يختص بجنبتي كل الاختصاص ، ويحل عندى محل ذوى الإيثار والإيناس ، فأصنع لكلامه الذى تحمله ، واغتنم الحظ في وقته لتحصله .

وياك والمدافعة والمراجعة فإنهما يهدمان ما قد بينته لك ، ويشلمان ما مهدته عنك ، واعلم أنك إذا فعلت ما رسمته تقدمت بكذا ، وما بعد هذا أمدٌ يُزْعُ إليه ، أو يُعَوَّق الأمر عليه . وفلان يؤدى إليك ، ما تحقّقه هذه المواعيد لديك . وأسأل الله — تعالى — لك العصمة من الخلل والزلل ، والتعرض لما لا طاقة به ولا قبل .



### ٣ — وله في إيناس نافر وإحماد ساع

كتابي ومولانا عزيز النصر والأولياء ، منصور الراية واللواء ، وأنا بدولته سابغ النعمة ، والحمد لله وليّ المنة .

ووصلت كتبك فأحطت علما بما شرحته ، وعرضت في المجلس العالي ما أوضحت ، وكشفت عما أئنته جدّا واجتهاداً ، واستغراقاً للطاعة واستنفاداً ، وسألت الله تعالى أن يحضرك من التأييد والتسديد ما تسلك به أحمد الطرق وأسعد السبل بمنّه . وقد أحمد مولانا خدمتك إلى حيث انتهيت ، واستصوب كثيراً مما أنهيت ، فأما اضطراب الرجل بعد أن حلف واستجاب ، والتمس الاستقالة واستجار ، فليس إلا لتخوفه منك ، وتحزره عنك .

ورأى مولانا إخراج فلان وأصحابه كتب الأمان والوعد بالإقطاع وإمضاء ما يوجب للرجل باتفاق واجتماع ، ومشافهته بما يذكره فيستمع له ويعمل به ؛ لأن ذلك الإنسان إذا أبصر رشده ، وعرف قصده ، فقد صلحت حاله واستقلت ، وثبتت قدمه واستقرت ، وإن كان منه بعد ما بذل إصراراً — ولن يكون — فالانتقام قريب ، والاصطلام محجب .

وسنبغ بإذن الله تعالى ما يتأدب به كل جامع<sup>(١)</sup> في عنانه ، وطامح إلى ما ليس من شأنه ، وأنت تقدم العمل بما رسم ليلتقي فلان وفلان مع الرجل فيؤمن ، ويحمل وعده ويحسن ، ويُلتزم له الوفاء ويضمن ، وينزل عن القلعة ، ويُفرج عن الضيعة ، ويرتب فيها من الخواص المقيمين هناك من يسكن إليه — إن شاء الله — القوم ولا ينفرون عنه ، إلى أن يرى مولانا على رأيه فيه إن شاء الله .

### ٤ — وله

كتابي — أطال الله بقاء السلار — ومولانا على أحسن ما عود الله خدّمه عليه ، علوّ شأن وسعادة أيام ونفاذ أمر فيما قرب وبعد ، ومضاء حكم على ما غاب وشهد ، وذلك بتفضل الله ومنّه ، ونظره وفضله ، ثم بدولة مولانا الملك ، والحمد لله رب العالمين وصلاته على النبي محمد وآله أجمعين .

(١) في الأصل : جامع .



ووصل كتاب السلار مفتتحا بما عهده من جميل يُجزّل منه حظي ، ويُستنفد له شكرى ، ويُستوقف عليه إخلاصى وحدى ، فسألت الله أن يديم له المنح واضحة الوجوه والسبل ، ويظهر عليه النعم متراخية الزمان والأمد ، ولا يُعدمنى التحمل لأيديه ، والتجمل بما يوليه ، وهو — تعالى — ولى الإجابة .

وعرفت ما قاله السلار بذكر فلان فيما كان عقده له وعهده إليه ، ورسمه به وأنم فيه عليه ، وتبدّرت مساق الحديث إلى حيث وصف : أن أكاير الولد يستزيدون إلى ما كانوا رضوا بقدره ، ويستضيفون إلى ما كانوا استجابوا إلى أخذه ، ويحاولون أن تُبتدأ قسمة ، ويُوفّوا إلى تلك السهمات سُهمه ، وتصورت ما اتصل به من حديث حللانا<sup>(١)</sup> فيما كان وهب منها ، وحظر الآن من ارتجاعه عن اليد المتصرفه فيها ، للعلة التى ذكرها ، والصورة التى شرحها . وأنهيت الجميع فى المجلس العالى فأصغى له مولانا إصغاه إلى مثله ، فيما يرد من خطاب السلار ومهمه ، وقال فى جوابه : إن هذا الأمر لسنا نريد فيه إلا ما هو لذلك البيت أحفظ ، ولشملة أجمع ، ومن أسباب الخلاف فيه أبعد ، ولليوم والغد أحوط ، ثم لا نرضى بأن نقول فيه إلا ما نرضاه من مصارف آرائنا إذا أمضيناها ، وعزائمنا إذا أجريناها ، فغاية النصح أن يرضى المرء لأهل وده ، ما يرضاه ويحتنيه لنفسه .

وهذا الذى عقده السلار ليس بيسير ، فيُطلّق القول بنقضه ، وما أقسم عليه ليس بخفيف فتستجاز الرخصة فى نكته ، بل العهود توقّع على وجه الزمان ، والقسم فيها يوضع للتأييد على الأيام ، فخلّتها وهى ، والرجوع فيها وهن . ذلك لو كانت المدة متمادية ، والمهلة متراخية ، فكيف والعهد طرى ، والتاريخ فتى ، والذكر قد اضطرب ، والخبر قد شرق وغرب ، وعندنا أن السعى فى إبطال ما أمضى وفسخ ما أحكم هو الذى يغمر تلك الصدور بالسخائم ، ويثقب فى القلوب نيران الضغائن ، فلا يدع للخلاف بابا إلا فتحه ، ولا للنزاع زندا إلا قدحه . والسلار بعد ذلك أولى باختياره ، وأحرى بإيثاره ، وأخلق بتدبير بلاده ، وأحقّ بهذيب أولاده ، فما عندنا أن أحدا منهم يشجع — إذا جُزم عليه الأمر ، وساوى السر الجهر — بمخالفة حكمه ، والالتواء على رسمه ، وقد اعتدنا بأن واضعنا ما فى صدره ، وأطلعنا على ما فى نفسه ، توفيةً لحقوق المساهمة ، وفروض المودة القائمة .

(١) فى الأصل هكذا وربما كانت اسم موضع أو بلد .



وقد أديت — أدام الله عز السلار — ما استملت عن لفظ مولانا ، وهو عندى وجه  
الرأى الذى لا خفاء به ، والسلار أعلم منى بالصواب فى مثله ، أجرى الله أموره ، وفق<sup>(١)</sup>  
اختياره وأنفذ فيها أقداره بإيثاره ، إنه فعال لما يشاء .

## ٥ — وله

كتابى — أطل الله بقاء الشريفين سيدى وكبرى — عن سلامة مولانا الأمير  
مؤيد<sup>(٢)</sup> الدولة ، وانتظام أمور سلطانه ، وعافيتى بدولته وعلو شأنه ، والحمد لله رب العالمين ،  
وصلاته على خيرته محمد وعترته .

وقد علم الشريفان أن الصلاح تجتمع أطرافه ، وتُحرسُ أكنافه ، باطراح الظفائن<sup>(٣)</sup> ،  
وتسوية الظواهر والبواطن ، والأخذ بالخلق السمح ، وترك المشاحة والشح ، وأن المعارة  
تورث التباعد ، وتزيل التعاون والترافد . والأشراف العلوية بقروين بينهم وبين سائر  
الطوائف شحنة لا تكاد تسقط بحمراتها ، ولا تنجلي غمراتها ، وقد كتبت فى ذلك كتابا  
أرجوه يجمع على الألفة ، ويحرس من الفرقة ، وينظم على ترك المنازعة ، والجنوح  
إلى الموادعة ، فإن المهادنة تجمل بين الملتين ، فكيف بين النحلتين ، والله نسأل توفيقاً  
لأنفسنا ولهم .

وإذا عرفت لما يجرى من ذلك تأويلا ، وإن كان ضعيفا ، فليت شعرى لم بين  
آل أبى طالب — أيدهم الله — تمار وتباغض ، وتناء وترافض ، وشر قد تعدى إلى إراقة  
الدم ، وقطع العصم ، ونسيان الذمم ، وبيت الرسالة يجمعهم ، وظل النبوة يكتنفهم ، ورحم  
الوصية تؤلفهم ، وهل ذلك إلا من حباثل الشيطان ومكائده ، ونزغاته ومراصده ، وقد  
اعتمدت الشريفين لأمرين عظيمين : أولهما وأولاهما إزالة هذا التنارع والتقاطع بين بنى الم  
حتى يكونوا متوازيين متعادلين ، إخواناً متقابلين ، وإن احتاج بعض إلى احتمال ضيم  
لبعض ، والتزام هزيمة وغض ، فالدين يقتضى ذلك اقتضاء لا رخصة فى تركه ، ولا تأويل  
فى حله ، ولا عذر فى هجره .

(٣) هكذا فى الأصل بإبدال الضاد ظاء .

(١) فى الأصل : ووفق .

(٢) فى الأصل : المؤيد .



وأنا أتوقع ما يكون من هؤلاء الأشراف — أيدهم الله — في الاستجابة لما رسمت ،  
والتزام ما ألزمت ، ومن الشريفين — أيدها الله — في إصلاح ذات البين والصبر على إيقاع  
الاتفاق ، ورفع الافتراق ، واستعادة الائتلاف ، وإماطة الاختلاف ، إن شاء الله تعالى .

## ٦ — وله

إن الله — سبحانه — حين استكفى مولانا من أمر بلاده ما استكفى ، واسترعاه من  
حال عبادته ما استرعى ، وأتاه السياسة التي يُضْرَبُ بها المثل ، ويعتدِلُ بها السهل والجبل ،  
وحى أيامه من الفساد ، بقدر ما شخنها به من السداد ، ألهمه أن يتصفح مصارف الرعية  
ومذاهبها ، ويستشف مواقفها وضرائبها ، ليجزى المحسنين إحسانا عيما ، والمسيئين<sup>(١)</sup> إساءة  
وتقويما ، فيكون الخير دولةً بين الأَكابر والأصاغر ، وفرصة بين الوارد والصادر ، والعدلُ  
شاملاً لمن لزم الطريقة المثلى ، وأقام على المحجة الوسطى ، والعقاب حالا بمن زاغ عن سواء  
السييل ، وراغ عن ضياء الدليل ، والله يحفظ على الرعايا ظله ، ولا يُعْديمها فضله وعدله .  
وهذه مقدمة اقتضاها ، وأوجب الإطالة في معناها ، ما قد شجر بين أهل قزوين  
— أحسن الله كلاً منهم — من خصام تنفق أسواقه ولا تكسُد ، وتهب رياحه ولا تركُد ،  
ونزاعٍ تتصل موادّه فلا تنقطع ، وتطبق غمامه فلا تنقشع ، فهم دائباً بين تبايُنٍ وجدالٍ ، وتباغُذٍ  
وقتلٍ ، وتهاجِرٍ وتقاطعٍ ، وتظالمٍ وتنازعٍ ، وما جعل الله في التدابر صلاحا ، ولا أرى في تركِ  
التوازر نجاحا . وقد زاد جهّالهم إغراء ، وأغمارهم إغواء ، أن هذه العَوَاية قد طال أمدّها ،  
واتصلت مُدَدُها ، وتراخى زمانها ، وانبسط عنانها ، فهم يقدرّون أن الاحتمال والإهمال ،  
والتغافل والإغفال ، سيستمر على طريق قد ألفوه ، ومجاز قد عرفوه ، ولا يدرون أن لكل  
أجل كتابا ، كما أن لكل ذنب عقابا ، وأن مولانا الأمير — أدام الله سلطانه — لا يُضْطَلَّى  
بنار إنكاره ، إذا أقام المَعذرة بإعذاره ، ولا يُوقَفُ لحر انتقامه ، إذا وقى الإنذار أوفر أقسامه .  
ومن قواعد الفساد أن هناك زعماء للعوام ، يحسبون محالهم تحفَظُ بنصرة السفهاء إياهم ، وركوبهم  
الصعبَ والذلّول في هواهم ، فهم يحامون عليهم ويدافعون ، ويدودون دونهم ويمانعون ،  
فجل الرعية تمنّون بما يجري إليه هؤلاء المتهوكون ، والفساق المتهتكون .

(١) في الأصل : السيء .



ولقد ورد الباب المعمور من الأشراف العلوية — أدام الله عزهم — من حكي العظام التي تُسْتَفْظَعُ أخبارها ، ويُفَرَضُ إنكارها ، لولا ما أوجبه الدين من التبيين قبل الإقدام ، والثبت قبل الانتقام ، حتى قالوا إنهم يُمنَعون عن التسوق والتكسب ، ويُتَعَمَدون بالتبعية والتطلب ، ويُخَوَّجون إلى حراسة أملاكهم عن الغارة ، ومنازلهم عن الإبرة ، وما ظننت ذلك يقع في فهم وفكر ، فضلا عن أن يُشَكَّى عن مرأى عين ومسمع أذن ، مع أنى قد تحوَّلت هؤلاء الواردين — أيدهم الله — بالموعظة والتبصرة ، وأطلت عليهم بالتعريف والتذكرة ، وعرفتهم ما يلزمهم من حراسة شرف المناصب ، بشرف الأعمال والمذاهب ، وحماية كرم المناصب ، بالثبات على القول الثابت .

وسيلك ، يا أخى — أطال الله بقاءك — أن تعقِدَ مجمعا تحضره الوجوه والأعيان والأمائل ، والصدور والأفاضل ، دون الأذنان الذين لا يسمعون ، وإن سمعوا لا يعون ، وتقرئهم كتابى ، فإن الله يعلم أن بغيتى صلاح عامتهم ، وحصول الخير لجماعتهم ، واتفاق كلمتهم ، وارتفاع الشر من جملتهم ، لا أن طائفة تُلْزَمَ العدول عما اختارته من مذهب وعقيدة ، واجتنبته من نحلة ضالة أو رشيدة . فالخلاف متقادم بين الجماعة ، لا يرتفع إلى قيام الساعة ، وإنما يأمر السلطان بأن يلزم كلُّ ما تَخَيَّرَ من دون مشاركة ، وينفرد بما آثره من غير مضارة ، فمن انقاد لحكمه ، ووقف عند رسمه ، كان قد حمى روحه وماله ، ومهجنه وحاله ، ومن أضرم للفتنة نارا ، ورفع لها منارا ، كان قد أباح من نفسه المحذور ، ومن ملكه المحرم المحجور ، ولحقه من النكير ما يتركه سُمْعَةً رادعة ، ومُثَلَّةً وازعة .

وقوام ما بعثت عليه ، ودعوت الكافة إليه ، أن ينفي كلُّ قومٍ من في جملتهم من خارب وداعر ، وناعق في الفتنة وناعر ، وأن لا يقاتروا المتسمين بالعبارة ، والمتوسمين بالشرطة ، بل يقبل كل قوم على أمورهم ومكاسبهم ، وشئونهم ومطالبهم ، شاكرين لله تعالى على كلمة الإيمان ، وعدل السلطان ، وخصب الزمان ، مستعيزين به من الأفعال التي تغير ما بهم من نعمة ، وتُحِلُّ ما يُخْشَى من نقمة .

وهؤلاء الأشراف — أيدهم الله — فليُعرف لهم الانتهاء إلى من هدى الله به الأمة ، وكشف الظلمة ، وأنار الدين ، وأبار المشركين ، وهدى إلى صراط مستقيم ، وكان رءوفا



بالمؤمنين ، صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ، وكما يلزم ذلك لهم فليُعيَّشوا على ما يلزمهم  
إكبارا لمشيخة العلماء وأعيان الفقهاء — أعزهم الله — ورققا بسائر الناس ، وتنزها عن  
المعار والأدناس .

ثم إن نفعت هذه الفصول في أهل تلك البلدة ونجحت ، وكفَّت وكفَّت فالحير أردنا ،  
والصلاح قصدنا ، وإن عاد عائد إلى ما أنكر ، وأقدم على ما حُظِر ، فأنه — أيدك الله —  
حاله ، ليناله <sup>(١)</sup> في جسده وذات يده ما يُزيل عنه نزوات البطر ، وغفلات الأشر ، وأننى  
ذلك ! فمن تعدى طوره ، وتخطى قدره ، فلا يُنقبَض بعد توقيفه ، عن تثقيفه ، وبعد الإنذار  
إليه ، عن الإنكار عليه ، وامتدُّ على العلوَّة ظلام الإغراز والإكرام ، يؤمنهم معار الجهال  
والطغام ، إن شاء الله .

## ٧ — وله

كتابى — أطال الله بقاءكم — ومولانا الأمير فيما يظاهر الله من غزاه ، ويعلى من رايته  
وأمره ، على أسر الأحوال إلى خدَمه ، وأنا معافى بدولته ، مكنوف بنعمته ، والحمد لله  
حمد الشاكرين ، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .

وكنْتُ أقدر — أعزكم الله — أن كتبكم تتابع إلى حضرتى فانقطعت ، وأحسب  
أن رسلكم تترادف فتأخرت ، وزادت معاذيركم ضيقا لما انصرفتم عن مشايعتكم <sup>(٢)</sup> ، فلم  
تقدموا أبناءكم إلى ، ولم تقرّروا صورة مرجعكم لدى .

وقد رسم مولانا أن ترِدوا الباب المعمور لتجدد مناظراتكم ، وتقرّر معاملاتكم ،  
وتُمنّى إقطاعاتكم وخِفاتكم ، ويتوسط أبو عيسى أحمد بن إبراهيم أمور رهائنكم ، وتجروا  
في مشايعته على ما عهد إليكم ، ورسم لكم . والخيرة لكم — أعزكم الله — في التعجل ،  
وترك التمهّل ، وإغذاذ السير والإعراض عن التوقف ، ففي الإبطاء ، ما يعرض للألّة  
والاستبطاء . وليس يَحْتَلُّ عليكم ، ما سبق من إحسان الأمير المؤيد إليكم ، إذ وطأكم بساط  
خدمته ، وكنفكم بجناح نعمته ، ووسمكم بميسم الاصطناع ، ومهد لكم وطاء التكرمة والإقطاع ،

(١) فى الأصل : وليناله .

(٢) فى الأصل : مشايعتكم .



ولولا هنات ، وزلات وعثرات ، لما لحقكم فضل استقصاء في ارتهان من ارتهن ، وامتهان من امتهن .

وهذا أوان التلافي لفرطاتكم ، والتدارك لغلطاتكم ، لتعود صوركم كأجل ما عهدت ، ومنازلكم كأقرب ما تُعوّدت ، فقابلوا مارسم بالمسارعة ، وحسن الانقياد والمتابعة ، ولا تجعلوا كتابي هذا عُرْضةً لجواب تتكلفونه ، واعتذار ترزخرفونه ، وإياكم وسلوك طرق التحكم التي لا تحمد مصائرهما ، ولا تستمذّب مواردّها ، فإن السلطان إذا استعطف كان إسعافه أقرب ، وإنعامه أخلق . وإن ذهب ذاهب منكم عن الطريق الذي نهجته ، وأخلّ بالمذهب الذي أوضحته ، فإلى نفسه قد أساء ، وعليها جنى ما شاء ، وكان بها مُعرّضاً ، وللنكير متعرّضاً ، ولسوالف حرّماته مُضيّعاً ، ولدم رهينته مُشيّطاً .

وأنا أرجو أن يحضركم من التوفيق ما يصلح فاسدكم ، ويؤلف شاردكم ، ويجدد ذرائعكم ، ويكثر شوافعكم ، فتدبروا — أعزكم الله — ما أوردته من الخطاب وأصدرته ، وأبدأته من القول وأعدته ، فإني لم آلكم نصحاً ولا تبصيراً ، ولم أدخر عنكم تنبيهاً وتذكيراً ، بل دعوتكم إلى ما عليكم تظهر عائده ، ولكم تحصل فائدته ، ورجوت معه أن تكون الصنيعة لديكم زائكة ، والنعم عليكم وافية ، فلا تجاؤن عن هذا الخطاب بأن القلوب تنافرت ، والنفوس انزعجت ، لاعتقال من اعتقل ، فإن ذلك ما استُجِيز ولا فُعل ، إلا بعد جرائر وجرائم ، وكبائر وعظائم ، وبعد أن ردّعنا فلم تُردّعوا ، ومنعنا فلم تمتنعوا .

ولو لم يكن في استخدامكم رغبة لما احتيط عليكم ، ولا استوثق منكم ، ولتركتكم سُدىً تفرّقون كيف شئتم ، وتتمزقون كيف أحببتم ، ولكن مولانا أدّبكم ليستصفيكم ، وهذبكم ليُدنيكم ويخصكم . وعلم — كبت الله أعداءه — أن الذي أسلم أموركم للخلل ، وأفقدكم الصواب في القوز والعمل كان لتحزّب أهوائكم ، وتشتت آرائكم ، وأنفة كل واحد من الانقياد لصاحبه ، وذهابه بنفسه عن وطء عقبه ، فتجرّى — أدام الله أيامه — جمع كلمتكم على من تقدّمت له الرياسة فيكم مكتسبة ومستورثة والإمارة بينكم متقادمة ومستحدثة .

وكل ذلك مما يقتضى صفاء نياتكم وعقائدكم ، واستواء غائبكم وشاهدكم ، وأن تعرفوا حق النعمة فيه بتجنب جحودها ، والقيام بوظائفها وشروطها . وقد تحمّل فلان في المجلس



العالي ما يؤديه على جهته ، ويحكيه لكل على صورته . والله وليّ التسديد ، وعليه التعويل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

## ٨ - ولله

وصل كتاب السلار قد أعارني فيه من أوصافه الجميلة ، ما تجاوز أحكام النعم الجسيمة ، إلى ما يريب اللبيب من لبه ، ويغطي عليه مصارف فعله ، و<sup>(١)</sup> كساني من التقريظ ما لا أعرف به نفسي ، وإن أملت استحقاقه بما نبه عليه من أمرى .

والسلار ينظر إلى أحوالى بعين الود ، وطالما قد حسنت القبيح ، وكثرت القليل ، وعظمت اليسير ، وإن كانت لى محاسن فهي معدودة فى قطرات بحره ، ومكرّمات فخره ، إذ كنت من تلاد بيته ونعمته ، وفى عداد المخصوصين برأيه وبركته . وأعود لحديث فلان وما قاله السلار فيه واصفاً مصارف الأيام ، ومواقف الاهتمام ، ومجارى العزم ، ومسالك الرأى والفهم ، وما رآه فى بابه ، وارتضاه له من أسبابه ، فسألت الله للسلار طول المدة ، وتراخى المهلة ، وثبات الوطأة ، وحراسة المهجة ، ما كان للفلك مجرى ، وللنجم مسرى . وصادفتُ ما أنكر فيه ، مضاهياً عزائمى التى يكنفها التوفيق من جوانبها ، ويلتحف التسديد على أنحائها ومذاهبها .

وعرضت الكتاب فى المجلس العالى فقال مولانا : إن فلانا كان خاطبنا السلار بذكره ، وخطب ما خطب فى أمره ، وبعد فهو نجيب بيته ، ووسيط أهله ، وغصن من شجرته يُرجى ثمره ، ويؤمل تكثيره ، وطاعة السلار علينا بالأبوة ، والاصطناع إليه فريضة لا تهمل ، ولازم لا يُضاع ، ونحن نحب له ما أشير إليه ، ونشير بمثله عليه . وقد كاتبناه وحضضناه على ما فيه حظّه من حضور السلار متصرفاً على حكمه ، وممثلاً لرسمه ، وروسل على لسان فلان ما يزيد فى انشراح صدره ، وإمضاء عزيمه . وأقول مع هذا عن نفسي : قد علم السلار أن فلانا وإن كان نسبته إليه أدنى ، وهو بتدبيره أحق وأولى ، فهو لمولانا ولد قد اصطفاه ، وعضد قد ارتضاه ، فالعيون تطمح إلى ما يوليه السلار عند هذه الحال ، وما كان منه إليه فهو بعين مولينا وأذن ، لا سيما إذا كان بعد مشورة من عنده وإذن .

(١) فى الأصل : أو .



٩ — وَاِله

وصل كتابك تذكر مورديك على سيدى ملقى من الإكرام بتلقيه ، ومن الإيثار بتحقيقه ،  
ما خصنا منه ولزمتنا حمده ، وتصف ما صادفته عليه اهتزازاً لما أدبته ، وارتياحاً لما أنهيته ،  
وعلمنا بأن الذى كرر على سمعه ، واعترض بينه وبين حزمه ، من اختلاف أعداء لنا ، وله ،  
طالما اعترض الشجبى فى حلوقهم ، وتردد القذى فى عيونهم ، وظنوا أن الذى يسعون فيه يروج  
عن قلوبهم ، ويفسح فى آمالهم وظنونهم ، ولم يدروا أن وراء ذلك من تكفل الله ما يعيد  
أمانيتهم على أدراجها خاسرة ، وأيديهم دون امتدادها قاصرة . وتمثلنا ما كان منه استقراراً  
فى مركزه العمور بالرشد ، وتصرفاً على أحكام رأيه الصدق ، وغزوه الثبت ، وإفصاحاً  
بالتزام أحكام الصفاء ، وخلوص العهد والوفاء ، وقد علم الله أن الذى كان يسوء مما جرى  
ويثقل ، ويخرج ، ويزعج ، ويكدر صفوة النعمة فى الموهوب منه إذ كان قسيم المهجة ،  
والشريك قبل النعمة ، فى العمر والمدة ، تقدير أعداء الدولة أن الذى ابتدأه إلى تمام ،  
وما أنشأه إلى نظام .

فالحمد لله الذى أرى القريب والبعيد والدانى والسحيق أن على ألفتنا عينا منه كالئة ،  
ويدا من رعايته واقية ، فإذا عنت شائبة لم تلبث أن تقشع سحائبها عن إضاءة تعاضد وتآزر ،  
وإشراق ترافد وتظاهر ، ثم الحمد لله الذى أسعدنا جميعاً من طاعة مولانا بما يحفظ على الأعمار  
امتدادها ، وعلى الأيدي اشتدادها ، وعلى الدعوة تحصنها ، وعلى الدولة تمسكها ، وإياه نسأل  
أن يطيل بقاء مولاي كما لطف ، لإزالة الشبهة عن نفسه ، ونسخ الشك باليقين عن صدره ،  
وقفنا الله تعالى لإيفائه حقوق المشاركة ، وفروض الخالصة ، وأرانا فيه غاية محابة ومحابناله ،  
وأنا له فى مصالحه مراده وآماله ، فرأيتك — أدام الله عزك — فى التسرع إلى حضرتنا ،  
والعلم بحسن موقع سفارتك من محمدتنا ، إذ كنت المتبرك بقيامه ، المسكون إلى منابه ،  
موفقاً إن شاء الله .



## ١٠ - وله

السلار أقوى عزيمة ، وأصح بصيرة ، وأحسن بالأيام معرفة ، وأتم بالزمان خبرة ، من أن يرضى لأفعاله بالتناقض ، ولخلاله بالتدافع ، ولعقوده بالتهافت ، ولشروطه بالتفاوت ، وحين عاد فلان وفلان فادّيا ما هو الجميل المقدّر من مثله ، والرأى المقرر في نتائج فضله ، حمدت الله كثيراً ، وشكرت له طويلاً ، ووجدت إلى الخدمة في الجهتين طريقاً فسيحاً ، ومجالاً رحباً ، وقلت الآن حين أُجَلّي عن عقيدتي ، وأفصح عن طويّتي ، فلم يلبث الكلام بين السمع والقلب إلا أقلّ من رجوع الطرف ، حتى أتت الأخبار بما شرع فيه أصحابه من بناء حصن بقرب من زنجان<sup>(١)</sup> كان الكف عنه واقعاً ، وتوخّى مرضاة الأمير السعيد — قدس الله روحه — بالإمساك دونه سابقاً ، فوجد مولانا هذا الصنع منافياً للرسائل المتحمّلة ، متجافياً عن الشرائط الملزمة ، فإن الحصن وإن بناه السلار في ناحيته ، ورفع في مملكته ، فثله إذا أسس محاداً لهذه النواحي موحش ، والاشتغال به بعد الإعراض عنه في سالف الأيام محرج .

والسلار يطيع الرأى الثاقب ، لا الهوى الغالب ، والصواب الأصيل ، لا الخطأ الدخيل ، ويحرس الحال بين مولينا وبينه عما يريب السامع ، وينطق الحاسد ، ويوقع النّفار من الجنبتين ، ويقدر في صلاح ذات البين ، فقدر هذا الحصن معروف ، وخطر الجدوى فيه معلوم ، ووزن الضرر في إعفاء رسمه مضبوط ، وقد بادرت بخطابي إلى حضرته ليصيخ لمودعه ، ويحكم إجالته في تنبّعه ، فإن وجدني صدعت بالنصح أصغى له إصغاء قابل ، وإن اعترضه الشك أعرض عنه إعراض دافع ، وقد أوحش هذا الفعل كل الإيجاش ، ليس للحصن ومقداره ، ولكن لتصيير أول الصنيع دليل أعقابه . وما أطيل علماً بأن الإيجاز يكفي مع تمثله كل أمر على وجهه ، وسبّره بجزالته واستدراكه لغوره ، فإن رأى — أدام الله عزه — أن يجيبني جواب من يحرس مخاطبته عن المعارضة ، ونائحته عن المناقضة ، ويغلب مودّات العطاء على بناء المعامل ، فإنها الحصن في العاجل والآجل ، فعل إن شاء الله .

(١) زنجان : بلد بأذربيجان .



## الباب السابع

### في المدح والتعظيم

#### ١ - كتاب إطراء وتعظيم وإظهار عناية

جنابُ السّالار مولاي الجنابُ المورود الميهود ، ولقاؤه الطائرُ الميمونُ المسعود ، فعَيْنَا كل بعيد عنه تحسدان ناظرَيَّ كل قريب منه ، ولا غرو فاللوا حظ تأنس بالروض مَوْلِيَاً<sup>(١)</sup> والزهر جَنِيًّا ، والذهب مسبوكا ، والوشى محبوبكا ، فكيف أنسها إذا نظرت إلى حداثق مجدِ دَثَرٍ ، وأنواع عزِّ غَمَرٍ ، وحظيت بربيع كرم جَمٍّ ، وشرف ضخم ، حيث البيت رفيع ، والجناب منيع ، والفضل وسيع ، والشَّيْم حَبَرٌ ، والألفاظ درر ، والليل سَحَرٌ ، فلقد افتتحت كتابي مع الشريف وأنا أغبطه ، وإن كنت أعتبط له ، وأنأفِسُه ، وإن كانت نفسى نفسه ، لما يأمله من مشافهة المحاسن بارزة ومكنونة ، ومشاهدة المحامد راهنة ومضمونة .

وحين راسلنى السّالار بإصداره إلى حضرته تمنيت لو كنت المستدعى ، وآثرت أن أكون المستدنى ، فروية أفراد الجدد والفضل فرص العمر ، ونهز الدهر ، والأيام شِجَاح كعادتها فى التكد ، وشيمتها فى التعقد ، فأما الشريف فقد جمع شرف منصب عميم ، إلى شرف خلق عظيم ، يستمد المودّات إلى نفسه ، ويستجبر النيات إلى حبه ، ويسلم على السَّيْر ، سلامة الإبريز على السبك . ثم حاله عندى حال تفتقر الأخوة إليها ، وتُعَدُّ الرحم الماسمة غلاوة عليها ، فإنى خبرته على تصرف الأوقات فكان النقيّ الجيب ، البرىء من الريب والعيب ، يتناسب أصله وفرعه ، ويتناصف نجره وطبعه . وخدمته للسّالار قديمة ، وموهبة الله برأيه جسيمة ، إلا أنى أحب أن يكون لمصدره غنى ، وموقعه منى ، مكان أخصّ مما سلف ، وأعزّ مما سبق ، ليس لأن على الأول مستزاداً ، ولكن قد استحسنوا الفضل معهوداً ومستفاداً . وإذا يسّر الله له من السعادة فى لقائه ومشهده ما قدره ،

(١) المولى : الذى أصابه الولى وهو المطر الثانى .



وقضى من تجديد العهد بيبابه ومجلسه وطوره ، فالإذن له في الاجتماع معي على بث فضائل السالار ، إحدى مَنَنه ، بل واحدة مِنَنه ، وأمره ونهيُه متوقعان لاعدمتهما وجميل إحماده فيهما .

## ٢ - وله تقرير وتشكر

مكاتبة الشريف — أطال الله بقاءه — من فرص الأزمان وغررها وحججوها ، فالنفوس الشريفة تُنافس فيها ، وتشاحُّ عليها ، وتُشيع إليها ، إذ كانت مودته تصدر عن عَرَصَةِ الجَدِّ والكَرَمِ الدَّثَرِ ، وَحَوْمَةِ الفضل والشرف الغَمَرِ ، ولا غرو فالعرق بين الرسالة والإمامة ، والدينُ دينُ العدل والاستقامة ، والخلقُ سَمَحٌ سهل ، والعادةُ برٌّ وبَذَلٌ ، والأدبُ فائضٌ فسيح ، والعقدُ ثابتٌ صحيح ، والعهدُ قوى لا يُشَلَم ، سَوَى لا يُكَلَم .

وعرض على قاضي<sup>(١)</sup> القضاة فصلا من كتاب الشريف إليه قد أودعه ما أطابه من ذكرى ، وأطاله سيدي ، فلم أستبدعه من ذلك الخيم الكريم ، والخلق العظيم ، وأين أبلغ إذا اجتهدت واحتفلت ، واحتشدت واستقلت ، مما يلزمني للسادة من هذه العترة التي ألبسها الله العز تفضيلا ، وردّاها الكمال تقدما ، وأذهب عنها الرجس وطهرها تطهيرا . واتفق أن قرأت تنمة الكتاب ارتياحاً لمساقط لفظه ، واهتزازاً لآثار يده ، فغثرت بالحديث الذي كان كتابي نفذ بذكره ، وما شكاه الشريف أبو الحسن من صِنُوهِ ، وآثره من ترتب موثوق به ، مسكون إلى دينه وسنّره ، وسألته عما نتججه خطابي فشكر اهتمام الشريف بما أراده ، وأن وقف الأمر لتمثيل الرأي فيمن ارتاده ، ونشر الشريف أبو طالب مثل ذلك نشرًا حَسَنَ مسمعه وموقعه ، وأضاء مطلعته وجمعه .

وقد قدمت في كتابي<sup>(٢)</sup> الأول من وصف الشريف أبي الحسن ما الله العليم بأني لم أستقص معه حقه ، ولم أستوف حَظَّهُ ، إذ كان ممن زان الله به شجرة الوحي والتنزيل ، وعترة الرسول ، والوصى والبتول ، صلى الله عليهم أجمعين ، وإن رغمت معاطس الناصبين . وهذا الشريف أبو طالب يُرى به علمه وراء سنّه ، وقد زاده الله فضلا إلى فضله ، وجعل

(١) لعله عبد الجبار بن أحمد الذي مضى ذكره (٢) في الأصل : كتاب .



حلية بين أهله ، وما اقتضت الحاجة أن أبسط هذا البسط ، وأقصد هذا القصد ، لا سيما مع أشغالي التي أحاسب نفسي معها على اللفظ أقتضيه ، والسطر أكتبه ، ولكنني أجد في الإفصاح عن محاسن سادتي روحاً في نفسي فيستحضر الهزة ويبرد الغلة ، ويجلو الصدى ويقوى المنة . وإذا سمحت الأيام منهم بمن يعمر بيته معرفة بالله وتفقهها في دين الله فذاك الطيب أصله وفرعه ، والزكي بذره وزرعه ، يختص بي اختصاص العضو بالجملة ، والبعض بالجملة . وقد نصَّ الشريف لذلك المسمى وهؤلاء الأصحاب على من تقدمت خبرته لأمره ومعرفته بسيره . والشريف قد ابتدأ المنة فليتم ، وقد أسرج في العارفة فليلجم ، فلو كان الكلام في قضاء الجانبين <sup>(١)</sup> ، والصلاة في <sup>(٢)</sup> الحرمين ، لكفى ما أصدرته من خطاب ، وخطبته من إيجاب ، وكتاب الشريف متطالع بخبره ووطره ، واهتمامه في هذا الأمر ونظره إن شاء الله .

### ٣ - وله في الإحماد والتأنيس والبسط من الأمل

كتابي ومواهب الله تعالى عند مولانا الأمير المؤيد فيما يُمنى الله من حكمه ، ويُسد من نجمه ، ويُنفذ من أمره ، ويُعز من نصره ، ويرفع من لوائه ، ويظهر من بسطته وعلائه ، على ما يقتضيه تصرف الأقدار على اختياره ، واستجابتها لإرادته وإشاره ، وأنا سالم في ظله الظليل ، ورأيه الجليل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .

وكتب فلان يخبر بما كان منك حضوراً عنده ، والتقاء معه ، وإخباراً عن الحال التي أزالته عن المحجة القاصدة ، والمعاذير التي ألجأت إلى الاختبارات الفاسدة ، وأنت قد تبينت ما هو أحد حاضرنا ومغييبنا ، وتحققت ما هو أسعد بدءاً ومعقبا ، وألزمت نفسك من فروض الخدمة أضيئها ، واعتلقت من حبال الطاعة أوثقها ، حتى تقابل إعلانك وإسراك ، وتناصف كتمانك وإظهارك ، وعلمت كيف الطريقة المثلى ، وأين العروة الوثقى . وشهد بما شاهدك عليه صفاء نية ومعتقد ، واعتصامك بولاء مستخلص ووفاء



معتمد ، و بسط القول في ذلك بسطاً سألني معه أن أكون بحضرة مولانا كفيلاً بما بذلته وزعيماً بما ضمنته ، وأنفذَ ماحلفتَ عليه منتهياً إلى أقصى آماذ التوكيد ، وسارعت إليه في ضمان الرشاد والتوفيق ، فحمدت الله تعالى على أن أحضرك من العزائم أرضاها ، ومن الآراء أقواها ، وعدل بك عما لا تُحمد دلائله ، ولا تؤمن غوائله ، ولا تُرجى محابه ، ولا تسلم مغابته .

وقد علم الله أني لم أزل لحقك موجباً ، وفي اصطناعك مرغباً ، ولتنبهك على حظك مؤثلاً ، ولتبينك موقع رشدك متمثلاً ، ولمن جاورك من العمال فأساء عشتك ، وقبح مجاورتك ، ذاماً لأئسا ، ولتوبيخه وتهجينه مكرراً مداوما ، وقد عفا الله عما سلف ، وجلل صفح الأمير المؤيد ما فرط . وأوردت في مجلسه الشريف عنك ما وثق كل التوثقة بك علما بأن امراً أنزله هذه المنزلة من قيايى ، وأرتبته هذه المرتبة من اهتامى ، كيف يقابل بالجد في تحقيق ما أورده ، وكيف يعاجل بالاجتهاد في تصديق ما أضمنه .

وقد جمع مولانا لك بين التجاوز عما سبق حتى سقطت الحاسبة عليه ، والمراقبة عنه ، وبين إحسان يبلغ المراد ، ويعجل الإسعاد ، وتقديم يزيد في الخطر والرتبة ، وينظم بسط الجاه إلى تقوية المنة ، وستخطب السنة الأيام بما تلبسه من ريش الخطوة ، فتأسف على مافات من أوقاتك ، وتراخى من أمد سعادتك ، وكل الذى عقده فلان معك مُحمّض على التأييد ، تُجرى على التخليد ، لا يتعقبه نسخ ، ولا يتنبعه فسح ، وأنا بالجميع متكفل ، ولحصوله وحصول أوفر منه متنجز ، والله المشيئة .

وعليك أن تظهر من إخلاصك ، ما يبعث على اختصاصك ، وتبدي من ولائك ، ما يحث على اجتنائك ، فلن يمضى إلا يسير من الزمان حتى يُحمد الله تعالى على المناسجح التى تصالحك ، والخيرات التى تغاديك وتراوحك ، وملاك ذلك أن تحرس طاعتك عن التلون ، وعقيدتك عن التنقل ، ليعرف ثباتك على ما تعتقده ، واستمرارك على ما تصدره وتورده ، وتأتى في زمرة الأصحاب ، والتشدد على أهل العيث والفساد ، ما يطيب خبره ، ويحسن أثره ، وتظاهره أنباؤه ، وتتضح مذاهبه وأنحائه ، وتأنس بالخدمة والطاعة أنس الأصيل فيها لا الدخيل ، فيسمع صاحبك — إذا ورد الباب بمشيئة الله — ماتوقن معه أن



الثقة إليك توجهت ، والظنة عنك قد صرفت ، وفلان يزيدك في هذه الأبواب بصيرة ، ولا يدخر عنك في النصائح ذخيرة ، وأنا أنتظر ما تنهيه حالا فخلا ، وترد به كتبك توالياً واتصالا ، مع ذكر أخبارك ، وعارض أوطارك ، إن شاء الله .

#### ٤ — وله تشكر وتزكية وإحماد

كتابي عن سلامة قد هنأ الإنعام فيها وسوَّغَه ، وظاهر الإحسان بها وأسبغَه ، ما يتابع الله لمولانا من السعادات التي فأت الأعداد وسبقها ، ووصلت المواد ونسقتها ، ومن أقر بها عهدا صرفه — أدام الله علوه — للأعنة إلى جوار الخلافة ، ومثابة الكافة ، بعد أن تهذبت في أحوال الديارات والجزائر عراضها ورباعها وأطرافها وقلاعها ، ومُحيت آثار المخالفين المتبورين ، ورتب من استكفى من الأولياء المنصورين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .

ولئن كان السلار موفقاً في أحواله وآرائه ، مسدداً في أعماله وأنحائه ، واضعاً أموره مواضع الصواب والرشاد ، مورداً غزائمه مشاريع الاستقلال والسداد ، إن الذي أتاه في أمر الولد الأثير فلان حين استكفاه واستعمده ، واسترعاه وقلده ، وقدمه على أكبر الولد مائلاً عن الحباة إلى الاختيار الصحيح ، وجانحاً بالمالأة إلى الرأي الصريح ، هذا إلى ما أسنى له من أعطيته<sup>(١)</sup> ، وتعمده به من أحبيته ، كذاك من محاسن شيمه ، ومعاطف كرمه ، على ما يتقدم السنة التقريظ ، ويُعدُّ الواسطة بين الإفراط والتفريط .

ومن اشتهت عليه صورة ما أراده ولم يعرف فيه نيته واعتقاده ، فالحال لدى واضحة السنة مشرقة السحنة ، لا تستبهم عند التدبر ، ولا تستعجم على التحقق والتصور ، وذلك أنه مع قضائه في فلان حق الولادة والنجابة ، وذمام الأصالة والإصابة ، أجرى بما أتى ، إلى الأسر إلى ، والآثر لدى ، واختص من ولده من كان سببه بحضرتي أقوى ، ومكانه من عنايتي أقرب وأدنى ، فالنية متمثلة ، والمنة متقبلة ، والمبرة معظمة ، والمقابلة ملتزمة .

وكنْتُ أحسب كتاب السلار ، بما عقده من هذه الحال ، أوّل طالع ، فلما أبطأ عن

(١) في الأصل : عطيته .



حينه ، وأخطأ الظن بعد يقينه ، أحسنت التأويل له وقلت ، إنه لما رأى ما جدد مبرةً إلى حضرتي أداها ، وحسنى بعنايتي أهداها ، كره الكتاب بما يجرى مجرى الاعتداد ، الذى يُصان عنه خلوص الاعتقاد .

### هـ — وله فى البر والإحجاد

كتابى وأمور الحضرة فيما يحرس الله من عراض ملكه ، وينفذه من أمره وعزمه ، ويمضى على الأرض وينبها من حكمه ، جارية أسعد المجارى وأفضلها ، ومستمدة أشرف النعم وأجزلها ، وأنا سالم بدولته — ثبته الله — ورأيه — أعلاه الله — والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد وآله أجمعين .

ووصل كتابك فكان ما تصفحته من فصوله صادرا عن العقل الرصين وتوفيق الله اللطيف ، وتلك عادته — عز اسمه — فيمن أخلص للدولة القاهرة نيته ، وعقد بموالاتها عقيدته ، وسرّنى الله بخبرك فى السلامة ، وجزّى الأمور لك على منهاج الاستقامة ، وهو — تعالى — يؤكّد ما منحك وقسم لك ، ويحرس ما أعطاك وخوّلك ، ولم تُضِف من وصف طاعتك لمولينا — أدام الله علاهما — إلا بما شهد القلب لصحته ، ودل على وضوح صفحته ، إذ كانت هذه الطاعة تُيسّر لمن كتب فى السعداء ، وأوقى فضل الله فى استمداد النعماء ، فلا يثابر عليها مثابر إلا قرت عيناه وانبسطت يمناه ، وبلغ مراده وصافح مبتغاه .

وقد أوردت ما أنهيته — فى المجلس العالى — مورده ، وأوقعته من الإحجاد الشريف موقعه ، ومولانا واقف عليك من محمّده وارتضائه ، وعنايته وجميل رائه ، ما تصغر أعراض الدنيا فى جنبه ، وتنال منى النفوس ومطالب القلوب منه ، وقد أدّى رسولاك ما تحمله ، وأعيد إليهما جواب ما أورداه ، فكن — أيدك الله — منشراح الصدر ، قوى الأزر ، بسيط الأمل ، فسيح الرجاء فى مسلك الوطر ، فإن هذه الرعاية الكريمة ستسفر لك عما يغبطه الولي المصادق ، ويشاحك فيه الأخ الموافق ، واهتمامى بذلك متكفل ، والموعود به متجنّز بمشيئة الله ، وإذا عاد الجواب عما كتبتُ به [ إلى <sup>(١)</sup> ] الحضرة العالية أنك كتابى على شرح تعتمده ، ومثال تقصده بعون الله .

(١) زيادة يقتضيها السياق .



## ٦ — وله في التأنيس وبسط الأمانة

كتابي — أطل الله بقاء الإستيذار — ومولانا فيما يرفع الله من كلماته ، وينصر من راياته على أسعد ما عوده الله في مجارى الأمور ومصارفها ، ومشاهد القدرة ومواقفها ، وأنا سالم في ظله ، والحمد لله ، وصلاته على النبي محمد وآله .

ووصل كتاب الإستيذار ، فاشتد سكوني ، وتضاعف — بما عرفت من ترادف النعم عليه — سروري ، وسألت الله أن يجعل منأخه عنده حاضرة لا تغيب ، وراهنه لا تعرب وتستجيب ، إن الله تعالى فعال لما يريد .

وعرفت ما وصفه الإستيذار من تصرفه منذ كان على طاعة الدولة القاهرة يسوى فيها بين سره وإعلانه ، ويثابر عليها مثابرة لياليه وأيامه ، وذلك — والله الحمد — مشهود منه ، لا يحوج إلى إقامة شهادة ، وموعد لا يضطر إلى استزادة ، ومولانا مُحمَّد لمذاهبه ، راضٍ عن شاهده وغائبه ، ناوٍ فيه ما ينويه — حرس الله ملكه — في أخص المُعْتَرِين إلى رائه ، والمُعْتَرِين بولائه .

وقد حضر فلان المجلس فأدبى المشافهات ، وحكى وجوه المهمات ، وسمع في الجواب ، ما أصدره لسان الصواب ، ثم حضرني فجأوبته ما يؤديه ، ويعرف الإستيذار مقصدي ومعتقدى فيه ، بإذن الله ، فإن رأى أن يواصلنى مواصلة الواثق ، ويسترسل في المهمات والعوارض ، فعل إن شاء الله .

## ٧ — وله في إعظام النعمة فيما يكسب من الإحماد

ويوفق فيه من لزوم الطاعة

كتابي — أطل الله بقاء مولانا الملك — والأمير مكنوف بنعمته ، وأنا مسعود بخدمته والحمد لله رب العالمين وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .

ووقف خادم مولانا على ما أهل له من المجلس العالى خطابا ألبس به إحمادا عما أداه وأنهاء فلان ، وفقنا الله معا للخدمة المفروضة وشكر النعمة الموفورة ، وعبد مولانا وابن عبده ، إذا ورد عليه ما يفوت مرعى أمله وظنه لم يكمل لجواب ، ولم يشجع لخطاب ، فيجعل الدعاء جُنَّةً ، ويَجْمَع عليه سره وعلا نيته .



والله يطيل بقاء مولانا مصرفاً للأيام والزمان والأقدار والأمصار ، فلا يزال خدمه في ارتفاع نواظر ، وكفّار نعمه بين مهالك ومحاذر . والمهمات التي رسم مخاطبة خادم مولانا فيها يوكل بها همّه ، وبصره وسمعه ، ويستنزل توفيق الله في أداء لوازمها ، وسلوك مناهجها ، وينهى ما يتجدد في كل أمر على سنة أمثاله بمشيئة الله .

## ٨ - وله إيجاب وإيناس ورفع وتنويه

كتابي ومولانا سابع ملابس البسطة ، متظاهر الملك والقدرة ، وأنا سالم بدولته البهية<sup>(١)</sup> وكلته العالية ، والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله .  
ووصل كتابك سارّ المطالع والموقع ، بارّ المورد والمودّع ، فكان ما ضمنت من خبرك في سلامة - يسوّغك الله موادّها - ونعم - يشمرك أعدادها - زائداً في الارتياح لتدبره ، وانشرّاح الصدر لمصدره ، والله يوالى إليك منائح آتية من وراء الآمال ، مواتية لأسباب الإقبال .

وقد عرض كتابك في المجلس وصادف من إيجاب مولانا [ما<sup>(٢)</sup>] قد بشرتك بوصفه ، وشجنت سابق كتابي بذكره ، وإنه - حرس الله أيامه ونصر أعلامه لنا ولك أدام الله عزك - وفاك<sup>(٣)</sup> ما يُوفى على أصفى مبالغيك ودواعيك ، إذ كان مبنّى سياسته الكريمة ، على إعزاز ذوى البيوتات القديمة ، وأنت - أيدك الله - في واسطة فضل لا تحفى مذهبه ، ولا تغمض معاقده ومناصبه ، وعندى من تمهيد هذه الحال عند كل ذكر تقتضيه ، وأمر يسوّغ الشروع<sup>(٤)</sup> فيه ، ما تطالبني به محاسنك ومناسبك ، ومحامدك وضرائبك ، وسيعين الله بدولة مولانا على ما فى النفس قضاء للوازمك التي تحض المروءة عليها ، وتهيب الحرمة إليها .

وفلان يعرفك مارسمت إخراجك من معاملتك ، فتعلم أى احتطت لك احتياط الصديق ووضعت النظر والتسوية وضع ذوى الاهتمام الصريح . وحذفت ما كانت العميدية والقيمة ألزمت<sup>(٥)</sup> من صروف وطالبت به من قروف . وأما المكاتبة عن الديوان المعمور فقد تقدمت بزيادتك فيها والتبليغ بها إلى رتبة لا أعرف أحداً يكتأبُ بمثلها ، ولا كوتب منذ استقر

(١) فى الأصل : إليه .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) فى الأصل : وفيك .

(٤) فى الأصل : الصرع

(٥) فى الأصل : وألزمته .



مولانا على سرير ملكه بالرى إلا بما هو دونها ، وعنايته — حرس الله ملكه — تضاعف لك على الأيام إكراما إلى إكرام ، وتصل إنعاما بإنعام .

## ٩ — واليه

وصل كتاب مولانا بذكر الحلف الذى رسم مولانا عقده عند وروده البصرة بين سعد وربيعة ، أخذاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأوس والخزرج حين وافى المدينة ، وقد تحيقت حروبهم أعدادهم ، وضاعفت أحقادهم ، واستفزت أحلامهم ، وبرت أجسامهم ، وفرقت أهواءهم ، وأراقت دماءهم ، وتخوت أحوالهم ، وانتسفت أموالهم ، فجمعهم على السلم مع الإسلام ، وألف الله بين قلوبهم بيمان الإيمان .

وقد كان هذا النزاع — أطال الله بقاء مولاي — والنزال ، والعراك والقتال ، تالى ما حكيت فى إحن تثار ، وعقول تستطار ، وأملاك تنتهب ، ودماء تهدر ، وضغائن لا تحلّق حتى تستجدّ ، ولا تنحسم حتى تستمد ، قد شابت عليها مفارق الزمان ونواصى الأيام ، واندرج فى مضارّها ومعارّها من لم يكن يضرب فى الحيين بعرق ، ولا عدّ منهما<sup>(١)</sup> فى شعب ، سوى خطّة جلبها الاشتراك فى الخطّة ، ودائرة ولدها تجاور الدار والحلّة ، فذكرت بهم الحروب المتطاولة كحرب ابنى<sup>(٢)</sup> وائل وقد دامت ثمانين ، وحرب ابنى قيلة<sup>(٣)</sup> ، وقد بقيت مائة وعشرين ، وكتب الله لمولانا من جمال هذه الألفة وغرّها ، وثوابها وأجرها ، ما يوازن الجبال ، ويعادّ الرمال ، فكم خائف أمين ، وفضل رهن ، ودم حقن ، وجمعى حرس ، وصلاح غرس ، وسداد أسس ، ونشر ضم ، وشعث لم ، وخير أتم ، وسيف أعمد ، وضالّ أرشد ، وهدى مهد ، لا زال العالم فى ظل سلطانه ، وفضل زمانه .

وأما الكتاب الذى أنشأه مولاي فى هذا الأمر فعقيلة الدهر ، وقيمة الفضل ، وزبدة الأحقاب ، وفصل الخطاب ، أقول ذلك متحققاً لا متجاوزاً ، ومتثبتاً لا مترخّصاً ، قول من أتقن شروط الأحلاف ، بين الأسلاف والأخلاف ، فدرى كيف كان حلف المطيّين<sup>(٤)</sup>

(٤) حلف كان فى الجاهلية على نصر المظلوم  
وصلة الأرحام وكان النبي وأبو بكر من المطيّين  
ويقال لهم خمس قبائل من قريش .

(١) فى الأصل : منها .

(٢) حرب بكر وتغلب .

(٣) حرب الأوس والخزرج .



وحلف الفضول<sup>(١)</sup>، وحلف الأحابيش<sup>(٢)</sup>، وحلف الأحلاف<sup>(٣)</sup>، وروى ما أنشئ بين  
المضرية والربيعة، وبينهما وبين اليمنية، ومع ذلك فما قرأت أكل شرطاً، ولا أتقن  
أصولاً، ولا أكثر عيوناً، ولا أمتن فصولاً، ولا أقرب ألفاظاً، ولا أبعد أغراضاً، مما  
أنشأه سيدي، فمن يعلمني قلت بما عرفت، وشهدت بما علمت، وإلا فليدع تمنية النفس  
الباطل، وليرتع مع النعام الهامل، فلا يقدر مولاي ما اتجه من نتائج البلاغة، وثمار  
البراعة، فإني عارف بما يناله وسعهما ويزخر به بحرهما، وإنما هو إقبال مولاي — كبت  
الله أعداءه، وأدام سلطانه وعلاءه — ينفض في جنانه، ويلقى على يده ولسانه، ولكن الشأن  
في طبع يقبل الإقبال، وخاطر يحتمل الاستقلال.

وليس من فرض ذلك الكتاب أن يختصر على هذا القدر في الوصف، ولا يوفي بقدر  
الطاقة بعض الحق، ولكن وصوله وافق علة قد شكوت — إلى سيدي — أمرها،  
وإن كان — كما وصل — مُديلاً بالشفاء منها. ومن هذا الذي لا يشفيه ذوب العلوم  
وصوب العقول — حرس الله مولاي — للعبارة عن تلك المكارم والمعالي، بتلك الألفاظ  
والمعاني، وأنا أعتذر إلى مولاي من صدر الكتاب بغير خطي وتخلل الخلل لفظي، فإن  
الضعف قبض يدي عن التحرير وخاطري عن التجويد، لا عدمته مفيداً ومقيلاً، وآخذاً  
بالسبق فعلاً وقيلاً.

## ١٠ — وله ثناء وتقريظ وإطراء وتعظيم

وصل كتاب مولاي، فبشرتني عادة بره بما يتلقاني من المسار عند فضّه، فصدق ظني  
بفكه إياه عن محاسن لا تقتصر على جلاء الطرف، حتى تشفعه بجلاء الفهم، وتمتع السمع،  
إمتاعها للقلب.

لاجرم أني أجدد التباهي بما حاز الله لسيدي من فضائل هجنت من قبله، وأتعبت  
من بعده، وإن كان لا هجنة على من تخلف عن جريه، ولا مطمع لتال في بلوغ هديه،

(١) حلف كانت بين هاشم وزهرة وتيم من قريش على دفع الظلم.  
(٢) هم أحابيش قريش تحالفوا أنهم يد على غيرهم.  
(٣) كان عمر من الأحلاف وهم ست بطون من قريش: عبد الدار وجميع ومخزوم وبنو عدي وكعب وسهم تحالفوا على ألا يتخاذلوا.



أدام الله له ما حباه ، وأوزعه شكر ما أولاه ، فإن الشكر إن كان فرضاً حتماً ، ولزماً جزماً ، عند نعمٍ توفر حالاً ، وتكثر مالا ، فإنه أوجب في مواهب فضل تزيد في قيمة المرء ، وتملكه زمام السبق .

وتمثلت ما أجاب به مولاي في معنى الروم ، ولا ارتياب عند من حجبته مُسْكَةٌ عقل ، أو نصح له لسان حزم ، في أن همة مولانا لا ترقد عن هذا الداء العياء حتى تحسمه ، ولا تهجع عن هذا الشتات المسرف حتى تنظمه ، فقد بلغ سيل الدين رباه ، واستشرى الكفر ونال مناه ، ولم يكن الله وإن أمهل ليهمل . وما تعرف الأبواب ولا أربابها الله سيفاً لا ينبو عن ضريبتة ، وللإسلام ليشاً لا يُكذَّب عن فريسته ، غير مولانا — أدام الله علاه — فليرهف مولاي خاطره لإنشاء الفتوح شرقاً وغرباً ، وبراً وبحراً ، لا سيما وقد بشرت القصيدة نسيجة وحدها ، وقرينة دهرها ، وكريمة لداتها ، وعقيلة أخواتها ، بما أراني القوة في أزر الإيمان وساعده ، والضعف في أداني الكفر وأباعده ، والله يسهل لمولانا المطالب ، ويحصن بدعوته المشارق والمغارب ، ويحرز هذه الفضيلة خصوصاً لأيامه ، حتى يلم شعث الإسلام بمكانه ، فسا وراءها حسنة تقاس إليها ، فضلاً عن أن تفضل عليها .

وأعود لذكر القصيدة ، أما تعجب سيدي من تزايد هذا الشعر ، وإثقاله عواتق الوصف ، وارتفاعه عن أبواع الفضل ، وجمعه بين شرف المصدر ، وسهولة المأخذ ، وعلو المطلع ، ولطف الموقع ، وبعد المقاصد ، وقرب الموارد ، فقد جلبت من الدعاء ، مثل الذي أوجبت من الثناء ، وستصير الدنيا دار ندوتها ومنبر خطبتها ، فلا نعمة على المسلمين أعظم من تقوية المُنن بها ، إلى أن ينجز مولانا وعده فيها .

وسائر من عوّل مولاي على قيامه واهتمامه ، وانتصاره وانتقامه فجوابي فيه أن حرارة الأكباد تبرد بالشراب ، دون لمعان السراب ، جعل الله العالم وقاية ركاب مولانا ، وعمره عزه عمر النور والدهور ، إنه فعال لما يشاء .



وعبدُ مولاي — أدام الله عزه — المنحازُ إلى ظله ، المرتَهَنُ بفضله ، أبو محمد صاحبِ  
مستَصحبِ القصيدة التي خدمت معالي مولانا بها ، وعوّلت على تشجيع مولاي ونشيدِهِ  
لها . هذا ولولا كرم مولانا — حرس الله سلطانه — لما شجّعنا على إيراد هذه البضائع  
المرجاة أسواقَ مجده ، وإن كان لا تثريب على مستنْفِدِ وسعه ، وباذل جهده ، فإن رأى  
سیدی أن يجيب بما يهد أسباب تطوله ، ويصرفني في محابّة على ما أعتد بتحمّله ، فعل  
إن شاء الله .



## الباب الثامن

### فى الذم والتبجىن

١ - كتاب فى تقبىح آثار غامط نعمة والاعتذار مما ناله من نقمة

وصل كتاب السلار بذكر فلان أحسن الله توفىقه ، فتمثلت ما ذكره ، وتبىنت ما صورّه ، وقولّه المسموع الذى لا ىرادّ ، وكلامه المقبول الذى لا ىضادّ ، ولكنّه بعقله وفضله ىعرف ما ىجب على المأمور للآمر ، وىلزم الموس للسائس ، وىتحقق أن الأمىر السعىد - رضوان الله علىه - إنما أقرّ فلانا - تولّى الله إصلاحه - وقدمه ، وبسطه وأكرمه ، ومنحه وأولاه ، وقلّده وولّاه ، استخلاصا لنىته وعقده ، واستصفاء لطاعته فى يومه وغده .

وإنى حىن أفضت الأمور فى ظل مولانا إلى تدبىرى ، ووقفت الأعمال على تقدىرى ، جريت على تلك السنة إقراراً له على عمله ، وتحقىقاً لظنه وأمله ، بل زدته إكراما فى الخطاب ، وأقساماً من الإىجاب ، لموقعه من سىدى ، فما أفرق بىن أقاربه وأقاربى ، ومتأسبه ومناسبى ، وكان هو مستمرا على طرىقة لاشك فى أن سىدى قد تصورها وأنكرها ، وعلمها وذمّها ، فجعلت أغضى عليها ، ولا أخلىه من التنبىه فىها ، وصارت كتبه تنفذ إلى جنبات كان ىنقبض من قبل عنها ، وبدأ ىستمد المعونة والمعوثة منها ، وأمرته غىر مرة بالحضور لىزداد تأنساً بالخدمة ، وأزىده من موارد النعمة ، فجرى على شاكلة واحدة إخلالا بالخروج ، وتصرفا مع كواذب الظنون ، فلم أضایقه فى اختىاره ، ولم أسد علىه طرىق إىشاره ، واستدت على الرعىة وطأته ، واشتدت فى نفوسها وأموالها شوكته ، وكانت الاستعانة منهم تأصل ولا تحف ، والعادة منه تدوم ولا تكف ، فلا أبْلُغُ فى التسىكل والتغىىر المبلغ الذى ىلزم تأمىلا لارتداعه ، وكراهة لتقصىر باعه ، إلى أن دعت الضرورة القوم إلى ممانعته ومدافعته ، فحسبته لا ىستنصر إلا بجنبى ، ولا ىلتمس العُدوى إلا من حضرتى ، وانتظرته لأرده قوى الید ، ماضى الحد ، فعدل إلى نواح مختلفة ، وورد مشارع مفترقة ، وأنا فى كل ذلك أكره فىه



ما يختار لنفسه ، وأعلم أنه مأخوذ عن طريق حزمه ، وأن سيدي غير مُجِدِّ لما بدا من فعله ،  
إذ النعم لا تقابل بالشروء على مولياها ، والغموط لمستدعيها ، ولم يجز ترك العمل شاعراً ،  
فأخرجت فلانا ضابطاً وناظراً .

وكان فلان — أحسن الله رُجْعاه ، ووقفه لما يرضاه — بذل من نفسه تسليم القلعة ، إذ  
التحصن بذلك البلد — مع انصرافه وانحرافه — لم يَسْخُ ، ثم تلَوْن جارياً على طريق الممانعة ،  
ومخاطباً أصحابه بالمنازلة والمقارعة ، ووقع من فلان ضرب من التسرع — حَفَرَه له القوم —  
بابتداء المنازعة ، وتخطيها إلى المنازلة ، وقد علمت أن سيدي يؤثر مصالح الدولة على كل قريب  
وَقُرْبَى ، ولا يحتمل في مضرتهما ذا رحم بعيدة أو دنيا ، أمتع الله بحياته واتصل مدته .

## ٢ — ولله

كتابي — أطال الله بقاء السلار — ونعم الله — تعالى — عند مولانا تجمع سمو  
المكان ، إلى علو الشأن ، وثبات الأركان ، إلى القدرة والإمكان ، وما أخدم فيه بحضرته  
أجلها الله ، وفي ممالكه ، حرسها الله ، جارٍ على السداد ، مطرد أحسن اطراد ، والحمد لله  
رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .

وكان كتاب السلار ورد على عادته في برٍّ يصل أوله بآخره ، ويجمع بادئته إلى حاضره ،  
فبشر من اجتماع السلامة والسعادة لديه ، بما سألت الله إيمانه له وإفاضته عليه ، وتطوقت  
منه كما اعتنقت شكره ، وسألت الله أن يجعلني بفرضه من الناهضين ، وبحق فضله من  
العارفين ، وعرفت ما خاطب به السلار أبا الحسن متعرفاً خبره ، ومستعلماً فيما باشره أثره ،  
ووقع ذلك بحضرة مولانا أحسن موقع مثله ، وعده في المشكور والنشور من بر السلار ونتائج  
وده ، وتلك الأمور التأمّت أحسن التئام ، وجرت على أسدّ نظام .

هذا وكان هذا المولى تلك البقعة محظوظاً من العناية والقربة ، ومسترعى تدبير هاتيك  
النعمة ، ومقدراً فيه أنه يشكر بلساني الطاعة والخدمة ، وأخذ يتلوّن فيمهل ،  
ويتبدّل فيُحتمل ، ويكاتب أطرافاً لم يسوغ له الانقطاع إليها ، فيزجر ، ثم يُنظر ، ويحذر  
ثم يؤخر ، رجاء أن ينتبه من رقدته ، ويستيقظ من سنّته ، وكان أشد ما يُنكر منه ، وأقبح



ما يذكرك عنه ، البلوغ إلى أخذ الأموال المحجورة ، والولوغ في الدماء المحظورة . وكانت المواعظ تصدر إليه فلا تعمل في صدره ، والأمثال تقلب على عينه فلا تؤثر في قلبه ، إلى أن خلعت تلك الرعية اضطراباً فلم يكن له غناء دافع ، ولا وفاء ممانع ، وحسبناه يرد الحضرة البهية فيداوى كلمه ، ويسدّ ثلمه ، إلى أن أخذ [ إخذ<sup>(١)</sup> ] ه مرة نحو بقاع الجبل فنفي عنها ، وعدل إلى جرجان فأبعد منها ، وامتدّ إلى حدود خراسان فلم يسكنها ، وظن قلاعه بناحية الدامغان تحمي أصحابه عن الدمع والإبعاد ، والتصد والإقصاد ، فما كان إلا ريثماً أضبوأ على الفئ ، واقتدوا بصاحبهم في البغي ، حتى تبرأ منهم حصنهم ، واشتمل عليهم وهنهم ، وقد كان الأحب إلى مولانا أن لا تتكدّر عند ذلك الرجل الصنيعة ، ولا تُرجم لقلّة أمانته الوديعه ، لحقّ أبيه وذويه ، وقبل ذلك لا اتصاله بغلان نسبا ، وإن باين رأيه طريقاً ومذهباً .

وهذه — أدام الله عز السلار — الدولة التي حكم الله لها بالاستظهار والاستيلاء ، وأوطأها متن الاستقلال والاستعلاء ، فمن شايعها ربح متجره ، وصفا مورده ومصدره ، وكان بين عيش رغد ، وطالع سعد ، ومن ولّاها ظهره أظلمت عليه مذاهبه ، وخسرت بضائعه ومكاسبه ، وأصبح على جدّ عاثر ، وأمسى بشمل متناثر . والذي وكّد الله بين مولينا الملك السيد والأمير المؤيد وبين السلار من حال رفعت كلفة التميز ، وأماطت حشمة التحيز ، يقتضيني بحق السفارة ، وخدمة الوزارة ، أن أهدي إلى سمعه من أنباء جيوشها المنصورة ، وألويتها المنشورة ، ما أتيقنه يرتاح له أصدق ارتياح ، وينشرح صدره به أتم انشراح ، والله يصل هذه الوصل بالثبات ، ويكنفها بخلوص النيات ، ويزيد الأعداء سقوطاً على الأفواه والشفاه ، والمناخر والجباه .

### ٣ — وله

وصل كتابك بذكر ما سهلته سعادة الدولة العالية ويمنها ، ولطف عادة الله عندها وحسنها ، حتى استجاب الخالفون المخاطبون من نواحي كذا لما رُسِم ، ووقفوا عند ما مثّل

(١) زيادة يقتضيه السياق .



وَحُتِّمَ ، فسرني الله تعالى بذلك سرورا ينتجه ما يواليه عند أولياء النعم من إظهار وتمكين ، واستيلاء على أمد الماضين والغابرين<sup>(١)</sup> ، وسألته أن يديم لمولينا من العز أثبته قواعد ، وأرفعه مصاعد ، وأعلاه سماكا ، وأجراه أفلاكا ، إن الله يفعل ما يريد

وأنهيت ما وفقت له قرعاً للأمر من بابه ، وتوثيقاً لدواعيه وأسبابه ، حتى أسمح المراد فيه ولم يجمع ، واستمر المرام فيه ولم ينجح ، واستوفى سعيك من الإحاد ، ما يفوت غايات الطلب والارتياح . وفلان أبي إلا خذلاناً تعثر في أذياله ، وتمرغ في أحواله . وقد ساءنى ماجرى لا لقدره ، بل للجرأة فيما يذيع من ذكره ، وسيعرف مغبة ما أتاه ، ويحتنى ثمرة ما جناه ، وتسلمه يداه بحيث لا تستقر قدماه ، ولله المشيئة والأمر ، ولأولياء الدولة العلو والقهر ، فمن زاغ عن<sup>(٢)</sup> سراط الدولة المستقيم صلى بعذابها الأليم . هذه سكرات ولها إحصاء ، وغمرات بعدها انجلاء ، والموفق من لم يُقدم على ما تسوء مصائره ، ولم يرِدْ على ما تستوخم مصادره .

#### ٤ - ولله

كتابي وورد من فلان ما أنبأ بأن فلانا حين صار إلى شاطئ البحر فاستوقفه مشتمل الذعر . استولى من نديهم فلان على موضع كذا ، فلم يجد الخائف وراءه مرجعا ، ولا أمامه مشرعا ، وأنه على جملته في الحيرة والدمار ، والحدار من سواد الليل وبياض النهار ، وأن أكثر من قدرهم أنصاره خذلوه ، وقلبوا له الجنّ وأسلموه ، وقد ترصدت فرق آخر لتفريق شمله ، وتقطيع حبله ، وهذه عادة عند من جحد إحسان مولانا وإنعامه ، ثم لم يقبل إقالته . وقد أعطاه أمانه ، وستنجلى الحال إن شاء الله عن انتهاء أمره وتناهى عمره . إنَّ غمط النعمة عقال يمنع ، وعثارٌ يصرع . وقد أنفذت الكتب إلى المجلس العالى ، وأنا راجٍ أن أشفعها بكتاب في ترك فلان آية من آيات الله عبرة لمن اعتبر ، ومثلة لمن ازدجر .

#### ٥ - ولله

كتابي والأمور بحمد الله ومنته ، وما قسم للدولة القاهرة من فضله ونعمته ، جارية على ما يزيد الأولياء قوة مناكب ، والأعداء ضعف جوانب ، والله الشكر ، وصلاته على نبيه محمد وآله أجمعين .

(١) في الأصل : هكذا : العارن

(٢) في الأصل : من ، وسراط لغة في صراط



ووصل كتابك فأنست لما أتيت ، وأحدث ما أنهيت . أما فلان فقد كُفيت شغل الصدر<sup>(١)</sup> به ، وتوزع الخاطر بسببه ، لأن الرجل قد علم بمكان فلان من الخصوص بالدولة ، وأنه رب ذلك البيت وتلك النعمة . وحديث كذا قد عجبت من فكرك فيه وذكرك له : ومن دون ليلى ذو بحارٍ ومنور<sup>(٢)</sup> : والذي يجب أن يشتغل به فلان حديث فلان حتى يذيقه من وبال فعله أمرٌ مذاق . وملاك ذلك أن يُعان فلان معونة تؤمنه انتهاز فرصة من ناحيته ، أو نفوذ حيلة في مساءته<sup>(٣)</sup> ، ثم التجرد لما يحصّ جناح فلان ويبريه ، ويُنكي ضرباً من النكايه فيه ، فليس يكفي أن يكون التأثير أجمع قولاً لا فعلاً ، ووعداً لا إنجازاً .

والذي يُحتاج فيه إلى قيامك واهتمامك أن تراعي بأخبار فلان في مقارّ قدمه وإن كانت دَحْضَ مزلة ، ومصارف عزمه وإن كانت بين خلّة وذِلّة ، فإن مولانا خاطبني اليوم بفصل مفرد ، وقال : أو عز إلى فلان ليراعى بأخباره غَضّة ، ويجعل إعلامك أحواله نوبة ، فأما اجتماعه مع من اجتمع معه فكما يقال : مثقل استعان بذقنه ، وعبدٌ صرِيحُهُ أَمّة<sup>(٤)</sup> وإن سفت به الريح في أثناء الأمواج إلى مكان سحيق قرب طائر بجناحه ، إلى موضع اجتياحه .

## ٦ - واه

وصل كتابك وعرفت ما أنهيته واقتصصته ، وأبديته وخلصته ، وليس على عناية مولانا بك مستزاد ، ولا وراء إيجابي لك مراد ، ولكن الأمور المنوطة بك منتشرة ، والأسباب الموكولة إليك مضطربة ، وأيدي الأكراد بالعيث والفساد منبسطة ، وهيبتك عن قلوبهم ونفوسهم مرتفعة ، وذلك يثلم جاهك وينتقصه ، فيكدر عليك الأنعام وينقصه ، وليس يمكن ألاّ أصرّح بقصورك ، ولا أخبر عن عجزك وحُسُورك ، وكيف جرت الحال فسبيلك أن تزداد اجتهداً وجداً ، وتستنفد الطاقة حتى لا تبقى وسعا ، وتداوى هذا الأمر بدوائه ، وتلطف لحسم أدوائه ، قبل أن يضجر السلطان — أطال الله بقاءه — ويقول :

(٣) في الأصل : مساءاته

(٤) يضرب مثلاً للضعيف يستصرخ بمثله

(١) في الأصل : القدر

(٢) ذو بحارٍ ومنور جبلان في ظهر حرّة بنى سليم . والشر من شر لبشر بن أبي خازم .



اصطنعناه ، ورفعناه ، وأعطيناه ، فلما تركناه وأمره ضاعت المهمات على يديه ، كضياح إحساننا لديه .

وأنا مجتهد مع الأشغال القاطعة ، والمهمات المانعة ، في إمدادك بمن تطول بهم يدك ، وينبسط معهم أمرك ، ولكن بعد ألا يطول مكثهم ، ولا يتراخى لبثهم ، ويكون سبيلهم سبيل النجدة التي لا تصل حتى تفصل ، أسراً وَحِيّاً ، ولا تنتظر أمداً قَصِيّاً . وهذا يا أبا عيسى خمار سكر كنت أحذر منه ، وأدفع بجهدى عنه أيام القبض على هؤلاء الأوغاد ، الذين ارتضعوا دَرَّ الفساد ، ففَرَّتْكَ الغوار حتى توصلت إلى اسنقازهم ، وحلَّ عقابهم .

لاجرم أنى ألقىت حبل الأمر على غاربه ، وعلمت أن مشاركته تظلم عليك من مغاربه ، وكيف جرت الصورة فليس بجميل أن تستسلم للعجز ، وتنضو ملبس السكافى الشهم ، فابن بابويه وابن عنترة قد أجريا بنواحي أصفهان إلى منكرات ، وقطعا<sup>(١)</sup> الطرق دفعات ، ولا بأس فسوف يُرى بإذن الله ومشيتته كيف تَرَوَى السيوف العطاش ، من دماء أولئك الأوباش ، وكيف يتركون طُعْمَةً للسباع ، وأُكْلَةً للضباع . وقد تكون للباطل جولة ، وللفساد مُهْلَةٌ ، ثم يأتى من الانتقام ، والاصطلام ، ما يُسْقِطُ الهام على الأقدام ، وما يُعْجِزُكَ في هذين الغارة على أحيائهم ، وسبى أولادهم ونسائهم .

على أن مولانا موغز في إنهاض سبعائة رجل من الأتراك والعرب إلى أصفهان لحوط أطرافها ، وصون أكنافها ، فقد طال عهد أكرادهم ، بعادتنا في صلبهم ، وتنكيلنا بهم . وأنا أتوقع تأثيرك في هذه الطوائف مُسْقِطاً للرقبة ، ومصرفاً لهم على أحكام الرهبة ، ولا تفكرنَّ في ابن عكبر فإنه سيشغل بنفسه ، ويسقط ليديه وفمه ، والسلام .

## ٧ — و —

قد عرف مولاي أمر عكبر بن إبراهيم في تمرده منذ حلت تماؤه ، وسوء معتقده منذ فارقه حواضنه ، وأنه كان لا يقصّر عن الإفساد ما أطاق ، ولا يكف عن الإضرار ما استطاع ، فتي لَزَّ من جنبه كَتَبَ يظهر طاعةً منبَتَّةً القرائن ، ويبدى موالاةً مذمومةً

(١) في الأصل : قطعوا



الدقائق ، ويوهم أنه وارد الحضرة ، أجّلها الله ، ومختلط بخدماها ، أيدهم الله ، فإذا أُرخي من خناقه عاد لرأيه الذي فيه أوضع ، وعليه وضع ، ورجع لمذهبه الذي به غُدّي ، وعليه أنشئ ، حتى إذا جرد مولانا غزمه لإبادة هؤلاء المفسدين أُبَيِّتَ للملك ، وحميةً للدين ، قدر عكبر أن أباطيله تروج بحضرته ، ومخاريقه تنفق في جَنَبته ، فواصل تلك الكتب الطويلة الألفاظ القصيرة الأغراض ، مع رسل لا يتحملون إلا إفكا ، ولا يتأبطون إلا شرا ، فلم يدع مولانا مع علمه بقصده وغزمه أن قبِلَ كتابه ، واستمع كلامه ، وصرف أعنة خيوله المنصورة عن طلبه ، ووقف لُجْمَ جيوشه المظفّرة عن الإيقاع به .

فلما وجد إلى المدافعة سبيلا ، وصادف إلى المراوغة طريقاً ، مضى على غرّته ، واستمرّ على شرّته ، وعلمت الخسروية والجرجانية ، أنه متعثر في ذيول الخلدان فقارقه ، واعتصموا بحبل الطاعة ولزموه ، ودبر أمرهم بما أثمر أمن السبل واتصال الرُفَق ، وعمارة المزارع والدساكر ، وزوال الرقبة عن الوارد والصادر . فكبرّ عكبر راجعاً عن مضايقه ، فرسم مولانا تلقيه عنى بكتاب يقطع طمعه عن ورود هذه الحضرة ، ويحذره من دخول الأعمال المدبّرة من هذه الجنبية ، وانتشر ذلك في أصحابه ، فتخلف عنه <sup>(١)</sup> أكثرهم ، وتقاعد به معظمهم ، وبادروا إلى الطاعة ، ضارعين في التماس الإقالة .

ورأى الرجل أن الطرق عليه مظلمة ، والمنافذ دونه مبهمّة ، فخرج إلى الحضرة البهية ، تقوده الضرورة التي وصفتها ، وتحدوه الصورة التي كشفتها . وهؤلاء الأكراد الذين ضمّهم إحسان مولانا وأمانه ، وشمّلمهم فضله وإنعامه ، كان من أول ما شرط لهم وعقد ، وألقى إليهم وعهد ، أن لا يجري لعكبر وإخوته عليهم رياسة ، ولا تملكهم منه قيادة ، ومولانا محيط بأن ركن الدولة يعرف الرجل وخبثه ، وإفكه ونكثه ، وأنه لا يؤهّله لزعامه ، ولا يُحظيه باستنامة ، إلا أنه أشفق من أن يوحي بكتاب يتضمن هذا الذكر ، ولم يكن عن قوة غزم ، ولم يصدر عن أمرٍ جزم . وهؤلاء الشهبان وحش في صورة الإنس ، فلم يؤثّر متى طرقهم هذا النبأ أن يتأخروا عائدنين في جهالتهم ، مرتدّين في عمّالتهم ، ويصير ما قد أنشئ من التدبير حتى انضمّ النشْر وانسدّ الخلل ، بعَرَض الانتقاض وبسنن الانتسكات ، وما مراد

(١) في الأصل : عنهم



عكبر إلا هذا ، فإن القوم لو راجعوا غوايتهم لنفقت سوق عكبر بعد ما كسدت ، ولهبت ريحه بعد ما رككت . ومولاي يتدبر ما أوردته ، ويقف على كتابي إلى أبي إسحق الكاتب أعزّه الله فقد بسطته ، وينوب عن مولانا — أدام الله أيامه — بحضرة مولانا الأمير حتى يورد جميعه مورده ، ويبتدى القول فيه ويردده ، ففي ذلك التقرب إلى الله ، تعالى ، ثم إلى أولياء النعم ، وكل طائفة من طوائف الأمم .

## ٨ — وله

وصل كتابك ، أيها الحاكم ! — أطل الله بقاءك — وعرفت ما أنهيته ، وتمثلت [ ما <sup>(١)</sup> ] تشكيته ، وقد خاطبت أبا فلان في بابك ، بما يؤدى إلى محابك ، وقد بلغتني هنات فلان ، ولا يزال يتردد في مخازيه ، ويتعثر في مساويه ، إلى أن أوغز <sup>(٢)</sup> في تناول السحت الذى جمعه وأطفاه ، والحطام الذى نظمه وأغواه ، وأيم الله لئن أشكاك من بعد لأتركه عظةً وازعة ، وعبرة رادعة ، فتقدم بعرض هذا الفصل عليه ، ليكون جارياً مجرى الإنذار إليه ، والذين يرشون نبهه ، ويُفوّقون جهله قد أخذت عليهم هذه الرقعة بحجة الإمهال ، وكرهت فيهم <sup>(٣)</sup> خطة الاستعجال ، فإن عادوا رأوا كيف يكون التقويم والتثقيف والإنكار والتأديب . وقد بلغنى أن فلاناً اعترض بعض ما حكمت به ، وزعمه مخالفاً لقول الأمة بأسره ، وأبو على ممن إذا أحسن لم يحسب له ، وإذا أساء لم يحاسب عليه ، وهو — فى مذهب نفسه — ضعيف الحفظ ، فكيف فى علم أصحابنا ، وهو أوسع من البحر ! ، وقد ناله من الإنكار ، ما أُلجأه إلى خطة الاعتذار ، وكان سبيلك أن تزجره زجراً يمنع من التطويل ، والقال والقيـل ، فإنك بحمد الله ومنه ، الموثوق بدينه وعلمه ، ومعرفته وفهمه ، وموقعك لدى أخص موقع ، ومشرعك عندى أعذب مشرع ، وكاتب بأخبارك وذكر أوطارك ، إن شاء الله .

## ٩ — وله ذم وتهجين

اختلف — أطل الله بقاء مولاي — أهل الدين فى خبر الواحد هل يوجب العمل

(٣) فى الأصل : فيه

(١) زيادة يقتضيها السياق

(٢) لعلها أوغرنى



بغالب الظن ، وقد صار مولاي يقول في خبر الفاسق بإيجاب العلم ، فلست أدري ما هذا الرأي الذي حسن خرق الإجماع لديه ، وحبب ترك الاتفاق إليه . وبعد فعهدى به وطود يذبل وأنف مُعْتَق ، لا يطوران<sup>(١)</sup> بمقارنة حلمه ، ولا يُقَدِّمان على مسابقته في اجتماع لبه ، فكيف استخف<sup>(٢)</sup> ما لا يرفع السمع أستاره لوعيه ، ولا يكشف القلب غطاءه لحفظه ، وقد ألقت منه رجوعاً إلى رأيي فيما يشاهد ، واستمداداً لمشورتي فيما يعان ، فكيف استبد دوني بأمر يغيب عنه وأحضره ، وآثر عزلي عن مهم ينأى دونه وأقربه .

وقد كان هذا الأهوج فلان الذي فقد الحياء صغيراً ، فلم يحظ به كبيراً ، منذ استبدل أبو محمد — أدام الله عزه — يطلق فيه من القول ما لا يتسع صدر البحر لاجتماعه ، ولا يثبت قلب الصخر على سماعه ، فيتجاوز ويتجاوز ، ويسامح ويترخّص ، ولا يراه [إلا<sup>(٣)</sup>] كلباً نبیح فلا يعرّج عليه ، ولا يلتفت إليه . ثم لا أمسك عن تقويمه إلا استحقاراً ، ولا أنصت عن تأديبه إلا استصغاراً ، حتى صار الإبقاء إغراء ، والإغضاء إغواء ، فجلس — وحياته مولاي التي أعدها غموساً — في صحن دار مولانا فتكلم فيه بما يوجب الحد ، ويقتضى الجلد ، ولم يكن ذلك منه مساترة ومصاداة ، بل وقع مجاهرة ومباداة ، إلى أن اشتراك الخاص والعام في معرفته ، ووقف الملك والسوقة على جلسته ، وحملته القحّة بعد ذلك على معارضة أبي محمد — أدام الله عزه — حتى إذا مسه بطرف من تأنيبه صرّح في وجهه ، بما كان يورده وراء ظهره ، فتمنّعه تقنيماً ضعيفاً بحسب عجزه وضعف قلبه ويده ، وبلغ ذلك الساقط إلى نسوان جمهين حتى حضرن واستغثن ، وما ترك طريقاً للتشنيع<sup>(٤)</sup> إلا سلكه ، ولا باباً للتقبيح إلا قرعه بل وجهه .

وقد كان خبر ما تلفّظ به ترقى إلى مولانا وامتنع ، ورسم معاقبته لولا أن أبا محمد انقبض ، ولم يَعْنِهِ ما أتاه ، ولا أقنعه ما جنّاه ، حتى أخرج البُرد تهوى نحو جرجان ، كأنها قد أتت تخبر بشر بن مروان بقتل مصعب ، ونشط مولاي لتلك الأساطير الطوال والطوامير العراض ، ولم يقل ما حمى<sup>(٥)</sup> دمه : لآل إسحق بن بندار بأصفهان : فلان قدس الله روحه

(٤) في الأصل : للتشيع

(٥) هكذا في الأصل . ولعلها : لسامي ذمّه

(١) لا يطوران : لا يحومان حوله ولا يدنوان منه

(٢) في الأصل : استخفه

(٣) زيادة يقتضيها السياق



فلم لا أتوقف ، ريثما أعرف ، وأحلم ، قدر ما أعلم .

ولو جرى هناك ما يُستعْظَم هذا الاستعْظَام ، ويستوجب هذا الملام ، لكان ذلك الصديق الصدوق ينكر أو يخبر ، ويؤدّب أو يُغيّر . لا جرم أن هذا الوقاح أخذ الكتابين بيده يطوف بهما على كل باد وحاضر ، وحاف وناعل ، ومستغش وحاسر ، حتى ترك أبا محمد مضغة ، وألبسه في الخدمة الشريفة هجئة ، وكاد يُدرّع جأهه وَصْمَةً ، ويوسع بناءه ثُلُثَةً ، وبلغنى ذلك وهو لا يقلع عن الإذاعة ، والنشر والإشاعة ، فبعثت من تناول الكتابين منه وإن كان على ما بلغنى فرق من نسخهما<sup>(١)</sup> ما صحيفه المتلمس أقل منه ضررا ، وكتاب قریش في مباينة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحسن منه أثرا ، والله المستعان .

وأنا أكتب — يعلم الله — ويدي تتعثر غيظا مما ورد ، وحنقا مما انفق ، ولأن مولاي تبلغ به سلامة الطبع وسلامة الخلق إلى أن يُتْلَعب بحلمه ، ويُتَعَبَّث بصفحه ، أيقدر مولاي أن هذا اللعين استبقى موضعا للتظلم لم يطأه بأعقاب عثرته ، وغادر مكانا للتألم لم يعمره بأشخاص أسرته ، وأنه لم ينظم نسوة يتضاغين<sup>(٢)</sup> بباب الميدان العالى ، فلو لم أستكشف سطوة مولانا عن هذه الشجرة الملعونة في القرآن لكانت تجتث من أصولها ، وتقتلع بعروقها . وكنت على ترك المكاتبه استيحاشا إلى أن يحضنى مولاي عليها لما أنكره من أبناء الكتابين الواردين . وما<sup>(٣)</sup> عرف مولاي جليلة الحال ، ولا اطلع على صدق المقال ، ولا غرو فان ذا الحلم قرعت له العصا ، وقعقت له الحصا .

وأقول أخرى : إن مولانا قطعتى بقدر ما وصل ذلك الحر النفيس ، وأوحشنى بحسب ما آنس ذلك الأخ العزيز ! ، نعم ورأيت مولاي يشهد له في فصل من كتابه بالفضل ، وأظنه لم يكتب بذلك حتى استغفر الله سبعين مرة ، ثم لم يجد مغفرة يرجي نفعها ، ويحسن وقعها ، ومن الكبائر أن أبا محمد يقطع مكاتبته لهذا الزور الذى قام مقام رأى العين ، وعاد عثمان فيه ذا الشهادتين . لست أرؤى من التقرير ، ولكنى أمسك ونيران قلبى تقور ، وأرض صدرى تمور . وأنتظر كتاب مولاي أبى محمد بما يمسح وجه الظلم بيد العدل ، وإلى بألف<sup>(٤)</sup> طومار من التنصل ، إن كان سمعى ينفث للعدر ، والسلام .

(١) فى الأصل : نسخها

(٢) فى الأصل : يتضاغين

(٣) فى الأصل : هكذا : وإلى نائف

(٤) فى الأصل : يتضاغين



١٠ — وله في تهجين غاش لوليّ النعمة وذم طريقته

كتابي — أطل الله بقاء سيدنا — ونم الله لمولانا الأمير المؤيد متضاعفة ، ودواعي التوفيق والتأييد إليه مترادفة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد وآله أجمعين .  
وعاد الجواب عما طالعت به حضرة سيدنا — أحضرها الله المناجح — ففعد لي أنواعا من التشريف لا تكمل الهمم لاقتراحها ، ولا تقوى المنن على التماسها ، وسألت الله الكريم أن يجعلني لأنعم مولانا من الشاكرين ، ويمد ظله علينا كافّة خدمه المغمورين بأياديهِ ومِنَنِهِ ، والمستظهرين على الدهر بحسن رأيه وعزرايته ، وكرم إيجابه وشرف رعايته ، إنه إذا شاء فعل .  
وعُرض ما لم يجز الإعراض عن إنهائه ، وهو أن إبراهيم بن القاسم كان ، كما عرف سيدنا ، يلبس هذه المدد طريقته ، ويغشى بأنواع الحيل صورته ، ويتصرف على أصناف من الخيانة صارت السبب في ضياع الأموال ، وتبليد الأعمال ، وتحجيز الناس كافة عن التنصّح ، بما انفق له من فضل رتبة ، وتحسم الأطماع جميعا عن التقرب بما اتجه له من مزية القرية ، وتقسم ما استُرعيه بين تضييع اقتضاه معجزه ونقصه ، وتغميض أوجبه ارتشاؤه وغشه .

وقد كنت ألقيت إلى سيدنا الأستاذ اطلاع مولانا الأمير على بعض ما أتاه بامتداد الأيام ، وجناه بمساعدة الزمان . هذا إلى ما كان يشير به من أسباب حدّثت الغاب والمصائر عن مغزاه منها ، ويبعث عليه من أحوال أخبرت<sup>(١)</sup> النتائج والعواقب عن مرماه فيها ، فلما بسطني مولانا لمشاركة هذه الأمور بحمّل هدايته ، ونشطني لمطالعة هذه المهمات بموفور عنايته ، لم أدع أن أزلت الشبهة على هذه الأوقات في احتياله واختيانه ، ودفعت المرية في اقتطاعه واحتجانه ، وكشفت عن حقائق ارتفاقه عن الحقوق المنتهية ، وارتشائه عن الأموال المقتسمة ، وأبنت عن أخذه من بيت المال أكثر ما وصلت إليه يده ، ومن مستضعفي الرعية ما أوهما أنه يوفره ، مقبحا للأحدوثة عن ولي نعمته ، وواقفا في مهبط سخط الله ونقمته .

وقد كان هذا أجمع يُتجاوز عنه ، ويُفصى عن سالف ما بدر منه ، ويُقتصر على قبض يده عن التبسط ، وغضّ منزلته عن التسلط ، حتى أحبّ أن ينتعش من عثرته بأيمان

(١) في الأصل : احرت



يُجَدِّدُهَا ، وَيَرْمِي مِنْ رَتْبَتِهِ بِأَقْسَامِ يَوْمِ كِدِّهَا ، فُخِّلَ بِحَيَاةِ مَوْلَانَا — أَطَالَهَا اللَّهُ — عَلَى أَشْيَاءَ  
لَمْ يَتَجَاوَزْ يَوْمَهُ حَتَّى أَقْرَبَ فِيهَا بِخُنْثِهِ ، وَلَمْ يَتَخَطَّ نَهَارُهُ حَتَّى أَفْصَحَ بِكَذِبِهِ وَبَهْتِهِ ، فَوُجِدَ  
الْإِغْضَاءُ عَنْ هَذَا عَجْزًا لَوْ كَانَتْ سَيِّئَاتُهُ السَّابِقَةُ حَسَنَاتٍ مَقْبُولَةً ، وَجَرَائِمُهُ السَّالِفَةُ مَسَاعِي  
مَشْكُورَةً ، فَكَيْفَ وَهُوَ رَهِينُ جَرَائِرٍ تَخْرُجُ بِهَا الصَّدُورُ ، وَغَرِيقُ كِبَائِرٍ تُضَيِّقُ عَنْهَا الْحُلُومُ .  
لَا جَرَمَ أَنَّهُ أَذِيقَ وَبَالَ تَلْبِيسِهِ بِالصَّرْفِ عَمَّا كَانَ يَلَابِسُهُ ، وَقَلَّدَ طُوقَ الْخَزْيِ بِالْإِبْعَادِ  
عَمَّا كَانَ يَتَقَلَّدُهُ ، وَحُلَّ إِقْطَاعُهُ جِزَاءً لِمَا يَقْتَضِيهِ . فَأَمَّا الْخُنْثُ فِي الْيَمِينِ فَقَدْ عَلِمَ سَيِّدُنَا أَنَّ يَمِينَهُ  
لَوْ أُخِذَتْ فِي مَقَابِلَتِهِ ، لَمَا تُعَدِّي أَيْسَرَ الْوَاجِبِ فِي مَعَامِلَتِهِ ، غَيْرَ أَنَّ مَوْلَانَا لَمْ يَفَارِقْ كَرِيمَ  
طَبْعِهِ ، وَلَمْ يَحُلَّ كِبَرَ الْخِيَانَةِ حَبْوَةً حَلَمَهُ ، وَرَسَمَ أَنْ يُقْتَصَرَ مِنْ مِرَاقِبَتِهِ عَلَى طَرْدِهِ وَرَدِهِ  
إِلَى قِيَمَةِ مِثْلِهِ ، وَتَرَكَ مَطَالِبَتَهُ بِعَظِيمٍ مَا ضَمَّ عَلَيْهِ يَدَهُ ، وَمَلَأَ مِنْهُ حِصْنَهُ ، وَذَكَرَتْ جَمَلَةٌ  
الْحَدِيثِ عَلَى رِسْمِي فِي الْخِدْمَةِ ، أَنَّهُ ضَنَى اللَّهُ بِحَقْوَقِهَا ، وَوَقَفَنِي لَشُرُوطِهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



## الباب التاسع

في التهاني والأجوبة عنها وما يجري مجراها

### ١ - كتاب في تهنئة بولادة وزيادة رتبة

كتابي — أطال الله بقاءك — عن سلامة ، قد وصل الله أسبابها بالنعم راعها ومؤتمفها ، ووكد أطناها بعزة البسطة وشرفها ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد وآله أجمعين .  
ووصل كتابك مفتتحاً بما عود الله العزيز أمره ، العلى ذكره ، من اعزى إلينا برأيه ورويته ، وعول علينا في سر أمره وعلايته ، وكان على الإخلاص لنا مثابراً مواظباً ، وفي التحقق بنا ثابتاً راتباً ، من تيسير المحاب وتسهيلها ، وتقريب الآمال وتعجيلها ، ليتناول أمانيه بطراوتها وطلاوتها ، ويحتنى ثمار زكائها وحلاوتها ، لا يعتاص عليه بعيد ، ولا يتوعد دونه شديد ، وبوصف ما كان من السلاسل إليك حين راعى مع حق النجابة التي أفردك الله بمزيتها ، والكفاية التي توحدك الله بحملتها ، حلولك لدينا محل أعز الأولاد ، وآثر الأعضاء والأنجاد ، فألقى إليك بعهدك ، ووصل ضمانه بعقدك ، واسترعاك معقب أمره ، وأوطأ عقبك كافة أهله ، ومكنتك في حاضر الوقت وعاجله ، الأمر من عدة قلاع ، شفعها بعدة من الضياع ، إلى ضروب من التكرمة صارت السنة نيته فيك واعتقاده ، واعتضاده بك واعتداده .  
وشرح فلان الصورة وفتقها ، واختص القصة وحققها ، فحمدنا الله كثيراً على ما عودناه في المؤثرين لدينا ، والأقرب بين إلينا ، تمكيناً وتمهيداً ، وتقديماً وتأيداً ، لتسابق المناهج إليهم متصلة الورد ، وتتظاهر المناهج عليهم مرتفعة الجدود ، واعتدنا للسلاسل بما اعتمد فيه توخي مسرتنا والزيادة في دواعي الثقة بحضرتنا ، وذلك هو المأمول من مثله ، في وفور فضله ، وعرفانه بالدهر وحكمه ، وعلمه بالتقرب أين مفضاه وممره ، وبجالة ومستقره .

وسرنا له فيما دبر به أمره ، وحفظ<sup>(١)</sup> فيه نيته ، أن عزل الهوى عن زمامه ، وعدل

(١) في الأصل : وحفظه



عن الرأى وأحكامه ، فوَلَّى من كان أشدَّ أزرًا ، وأثبت حِجْرًا ، وأطيب خَبْرًا ، وأكثَر نفرا ، وهو منتمٍ من صلة السبب بنا إلى ظل لا انحسار لمدها ، وحبل لا انحلال لقواه .  
وسألنا الله له إطالة العمر وتأخير الأمد ، وإدامة السلامة وتبليغ الأمل ، وارتحنا لما أَلْقَيْت إليك مقاليدَه استِيجَابًا واستِحقاقًا ، لا إيجابًا واتفاقًا ، فإنك بحمد الله ومنه النجيبُ الذى لا يفصح قادحه ، واللبيب الذى لا يمسك مادحه ، قد اكتنفتك بواعث الاستقلال ، وشملك الغناء فى كل حال ، أنال الله فيك المراد ، وحرس عليك إحسانه المعتاد ، وضاعفه بعد ذلك وزاد .

ويجب أن يتلقى ما كان من السلار بحقه من التقبل والإكبار ، وحسن القبول والاثمار ، فقد قضى الحق وبالغ ، وتناهى فى الجميل وسارع ، واستعمل ما يستعمله الجامع علمًا بالأيام وخبرًا بالنقض والإبرام ، وإتقانًا لأسباب السياسة ، وكمالًا فى السَّبرِّ للعامة والخاصة ، وقد كاتبناه نشكر له ما قدمه ، ونلتزم له المنَّة فيما تجشمه ، ونعلمه أن الذى أناه زيادةً فى التمازج ، ومادة للتصافى والتواشج .

## ٢ — وله تهنئة بجعل ولد ولىَّ عهد

كتابى — أطال الله بقاء السلار — وأمر ممالك مولينا الملك السيد والأمير المؤيد فى الاستقامة والاطراد ، كفاء ما عودها الله من الإنجاح والإسعاد ، وأنا فى ظلِّهما حامد لله رب العالمين ، وراغب إليه فى الصلاة على النبي محمد وآله أجمعين .  
ولولا أن صفوة الأنبياء — صلوات الله عليهم أجمعين — وخيرة الله من الخلفاء الراشدين أفضيا بالعهود إلى ذوى الاستقلال ، ورأياه من أصالة الرأى وآلة السَّكَّال ، وصار ذلك دُولة فى دول العرب والعجم ، وسائر الملوك والأمم ، حتى عُدَّ المغفل له <sup>(٢)</sup> مضيعًا عزمه ، والمقدم له مطيعًا حزمه ، لما كتبت مهنتًا بما رآه السلار من إلباس فلان جمال العهد والتفويض ، مشفوعًا بإحسانه السائغ المستفيض ، مع ثقى بأن الله يحفظ الجمال بمكان السلار أبدًا ، ويصل فى البقاء بعد أمدٍ أمدًا ، ولكن أسأل الله أن يديم أيامه عامرًا مكانه بنفسه ، ومصرفًا أمره بيده ، ورافعًا وُلْدَه بامتداد من عمره ، وبالغًا فيهم ما يحاول بمرأى طرفه ، ويجعل

(١) فى الأصل : عنه



ما عقده أيمن معقود ، ومن اعتمده أنصح مفوض إليه استحقاقاً . وحصل من اعتداد مولانا عما أتاه ما لا يقارع على وفور أقسامه ، ولا يراحم على مشارعه وجمامه .

### ٣ — وله تهنئة بولاية عهد

كتابي ، أطال الله بقاء السلار ، ومولانا سابغ ملابس العز والاستظهار ، مسعود بمواتة الأيام والأقدار ، وأنا سالم في ظله الظليل ، وبرأيه الجليل ، والحمد لله وحده .  
ووصل كتاب سيدى مخبراً بما أتاه السلار في معناه ، وتوخاه من وفاق مولانا وتحرّاه ، حتى جعله وليّ أمره وعهده ، ومرجوّ يومه وغده ، وأفضى إليه بسدّ خصاصه ، وأوطأ أغزّته أثره زيادة في اختصاصه ، غير ذاهب عن الجليّة إشاراً للأقرب نسباً ، بل ماضياً مع الصواب أين صادف مطلباً ، فسرّنى الله بهذه المنح المترادفة ، والمِن المتناصفة <sup>(١)</sup> ، وسألت الله إطالة بقاء مولينا لنبلغ في ظلالها الآمال ، ونكتسب بعزها الجلال والجمال ، وشكرت له أن أحضر السلار من العزائم أثبتها قواعد ، وأوكدها معاهد ، ومن الآراء أرفعها مراقب ، وأحمدها عواقب ، وحمدته — تعالى جده — أن سنّى <sup>(٢)</sup> لسيدى ما أحبه ، وأسنى حظّه فيما آثره وطلبه ، وأعلم من خبر عن قرب ، أو نظر عن بعد ، أن فضيلة الولاية ، طبقت مفصل الكفاية ، وولاية العهد حصلت للمستقلّ الفرد ، وحماء عن أن يكون الهوى رائداً في اصطفائه ، وقائداً إلى استرعائه .

وقد أنهيت إلى المجلس العالى ماورد ، فاهتز مولانا لسماعه ، واستشرح فلانا حقيقة أحواله وأوضاعه ، واعتد للسلار اعتداداً طال عنانه ، وحُسن ارتهانه ، وسكن إلى ما أوتى سيدى من الأمر الذى كان متربّصاً به حتى استقر قراره الاستحقاق <sup>(٣)</sup> ، واستمر بأحسن اطراد وأجل مساق ، فخر الله لسيدى فيما لا بسه وتطوّقه ، وبلغه في كل حال أمله وحققه ، وأعانه من طاعة مولانا على ما هو ملاك النعم وقوامها ، ومساك الرتب ونظامها ، ووقفه لمقابلة اعتماد السلار إياه ، بقضاء الفرض فيما استكفاه وولاه ، إنه يفعل ما يريد .  
وسيدى يجعل عماد ما أوتيّه ، والعتاد فيما أوليه ، الانقطاع إلى الله تعالى في سرّ أمره

(١) فى الأصل : المتنا . ثم واءها بياض قليل .

(٣) فى الأصل : لاستحقاق .

(٢) سنّى سهل وفى الأصل : يسنى .



وجهره، وبطن أمره وظهره، وينوى الخير، فإنها نية تحفظ الرغائب عن الشرور، وتحرس المواهب عن الندود، ويحاطبني بخبره ووطره، إن شاء الله .

#### ٤ — وله تهنئة بمتجدد نعمة وعلو رتبة

أما قبل أطل الله بقاء سيدي، فالحمد لله مولى النعم، ومُسدى المنح، منه ابتداء الإحسان، وإليه مرجع الشكر آخر الزمان، وصلى الله على النبي محمد وآله الأخيار .  
وأما بعد فهنا الله سيدي الموهبة التي ساقها إليه، ومدّ رواقها عليه، إذ<sup>(١)</sup> كانت من عقائل المواهب، مسفرةً عن خصائص المراتب، وكيف لا تكون كذلك، وقد صدرت عن مالك الأرض، وولى البسط والقبض، ومصرف الثقلين، ومدبر الخافقين، مولانا الملك السيد، مكنوفة بكرم رائه، وشرف اختصاصه واحتبائه، وخطبتها عناية مولانا الأمير المؤيد، وحلت من سيدي محل الإيجاب، والاستيجاب، والاستحقاق، دون الاتفاق، فعرفه الله ميامن أغزر شريعة بأشرف ذريعة، وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة، كما عرفني فيه ما لم أزل أوثره وأرتجيه، وأعده به وأمنيّه، فحقق الله ما قدرته، وصدق طيري الذي زجرته .  
وأنا في كتاب مولانا دالاً على أنواع التكرمة التي أهل سيدي لها، وأصناف الأثرة التي اختصه بها، فقوى أملى وامتدّ، واستحصف أزرى واشتد، ودعوت له ثم لمولانا الأمير ثبات الوطأة، ودوام القدرة، واتصال السلطان والبسطة، لنبوغ المنازل السامية باستيطان طاعتها وخدمتها، وشكر فضلها ونعمتها، لما به تُستدام النعم دون الشرور، وتُحفظ المنن عن مشارع الكنود، والله يسمع ويحيب .  
كتبت هذه الأحرف من بوزنجرد<sup>(٢)</sup>، وإذا يسر الله وصولي إلى الحضرة العالية بمنه، ومثولي في المجلس بإذنه، قمت عن سيدي بحق الشكر، وخاطبته بزيد تخلص وشرح، وأقول قولاً جملًا، ليقابل سيدي هذه الرعاية بما يُرغب في تشييدها بأشباهاها، وتشجيعها بأمثالها، فقد علم أني لم أُجلّ له قط عن صورة إلا أرتّه الصواب ولم أُجلّ قلبي إليه بمشورة إلا لقتّه الرشاد والله حسبي وصلواته على محمد وآله .

وبوزنجرد : قرية من قرى همدان

(١) في الأصل : أو

(٢) في الأصل هكنا : برسرحد .



## ٥ — وله جواب تهنئة بمزيد رتبة

كتابى ، ونعم الله متظاهرة ، فى الدولة القاهرة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على محمد وآله أجمعين .

ووصل كتابك يسبب عن ثغر الإخلاص الصادق ، ويصل طارىء الحق الواجب براهن الذمام السابق ، قد وصفت فيه مورد البشرى عليك ، وعظم النعمى بها لديك ، فيما جدته لى مولانا تشریفاً لم تخاطبه طوالع الآمال والطلبات ، ولم تخطبه نوازع الهمم والرغبات ، بل تطوعت به سماء المجد ، وجادت له أنواء الملك ، فتضمن من الخلع أسناها ، ومن السيوف أمضاها ، ومن الأفراس أجراها ، ومن المراكب أبهاها ، ومن الإقطاعات أوفرها وأعماها ، ثم لم يقنع بأن جاد أرضى ، ونور روضى ، حتى تتبع كل وارد فى جملى ، وناهض الخدمتى ، فطبقة بغيث خصه بسقياه<sup>(١)</sup> ، وفضل توحد سناؤه وسناه .

وهذه المواهب والرغائب ، وإن علت بها المنازل والمراتب ، وتجددت معها المفاخر والمناقب ، وكان فيها العز الراهن الراتب ، فإن الملك السيد أتبعها بعارفة فغم الخافقين عرفها ، وأفهم المشرقين وصفها ، وتوشت جباه التاريخ بغررها ، وافتتحت صفحات السير بخبرها ، إذ ركب — أدام الله سلطانه — إلى بنفسه ، غلواً فى الكرم ، وإسداء لقاصية النعم ، وتوحيلاً لوفاق مولانا فى خادمه ، وريب مكارمه ، فكان يوماً غبطت سماؤه أرضه ، ونجومه تربه ، ووقع الإجماع ، بحيث ارتفع النزاع ، على أن هذه المكرمة لم تقسم لأحد قبلى ، فيجاربنى فى رهانها ، ويماذبنى على عنانها .

والحمد لله مسنى المنن ومتيحها ، ومجزل الفواضل ومبيحها ، حمداً يوفق لشكر نظره الجليل ، وإنعامه بما يوفى على التأمل ، وإياه أسأل أن يصلى على النبي محمد وآله ، ويطيل بقاء مولانا ملك الملوك ما رويت أخبار مساعيه ، وتليت آثار معاليه ، مشبوح الباع بتصرف أزمنة<sup>(٢)</sup> الزمان ، يدين له الثقلان ، ويتصرف — كهمة — الملوان ، ويديم أيام مولانا الأمير المؤيد ، ورايته تفرع الرايات ، وولايته تسع الولايات ، نافذ الأوامر ، ضاحك

(١) فى الأصل : سقياه

(٢) فى الأصل : أزمنة



المآثر ، مخدوماً بأيدي الأقدار ، مبلّغاً في أوليائه وأعدائه قاصية الإيثار ، ومعونتي على أن أكون لها خادماً تزكو لديه الصنيعة ، وتحرس عنده الوديعة ، وتعتمد منه النصيحة ، وتشهد لديه النية الصريحة ، والله سميع مجيب .

وأنت — أيدك الله — مستغن عن أن تصف حالك في قوة أملك ، وشدة جذلك ، إذ كنت أعرف ذلك منك بالاختبار ، قبل الإخبار ، وبالمشاهدة قبل شهادة البيان ، لاعدمتك ، وأعان الله على المنوى فيك .

### ٦ — واليه

كتابي وأروقة العز علينا ممدودة ، وأفنية الملك لدينا ممهودة ، والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله .

ووصل كتابك مخبراً بانكفائك عن وجهتك ، متعرّفاً المناجح في عزمتك ، ملقّ المحابّ في نهضتك ، ربيع السعي في مسيرك وأوبتك ، فأنسنا الله بما ألبسك من أثواب الجمال وأفاض عليك من مدارع الإقبال ، حتى عرف البعيد عرفان القريب ، وأيقن الغريب إيقان النسيب ، أن الدولة القاهرة حين عُدّت ابنها وفتاها ، وصنوها وأخاها ، منحتك من السعادة ما يفوت الآمال أن تخطبه ، والظنون أن ترومه وتقتضبه ، وتلك حالها وحالك ما أردت ، وأين توجهت وقصدت .

فالحمد لله وليّ الحمد ومستحقه ، وقاسم الفضل لمن فضل من خلقه ، وزاد الله أيام مولانا الملك امتداداً ، وأركان عزته اشتداداً ، وقوّانا على طاعته التي من استشعرها امتطى النجم تمثيلاً ، وأوسع الدهر تذليلاً ، وأوزعنا الله أن نشكر ماعودنا في أنفسنا إيراغزند ، واعتلاء جند ، واتصال سعد بسعد ، ثم في المخلصين لنا والأخصّين بنا ، تمكناً من الرغائب ، وتدرّجاً في المراتب ، وافتراءاً لحاسن الزمان ، واتساعاً في المكان والإمكان ، وزادنا ابتهاجاً بما أوتيته وأتيته وانتهيت إليه وأنهيته ، فأكمل به فلان سيدي رِفْدَه ، وأنجز معه وَعْدَه ، وتجاوز به الاقتصادَ إلى الإكثار ، وجمع فيه الإيثار إلى الاستبصار<sup>(١)</sup> ، حين

(١) في الأصل : تراث الاستبصار



اختصك بالقلعة التي كان قدمها على قلاعه ومعاقله ، وجعلها أخص رباعه ومنازله ، مبالغا في التنويه ، ومتحريرا من الجليل ما لا ينازع فيه ، ومثله آت من المآثر ما يطيب شكره ، ويطير ذكره ، ويحصل به من إجماد مولانا ما تنافس عليه القلوب والنفوس ، ويشترك في استمداده الرئيس والمرءوس ، ومن اعتدادنا ما لا تميل قواعده ، ولا تحول معاهده ، فهناك الله ما أطرقت ، وعرفت بركة ما استأنفت ، ومنحك أضعاف ما استزدت واستضفت ، ونحن نتوقع ما يرد منك بتخليص الصورة وإيضاحها ، وإنهاء جليتها والكشف عن أوضاعها ، مع أخبارك وأوطارك ، إن شاء الله .

## ٧ — وله تهنئة بمتجدد الوزارة

كتابي — أطال الله بقاء الشريف سيدي ومولاي — والأمور بمضاء <sup>(١)</sup> رأي مولانا وعلو رايته ، ونفوذ حكم مولانا الأمير المؤيد وعلو حكمته ، على ما عودها الله الكريم نجما صاعداً ، وعزا زائداً ، وسلطاناً متيناً ، وفضلاً مبيناً ، وما فوضاه إلى منابى ، وناطاه باستخدامي ، جار بعون الله تعالى على ما النجح فيه مضمون ، والخلل عليه مأمون ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .

ووصل كتاب سيدي مهنئاً بالنعم التي ألبسني الله — تعالى — أجدها ، ومنحني أجلها ، فيما ألهني له مولانا من إكرام اقترن طارئه براهنه ، وناشئه بقاطنه ، وإنعام هو ، وإن كانت شعابه تسيل إلى منذ صحبت الزمان ، وتقر عندي منذ عرفت الأيام ، فإن موافيه أوفى <sup>(٢)</sup> على ماضيه ، وحاضره أرمي <sup>(٣)</sup> على منقضيه .

وشرفني به مولانا من اختصار طرق الآمال إلى ، وجمع شعب الأعمال في يدي ، إلى ضروب من الإحسان ، إن استنجدت عليها الوصف تقاعدي ، وإن استمددت لها بالشرح لم يهتز لي ، وعرفت ما أنبأ عنه الشريف من طاعته سلطان الغبطة ، وبذنه الإمكان في إكبار المنحة ، وتصرف فيه من الأدعية التي موثقها مأخوذة ، ومواقيتها معلومة ، وصحفها منشورة ، وكتبها مرقومة ، فهي بالإجابة متقبلة ، وبالسعادة متكفلة .

(٣) أرمي : أربي

(١) في الأصل : بمصار أبي هكنا

(٢) في الأصل : أفي



وفهمت الجميع ، وأما تفضل الله على فقد جاوز حدود النعم المعهودة ، والقسم المشهود ،  
التي تضمن آيات عز<sup>(١)</sup> وسعادة جد ، ومساعدة قدر ، فإنه — وله المنة — شفع كل منحة  
سوَّغها ، بمحنة ردِّي<sup>(٢)</sup> المناذير فيها ، وكل رتبة فتح لي بابها ، بنكبة مكن منهم أنيابها ،  
فقلت<sup>(٣)</sup> بحوله وقوته ما ابتغيته ، وقد بُغِيَ على وما بَغَيْتُ ، وبقي أن أؤدى فرائض هذا  
الطَّوْل العظيم والمنّ الجسيم .

وأما إفضال مولانا الملك السيد فهو الذى لو استعرت له كواهل الأطواد ، ومتون السبع  
الشداد ، لما أقلتة عظمًا ، ولرأته<sup>(٤)</sup> أمّا ، ولو كان البحر مدادًا ، والشجر أقلامًا حدادًا ، لما  
طمعت فى الإخبار عن قدره ، والإفصاح عن علو أمره ، ولكنى أكلُ إلى ما يرويه  
الركب ، وينطق به الشرق والغرب .

وأما ماجده مولانا لخادمه وغذّى مكارمه من التشريف الذى لو ضربت به الأمثال  
لقلت جاز الجوزاء سمتًا ، وعزل السياك الأعزل سمكا ، فإن لم يكن ذلك فقد أتى بما أناف  
على الحساب والمحسبة ، والمنح الراهنة والمكتسبة ، وجاد<sup>(٥)</sup> من المواهب بما لا يطول به باع  
الدهر ولا يتسع له صدر البحر .

والله تعالى يضاهاى عليهما ملابس التمكن ، ويحرس سلطانهما على الدنيا والدين ،  
لتدوم الحوزة محفوظة فى أيامهما ، والبيضة محروسة فى ظلال أعلامهما ، إنه فعال لما يريد .  
والشريف مستغن بما جمعنا الله عليه من حال لولا أنه من مضر فى سويداء قلبها ،  
ومن هاشم فى سواد طرفها ، ومن الرسالة فى مهبط وحيها ، ومن الإمامة فى موقف عزها ،  
لقلت هى القربى والرحم الدنيا ، فلا غرو أن أكون عند النعمة أسوَّغها ، والدرجة أبلغها  
ناظرًا فى عطفي مسرة واعتباط ، وعامرًا طرفي بهجة ونشاط . وهذا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم سبق فرسه فجئا ونعر ، وهذا جعفر بن أبى طالب أثنى عليه فحجل . بلغ الله  
الشريف فى نفسه وأحبته ، نهاية مراده ومحبته ، ولا أعدمنى وده<sup>(٦)</sup> الذى لو مثل شخصًا  
لأوطأه الوفاء خده وجبهته ، ولو أصبح الزمان أدما لكان قرحته ، لا بل والله غرته ،

(٤) فى الأصل : ولا رأته .

(٥) فى الأصل : وجدته

(٦) فى الأصل : اده

(١) فى الأصل : وعز

(٢) فى الأصل : ردِّي

(٣) فى الأصل هكذا : قلت



ولكن على الشريف ، بعد هذا تكليف منى وتوظيف ، وهو أن يُنهض لى لسانه وقلمه ، ويتعب بنانه وفمه ، شكرا للأمير الجليل صاحب الجيش مولاي ومن أنا عبده ، عن أيديه التى هى مشارق الجدد ، وأثمان الكرم المحض ، ولقد ملأنى منها آنفاً ، بعد الذى أولانى سالفاً ، ما يُحصى رمل عاج قبله ، ولا يستطيع غير الحفظة حفظه ، وهذه جملة تغنى من ألقى السمع ، وأخلى لها الذرع :

وقد يُدرك الموحى بُكَاةَ نفسه وذو القول لم يدرك من الأمر طائلا  
الأشغال — أيد الله الشريف — على مزدحمة كالعادة فى با كورة الأعمال ، وكربت تأخير الجواب طلباً للجمام ، وانتظارا لخلو الفكر وتوقعا لانتجاع القريجة فأملت إملاء من يسابق لسانه قلم كاتبه ، ويسترسل فيلقى الكلام على عواهنه ، علماً بأن الشريف إن رأى جميلاً أراه ، وإن شاهد تقصيراً واره .

## ٨ — و — هـ

كتابى — أطال الله بقاء الأمير مولاي — ومولانا بما يكفنه من تفضل الله وإحسانه وبركة الملك السيد وسعادة أيامه معافى موفور ، والله محمود مشكور ، وصلاته على خيرته محمد وعترته ، وقد جمع الله للأمير صاحب الجيش من علو الخطر ، وحسن الأثر ، وارتفاع المكان ، وانقياد الزمان ، والرأى المستنبط دفائن القلوب ، والعلم المستخرج ودائع الغيوب ، والفضائل التى لو قسمت على البرية ماضيها وغابرها ، وبرها وفاجرها ، لو سعت جماعتهم ، وكفت كافتهم ، ما يكبر معه محله عن التهانى بما يتجدد لديه من النعم ولو كانت القطر عدداً ، وأعجزت الألسنة وصفاً ، وتخطت الشكر سبقاً ، وأتعبت الأيدي حسباً ؛ إلا أن الأولياء المخلصين والأوداء المختصين أن ينبثوا عن إكبارهم لما يضاعف الله الكريم من بسط يده وإسعاد جدته ، والزيادة فى ارتفاع قدره ، وانبساط قدرته وأمره .

وعرفت خبر الوصلة التى لا مرضى يطلب وراءها للجلال ، ولا نعمة تقف إزاءها فى الجمال ، ولا شمل أشرف منها <sup>(١)</sup> اجتماعاً ، ولا مزية أتم منها <sup>(٢)</sup> ارتفاعاً ، فبينما أنا فى توفية هذه الحال حظها من الاستبشار بها ، والتبشير بكرم منصبها ، إذ عرفت خبر البلد الذى أحسن

(١) فى الأصل : فيها

(٢) فى الأصل : منه



الله إلى أهله ، وعطف عليهم بفضلته ، إذ أضيف إلى ما يلاحظه الأمير بعين إبالته ، وينفى خلله بفضل أصالته ، فلزمتنى فروض شكر أسأل الله المعونة على أدائها ، والتوفيق لتحمل أعبائها ، ومن سرّ — أدام الله علو الأمير — فى هذه الحال لنعم مستفادة ، ورُتب مزدادة فسرورى لما أعلمه — أدام الله عزه — يكتسبه فى كل عمل يدبره ، وأمر يقرره ، من أحدىثة جميلة ، ومشوبة جزيلة ، ويؤثره من إحياء عدل وإماتة ظلم ، ونشر نصفة وطى غشم ، ورفق بضعيف ، وإغاثة للهِيف ، وعمارة لسبل الخيرات ، وإيضاح لطرق المبرات ، فبارك الله للأمير فى الأمر الذى عقده ، وأحمد إياه وأسعده ، وجعله موصولاً من زكاء الولد ، ونماء العدد ، واتصال الحبل ، وتكثير النسل ، وعرفه ، من يُمن ما باشره ، بتدبير الخير والخيرة ، والبركات الحاضرة والمنتظرة ، وجعل المناح إليه أرسالا ، لاتملّ تواليا واتصالا ، وعين كلاءة الله ترعاها وتراعيا ، ويد حراسته تحفظها وتقيها ، إنه فعال لما يشاء ، فإن رأى أن يُصرّفى على أمره ونهيه فعل إن شاء الله .

#### ٩ — وله تهنئة بالوزارة إلى أبى الفتح بن أبى الفضل بن العميد

أنا أنهى — أطل الله بقاء مولاي — الوزارة بإلقائها إلى فضله مقادتها ، وبلوغها فى ظله إرادتها ، وانحيازها إلى جنبته واضحة المجد والفخر ، وتوشحها من كفايته بغرة سائلة على وجه الدهر ، وأشكر له — أدام الله نعمته — حنوه عليها ، وعطفه عنان الفكر إليها ، حتى قرت لديه قرارها ، وأثقت بيديه نارها ، بعد أن هفا قلبها إشفاقاً من استشراف أناسِ النقص لها ، وخرج صدرها من تحدث أحلاس الجهل بها .

ولا غرو فهى وليدة داره ، قد آلت لاتخطّ خطته ، وعاهدت لا برحت عرصته ، فالحمد لله الذى أقرّ عين الفضل ووطأ بها دار المجد وترك الحساد يتعثرون فى ذبول الخيبة ، ويتسقطون فى فصول الحسرة ، حمداً يديم أيام الأمير السيد ويطيل بقاءه ، ويحرس عزه وينصر لواءه ، فلقد شرح صدور المحاسن ، وشدّ ظهور المحامد ، بتفويض الصدر إلى من وليه بحقين : قديم وحديث ، وأوليه بفضلين : مكتسب وموروث ، لأن مولاي وإن كان بكفايته ، مستغنياً عن التعويل على أوليته ، فليس الاعتزاء إلى العميد — قدس الله روحه — ييسر فيخمر أمره ، ولا الانتماء إلى الأستاذ الرئيس — برّد الله ضريحه — بقليل



فترك ذكره . هيات ! إن الرياسة خيِّمت ثمَّ متشبَّهة بأعطافهم ، متنقلة في أكنافهم ، حتى استكمل مولاي جلالها ، ووفائها حظها وجمالها :

فلم تكُ تصلحُ إلا له ولم يك يصلحُ إلا لها

وقفه الله لطاعته التي هي أسعد متجر ، وأعظم مفخر ، ثم لطاعة ولي نعمته ، فهي حتم لا يُرفع مكتوبه ، وفرض لا يُنسخ وجوبه ، ولقاءه في نفسه الكريمة نجراً وطبعاً ، الشريفة أصلاً وفرعاً ، أفضل سعادة قسمت لوالى عمل ، وأحضر بركة أسهمت لسامى أمل ، بمنه . أنا مستغن — أطل الله بقاء مولاي الأمير — عن أن أصف ما خصنى من بهجة هذه المنحة ، وخلص إلى من جدّة هذه النعمة ، فإني والوزارة في خدمة الأستاذ الرئيس أخوان ، وردناها<sup>(١)</sup> جميعاً ، وورثناها مولاي معاً ، غير أنى قد جلوت من الشكر لله ما رجوت أن يحمىنى مواقف الجحود ، ويؤذن مولاي بعوارف المزيّد ، وصدقت نذوراً أسلفتها منذ مدة ، وأنجزت شروطاً قدمتها منذ برهة ، وآخر دعواى أن الحمد لله رب العالمين .

## ١٠ — وله تهنئة بمولود

من المواهب التي يجب على إشاعة ذكرها ، والإطناب في شكرها ، وارتياح نفوس أولى الأخطار لها ، وانسراح صدور ذوى الأقدار بها ، موهبة كثرت محاسن الأرض ، ووفرت أعداد أبناء المجد ، وأطلعت مزيداً في نجوم السرور كالموهبة عندك يا مولاي ! — أدام الله عزك — في الفارس الذى بسط البشر على وجوه الزمان ، وأرى الطلاقة في مطلع الأيام ، وضاعف المسرة في قلوب الأودّاء ، وأهدى الكمد لنفوس الأعداء . وإلى الله — عز وجل — أرغب في تعريفكم معاشر سادتي وآبائه ، أعظم السعادات في طلوعه ونمائه ، فإنكم أهل بيت تقوى بهم مئّن المكارم ، ويشتد فيهم أزر الحامد ، وتقر لهم أعين الحاسن ، ومن هذا الذى لا يمتلىء بهجة ولا تقصّ أعضاؤه غبطة ، وقد طلع في أفق الحرية أسعد نجم ، ونجم في حدائق المروءة أزكى غصن . وأقول الحمد لله ، كلمة رضى الله تعالى بها من خلقه على عظيم منّة ، وجسيم إحسانه وطوّله ، وأتبعها بالشكر لله استدامة لطيف صنعه ،

(١) في الأصل : وردناها .



واستزادةً من كريم فضله ، وأسأله — بعد الصلاة على النبي محمد وآله — أن يعمرَكَ يا مولاي ! حتى ترى هذا الهلال قرأً باهراً ، وبدراً زاهراً ، تكثر به عدة حَفَدَتِكَ ، وتعظم به غُصَّةُ حَسَدَتِكَ ، ثم تَهَمُّاً في أسباطه بعد أولاده ، وتكفل الجميع على مرادك ومراده ، من حيث لا تهتدى النواذب إلى عراضكم ، ولا تطمع الحوادث في انتقاصكم ، والمسئول ، أكرم مأمول .

أنا أشكو — يا مولاي ! — تأخر المبشّر عني مع المشاركة التي وكدها الله أسبابها ، والمشاركة التي مهد أنسابها ، وقد كان يجوز أن يُحَسِّنَ الظن بمساهمتي ، ويُجْمَلَ التقدير في مخالفتي ، ولا أُحْلُ بِمَنْزِلَةِ الْأَبَاعِدِ عَنِ الْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةِ ، وَأَقَابِلَ عَمَّا عِنْدِي مِنْ صِفَاءِ الْعَقِيدَةِ وَالسَّرِيرَةِ . وأعتذر من تأخري للملازمة المدينة ، على خدمة الحضرة الجليلة ، وأسأل تعريف اسم الفتى — أيده الله — وكنيته ، فغرة الفضل لا يخفى اسمها ، وقرحة المجد لا يطوى ذكرها ، ولو ترك غفلاً لوسمته الفاخر ، وسمته المناقب ، وقيل : هو الشعري العبور والنجم الثاقب .

## ١١ — وله إلى أبي الفرج الحنط

وصل كتابك ياسيدي وولدي ! — أطال الله بقاءك — فأهدى مسرة طال بها العهد واشتد قبليها العتب ، وفككته عن التهنية بهذه النعمة التي جلّت عن النعم ، ووسعت بفضلها كافة الأمم ، فلا فتح يُقَرَّنُ إليها مذكّرة فتوح الأمصار ، ولا بشرى تقاس بها منذ رويت السير والأخبار ، منّا من الله أصفاه لمولانا الأمير المؤيد ، مؤيد الدولة — أعز الله نصره وأدام ملكه — حتى أعلن كلمته ورفع حكّمته ، وأعلى يده وجنده ، وجمع أسباب السعادات عنده ، وعرف القريب والبعيد ، والضال والرشيد ، أنه راع دولته<sup>(١)</sup> ما اتصلت الأيام والليالي متوالية ، وحافظ رأيته ما اعتقبت الظلم والأنوار متنافية ، والله منجز ميعاده ، ومسترع من يرتضيه عباده وبلاده .

وأما اعتباطك بما جدد الله من فضله ، ومنحني من طوله ، فجار مجرى المشاهد الذي

(١) في الأصل : وما



لا يقام عليه شهادة ، ولا يلتبس فيه أمارة ، إذ كنت آخذ بنصيبك في أبناء الدولة ، ثم مكانك مكان أخص الأولاد وأعز الإخوة ، بلى تعجبت من فصاحتك كما أعجبت ببلاغتك وتخيّل إلى أن روح عبد الحميد انتقلت إليك ، وقرينة ذى الرياستين<sup>(١)</sup> خلعت عليك ، وخاطر الحسن بن سهل أعيد فيك ، وبديهة إسماعيل بن صبيح<sup>(٢)</sup> حُصِّلَتْ لك . وأرجو أن تكون قد اكتسبت من الفضل بعدنا ما أوجب هذه البراعة العجيبة والصناعة ، أو شاهدت ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر ، فسألت أن يجعلك الله إمام الكتابة ، وزمام الخطابة ، فصعد الدعاء إلى الله سريعاً ، ونزات<sup>(٣)</sup> الإجابة تحمل من الله فضلاً وسيعاً ، فإن يكن ما أوّمل كما أوّمل ، فالحمد لله مؤتى الفضل من يشاء من عباده ! وإن يكن سقياك من غير غمامك ، وجلادك بغير حسامك ، فلا بأس قد يجيد الفارس الطعن برمح مستعار ، ولو شئت لقلت من ألقى النسخة إليك ، وأملأها على يديك ، فتعلم أن بمرجان قوماً يعرفون عيب أصهبان ، وهذا مزح ولكن صدق ، وانسبسط ولكن تأويله حق ، كفاني الله بُعدك ، وأراني وجهك ، وسلم عليك وسلمك ، وأبقاك ما أحبيت وأغنمك ، وحسبنا الله نعم الوكيل .

ليحيى البرمكي ثم للرشد ثم ابنه الأمين

(٣) في الأصل : نزع

(١) هو الفضل بن سهل وزير المأمون وكاتبه

(٢) من جلة كتاب العصر العباسي ، كته



## الباب العاشر

### في التعازي

#### ١ - كتاب تعزية

سيدى يعرف من شروط الزمان وعاداته ، وشئون الدهر وتاراته ، ويخبر من شيمة الأيام في تبعيد القريبين ، وتفريق ذات البين ، ما يملك معه حلمه ، ويراجع له حزمه ، متى أتت الليالي بما تعاقبت القرون على مثله ، وأعيت الحيل دون دفعه . ولولا أن الحال النازمة لنا تتصل بالحمة ، وترفع حجاب الحشمة ، لأوجب أدب التوقير في بعض ما يقتضى تسلية ، ويستدعى تعزية ، فضل الانقباض عن الذكر ، والتعويل على مودع الصدر ، ولكن تجاوز المودة الصادقة ، إلى الأسباب المتلاحقة ، يجرى مجرى النفس الواحدة ، في المسرة إذا اتفقت ، والمساءة إذا طرقت .

وبلغنى من خبر المفقوده السعيدة ، أحسن الله منقلبها ، ورفع مع الصالحات رتبها<sup>(١)</sup> ، فكان جزعى عليها جزع المرء على كريم الأمهات ، وعقائل العماة ، وشاركت سيدى في الوحشة مشاركة من لا يتميز في منحه ومحنه ، ولم أطل في الإيانة عن صورتى علما بما يتمثله منى قبل التمثيل ، ويتيقنه عندى أمام التطويل ، فللضائر السنة ناطقة ، وعبرة سابقة وسيدى أصدق رأيا ، وأثبت قلبا ، وأحضر عزما ، وأجمع لبا ، من أن يكف عن الجزع بلطيف التدكير ، ويصد عن القلق بحسن التبصير ، فأطال الله مدته ، وحفظ مهجته ، وحرّم على الحوادث أعزّته ، وجعل ماعرض خاتمة الرزايا قبله ، وبلغه في دينه وديناه أمله

وكان في الحق إذ تعذرت حال المشافهة ألا أقصر في التعزية على المكاتبة ، حتى أصدر أوجه كتابى ، وأنبّه أصحابى ، ولكنى عرفت ما فى التخفيف فأثرت ، واقتصرت على هذا الخطاب فأصدرته . وسيدى يعرفنى ماأناه الله من التوفيق الكريم ، فى جميل العزاء وحميد التسليم ، لأنصبه حيال طرفى ، وأجعله مثال فعلى .



### ٣ - ولله

أنت - يا شيخى - أثبت عقلا وديناً ، وأحضر فضلاً و يقيناً ، من أن تتصدى لما يولى الله من نعمة إلا تصدى الشاكر ، وتتلقى ما يُبلى الله من محنة إلا تلقى الصابر . ذلك هو الهدى الصالح ، والمتجر الرابع ، وعنده تحصل مرضاة الله فتكثر الحسنات ، وتتبع إرادة الله فتكفر السيئات .

وعرفت ما أزعجك ، أيدك الله ، من الفجيرة في قرين الخير -- جعل الله المنقول إليه خيراً له من المنقول عنه -- فسأنى ذلك لا تسخطا لقدّر الله وهو عدل ، ولا تكرّرها لقضاء الله وهو فصل ، بل لما علمته يصل إليكم ، أيد الله الجماعة ، من جزع لا تخلو منه قلوب البشر عند طروق النوب .

وشاهدت من انزعاج فلان مازاد في الوجوم زيادة قُربه إلى ، وتقدمه أهل الخصوص لدى ، ولك<sup>(١)</sup> في بقاءه مع إيفائه على أ كفاؤه ماسد ثل الرزية ، وأغنى عن إطالة التعزية ، وقد أطلت عند ركوبى إليه وعظه ، وأذكرته في التسليم لله حظه ، جبر الله مصابكم وقد فعل ، وألهمكم التسليم لما حكم به فعدل .

### ٣ - والله

كتابى ، والأمور بالحضرة العالية ، وهذه الحضرة البهية ، مستقرة على ما عود الله فيها وأسعد من مجاريها ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين .

وتهيبُ الأ كابر - أدام الله تأييد الأمير - فرض وكيد ، وحتم على من ألقى السمع وهو شهيد ، ومن قضاياه الانقباض عن الإ كثار ، عند حوادث الأقدار ، إجلالا ، والاقتصار على الدعاء بكرراً وأصلاً ، لتحصل مزية التقرب ، ولا تُغفل قضية التهيب .

ولما عرّض بحضرته - أجلها الله - ما أوجب التسلية عن السعيدة رحمها الله ، فزعت من المطاولة بالتعزية إلى مواصلة الأدعية ، فأطال الله بقاء الأمير مسروراً غير مهموم ، وموفوراً غير مثلوم ، وكتب له عن أجر ما قدره وأجراه ، واقتضاه وقضاه ، أفضل ما كتبه

(١) في الأصل : وذلك .



لمن سلم له تعالى أمره وحكمه ، ولم يتسخط قدره وحتمه ، وورثه الله عمر من قدمه ، وغفر لمن اختار له جواره واستقدمه ، وما أذكر ما مسنى في هذه الحال ، ذهاباً مع فريضة الإكبار والإجلال .

#### ٤ - وله

ورد كتاب مولاي بذكر مضى فلان ، فوجدت نفسى كالمصاب بنجيب من أبنائه ، أو عزيز من أعضائه ، وورد على قلبى ما غشاه كرباً يتعذر دواؤه ، ويتعسر جلاؤه ، فما أدري بعد هذا ما أكتب وما أقول ، وكيف يُدْمُ هذا الزمان الخؤون ، ولكنى أنشد : ( ما أعلم الدهر بمن أحب ) : وأردد :

هذا الزمانُ يسوءنى فجعا بكل خليل  
فكأنه يمضى إلى ما ساءنى بدليل

والله أسأل أن يطهرنا للقائه ، فكل — لا بد — وارد هذا الحوض ، وإن مدّ في أجله وأخرى مهله ، ونعوذ بالله من طول الآمال وقصر الآجال ، وشروع النفوس وسيات الأعمال ، ورحم الله فلانا فلقد كان قليل النظير في أشكاله ، بل عديم المثل في أمثاله . وسأكتب إلى فلان معزياً ، وإن لم أجده أولى منى بالفجيعة ، فإخاء المودة الخالصة فوق الرحم الماسة .

#### ٥ - وله

كتابى — يا أخى ! — وأنا لا أعلم أعزّيك أم نفسى ، فليس المصاب عندك بأعظم منه عندى ، لأن فلانا وإن كان أخاك ميلاداً ، فقد كان أخى إخلاصاً ووداداً ، وإن فجعت به وفقدت كبيراً يُعوّز البدل منه ، فقد رزئتُه فعدمت أثيراً يُعوّز العوض عنه . وقد مضى لى أقارب ، ضمتهم إلى المناسب ، فلا أذكر فجیعة بهم أخذت مأخذ هذه من صدرى ، وأثرت تأثيرها فى صبرى ، وما أرضى خاطرى — مع استيلاء القلق واستعلاء الجزع — لإطالة الكتاب ، والإبانة عن قدر الاكتئاب ، فرحم الله فلانا رَحْمَتَهُ أُولِيَاءَهُ ، وأجزل فى أكرم داريه جزاءه ، وعند الله نحتسبه ، وإياه نسأل تطهيرنا لما نترقبه ، فهذه آجال — لا بد — متناهية ، وإنما هى آماد دانية ، وأخر متراخية .



ومخاطبتي لك تنظمتك وسائر الإخوة والولد ، والله يجبر كسرکم ، ويوفر أجرکم ، ويلهمکم فضل التسليم ، ويحرسکم عن الإصرار والتصميم ، وأنا لکم ولفلان<sup>(١)</sup> ، رحمه الله وأعزکم ، كما تأملون ، وأزید مما تحاولون ، بل يتضاعف اشتیالی واهتمامی بفقد من فقدتم ، وتجدون شفقتی وإيثاری أين أردتم . وفلان ينوب عنی فی صغير مهمکم وكبيره ، وقليل أمرکم وكثيره ، فعرفونی ما يهدی الله إليکم من رُوح تسليته وحسن الانقياد بمشيئته ، إن شاء الله .

## ٦ — و — ٤

قاضى القضاة الأجل — أطال الله بقاءه وأحسن عزاءه — يعرف من وجوه حكم الله في عباده ، ونفوذ مشيئته في أنواع مراده ما يدعوہ إلى التسليم إذا أتته نائبة تزعج فكره ، ويحدوه على الصبر الجميل إذا اعترته حادثة تخرج صدره ، ويحرسه عن التناهى في الجزع إلى ما يحظره الدين ولا يسوغه ، وينازع القليل البصيرة فيبلغه .

وإن امراءاً علم أن الإحياء والإماتة يجريان بأمر من لا يتهم عدله ، ولا يصدر إلا عن الحكمة فعله ، خلّيق بأن يقدّم الصبر والاسترجاع ، ويؤخر التفجع والالتئاع ، فكلنا عوارى بعرض الاقتضاء ، وأغراض لأسمهم القضاء ، والله يوفقنا للقائه ، ويجعلنا من الصابرين لبلائه ، إنه رؤوف بعباده لطيف .

وبلغنى نفوذ قضاء الله في الخال — رحمه الله — فشاركك أقضى القضاة فيما مسّ قلبه ، وساهمته فيما تحيّف صبره ، وتصورت استيحاشه — كان — منه فازددت استيحاشاً لانتهاء أحله ، وانقضاء مهله . على أن أيام العمر ، وساعات الدهر ، كراحل معدودة ، إلى وجهة مقصودة ، فلا بد مع سلوكها من انقضائها ، وبلوغ الغاية عند انتهائها ، والله يغفر للمتوفى ويرحمه ، ويحرس قاضى القضاة ولا يثلمه ، ويصونه في نفسه وسائر أعزته وأهله بلطفه ، وعطفه .

وقاضى القضاة — أدام الله تأييده — يمدنى بذكر ما يستحضره من عزيمة ، تغل غرب المصيبة ، وتقوى نفس ابن الخال — أعزّه الله ورحم أباه — بنصبه منصبه وإجرائه مجراه ، ليتدارك ما ضعف من مُنته<sup>(٢)</sup> ، ويتماسك ما خار<sup>(٣)</sup> من قوته ، إن شاء الله .

(٣) في الأصل : خامر

(١) في الأصل هكذا : ولعسان .

(٢) في الأصل : منيته



## ٧ - وله

للفجائع ، يا شيخى — أطل الله بقاءك — اختلافُ مواقع ، وللمصائب تباينُ مراتب ،  
ومن أشدها لذعا ، وأعظمها وقعاً ، فجئعة أخرجت صدور قوم مؤمنين ، ومصيبة خصت العلم  
والدين ، لفقد الشيخ المنقطع القرين ، أبى عثمان — رحمه الله وأكرم مأواه ومثواه — فقد  
كان للإسلام جمالاً ممتداً ، وللدين ركناً مستنداً ، وللعلم شهاباً لا يخبو ، وللأدب سهماً لا ينبو ،  
يذنب عن حق الله القائم ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم . عاش عظيم الخطر ، ومات جميل  
الأثر . التقوى شعاره ، واليقين دثاره ، وحجج الله مفزعه ، وآيات الله مرجعه ، فياله مصابا  
ما أعظمه على الموحدين ، وأسرّه إلى الملحدين ، أذكرنا فقد الأئمة الأبرار ، وأعلام الأمة  
الأخيار ، ونقول — كما أدبنا الذكر الحكيم — إنا لله وإنا إليه راجعون . ونسأل الله العدل  
فى قضائه ، الرحيم بأوليائه ، أن يتغمد الماضى بففرانه ، ويُفسيح له فى رضوانه ، ويجزل حظّه  
من حسناته ، ويرفع درجاته فى جناته ، فلقد كان واسع الخظيرة ، نقي السريرة ، قوى  
البصيرة ، لا تتغير به فى خشية الله عادة ، ولا تملكه فى مخافة الله هواده ، ولولا أن الموت  
طريق يسلكه البرىء والسقيم ، ومشروع يرده البرّ والأثم ، لما انشرح بالعزاء صدر ،  
ولا أُحب مع البلاء صبر ، غير أنها سنة الله فى أنبيائه — صلوات الله عليهم — وأوليائه ،  
يُنقيهم ما كان البقاء أعمر لكانهم ، ويتوفاهم إذا كانت الوفاة أصلح لأديانهم ، وإن تشمت  
ملحد فى كلمة الله ، ومعترض لنقمة الله ، فتلك عادة من ختم على قلبه وسمعه ، فى الشهامة بالمؤمنين  
وما يحل بهم .

كتب بعض الثنوية إلى موافق له فى ضلالتة ، مطابق له على جهالته : كتابى وقد  
وهى عمود الإسلام ، وانقضت دولة الكلام ، وشاخ أبو الهذيل ومات النظام ، فأبى الله  
إلا أن جعل من أخلافهم من صدع بالحق ، وذبح عن حوزة الصدق ، فاعلم يا أخى — أدام  
الله عزك — أن أبا عثمان ، رحمة الله عليه ، وإن كان لك أبا ، فقد كان لى عمّاً حديباً ،  
وأخا فى دين الله منتجباً ، ما وزننت به أحداً قط إلا رجح ، ولا أنهضته لمسعاة فضل إلا أنجح ،  
وقضى نحيبه ، لما أنزل الله أمره ، فسنى من ألم المصيبة ما أجرى الدمع ، وشغل الذرع ، وأنفذ



ذخيرة التماسك ، وكاد يفري بقببح التهاك ، لولا التأمّي المكتوب ، والتعزّي المفروض ،  
والتسلّي المحتوم ، فإن كنت فقدت منه — قدس الله روحه — شخصه ، فما فقدت مع اهتماي  
إشفاقه وبره ، وحنوه وفضله ، وستجد ، إن شاء الله ، عندي من الإكرام لك والرفع منك ،  
والبسط من جاهك ، ما يُجوّج كثيراً من الناس إليك حاجتهم إلى الشيخ ، رحمه الله ، قبلك .  
وقد خاطبت في حاضر الوقت مولاي أبا العباس ، أدام الله تأييده ، في ذلك بما يصير  
عنوان رأيي فيك ، ورعايتي لدواعيك ، وإن كان هو — أدام الله عزه — بفضلله  
وعقله ، من الاهتمام بالدين وأهله ، على حال تغنى عن البحث ، وتجزىء دون الحث ،  
فادّرع — أيدك الله — التسليم لما قضى الله وأمضى ، وتلقّ حكمه بحسن الصبر والرضا ،  
فلولا استئثار الوفاة بالأباء ، لما علت درجات الأبناء . وعرفّني ما تُوقّق له ، ثم كاتبني في  
حاجاتك خصوصاً ، وحاجات كل متوسل بك ومتقرب إليك عموماً ، فسيأتيك من الجواب  
والإيجاب ما يزيد على العادة المألوفة ، والخليقة المشهودة أيام أبيك ، أحسن الله خلافته فيك ،  
إن شاء الله .

## ٨ - وله

هو الدهر — يا شيخني وكبيرى ! — فلا تعجب من طوارقه ، ولا تنكر هجوم بوائقه ،  
عطاؤه في ضمان الارتجاع ، وحباؤه في قران الانتزاع ، بينا يمنح المرء حتى يسلب ، وبينما يعطى  
حتى يحرب . واللبيب يستشعر الفجعية ، حين يولى الوديعة ، ويتمثل الفقدان ، ساعة يصفاح  
الوجدان ، علماً بأن الله تعالى جعل الدار دار امتحان لا دار مقام . وبلغني من مضى الفتى —  
قدس الله روحه وبرّد ضريحه — على حين أملت له لأحوال ، ورجوته لسكفاية واستقلال ،  
ما أجرى الدمع ، وأعظم الفجع .

ولم أدر أأتصور<sup>(١)</sup> حاله ؛ وقد اختُصِرَ شبابه ، وتقطعت أسبابه ، ولم تُغنِ عنه طراوته ،  
في العيون وحلاوته ، وعزه على العشيرة ، وكثرة الحامين له دون العظيمة ، فلا يملك عن  
روحه دفعاً ، ولا يستطيع للحتم ردّاً بنفسه ولا بذويه ، أم حالك وقد أخذَ عن عينك قرتها ،

(١) في الأصل : أنصور بهمة واحدة .



وعن نفسك ثمرتها ، وعن دنياك حسناتها ، وعن منك غايتها ، فلا القلق ينفع ، ولا الحيلة تدفع ، ولا الفدية تُقَبَّل ، ولا البليّة تُثْمَل ، وكل ذلك يزيد المؤمنين إيماناً ، والمؤمنين إيقاناً ، فَيَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِمَنْ يَغْلِبُ ؛ وَلَا يُغْلِبُ ، وَكَيْفَمَا شَاءَ يَفْعَلُ وَيَقْلِبُ ، إِلَّا أَنْ الْأَرْضَ خَلِيقَةً ، وَالْأَهْدَى طَرِيقَةً ، مِنْ عِلْمِ أَنَّ اللَّطِيفَ الرَّءُوفَ لَا يُعْطَى إِلَّا إِذَا كَانَ الْعَطَاءُ أَرْبَحَ ، وَلَا يَأْخُذُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْأَخْذُ أَصْلَحَ ، وَابْنُكَ وَإِنْ كَانَ طَهْرًا ، فَقَدْ عَادَ أَجْرًا ، وَإِنْ كَانَ فَخْرًا ، فَقَدْ رَجَعَ ذَخْرًا ، فَأَحْسِنِ الْعِزَاءَ وَأَجْمِلِ الرَّجْعَى ، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى .

وَأَعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ قَبْلَكَ فَجَعُوا فَجَزَعُوا ، وَدُهِوْا فَدَلَّهَوْ ، ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ التَّسْلِبُ مِنْ مَاتَ ، وَلَمْ يَرْجَعْ التَّهْلَاكُ كُلٌّ مِنْ فَاتَ ، فَعَادُوا إِلَى التَّسْلِيمِ ، وَفَوَّضُوا إِلَى الْقَادِرِ الْحَكِيمِ ، وَإِنْ الْمَرْءُ لِيَقْدَمَ السَّلَوةَ فَيَجْبِرُ مَصَابِهِ ، كَمَا يُؤْخِرُهَا فَيَحْبِطُ ثَوَابَهُ . أَخَذَ اللَّهُ بِكَ إِلَى مَا هُوَ أَوْلَى بِسَنِكَ وَدِينِكَ ، وَحَسَنَ عَقِيدَتِكَ وَيَقِينِكَ . أُحِبَّ أَنْ تَعْرِفَنِي خَبْرَكَ فِي التَّفْوِيزِ إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ الرِّزْقَ مَا كَانَ أَفْظَعَ ، كَانَ الْعَوْضُ أَوْسَعَ ، وَأَنْتَ وَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَى الْأَوْلَادِ فَحَاجَتُكَ الْعَظْمَى إِلَى حَسَنِ الْمَعَادِ ، وَاللَّهُ أَسْأَلُ لَكَ وَلِنَفْسِي التَّوْفِيقَ وَالتَّسْهِيدَ ، إِنَّهُ فَعَالٌ لِمَا يَرِيدُ .

## ٩ - وَلَهُ

كَذَا فَلْيَجْلِ الْخُطْبَ وَلِيَفْدَحِ الْأَمْرَ ، وَكَذَا — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ — فَلْتَقْطَعْ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ ، بَرَدَ اللَّهِ مُضْجِعَهُ ، الْأَكْبَادُ وَالْقُلُوبَ ، وَتَتَسَاقَطُ الْأَعْضَاءُ وَالنَّفُوسُ ، وَعِنْدَ هَذَا الرِّزْقِ فَلْيَحْسِنِ اطْرَاحَ الصَّبْرِ ، وَلْيَقْبِحِ التَّمَسُّكَ بِأَسْبَابِ الْحَزْمِ ، فَوَاهِفَاهُ عَلَى أَنْ بَقِينَا بَعْدَ مَارَزْنَاهُ حَتَّى نَنْشَأَ كَى الْقَلْقُ ، وَوَا أَسْفَاهُ عَلَى أَنْ حَيِينَا بَعْدَ مَا ذَهَبْنَا حَتَّى تَتَوَاصَفَ الْجَزَعُ ، وَلَيْتَ الْمَنَايَا قَدِمَتْ مِنَّا مِنْ أَخْرَتِ ، قَبْلَ أَنْ أَقْدَمْتَ عَلَى مَنْ تَخَيَّرْتَ ، وَيَا حَزَنَاهُ عَلَى أَنْ لَا تَمْلِكُ الْأَعْمَارَ فَتَنْتَبِرَ مِنْهَا إِذْ أَتَى مَا لَا يَطَاقُ ، وَلَا نَخِيرُ فِي الْأَجَالِ فَتَنْفَصِّي عَنْهَا إِذْ دَهَاهَا مَا لَا يَسْتَطَاعُ ، وَلَيْتَ الْخُطُوبَ إِذْ أَقْبَلْتَ جَاءَتْ بِمَا كَانَتْ الْأَفْهَامُ تَجَوِّزُهُ ، وَالصُّرُوفُ إِذْ تَمَكَّنْتَ هَجَمَتْ بِمَا كَانَتْ الْأَفْكَارُ تُحْطِرُهُ ، بَلْ جَرَى الْمَقْدَارُ عَلَى مَا لَمْ يَقْدَرْ ، وَتَجَرَّأَ الزَّمَانُ عَلَى مَا لَمْ يَتَخَيَّلْ ، فَمَا أَقْبَحَ الْعَيْشَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَمَا أَنْكَدَ الْعَمْرَ مَعَ فَقْدِهِ ، أَفْخَمُ



ما أشاهده وقد سخنت العيون ، أم حقُّ ما أرى وقد طرقت المنون ؟ فيا لها فجعة بأكرم مقبوض ما أنكأها في الصدر ، ورزينة بأنفس مفقود ما أقصمها للظهر .

كتبت — أطال الله بقاء مولاي — وحالى حال من كانت له بالأمس يد عالية فسليها ، ونفس سامية فخر بها ، فهل في الخلق أخسر صفقة ممن دفن يده بيده ، وأهدى نفسه للملحده ، وهل في الخلق أعظم كربة ممن رأى سيده يجود بروحه ، وولده يقضى حتف أنفه ، ورام أن تقبل فدية من قبله ، فدفع القضاء في صدره ، وتركه مفرداً بينه ، فلا عزاء مريح ، ولا فناء سريح .

وأدع وصف ما لقيت وألقى ، وأعلم أن ما عند الله خير وأبقى ، وأقول : ياسوء صباح أتى مولاي فيه الخبر فرأى الرجاء وقد انقطع ، وأصم الناعى وقد أسمع ، ليت شعرى ماذا يصنع ! وإلام يفزع ، وأى تجلد يجد ، وعلى أى سلوان يعتمد ؛ وكيف يستقر على الأرض وفلذته في بطنها ، ويراجع الأيام ومهجته في كفها .

قد قلت يسيراً ، وأخرت كثيراً ، ولا بد من الرجوع إلى الله عز اسمه ، ولا مهرب من الأخذ بأدب الله ، تعالى ذكره ، وسيكثر في مجلسه عدد المعزين ، وتطول بحضرته خطب المسلمين ، لكنى أقصر على فصل أحسبه أوقع ما يذكر ، وأظنه أنجع ما يورد : مولاي يتدين<sup>(١)</sup> بتعديل ربه ، ويعرف موقع اللطف في صنعه ، ولا يشك في اقتران الصلاح بفعله . وترك<sup>(٢)</sup> التسليم اعتراض على حكمه ، وارتياح بعدله ، وقد نزه الله قدره عن أن يقول مالكة : دبرت فتسخط ما قضيت ، وحكمت ففكره ما أمضيت ، حاش لله ! فما مولاي ممن يدع تذكر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

هذا وعليه من سادتي أبى الحسن وإخوته نعم تستحفظ بحسن التماسك ، ومنح تستبقى بترك التهاك ، والله يغفر لتلك النفس الزكية مغفرة تحتف بالروح والسلام ، وتفسح له في دار المقام ، ويعظم لمولاي من الذخر ، وجزيل المثوبة والأجر ، بعدد محاسن من فقد ، ومحامد من عدم ، ويبقيه موفوراً في أعزته ، محوطاً في نعمته ، لآتهم النوائب ، بعد ما اجتاحت ، بفنائها ، ولا تتعرف المصائب ، بعد ما أتت ، إلى أفيائها ، آمين ، اللهم اسمع واستجب .

(١) في الأصل هكذا : سدل .

(٢) في الأصل : ترك بدون واو .



١٠ — وله إلى أبي القاسم علي بن أحمد الحراويني<sup>(١)</sup> يعزیه بابنه

إذا شاركتك ياسيدي — أطال الله بقاءك — في الرزية ، فكيف أخاطبك بالتعزية ،  
إلا على رسم من الناس معهود ، وطريق في التخاطب مهود ، وأنت وإن لحقتك على ذلك  
الفتى — رحمه الله — وجد الآباء وما ينالهم في فقد الأبناء ، فقد كنت أقسم له إشفاق  
الأولاد ، وألصقه بالنفس إلصاق الأكباد . لا جرم أنه بدّه قلبي من خبر نعيه ماملأ  
الصدر ناراً ، وأنفق الصبر إسرافاً ، لولا فكري في أن الله تعالى وإن امتحن بالبلية ، فقد  
أحسن في البقية ، حراسة لك في مهجته ، وسائر أعزتك ، مدّ الله في عمرك وأعمارهم ، ونقل  
النواب عن جوارك وجوارهم ، والدنيا مصحوبة على شرط العطاء والارتجاع ، والحباء  
والانتزاع ، وليس الجزع برادٍ من ختم عمره ، ولا القلق بمفيد من تناهى أمره ، فاستغش  
ثوب الصبر فإنه أستر ، واستجزل حظ الأجر فإنه أوفر ، وسلم لأمر الله فإنه فضل ، وارضَ  
بحكمه فإنه عدل ، وطالعني بما توفّق لك ، لأوافق رأيك فيه ، فإني إلى حيز الناسى أحوج ،  
وإن كنت بالبعث على التسلى أنطق ، والسلام .

### وله أبيات

|                                              |                                  |
|----------------------------------------------|----------------------------------|
| يا أصبهان سُقيتِ الغيثَ عن كُثْبٍ            | فأنتِ مجمعُ أوطارى وأوطانى       |
| والله والله ما أنسيتُ برّكِ بي               | ولو تمكّنت من أقصى خراسانِ       |
| يا حبذا أرضها ، والشملُ مجتمِعٌ              | والدهرُ ما خانتني في حزبِ إخواني |
| ذكرت ديمرتَ <sup>(٢)</sup> إذ طاب الغناء بها | يا بُعدَ ديمرتَ من أبوابِ جرجانِ |

١١ — وله تعزية في أبي محمد يحيى بن محمد بن زيادة العلوى

كتبت وياليتني ما كتبت فإني ناعٍ الفضل من أقطاره ، وداعٍ<sup>(٣)</sup> المجد إلى شق ثوبه  
وصداره ، ومخبر بأن شمس الشرف كاسفة ، وأرض الكرم راجفة ، والحاسن منقضية ،  
والمناقب مودية ، والمآثر مودّعة ، وبقايا النبوة مرتفعة ، وآمال الأمانة منقطعة ، وأن العترة

(٣) في الأصل : وادع .

(١) هكذا في الأصل .

(٢) ديمرت : من نواحي أصبهان .



تندب وارث شرفها ، وتبكي حافظ كنفها ، والمروءة قد تضيّف نهارها للغروب ، وآذنت شمسها بالوجوب ، والدين منخزل واجم ، وللتقوى دمعان : هام وساجم ، والسباحة تشكو إلى السباحة بثّها وحزنها ، وتصف كيف أوهت الفجيعة أزرها وميتها ، والأدب منزو إلى جانب مهجور ، ومعصمٌ بدمعه <sup>(١)</sup> مستسلمٌ مقهور <sup>(٢)</sup> ، والحلم قائلٌ : لا طود بعد الذي ترزعزع ، ولا ركن بعد الذي تضعضع ، فأما قِرَى الأضياف فقد شمت به البخل واستولى على طرفه النذل ، وجلّل الكسوف جوانب هائه ، ونادى الشخّ فوق دارته ، فلا نار ترفع للضيّفان ، ولا أجفان تقع على الجفان ، ولا هُدأة للركب ولا حُدأة ، ولا نصفاً ولا طهاة . وأما الجاه وبذله للمرمل <sup>(٣)</sup> واقف حتى يهبّ عليه نسيم الثروة ، وعائذ حتى يُكفّي مساس الخلّة ، وحائرٌ حتى يأمن استمرار النكبة ، ولهفان حتى ترّخّز عنه عُشواء الحيرة ، فهيّات هيّات ! مرّ والله صاحبه ، وقام ناديه ، واضطربت أسبابه ، وقيل ذهب فكيف كان ذهابه . وأما الرأى يُعْمَلُ جليله ودقيقه ، ويستطاع تصميمه وتحقيقه ، حتى يُكاد العدو وهو غارٌّ غافل ، ويقتل الحسود وهو قارٌّ <sup>(٤)</sup> ذاهل ، فأمرٌ حمّ حمامه ، وانقضت أيامه ، وسُلم عليه وأُسلم ليديه .

فإن يقل متبرّمٌ بما قلت ، أو متضجر وقد أطلت : من المندوبُ لنعرفه ، ومن المفقودُ لنعلمه ، ومن الذي هذه أوصافه ، فقد تراخى تبينه ، وتمادى تعيينه ، أقلّ حاشاه أن يعرف باسمه ونعوته دون حِلّاه ، أو يسميه غير مكارمه وعُلاه ، نعم سأ كنيه ونعم المُكَنّي ، وأسميه ونعم المسمّى : ذلك الشريف السيد بالإطلاق ، العفيف بالاتفاق ، الكريم بالإجماع والإصفاق ، السجّيح الأعراق ، شريف خراسان ومنظور العراق ، أبو محمد يحيى بن محمد العلوى — قدس الله روحه — وقد فعل ، ولقاه ماقدّم وعمل ، عاش <sup>(٥)</sup> بين دين يحميه ، وخير ينميه ، وعلم يقنّيه ، ومجد يبتنيه ، وإحسان يوليه . ساعاته برٌّّ ، ونظرته بشر ، وداره ندوة العلم والبذل ، واستقراره على قمة العلياء والفخر ، كأن الشّعريّ علقت بين عينيه تلمع للمنجد والغائر ، وتهدى سارياً إلى سائر .

(٤) في الأصل : مار

(٥) في الأصل : وعاش بزيادة واو .

(١) في الأصل : بدمه

(٢) في الأصل : معمور .

(٣) في الأصل : للمرمل



ألا فليبكه الشبان والشيب ، والبعيد والقريب ، والقاطن والغريب ، والعالم والأديب  
والسائل والمعتاف ، ومن ضمه الأوساط والأطراف ، بلى <sup>(١)</sup> فليبكه المعرف والحصب ومنى  
والمشعر والبيت العتيق العظم ، والركن والحطيم وزمزم ، أليس بالأمس اجتمع وفد الله في  
حرمه ومهبط وحيه وأول رسله ، ومقام خليله ، ومضجع ذبيحه ، ومولد حبيبه صلى الله  
عليه وعلى إبراهيم وعلى آلهما أجمعين ، فلما درى يمان ومُغرق وتهام ، وفصيح وأعجم ومبين ،  
أن هذا الشريف بحاضر الموسم تطابقوا على أن يصلى بهم إماما ، ويتخذ من مقام إبراهيم  
مقاماً ، فأقام عدة صلوات رفعتها الملائكة البررة ، والأرواح السَّفَرة ، إلى حيث البيت  
المعمور ، واللوح المحفوظ ، ذخيرةً إلى يوم نشر الصحف ، وتطائر الكتب ، يوم العرض ،  
ويوم ردّ القرض ، فإذا تصفح أبوه رسول الله صلى الله عليه وعلى ذريته الهادية ، وعترته  
الزاكية ، وجوه بنيه وأقربيه ، كان هذا الابن — إن شاء الله — من النجباء السعداء ،  
نعم وفي جملة الشهداء ، والأثر المقبول شهيد ، بأن المقبوض غريباً شهيد .

لم أفتح كتابي وأنا واثق بأن لسانى ينطق بحيث ينطق ، وأن بنائى بحيث يسترسل  
مع حالى فى الوجوم الذى برانى برى الأخلّة ، ونقصنى نقص الأهلّة ، وتركنى حرصاً ،  
وأوسعنى مرضاً ، وغادرنى والخيالُ أكثفُ منى جثّة ، والطيفُ أوفرُ منى قوة ، ولكن  
فضائل المفقود — رحمه الله — تمثلت لعينى فاستعبرت من غمرها ، واغترفت من بحرها ،  
واستقت من سيلها ، واهتدت بقمر ليلها ، وهى التى لو تعاطت الخرسُ الخبرَ عنها لعادوا  
بالسنة طوال حداد ، وعوارض صلاب شداد ، يسمون جباه المنابر ، ويشحنون صدور  
الحاضر ، وإنما أردت — وقد اقتضيت الخطاب — أن أقيم للشريف رسماً فى التسليّة ،  
وحكماً فى التعزية ، وأين السلوانُ منى أو منه ، يابئد ما بيننا وبين الصبر ، وقد رُمينا بواحدة  
الفجائع ، وواسطة المصائب ، وفادحة الفوادح ، وقادحة القوادح .

ولولا أن حالى فيما نالى هضّ وهاض ، وأطال الانخزال والانخفاض ، ولم يرض بأن  
فضّ الأعضاء ، حتى أفاض الدماء ، وتناججه أمراضُ تركت جسمى لحما على وضم ؛ وأعلالٌ  
أسلمنى عللٌ منها إلى نهل ، وأنا منذ مضى ذلك الطود الأشم ، ومال ذلك الجبل الأصم ،

(١) فى الأصل : فعلى أن يبك .



وفقد<sup>(١)</sup>، كاد الدهر ينجني على عواديه، ويُنْجِنِي ثَمَرَةُ الْيَأْسِ فِيهِ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَلْطِيفَةٍ مِنْ لَطَائِفِهِ، وَجَعَلَ هَبَةَ الرُّوحِ عَارِفَةً مِنْ عَوَارِفِهِ، لَاحْتَبَجَتْ فِي الْإِبَانَةِ عَنْ صَوْرَتِي إِلَى قَوْلٍ لَا يَلْتَقِي طَرَفَاهُ أَوْ يَلْتَقِي الْجَبَلَانِ، وَيَفْتَرِقُ الْمَلَوَانَ. وَلَعَلَّ سَامِعًا مَا أَقُولُ لَمْ تَتَصَوَّرْ لَهُ شَيْئًا، وَلَمْ تَتَمَثَّلْ لَهُ فِي نَفْسِهِ هَمِّي، يَظُنُّنِي كَمَنْ سَبَقَ<sup>(٢)</sup> أَوْ لَحِقَ مِنْ أَبْنَاءِ الْكِتَابَةِ، وَأَبَاءِ الْخُطَابَةِ أَفْخَمَ الْأَمْرِ جَذْبًا بِضَمِّعِ الْبَلَاغَةِ، وَرَفْعًا مِنْ طَرَفِ الْفَصَاحَةِ، وَقَدْ نَزَّهَنِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذَا الظَّنِّ، فَإِنِّي — مِنْذُ كُنْتُ — أَسْتَهِينُ بِشِرَارِ الدَّهْرِ حَتَّى أَرَاهُ مُسْكِينًا، وَيَرَانِي مُسْكِينًا، وَأَعِدُّهُ ضَعِيفَ الْكَيْدِ، وَيَعْتَدُّنِي قَوِيَّ الْأَيْدِ، لَا تَطْمَعُ مَسَارُّهُ مِنِّي فِي اهْتِزَازٍ، وَلَا مَضَارُّهُ فِي اسْتَفْزَازٍ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ النَّازِلَةَ خُصُوصًا ثَبَّتَتْ لِي، فَطَامَنْتُ مِنْ طَمَاحِي مَاشَاءَتْ، وَأَجَاءَتْنِي إِلَى أَضْيَاقِ الْمَنَافَذِ وَقَدْ جَاءَتْ.

وَكَانَ الدَّاعِي الْأَقْوَى إِلَى مَأْمُونِيَّتِهِ بِهِ مِنْهُ بِسَمِّ الْأَرْقَمِ، وَجَرَّعَتْ فِيهِ طَعْمَ الْعَلَقَمِ، أَنَّ الشَّرِيفَ — أَكْرَمَ اللَّهِ مَثْوَاهُ — لَمَّا قَضَى حَاجَةَ الَّذِي تَجَشَّعَ لَهُ أَصْعَبُ الطَّرِيقِ، وَرَكِبَ إِلَيْهِ أَبْعَدَ السَّبِيلِ، وَالتَزَمَ عَنْهُ أَثْقَلَ الْكَلْفِ، وَجَدَّدَ بِهِ أَشْرَفَ الْقُرْبِ، وَاسْتَوْجَبَ عَنْهُ أَقْرَبَ الزُّلْفِ، عَدَلَ إِلَى قَبْلِ<sup>(٣)</sup> وَطْنِهِ وَوُطْرِهِ، وَوَلَدِهِ وَبَلَدِهِ، وَطَلَعَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — كَطَلْعَةِ الرُّضْوَانِ وَتَرُوعَةٍ<sup>(٤)</sup> الْجَنَانِ، وَقَدْ زَادَتْ مَعَالِيهِ فَضْفَا عَلَى طَوْلِ الْعَمْرِ، صَفَاءُ التَّيْبِ عَلَى مُثَبَّتِ الْجَمْرِ، وَشَهِدَتْهُ فَرَايَتُهُ قَدْ أَخَذَ مِنْ وَقَارِ النَّبُوَّةِ بِقَدْرِ إِزْنِهِ، وَازْدَادَ تَوَاضَعًا أَفَاضَتَهُ سَمَاوَةُ غَزَاهُ، وَعَادَتْ صَحِيفَتُهُ بِيضَاءَ نَقِيَّةٍ كَصَدْرِهِ، وَلَذَلْنَا الْعَيْشَ وَطَابَ، وَوَلَّى رَقِيبَ النِّعَمِ وَغَابَ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ مَا الَّذِي تَجَنَّهَ ضَمَائِرُ الْغَيْبِ، وَالَّذِي خَبَّأَتْهُ الْمَقَادِيرُ لِأَبِي خَبِيبٍ.

فَبَيْنَا نَحْنُ فِي أُنْسٍ وَنَعِيمٍ، وَخَيْرٍ نَاضِرٍ مُقِيمٍ، نُنْصَبِحُ عَلَى مَذَاكِرَةِ بَاصْنَفِ الْعُلُومِ، وَنَمْسِي عَلَى جِدَالِ بَيْنِ خُصُومٍ لَيْسُوا بِخُصُومٍ، إِذْ مَرَضَ — قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ — فَلَحَقْتَنَا رَوْعَةٌ، وَمَلَكْتَنَا لَوْعَةٌ، ثُمَّ أَبْلَى — رَحِمَهُ اللَّهُ — فَانْشَرَحْتَ الصَّدُورُ، وَرَكِبَ فَشَمَلُ السَّرُورِ، وَنَذَرْتَ عَلَى صَحْتِهِ النَّذُورَ، ثُمَّ أَبَى الزَّمَانَ إِلَّا نَكْدًا، وَأَنْ يَتَرَكَّ شَمْلُ الْفَتَى طَرَائِقَ قَدَدًا، وَنُيَكِّسَ فَنُكِّسَتِ الرُّءُوسُ، وَزَهَقَتِ النُّفُوسُ، وَأَشْعَرْتَ الصَّدُورَ مَخَافَةَ،

(١) فِي الْأَصْلِ: وَفَتَدَ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: سَبَقَهُ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: مَا قَبْلَ.

(٤) التَّرْعَةُ: الرُّوْضَةُ فِي مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ.



وملئت القلوب كآبة ، ونحن مع ذلك على طمع ، ينهض على ظلع ، فلما كُتبت له سعادة المحتضر ، وانتهى به العمر إلى الأجل المنتظر ، نعتة السماء صائحة ، والأرض نائحة ، ولحقت الناس دهشة عمية ، وغشيتهم خُطة صماء ، وانقبضت للهجات عن القول ولم يرشخص<sup>(١)</sup> قوم تشخص إلى قوم .

ثم انبعثت الأحزان والهموم ، وانطلقت الألسن والعيون فلا تسمع إلا أنه أورنة ، وإلا نشيجاً أو زفرة ، ولا ترى إلا صارخاً أو صارخة ، وشادخاً بالدم في وجهه أو شادخة ، كأننا نرى رسول الله قد احتضر ثم قبض ، وأمير المؤمنين عليه السلام قد طعن ثم احتمل ؛ أو كأننا بالطف<sup>(٢)</sup> نشاهد تلك الأجسام العظيمة كيف تذال وتبتذل ، وتلك الدماء الكريمة كيف تراق ، فالدينا دهاء ، والخضراء غبراء ، والأصابع تشير إلى علماء بأنى أعظم الحاضرين اكتئاباً ، وأكثرهم مصاباً ، وأقلهم اصطباراً ، وأشدهم جزعاً مثاراً ، أو صبراً مطاراً ، وقد زحمت نفسى زمّ السكينة ، لو لم تنطق الدموع بلسان النيمة .

وحضرنا المقرّى ، فإذا اليوم يوم [أيوم] ، وذلك الشقّ شقّ مظلم ، ولم أذر كيف السبيل وقد علت الأزمان<sup>(٣)</sup> على الأبواب ، وامتنع جانب التسليم والاحتساب ، ففرغت إلى كتاب الله عند اشتداد الفزع وامتداد الجزع ، وأمرت القراءة بتناوب التلاوة ، فهذا الناس إعظاماً لكلام رب العالمين ، يسمعون له منصتين إلى أن قيل : قد جهّز ذلك الشخص الزكى ، والسيد النبوى . وأقبل به وقد ركب الأعناق ، بعد العتاق ، وعلا الأجياد ، بعد الجياد ، وفاح فتيت المسك من مآثره ، كما كان يفوح من مجامره ، وقام الناس له كقيامهم — كان — إليه ، واصطفوا للصلاة عليه<sup>(٤)</sup> اصطفاؤهم للسلام عليه ، وصلى الله عليه برحمته ، وملائكته بإذنه ومشيتته ، وخللائق أفواجا بعد أفواج ، وبحوراً ترمى بالأموج ، ولا موج إلا حلب العيون والأحداق ، ودمع كالدّم المهرق ، فلم يمر سريره بأرض إلا ودّت لو حطّ عندها ، وأودع نديها ، لتسمو على جاراتها ، وتعد ثانية طيبة في طيب التربة<sup>(٥)</sup> ، وثالثة الغرين<sup>(٦)</sup> ،

(١) الشخص جمع شخص وهنا معناه سواد العين .  
(٢) الطف : المكان الذى قتل فيه الحسين بقرب الكوفة .  
(٣) فى الأصل هكذا : الارباب بدون نقط .  
(٤) أصل الجملة : واصطفوا للصلاة اصطفاؤهم للصلاة عليه وحذفنا اصطفاؤهم للصلاة ليستقيم السياق . (٥) فى الأصل : التربة .  
(٦) الغريان : بناءان بظاهر الكوفة قرب قبر على .

(١) الشخص جمع شخص وهنا معناه سواد العين .  
(٢) الطف : المكان الذى قتل فيه الحسين بقرب الكوفة .  
(٣) فى الأصل هكذا : الارباب بدون نقط .



والحائزة علماً أخواتها في شرف الرتبة ، فحسبنا البلاد تتجاذب وتنتضل ، وتتفاير وتقتتل ، وأبى الله إلا أن يكون ثوابه حيث اختار له بل اختار لجأوريه وزائريه ، ويُسعد به وارديه وصادريه ؛ فهناك ينزل الرضوان ، وثُمَّ تهبط الجنان .

لقد فارق والله أحياء نيسابور رجل فيه يقال : فَذُّ فرد ، وأسد وزد ، وشهاب لامع ، وصبح ساطع ، وماء [ و<sup>(١)</sup> ] رؤاء ، وكرم ماشئت وحياء ، ووصل أمواتها قادمٌ تقدُّمه حسناته ، وتحفُّه قرباته ، وتصلى عليه صلاته وصلاته ، وتزكِّيه صادقةً زكواته وصدقاته ، ويشفع له جدُّه في الدين واجتهاده ، ويخصِّم عنه حجبهُ في الله وجهاده . نعم أطال الله بقاء سيدى لو أن الكلام سهلت حزنه ، ولانت متونه ، وطاعت عيونه ، ودانت أبكاره وعُونُه ، ثم عُمرت عُمرَ العصور ، وعمر النسور ، أمدٌ بخاطرٍ لا يُزَف ، وطبع لا يُنَزَح ، ثم شغلت عمرى بالثناء على من رزئناه ، شرف الله مأواه ، لكنت بعد الإكثار والإطالة ، وخوف السامة والملالة ، قاصر السعى قصير باع القول ، قصارى أن ألوذ بدمّة الصمت ، وألبس ثوبين : من إقصار وعجز .

وإنما أنفت بنفثة المصدور ، وألقى بئى على حواشى الصدور ؛ وبالله العياذ من استشراء الحزن حتى لا أجَرَ ، واستعلاء القلق حتى لا صَبَرَ ، إن ذلك من مواقف الجهال الذين تستهويهم يدُ الغرور ، والكفار الذين ييأسون من أصحاب القبور ، فرجوعا إلى الله رجوعا ، وِرِضَى بحكم الله وخضوعا .

والحمد لله الذى لما عمر الشريف أبا محمد صلوات الله عليه عمَّره عزيزا ، وفطره عظيما ، وجعله بنفسه وجنسه شريفا كريما ، أعماله بيضٌ ، وإفضاله مستفيض ، وذكره سائر ، والثناء به طائر ، وحين قبضه قبضه سعيدا ، وتوفاه حميدا ، وختم له بحالٍ يُغْبِطُ عليها للدار الباقية ، وإن لم يُغْبِطُ بها في هذه الفانية . ثم الحمد لله على أن سدَّ خصاصةً من الشريف بمن مكانه محتشم ، ومقامه مقدَّم ، وخلقه وفضله مرموق ، وأدبه مشهور ، وسبقه معهود ، يروى المكارم مرفوعة العباد ، موصولة الإسناد بالإسناد ، قد ورث الشرف جامعا عن جامع ، وشهد له نداء الصوامع .



فإن تك أيدينا بالأمس أمسكت على القلوب خوف انصداعها وانزعاجها ، لقد مسحت اليوم على الصدور عند انشراحها وانفراجها ، ولئن سخنت عيون حين حدث الحادث ، لقد قرّت عيون حين انتصب الوارث ، وتلك الرياسة منتقلة إليه ، وحاصلة بيديه ، يتوارثها غصن عن شجر ، وهلال عن قمر ، ونحن معاشر إخوان الماضى وكافة شيعته — أكرمهم الله — أيدٍ وراءه طوال ، بل جبال إذا أريدت الجبال ، تُشعّله البصائر ، وتُبْتَدَل فيه الذخائر ، ويدعوني الإشفاق — مع ذلك — إلى أن أقول : حَتْمٌ على سيدى أن يلبس مَعْرِضاً لهذا الأمر يستقلّ معه بفرائضه ، ويضطلع بوظائفه ، ويثابر على لوازمه ، ويقسم الشهوات على شرائطه ، فلقد كان حتى اليوم ابناً وهو الآن أب أو جد . وفي صُعداء المجد مسلكٌ وعِر ، ومذهب حَزَن .

ولن يفرع الذروة إلا بتقوى وحلم لا يميل إلى جانب الخرق ، ولا ترتقى إليه همه الذل ، وبَذَل لا يذوب صاحبه مع التبذير ، ولا يجمد مع التقير ، ومنافسة في اقتناء المودّات حتى يعطى مَنْ فوقه حظّ التوقير ، ويسمح لمن كان مثله بفضل التقديم ، ويَجْذِب بمن يدانيه إلى رتبة النظير ، ويكون للباقيين أبا يدافع عنهم مدافعتهم عن تلالده ، ويناضل مناضلته عن أولاده ، فيزور منهم الصحيح ، ويعود المريض ، ويعيث النكوب ، ويعين المحروب ، ويشفع في الجرم ، ويسأل في المذنب ، ويتحمل مضرة القوم ، ويراه الغنم كل الغنم ، طاهر الأثواب ، سهّل الحجاب ، مؤدّب الأصحاب ، يستحفظ رأى سلطانه ، بغاية إمكانه ، ثم لا يدع بينه وبين أقاربه ، والمساوين له في مناسبه ، رِرةً ولا ذِخلاً ، ولا يسيئ فيهم قولاً ولا فعلاً ، ويُشعر الذين يَهْدِجُون بالنميمة أن أسواقهم باثرة ، وعليهم الدائرة . والعلماء يَسْعَوْنَ العلماء ، فهم الأركان والأعيان ، والإخوان والأعوان ، والمشايخ والصدور ، وإليهم تؤول الأمور ، فليعظمهم كُنْهَ الأعظام ، وليكبر صغيرهم فوق أكبر الزمان ، فإن فقيه العرب على ابن أبي طالب — رضى الله عنه — فَضَّل أ كفاءه بالعلم فصار أغخم شانا ، وأعز سلطانا ، وأعظم نفرا ، وأبهر شمسا وقمرا ، هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

ولست أريد بهذا القول طائفة دون أخرى تقابلها ، ولا فرقة سوى فرقة تماثلها ، بل أرى العلم أين حلّ بأعلى نسب ، وأقوى سبب ، والأمة وإن اختلفت مذاهبها ، بين محق



ومبطل ، ومسهل ومحزن ، ومخطئ ومصيب ، وأصم عن الحق أو مجيب ، فحرمة المعرفة لا تضاع ، وسوأم الدراية لا تراع .

وكان سبيل كتابي أن يرد على سيدى الشريف خامس وفاة الفقيد رحمه الله ، لولا أن المرض أخذ بالجوارح ، وثقل على الجوارح ، والآن حين استقلت وأبلت ، فكتبت لا بل عجزت وأملت ، فليقبل العذر كما عرفه ، وليقبل على ما يحوط دينه وشرفه . ومع كل الذى تصرف فيه فإن الأسف على من فقدناه إزاء ناظرى ، وشغل خاطرى ، لم أرض عن الليالى ، وقد مسختها المعالى :

فما جانب الدنيا بسهل ولا الضحى بطلق ولا ماء الحياة ببارد



## الباب الحادى عشر

### فى الاخوانيات والملاطفات والمداعبات

#### ١ - كتاب شوق واستزادة وبرٍّ وتوجُّع لعارض علة

أنا إذا وجدت لمكاتبة الشريف بخطى فراغا ، وإلى مطاولته بما فى نفسى مساغا ، أسغت غصه ، وانهزت فرصة ، وإذا حجزت العلائق ، ومنعت العوائق ، لم أعدم حجة ، ولا يعدمنى رخصة ، وأنا والله من الشوق إليه بما أُكبره عن كشفه ، ويدفع أدب الوقار عن وصفه ، إذ هو فى قبيل ما يسمى كلفا ، وطريق ما يدعى شغفا . هذا وفرط الغرام بقرب مولاي ولوع بالفضل ، فلا تبرُّاً منه ، ولَهَجٌ بالجد فلا تنزّه عنه ، والله عواطف وعوارف ، ومواهب ولطائف ، تعين الشمل على اجتماعه ، وتُدِيل القلب من نزاعه .

ووصل كتاب الشريف مع فلان فحسبته سافر إلى قريب العهد ، بينانه وبيانه ، وفقر يده ولسانه ، واهتزرت لنشره ، وارتحت لفضّه ، وتهيات لاجتماعه ورّده ، والارتواء من شربه ، فلما ألفتته بغير خطه عرائى فتورّ مسرف ، وكسل مجحف ، فعدلت إلى التذكرة ، إذ كانت بين مساقط أقلامه ، وتساقط الدر من كلامه ، وبردت غليلا ، وجلت ناظر اكليلا ، واستعديتها على الشوق ، فلولا أنها هاجت مزيد تذكر ، وأثارت قديم تحسر ، لكان ما أهدت من غبطة ، وأدت من بهجة ، حقيقاً بأن يذكر ، وخليقاً بأن يشكر .

وقد تقدمت فى الأبواب أجمع بما يجمع المراد ، ويصدق الارتياذ ، وفلان يفصل ما أجملت ، ويلخص ما أبهمت ، بعون الله . ومولانا الأمير لمولاي محمد ولنزلته مُكبر ، وعلى قديم تحفته محافظ ، ولما عاد بسداد أمره مؤثر متخيّر ، مدّ<sup>(١)</sup> الله أستار ظله ، على أتباع فضله ، بمنّنه .

(١) فى الأصل : ومد .



عند انتهائي إلى هذا الفصل عرض فلان كتابا إليه من مولاي صَدَرَ عن عارض تألم ،  
فطواني على جزع وتحرق ، إذ لا فرق — يشهد الله — عندي بين سُقْمه وسُقْمِي ، وما  
يُقَسِّمُ بجسمه وجسمي ، وإني لأستنزل العافية على أن تكون له مشروطة ، وأستمد السلامة  
على أن تدوم به منوطة ، والله يبلِّغني فيه وفي نفسي خير المطالب ، ويكفيني وإياه كدر  
المشارب ، واعتراض الشوائب .

وأعود لنسق الجواب : إن الذي يصفه مولاي عن الأمير إجلالا لقدره ، وإشبالا على  
أمره ، وإجزالا لحظه ، لرافعٍ طرفي ، وفائت شكرى ووصفي . ذلك دليل ثبات الدولة ،  
وتزايد النعمة ، وتضاعف البسطة ، ونيل البغية ، والله يُوفِّق مولاي لما يوافق هذه الحال  
التماسا للقربة ، واختصاصا بالطاعة والخدمة . ومتى لم أعاتب سيدي على ما يضيق به  
صدرى ، خشيت أن تبقى غُبرة في نفسي . وقد حَمَلَتْ فلاناً إليه ، ما يورده ، وإن كان  
فجاً عليه ، فليتصور مولاي إخوانه بحيث تقديم الله وتفضيله ، أو من حيث تقرب السلطان  
وتأهيله . وأنا أقطع الكلام فإني أخشى اللوم يلج بي ، ويستفز قلبي ، وأسأل مولاي  
أن يخاطبني بخبره ، فهو أخضٌ ما أترقب ، وبياسطني في وطره ، فهو أسرٌ ما أقدم ،  
إن شاء الله .

## ٢ — كتاب تأنس ومداعبة

أنا الطَّف — يا شيخني ! — الكاغد في مكاتبتك ، بحسب ما أوجب من لطف  
منزلتك ، وأعتذر إليك ، من تأخر الأجوبة عنك ، عما أعتدُّ لك باتصال الابتداءات منك ،  
فإني إذا قرأت من خطك حرفا وجدت على قلبي خِفًّا ، وإذا تأملت من كلامك لفظا ،  
ازددت من أنسى حظا . ودليل الشوق إليك ما تجده من نفسك ، وتستمليه عن صدرك ،  
وكلا ! فإن الذي عندي أحرّ وقعا ، وأحدّ لذعا ، وقد زاد فيه ما استشعرته من ترفيهك عن  
السفر ، وتوفيرك على الوطر <sup>(١)</sup> .

وأجزيك الخير فإنك تُطْفئ بكبتك لهب البعد وترشّ على نار الحنين ماء الوصل ، فلا  
تشبه بمن يوصلُ فيقطع ، ويُسأل فيمنع ، ويُقبل عليه فيعْرِض ، ويُبسط إليه فينقبض ،

(١) في الأصل : الوطن



وَيُلَانْ لَهُ فَيْشْتَد ، وَيُعْتَد بِهِ فَلَا يَعْتَد ، وَمَنْ التِيَّة<sup>(١)</sup> ثوبه ورداؤه ، والنجمُ أرضه وحذاؤه  
ومن الخضراء له عُرِشَت ، والغبراء باسمه فرشت ، ويظن الشمس أخف سرجه ضياء ،  
والأنام عبيدا والليالى إماء ، ومن ينظر فى عِطْفه ، ويرمق العالم بمؤخِرِ طَرْفه . فإن تسأل  
عنه لم أشجع لذكركه ، مع ماقلت فى فخامة أمره ، لكنى أثق بالسميع العليم ، وأستعِذ به  
من الشيطان الرجيم ، فأقول : هو أبو سعيد ، وليس بالمهلب ، ومحمد وليس بابن الحنفية ،  
وابن المرزبان بن الفرخان ، اسمان لم يشهدا بيعة الرضوان . وحقك إن كنت قرأت له كتابا  
منذ مدة قد تجاوزت عدد النساء وبلغت حولا كاملا أو كادت ، ولا أدرى لم اعترض اسمه  
فى كتابى إليك حتى أضعت من بياضه<sup>(٢)</sup> مآثره ، ومن كلامى ماتقراه .

### ٣ — والله تودد وتشكر

كتابى — أطال الله بقاء سيدى — ومولانا فسيحُ مجال العزم ، رفيعُ مناط الملك ،  
وأنا بدولته وعز خدمته سالم ، والحمد لله رب العالمين .

ووصل كتاب سيدى مبشرا بما كان الأمد واقفاً عليه لا يتعداه ، والرجاء منصبا إليه  
لا يتخطاه ، ونوازع النفس تنهض له خاطبة ، وبواعث القلب تلهج به طالبة ، من قربه  
الذى يجمع أسباب المحاب موفاة ، وينظم أشتات المسرة مهداة ، فيعلم الله ما استسلفت من  
البهجة التى لم تدع منى جارحة إلا طبقتها ، واستأنفت من الغبطة التى لم تترك منى جانحة  
إلا ملكتها ، فالفيتنى كمن حُكِم فى أوطاره فتحكم ، وأسرج فى آرائه وألجم ، وأزاحت  
الأيام علته كيف أراد ، وارتاحت له الليالى بما شاء وارتاد ، فقد كنت من بُعد سيدى فى  
وحشة تدع حظوظ النفس منحوسة ، وغمة ترجع حقوق الأنس منقوصة ، وكيف  
لا أنشوف سيدى بعيدا ، ولا أتناول به الأمانى قريبا ، وقد أتانى الله من وده ، وكريم  
عهده ، ماتحار فيه النواظر ، وتعتقد عليه الجناسر ، ففبى محروس بحضوره عن الألسنة  
الجارحة ، والعيون الطامحة ، وذكري محفوظ بمنابه الكريم ، وقيامه الجميل . ولولا أن  
الإكثار يزرى على الإخلاص ، وينتقص جدّة الاختصاص<sup>(٣)</sup> ، لأطعت مايليه ويطالبني

(٣) فى الأصل : للاختصاص .

(١) فى الأصل هكذا : السه بدون نقط .

(٢) فى الأصل : بياضى .



به فسكرى ، اعتقاداً لم يُهَجِّئْهُ التصنع ، واعتماداً لم يعترضه التعمد ، والله يديم النعمة لديه كما أدامها للإخوانه به ، ويهنيه ما قسم له كما هنأهم العارفة عنده ، بمنه .

وقد أكثر الناس في وصف ما يهيجُه الشوق إذا أخذت الدار تتقارب ، والحال تتجاور ، وصحائف البعد تُدرِّج ، وملابس القرب تُنشر . وما أوضح براهين ذلك ، فإني مستقيها من صدرى ، ومستملها من قلبى ، لاستبعادى الشقة ، هذه المدة ، وتقديرى بأن اليوم الواحد أمدٌّ من الحول الكامل ، والعام المتواصل . والله يقرب لنا البعيد ، ويلقينا الفأل السعيد ، ويُكمل الرغائب بمشاهدته ، ويُسبِّغ المواهب بمشافهته ، إن الله يفعل ما يريد .

ومما أبشر به سيدى اهتزازُ مولانا لمورده ، وارتياحه لمقدمه ، فإنه منذ أول ماوردت الكتب نبأً توجهه إلى هذه الحضرة ، يقول فى هذا الباب أقوالاً تخلد الشرف وتؤبده ، وتذخر المجد وتمجده . زاد الله مولاي عنده قربة ، وضاعف كل يوم له رتبة ، فإن رأى أن يجعل كتابه مقدمة النعمة فى وصوله ، وتعريفى خبره عنوان المنحة فى وروده ، ويذكر لى أخباره ، ويكلفنى أوطاره ، فعل إن شاء الله .

## ٤ — واليه

كتابى — أطال الله بقاء سيدى — ومولانا سابغ السعادة ، متناول بيد القدرة مبالغ الإرادة ، والحمد لله .

فأما أنا فإن حُمَيَّاتِ اختلفت بى ، وأعلالا تصدَّت لى ، وكنت منها فى أحوال تخوّنت القوة ، بقدر ما تحيَّفت به الصحة ، وقد تفضل الله الكريم بالإقالة ، وأعادنى إلى جميل العادة ، ولم يبق إلا الضعف الذى يزول على الأيام ، والله ولى التطوُّل به والإحسان .

ولولا هذا العارض لقد كنت تلقيت سيدى بعدة كتب على أيدى الرسل استعجالاً للموهبة فى مشاهدته ، وإكباراً للمنحة فى مكاثرتة وتعرفاً لخبره ورأيه ، ووقت وروده ، وصله الله بأسباب سرَّائه . وبالأمس تهباً لى الركوب إلى سيدى ذا كراً للصورة ، وراغباً إليه فى إعلاى حال سلامته ، واطراد أموره على إشاره ومحبتة ، وإن جاز أن يعرفنى الوقت الذى يكون انفصاله على طالع البركة منَّ به ، فمولانا يهتم بذلك ، ويرسم مراعاته ، ولذلك



أمر ، أعلى الله أمره ، بإصدار هذه الخطابية مع أحد التراسين .

وتشوفي لغاية الحجة ، ونهاية البغية ، وبلوغ المراد والطلبة ، بقاء سيدى ، يحدونى على الاهتمام ، ويهزنى للاستعلام ، ولا أحتاج إلى تعريفه زيادة تُراعى بتزايد الدار قربا ، فإنه يستملى من كرم عهده فى ذلك ما تجده شاهداً عدلا ، فإن رأى أن يخاطبنى بما التطلع له شديد ، والطرف إليه حديد ، ويذكر لى من مهمه ما يبعث عليه خلوص من وده ، فعل إن شاء الله .

## ٥ — وله

ذكر فلان أنه يخرج على طريق المفازة إلى حضرتى ، مجدداً العهد بخدمتى ، وذلك صواب ، ولكن بعد أن يكون معه دليل ، قد استاف أخلاق الطرق ، ولقب بدعيميص الرمل<sup>(١)</sup> ، وضرب فى عامر<sup>(٢)</sup> بن فهيرة بعرق ، وأجال مع عبد الله<sup>(٣)</sup> بن أريقط قدحا ، وبارى الشنفرى<sup>(٤)</sup> ، وبات بمومة وأمسى بغيرها ، وكانت خؤولته لتأبط<sup>(٥)</sup> شراً ، وعمومته فى عمرو بن براق<sup>(٦)</sup> ، ورضاعه فى سليك<sup>(٧)</sup> المقانب . ووصفه العرب أنه كالكدرد فى المشارع ، وأنه أهدى من النجم ، وأنه لا يضل حتى يضل النجم ، وقالوا فيه الخريت<sup>(٨)</sup> ، وسموه بالأخذ المصلات<sup>(٩)</sup> ، أو خير من ذلك جمال من أردستان<sup>(١٠)</sup> يُجمع على علمه بالطريق ليركبه على بصيرة ويقين .

وسيدى يجهزه فقد علم أنه جهيزة ، ويعينه على الظعن فقد علم أنه ظعينة ، ويذكر قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رققاً بالقوارير ، ويقول لأبى الفتح : هذه ثم ظهور

- الجاهلية وعدائها .  
(٦) عمرو بن براق مثل صاحبه .  
(٧) سليك المقانب هو سليك بن السلكة وهو مثل سابقه .  
(٨) الدليل الهادى .  
(٩) الأخذ : القاطع : المصلات : الماضى فى الأمور .  
(١٠) أردستان : مدينة بين قاشان وأصبهان .

- (١) دعيميص الرمل : اسم رجل كان داهيا يضرب به المثل ، يقال هو دعيميص هذا الأمر أى عالم به .  
(٢) مولى لأبى بكر الصديق قتل فى يوم بئر معونة .  
(٣) دليل النبی صلى الله عليه وسلم فى الهجرة إلى المدينة .  
(٤) شاعر جاهلى يضرب به المثل فى العدو فهو أحد العدائين .  
(٥) تأبط شرا مثل الشنفرى من صعاليك



الحُفَر ، وليوصه ليستظهر على الفلاة ، بناقة كالعلاة ، وبالزاد ، والمزاد ، كما وصفت . أنفذ من عبد الجبار <sup>(١)</sup> بن يزيد وخالد بن دثار <sup>(٢)</sup> وأصيدف بن فلان ، ولا أدري ما أبوه ، ولكنه الذى كَلَّ على المهرب من سجن الحجاج ، والله يؤيده ويهديه .

## ٦ - وله

وصل كتابك أيها الشريف — أطل الله بقاءك — ولكن بعد ماذا ، بعد أن كددتك بالعتب الوجيع ، وقرعتك بعصا التقرع :

وكان الأكَف قد عَصَرَتْهُ بعد كَدٍّ من ماء وجه البخيل

وما كذا كان الظنُّ بك ، وخلقك الخلقُ الرحب ، وأنت الحلال الحلو والبارد العذب ، وقد ينسى المرء أبعد خليليه داراً وحِلَّةً ، وإن كان أصدقهم عهداً وخَلَّةً ، غير أنى لم أحبك ترضى بالرتبة الدنيا فى كرم العهد وترعى روضة الهوى نى فى صحة العقد ، فلأتُ يدى ثقة ورجاء ، حتى أعدتها على صفر أخلاء .

وبعد ذلك فليت شوقى إليك على قدر حظى منك ، كلا ! بل أنت خَدِينُ فِكْرِى وسميره ، وأمين قلبى وأميره ، تصرفه <sup>(٣)</sup> كيف أحبيت ، وتنقله كيف طلبت ، وتسلمه لتناوب البر والجفاء ، وتتلاعب به كتلاعب الأفعال بالأسماء <sup>(٤)</sup> ، فإذا استنزلتك عن كتاب تصدره ، أنفقت بالمعروف ، وجُدت بالنزr المشفوه <sup>(٥)</sup> ، حتى كأن بياض قرطاسك من شبية الحمد ، وسواد أنفاسك من سواد الناظر والقلب . فلا تفعل ، جعلت فداك ! ، فبغير هذا نزلت السور ، وتليت النذر ، وتكررت العبر ، وتربعت ربيعة وتمضرت مُضَر ، وآخر دعواى أن كيف شئت فكن ، وقل : إذا عزَّ أخوك فُهْن . سقى الله عهدك غيثاً كغزارة فضلك ، وسلامة طبعك ، وصفاء ودك ، ولا عاشت المحاسن من بعدك .

المكتبة التيمورية الورقة ٢٩ من المجلد الثانى عشر .

(٣) فى الأصل : وتصرفه بزيادة واو .

(٤) فى الأصل : الأسماء بالأفعال .

(٥) المشفوه : القليل .

(١) لعله أخو الوليد بن يزيد : انظر الأغاني

ط . دار الكتب ٥٠/٧ ، إذ طلب الوليد إلى

إحدى الفتيات أن تغنيه صوتا وطلب عبد الجبار

منها صوتا آخر فاستجاب له وتركت أخاه وطلبتة .

(٢) انظر ترجمته فى تاريخ ابن عساكر ، نسخة



## ٧ - و ل ه

كتابى — أطل الله بقاء صاحب الجيش — ونعم الله عندى بدولة الملك السيد متوالية ، ومواد الخير نامية ، والحمد لله رب العالمين .

وكان كتاب صاحب الجيش ورد مع فلان جامعاً من الفوائد أشدها للشكر استحقاقاً ، وأتمها للحمد استغراقاً ، وتعرفت من إحسان الله فيما وفره من سلامته وهناه من كرامته ، أنفَسَ موهوب ومطلوب ، وأحمدَ مرقوب ومخطوب ، وأدى فلان ما تحمّل من مشافهة صادرة عن مطلع الود الجلىّ ، ومستودع العهد الوفىّ ، صاحب الجيش ، أحبه إياه متجاوزاً حد الإلطف ، إلى طرف من أطراف الإسراف .

وصاحب الجيش بما عود من كرم نفسه ومحامد فعله ، وإيفاء يومه على أمسه ، وعدته بالمزيد فى غده ، لا يستكثر منه البلوغ إلى أبعد آماذ المبار وأرفعها وأوقعها بحسن الاختيار وأبدعها ، فقد أفرد الله من خلال الفضل بما آمن فيه شركة أولى المجاورات ، وسُهمته ذوى المساهمات . والإقصار عن التناهى فى مقابلته ، إلى التباهى بما فضل الله من شاكلته ، أسدٌ منهاجا ومذهباً ، وأسعد منالا ومطلباً ، والله لا يخلى من التجل بمكانه ، ويحفظ التكر به على إخوانه .

ولو كانت الكتب والرسل كفاء مودع الصدور ، وموقع الود الموفور ، لصدرت تباعا ، ونفذت سراحا ، لا قصور فى الإدمان دونها ، إلا أن الثقة بالتصافى المتزايد ، والتناجى بخلوص السرائر والعقائد ، يفسح فى طرق العذر ، إذا وقع تعويل على المشاركة المحضة ، والاستئمان الغضة ، وما تجشّم صاحب الجيش إنقاذه من تحفة كبرها قدراً ، وصغرها ذكراً ، وكثرها إصداراً ، وقللها إخباراً ، فقد زاد فى حسن موقعها فتحتها للأنس بابا ينضاف إلى أبواب المباشطة التامة ، والاسترسال فى الأوطار الخاصة والعامة ، وإن كنت — يعلم الله — بما لديه ، أوثق منى بما تنضم اليد عليه ، علماً بأنه — أدام الله عزه — لا يفرق بين النعم التى سوغنى الله صفوها ، والمنح التى أسبغ عليه عفوها ، أدام الله الموهبة بمواصلة أيامه ، وحرس ما أودعه من غرر إنعامه . وقد أتت المشافهات على جواب الرسالة الواردة ، وفلان يؤديها بإذن الله على السنة الجارية ، إذ كان صحيح الأداء ، حميد الاستيفاء .



٨ — وله

وصل كتابك الموثوق بثبوت عهده على تلؤن الحالات ، المسكون إلى رسوخ وده على تباين الأوقات ، وكان موقعه بحضرتي موقع آنس مايتوقع ، ومطلعه على مجلسي مطلع أسر مايتطلع ، وتحمل من خبرك في السلامة ماأعده أخص غنيمة ، وأعز منحة كريمة ، فقد كنت ، يشهد الله ، عند اختلاف تلك الأحوال بأغمار مالوا على النباهة للخمول ، وأذئاب خافوا على الرؤوس والصدور ، أشفق عليك من بدرات الجهلة ، وبدعات العجزة ، وأراعى خبرك مراعاة المرء لأمس ذوى رحمه غيرة على تمييزك وبراعتك ، وتبريزك على أهل صناعتك ، ووقوع التسليم لك بمن شاهدتهم يومئذ والعراق مفتصة بالأفاضل ، مختصة بوجوه العمال والمشايخ ، فلما أطلع الله رايات الحق ، ورفع غايات الفضل ، بماذلل لمولانا من مقادة البلاد ، وأحيا بأيامه من مصالح العباد ، أيقنت أن زندك في الزنود الوارية ، وسعدك مع السعود الجارية وترقت كتابك ياسيدى فكان بغية الطالب ، ومنية الراغب ، وتصرفت فيه في وصف عقيدتك وأنا بها عليم ، وبخلوصها زعيم ، ثم في اعتذار قد كفاك الله أمره ، ووضع عنك إضره ، إذ كانت تلك العوائق توجب الانقباض عن المواصله ، والتعويل على الضمائر المتقابلة ، وأريد الآن — سيدى — أن تكاتبني مكاتبة الصديق المتحقق ، والأخ المتخصص ، وتبشرني بما يتجدد لديك ، فإن فواضل الملك غمام يدر على الأيام ، والتنصح في يسير خدمته يرق إلى كثيرها ، والتقرب في صغير طاعته يرفع إلى كبيرها ، والله يؤتيك ماتوثر وأوثر فيك بمنه . ومن أوضح ما تدلني به على مودتك أن تسترسل إلى في مهماتك ، وتحسر ذراع الانقباض في حاجاتك

٩ — وله مداعبة وعناية

أبو الفرج عباد بن المطهر — أعزه الله — يزعم أن الشيخ الأمير رضى الله عنه سماه عبادا والناس يروون :

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم وفيهم من لا يعلم أنه لربيعة الرقى ، ولا أن اليزيديين يزيد بن حاتم المهلبى وهو المدوح ،



يزيدُ بنُ أسيد وهو المذموم ، وكما لا يدرى أن الشعر بلغ أبا الشمعق فقال ، وفضل عليهما  
يزيد بن مزيد الشيباني :

لستان ما بين اليزيدين في الندى إذا عدَّ في الناس المكارمُ والمجدُ  
يزيدُ بنى شيبان أكرم منهما وإن غضبت قيسُ بن عيلان والأزدُ  
وقد قال الآخر :

يزيد الخير إن يزيد قومي سميتك لا يزيد كما تزيد  
ويذكرني مولاي أنشد كثيراً لأبي الهول الحميري في الفضل بن العباس والبرمكي :

فضلانِ ضمهما اسمُ وشئت الأخبارُ

كما سمعني أنشد لبشار :

رأيت السَّهَّيْنِ استوى الجودُ فيهما على بُعد ذا من ذاك في حكم حاكم  
سهيلُ بن عثمانٍ يجودُ بماله كما جاد بالفعلاء سهلُ بن سالم  
ومن المبذل في هذا :

ستان بين محمد ومحمد حتى أمات وميت أحياني

والحمدان محمد بن منصور بن زياد ومحمد بن يحيى بن خالد .

ولا أحسب عبداً هذا يعدُّ ما قلته تفضيلاً لعباد بن العباس عليه ، وإضافة له إليه ،  
ولا أن يقول كما قال يونس بن حبيب : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ، وذلك كما قال صديق  
مولاي القريب ، وابن عمته النسيب ، الفرزدق بن غالب ، وقد قيل له انزل على أبي قطن  
قبضة ، فحسبه ابن مخارق الهلالي ، فإذا هو آخر لا يحضرني نسبه ، وذم قراه وجواره ، فقال :

سرت ما سرت من ليها ، ثم وافقت أبا قطن ليس الذي لخارق

وقد تلتقى الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكن لاتلاقى الخلائق

فأما التفضيل الذي أوامتُ إليه ، فقد أعجبني منه أن الخطيئة قال :

فلما أن مدحتُ القومَ قلتم هجوت وهل يحل لي الهجاء

فلم أستم لكم حساباً ولكن حدوتُ بحيث يُستمعُ الحداء

حتى زعم بعضهم عن الزرقان أن هذا أوجع له من قوله :



دع الكارم لا ترحل ليُغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وعلى ذكر هذا البيت فلا أدري لم ترك ما قيل قبله ، فقد سبق الأعشى بقوله :

فدعنا وقوماً إن هم عمداً لنا أبا ثابت واجلس فإنك طاعم

لست أدري — أيد الله مولاي — ما هذا الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور

الناس ، وإنما حضر هذا الفتى ، وله حق الغربة ، وأعظم به حقاً ، ثم حق الأدب وأكرم به فخراً ، وقد خدمني طفلاً ، والآن كهلاً ، وهاجر إليّ ، فتظاهرت حرماته لديّ ، وهذه

التسمية أيضاً لها ذمام يُرعى ، وذمار لا يُنسى ؛ وسألني أن أخطب مولاي في بابه ،

وأسيمة في مرعى جنبابه ، وتصور لي الأنس بمطاوله مولاي ، وحسبتي أناجيه عن قرب ،

كما أنا مكاتبه عن بعد ، فلبج الطبع والقلم ، وحضرت هذه الأبيات والعبر ، ومولاي وليّ

مايوليّه ، ويختضه بالجميل فيه ، فقد كان أبو عيسى النوشجان بن عبد المسيح أنشد والدي :

وإن ائتلاف النفس أدنى قرابة لمن يدعى القربى إذا كان ظالماً

## ١٠ — وله إلى الخطيبين

[ كتاب <sup>(١)</sup> ] شيخى أبى حفص وولدى أبى مسلم كتاب شيخ الفضل شاب الظرف ،

وخطاب شاب السن شيخ العقل ، آنس أصدق الإيناس ، واختص أبلغ الاختصاص ،

فلا عدمتها معا ، ولا عدما البر جميعا . فأما شكرك لسيدى أبى العباس — أدام الله

تأييده — فكلفة قد حط الله عنك وزرها ، ووضع دونك إصرها ، إذ كنت شيخ الدار

والأهل ، ولي بمنزلة الأخ وله بمنزلة العم ، فكيف يُدّخر عنك البر والبشر ، وكيف يجب

عليك الثناء والنشر ، بل أنا مستبطن له — أدام الله تأييده — أولك ، فما أقل ما أسمع

باجتماعه معك ، وإن يك ذاك بقلة استدعاء منه فقد أضاع حظاً ، وإن كان لسوء استجابة

منك فقد أضعت حقاً ، فمن كان منك <sup>(٢)</sup> مقصراً فليُغترب والسلام .

وأما البشرى فقد وصلت منك إلى معبور القلب بالود ، فلا بد أن يكون مشروح

الصدر بالأنس ، وختمت على موفور الحظ من خلوص العقدة ، فكيف لا يكون

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) في الأصل : منكم .



وإني القسط من عموم البهجة ، فتعال أيها الشيخ نستغل بالحمد لله ، وننقطع إلى الشكر لله ،  
فما أحسن ما صنع ، وما أعظم ما دفع ، وما أجزل ما منح ، وما أوسع ما فتح ، اللهم فوق  
لما يوافق رضاك ، واجعلنا ممن يرجوك ويخشاك ، إنك سميع الدعاء ، فعال لما تشاء .  
علقت هذا الجواب ليحرر ، ثم رأيت إنفاذه بخطي على اضطرابه ، آنس لك ، وأبرّ بك ،  
إن شاء الله .



## الباب الثاني عشر

### في التشكر وما يشاكله

١ - كتاب شكر وإنباء بمتجدد النعمة في مؤتلف تبجيل

ومزيد ترتيب

كتابي - أطال الله بقاء الأمير صاحب الجيش - ومولانا الملك السيد مصرّف أعنة الأيام ، معدّل أقسام الزمان ، مكنوفٌ من الله الكريم بإفناذ الأمر ، وإعزاز النصر ، وتيسير المطالب ، في أرجاء المشرق والمغرب ، والحمد لله وصلواته على النبي وآله .  
ووصل كتاب الأمير قد ابتدأني به كما ابتدأ بالغرّ من مننه ، والزهر من منحه ، واستغرق الشكر ببيض نعمة ، وجري في استنفاد الحمد على خصائص شيمه ، فازدادت أياديه شمولاً ووفوراً ، وعوائد طوّله بُدوّاً وظهوراً ، وأنبا الخطاب من أحوال حضرته منبع الفضائل ومعدنها ، ومرتع الحماد وموطنها <sup>(١)</sup> ، عما بمثله يرتفع ناظر الخالص له موالاة لا يستحلّها فتور ، ولا يعترضها تقصير ولا قصور ، وسألت الله تعالى أن يعتمده ، من سابغ المزيد في كل حال مرقوبة ، ومزية مطلوبة ، ومنقبة محبوبة ، بما يصدّق الرجاء ويحقّقه ، ويُشفعه ، من بعد ، ما يفوته ويسبقه ، إن الله سميع حبيب .

وكنت ذكرت للأمير خبري في السير إلى الحضرة العالية ، لتجديد العهد بالخدمة السامية ، ووردت من تفضل الملك السيد وإكرامه ، وبسطه وإنعامه ، وتقريبه وإيناسه ، ورفعهِ واختصاصه - بعد أن أهّلني للاستقبال والتلقّي ، وشرّفني بالسؤال والتحفّي - على ما حصل الإجماع ، ورُفِعَ النزاع ، في أنه لم يحظ بمثله أحد من وادى هذه السدة الكريمة ، وقاطني جوانبها العظيمة <sup>(٢)</sup> ، مع أنها كعبة الآمال ، ومحط الرجال ، ومقصد غلب الرجال ، وأعيان ذوى الجلال والكمال .

(١) في الأصل : مواطنها .

(٢) عضد الدولة عن مؤيد الدولة وعن نفسه ، فتلقاه

(٢) لعله يشير هنا إلى وروده عام ٣٧٠هـ إلى خدمة

عضد الدولة على بعد من البلد ، وبلغ في إكرامه .



هذا وأنا من أنشاء الخدمة ، وأغذية النعمة ، ومن لو اقتصر به على الإيماء إذا حضر ،  
والمثول من بُعدٍ إذا وصل ، لكان له في ذلك الشرف الصميم ، والمجد البالغ العميم ، لكن  
أريحية الملك ، وهزة المجد ، قسمتا لي ما يُعدّ منقبةَ العمر ، وواسطة الدهر . ولولا علمي بأن  
الامير يتطلع صورتي تطلعاً يقتضيه علمه بموالاتي ومما حضتي ، لما أطلت فيما خصني ذكره ،  
ومسني أمره . على أني قد اقتصدت واقتصرت ، ثقةً بأن الذي أوليته أعظم خطراً ، من  
أن يخفى نبا وخبراً ، فأطال الله بقاء مولانا الملك لانهاض المنن ، وعقد المنن ، ورفع الخدم ،  
والجذب بأنواع المهيم ، وأدام أيام الأمير مؤيد الدولة ، لنصافح الميامن بفضله وفي ظله ،  
ونستخلص المناهج باعتلاق حبله .

والأمير الجليل — بحق اعتماد رأيه ووده ، واعتقادي بلوغ المحاب به وعنده — أولى  
من تحشم الشكر عني فإني عاجز عن الواجب ، قاصر القوة عن أداء اللازم . وكتبي تتصل —  
ولله المشيئة — إلى الأمير من الحضرة العالية مدة لبثي ، ثم من حضرة مؤيد الدولة عند  
عودي ، أنهى فيها ما يتجدد ، وأنتهى إلى أمر يرسم في الجواب ويرد . فأما كتاب الأمير  
إلى مولانا ، فقد كان أوصله المجرى في اجتيازه ، واستغرق أوفى السهام من اعتداده ، وحل في  
التقبل ، وشكر التفضل ، أخصّ مواقع أمثاله ، وهو يستصحب الجواب في انصرافه ، بإذن  
الله عز وجل .

## ٢ — وله تشكر وإظهار اعتداد

كتابي — أطل الله بقاء السلار — ومولانا فيما يحكم الله له به من الاستظهار ، وعلو المنار ،  
ومساعدة الأقضية والأقدار ، على ما يسر الله به أولياء الدعوة المسموعة ، وأبناء الدولة  
المتبوعة ، والحمد لله حق الشاكرين ، وصلواته على النبي محمد وآله الطاهرين .

ووصل كتاب السلار فتظامن له شكرى ضئيل الشخص ، راضياً بخطة الضعف ،  
وقد كنت أدعى ، ويدعى لي ، مطاولة الأفعال وإن بهرت حسناً ، وقهرت فضلاً ، بلسان  
ينتصف قولاً ، ويستعلى شكراً ، حتى زحني من مكارم السلار ما يحصر عنه المبين ،  
ويصحبه العي وبئس القرين ، لكنني إذ فكرت في أن انبساط يده بالحامد ، ورحب بلده  
بالمآثر ، منقبة تجال فيها سهاى ، ويفاض عليها بقداحى ، لم أخش وصمة العاجز ، ولم أخف



هُجِّنَةُ القاصر ، فالتابع من جمال المتبوع حظوظ يُجَادُّ بها روضه ، وحقوق تضحك عنها أرضه . فأما الذى قاله السلار واصفاً اعتقاده بالخلوص لموليتنا فَبَرْدُ اليقين ، مغنٍ فيه عن الوصف المبين ، لولا أن السلار يضيف شرف الفعل إلى كرم القول ، ليأخذ بحاشيتي الفضل ، ويتناول بيمينه راية السبق . ومولانا معتدّ بذلك اعتداداً إن قُدِّرَ أن الخبر يضطلع بتمثيله ، والنظر يتسع لإقامة دليله ، فهيهات ! وعلى الضمائر من الضمائر شواهد ، براهينها أنطق ، وأسبق ، والرجوع إليها أحزم ، وألزم .

وأما الاسترسال الذى قد عمر السلار طريقه بمبارٍ وافية القدر ، موفية على القطر ، فعنان شرف لا يجاذب عليه ، ورهان فضل لا يسابق إليه ، وموقع ما يتجشمه بحضرة مولانا موقع ما إذا تأمله تقبله ، وإذا نشر به تشكره . والله يحرس هذه الحال ، فما أنضر عودها ، وأثبت عمودها ، وأحسن مطلعها ومبداها ، وأشبه مراحها بمغداها ! . والشبلان قد اشتد الإعجاب بهما إلى التعجب منهما ، وحقا أقول : إن الأسد لا تذلل إلا لأشد منها قوة ، وأحضر منها نجدة ، وإن من يأمر الليوث فتطيع وتسمع ، ويطلق الأسود فتصيد وترجع ، لقوى أيده ، حتى كيده ، أمتع الله السلار مولاي بما أتاه من أبكار الفضائل وعونها ، وأفراد المادح وعيونها .

### ٣ — وله تشكر واعتداد

كتابى ، أطل الله بقاء سيدى ، ومولانا فيما يسدد الله من رائه ، ويرفع من لوائه ، على ما يعلى نواظر أوليائه ، ويوهى قواعد أعدائه ، والحمد لله وصلواته على محمد وآله .

ووصل كتاب سيدى فلكنى به ملكا مجدداً ، واسترقنى معه استرقاقاً مخلداً ، لما ظهره فيه من أياديه التى تثقل عواتق الأطواد ، وكواهل السبع الشداد ، ولو كنت نهضت بفرض إحسانه فيما أسلف ، لرجوت أن أنهض بعض النهوض بحق ما استأنف ، ولكن لى فى ماضى تفضله ، ما يصدئنى عن لوازم مستقبله . لا زالت يده العليا ، ومنتهى الطولى ، ولا انكف الشكر فى إيسار إنعامه ، والحمد فى ذمام إكرامه ، لا ينالان من ذرى مكارمه ذروة ، ولا يحلان من عرى فواضله عروة .



فأما الذى اعتمد به سيدى حضرة مولانا من الألفاظ التى ابتسمت عن حسن التوصل ، وتنزهت عن قبح العمل ، فقد صادف من تقبله الكريم ، واعتداده العظيم ، مالا ينال بإهداء الأمصار إليه ، وافتتاحها له وبين يديه ، وعدّ أنبساط سيدى من أقوى دلائل المودة الخالصة من الشوائب ، المشفوعة بالصفاء الدائب .

والرسول يذكر ماوعاه ، من المجلس أعلاه الله ، وفكرُ سيدى فى أن أسهم لى من هذا التعهد ، وقسم لى من هذا التفضل ، مستعظمٌ مستكبرٌ ، تكاد الأمانى تقعد عن اقتباسه ، والآمال تصغر عن التماسه ، إلا إذا تصوّر سعة صدره بالمنأج وقد ضاق البحر بالإضافة إليه ، وطول يده بالمكارم لا زالت راهنة لديه ، والله يعينى على الدعاء ، فإنه أقرب مأخذاً ومتناولاً ، وأحضر نفعاً وطائلاً .

#### ٤ — وله تشكر واعتداد

كتابى عن سلامة إحسان الله بها مقرون ، والمزیدُ فيها عن فضله مضمون ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبى محمد وآله أجمعين .

وكان كتابك وصل حسن الموقع لطيفه ، وأتبعته تصنيفاً رائع المودع شريفه ، فأنتست بمخاطبتك ، واعتددت بتحفتك ، وقد زاد برك حتى كاد يجهد الاعتداد ، ويسبق الأعداد ، والفاضل تنازعه نفسه إلى أقاصى المحاسن ، والتناهى فى درج الحمد ، والله يزيدك من فضله بمنّة وطوله .

ومما يحتاج فيه إلى اعتذار ، واسع الأقطار ، تأخر الجواب عن الكتاب إلى الآن ، وما كان ذلك إهمالاً وإغفلاً ، ولكن أشغالا عرضت وأعلالا ، ومن اتسع صدره بالبر ، لم يضق عن قبول العذر ، وأنت تديم إيناسى بمخاطبتك ، مشفوعة بنتائج فضلك ، وثمرات علمك وفهمك ، فإنى أرتاح لسماع كلامك ، أنساً بأن علوم الطبيعة ، لم تُحلَّ عندك بحقوق الشريعة ، كفعل قوم حرموا مزينة السداد ، وضرب على بصائرهم بالأسداد .



٥ - ولله

كتابي ، أطل الله بقاء مولاي الأمير ، ونعم الله عند مولينا الملك السيد والأمير المؤيد على ما يؤثره الأمير مولاي بحكم المشاركة التي رفع الله بنيانها ، وشيد أركانها ، فله الحمد رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .

ووصل كتاب الأمير بعد أن أخطأت مدة ، وتخطاني برهة ، وما أقول ذلك استزادة لكرمه ، واستبطاء لشيء ، فقد أسلفني من طوله ما أعجزني شكره ، كما أعوزني حصره ، غير أن العادة عند السادة مطلوبة ، والزيادة من السعادة مخطوبة ، ولو قد فسح — أدام الله نعماءه — في المكاتبة والمناوبة ، والمراسلة والمواظبة ، لاستمددت التطول بفضل الإكثار ، ولو كذت الإذكار ببعض الادكار ، ولكنني أقف حيث أمره ورسمه ، وأقتصر على ما يقصرني عليه حكمه ، فإذا صرّفتني على ما أنا نازع إليه من مهماته تصرفت ، وإذا صرّفتني إلى جانب التوقف خدمت بالنية وخففت .

فأما نعمته عليّ في آنف مارسم إلقاءه إليّ ، فنعمة سامية المطلب ، سائغة المشرب ، إذ رأى إشراك في المشورة ، بعد إعلامي جليلة الصورة ، وقد أغنى الله الأمير بعزمه الذي خصته المناجح المنتظمة ، وارتبته الميامن المزدهجة ، عن تجاوز فاتحة الاستخارة ، إلى واسطة الاستشارة ، إلا أنه يزيد بسط أهل ثقته ومشايعته ، بما يؤهلهم له من مشاورته . وقد استمعت من فلان ما أذاه ، وشكرت شرف لفظه وكرم معناه ، وخدمت طاعة الأمير مولاي بقدر ما اتسع له علمي ، واضطلع به فهمي ، والسلام .

٦ - وله جواب تشكر عن متجدد رتبة بمستخلص ومتحمل نعمة

كتابي ، أطل الله بقاء الأمير مولانا<sup>(١)</sup> فيما يرفع الله من قواعد ملكه ، ويظاھر من نفاذ أمره على ما يفوت أقصى النعم ، ويحوز مرعى الهمم ، والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .

(١) يظهر من سياق هذه الرسالة أنه يريد بجولاه هنا ركن الدولة .



ووصل كتاب الأمير على عادته في تأهيل عبده ، لجزيل رِفْدِهِ ، والرفع من قدره وهمته ، بتصرفه على عوارض خدمته ، منبئاً عن استبشاره لما أنعم به مولانا<sup>(١)</sup> على خادمهما أبي العباس<sup>(٢)</sup> أحمد بن إبراهيم ، إيعازاً إلى الكافة ، من عظماء الدولة القاهرة ، وكبراء الكتاب والحاشية ، في استقباله معظمين لمورده ، ومراعين في التخفف لموقعه ، إلى مارآه مولانا — لا زال على الآراء ، مصرفاً أعنة القضاء — من تجليل مقدمه شرف تلقّيه ، وإلباس مدخله كرم تحفيّه ، ومثله لى الأمير من إنهاء مكان ذلك من نفسه ، لا زالت محروسة في ظل الملك والقدرة ، إذ كانت بركة حضرته سبب هذا الجلال وهذه القربة ، فلم أدر بأى مواهب الأمير عندي أثنى وأمدح ، ولا عن أيها أعرب وأفصح ، بأبعثاده إياي لهمه ، أم بما قسم لخادمه ، أبي العباس أحمد من كريم همه ، أم بخطابه هذا الذى قمت بفرضه ، وخدمت في حسن عرضه . وقد قلت في ذلك ما حسن إصفاء مولانا له ، وصادف اهتزازة وتقبّله ، وقال ، حرس الله ملكه ، إن أبا العباس ، أيده الله ، وإن كان تليد خدمتنا ، ووليد نعمتنا ، ومن خُلِّدَتْ له في صحفِ رعايتنا التى لا تجارى إلى أمدّها ، ولا يفتري يومها عن الإشارة إلى غدها ، فإن الذى رسمناه به من ذلك المقام لمقتضى له من فضل التقريب ، وقاض من مزيد الترتيب ، بما يوجب على الأيام ، قاصية الإنعام ، والغاية المتناهية فى الإكرام .

وخادم الأمير مولاي أبو العباس ، لا زال فى كنف استخدامه ، وشرف ذمامه ، منذ ورد ، فأورد فى المجلس العالى من وصف خصائص نعم الله التى سوَّغها الأمير مولاي فاحتل رُبَّأها ، واختط ذراها ، من رأى جميع ، وصدر وسيع ، ومعرفة بالإيراد والإصدار ، وعلم بالمراتب والأقدار ، واشتغال بخصال ، هن درج الكمال ، من حَزَامَةِ ثنى السياسة بها صادقة ، وفروسة كانت الفراسة بها سابقة ، وآداب نفس تحلّيها النحائز الكريمة ، وتستوفىها الغرائز العظيمة ، إلى آداب مكتسبة ، هى تكملة للألباب ، وتبصرة الملوك والأرباب ، وتنشر عن الأميرين ما يقتديان فيه بمولاي طلباً لآماد الاستقلال ، واستكمالاً

عباد فى الوزارة ، وقد خدم فى دواوين البويهيين حتى وصل إلى هذه الرتبة .

(١) فى الأصل : مولانا ، ولعله يقصد عضد الدولة ومؤيد الدولة .

(٢) هو أبو العباس الضبي ، خليفة الصاحب بن



لحظوظ النجاة والإقبال . وأنا أحمد الله على مايسره ، وأشكر له على ما قدره ، وأسأله أن يرى مولانا ، أعز الله رايته ، في الأمير مولاي والأميرين ما تخطبه همته الواطئة أخادع النجم ، السامية عن منازع الدهر ، وكنفه ، حرس الله ملكه ، عليهم ممتد ، وأزرهم بجميل رأيه مشدد ، فإن رأى أن يُصرِّف عبده من أمره ونهيه ، على ما يقف عنده ، فعل ، إن شاء الله .

## ٧ - وله تشكر وتودد

كتابي — أطال الله بقاء الأمير صاحب الجيش — وأحوالُ حضرة مولانا الملك منتظمة انتظام نعم الله عنده ، ومواقعُ آرائه مسعودة كما أسعد الله جدّه ، ومواهبُ الله لمولانا الأمير المؤيد متضمنة من العز أمنعه ، ومن الخير أوسعها ، والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على النبي محمد وآله أجمعين .

ووصل كتاب الأمير في تأهيل عبده ، لجزيل رفده ، والرفع من قدره وهمته ، بتصريفه على عوارض خدمته ، فلا تُنى من منائح ما يرجع العُدُّ دون تقصيه<sup>(١)</sup> وأحصائه ، وأولاني من فواضله ما يقصّر الحق قبل حقه وقضائه ، وبشر من استجابة أمور حضرة ، لقضايا إرادته ، بما أنجز وعد الله تعالى في إدامة سعادته وزيادته ، ورغبت بأحب الوسائل لديه ، في إطالة بقاء الأمير لمكارم يُشيدّها ويعمرّها ، وعوارف يحدّدها ويمهّدها ، وسألت لنفسى التوفيق في فروض مولاته ومشايعته ، لأبشرها باستنفاد الطاقة ، واستغراق الوسع ، وتجريد النية ، وإخلاء الذرع ، والمسئول قريب مجيب .

وانتهيت إلى الفصل بذكر فلان في مورده ومنصرفه ، وما قصده الأمير في إنفاذه ، وأنهاء في عوده إلى مركزه ، واستكثره — أدام الله عزه — من الإكرام الموجب له في وصوله ، وعند رجوعه . والأمير بما آناه الله من الطبائع المتناهية في الكرم والسجاجة ، والأخلاق المستوفية للعظم والساحة ، يعتمد لكبير ما يوليه فيصغره ، وصغير ما يتوخى رضاه فيه فيكبره ،

(١) في الأصل : تقصيه .



فَعَلَ مِنْ يَمْلِكِ الْقُلُوبَ بِفَضْلِهِ ، وَيَعْمَرُ الصُّدُورَ بِوَدِّهِ ، وَيَسْتَوْقِفُ الْأَلْسِنَةَ عَلَى شُكْرِهِ ، وَيَشْغُلُ الْأَقْوَالَ بِحَمْدِهِ .

وقد عرض ما ورد ، ووجدت مولانا يستغنى من استيفائه ، للبر المسرف في أثنائه ، قال :  
إن ذلك الغلام صدر ، والاستقصار لما أُتِيَ في بابه يوجب تذمماً ، ويقتضى تندماً ، لولا أن  
التعويل واقع على ارتفاع العمل عند المشاركة السابقة ، وأطراح التصنع مع المخالصة الصادقة .  
وأما الذي خصني به الأمير من نتائج الفضل ، في هذا الفصل ، فمنظوم إلى أياديهِ التي  
توفرت علىّ حتى غمرت ، وتوالت إلىّ حتى عالت ، فأنا رفيق شكرها ، ورهين منّا ، أثني  
عليها ما التأم <sup>(١)</sup> الأمل ، وأشكر عنها ما أّخر الأجل ، غير شاكّ في أني لا أبلغ الأمد المقصود ،  
ولا أطبّق <sup>(٢)</sup> الغرض المطلوب ، ولكن لكل عامل قدر اجتهاده ، ومزية عزمه واعتقاده ،  
حرس الله على الدنيا نضرتها وجدتها ، وعلى الخلائق عدتها وعمدتها ، بإطالة بقاء الأمير وإدامة  
نصره ، ومواصلة أيامه وإنفاذ أمره .

## ٨ - ولله

كتابي — أطل الله بقاء الأمير — غرة شهر رمضان ، جعل الله أيامه غُرّاً ، وأعوامه  
زهراً ، وأوقاته أسعاداً وساعاته أعياداً ، وآتاه في هذا الشهر الكريم مورده ومآتاه ،  
أفضل ما قسم فيه لمن تقبل أعماله ، فبلغه آماله ، فأصلح به وعلى يديه ، فحرس الله منامحه  
ومناجحه لديه . وأنباء الحضرة العالية واردة بما يظاهر الله للملك من نعم تحرس حريم الخلافة ،  
وتعود بفضلها على الكافة ، ومولانا الأمير بين تفضّل من الله يديمه ، وحق من مصالح الدين  
والدنيا يقيمها ، والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على النبي محمد وآله أجمعين .

ووصل كتاب الأمير قد ابتدأني فيه من سابغ آلائه ، وفائض بره واقتضائه <sup>(٣)</sup> ، بما لو وقفه  
مقسوماً بين أم لوسعهم فضله ، وأثقلهم حمله ، وألجأهم إلى الإقرار بالعجز عن بلوغ قدره ،  
والاضطلاع لشكره ، عند ترافد قواهم وقدرهم ، واجتماع أولهم مع آخرهم ، فابتدأت بالحمد لله

(٣) في الأصل : واقتضائه .

(١) في الأصل هكذا : مالماسم .

(٢) أطبّق : أصيب .



عُدَّة الشاكرين وعمدتهم ، ومفرغهم في رخائهم وشدتهم ، وسألته أن يطيل بقاء الأمير الجليل كما جعله للإسلام عماداً ، وللشغور سِداداً ، وللملك يداً بأسطة قابضة ، وللدين عيناً حارسة حافظة ، ليعمل الدهور وأمره ممثل ، ورسمه متقبل ، وعزله مؤثّل

ولما استتمت قراءة ما شرفني بإصداره ، ووقفني على شكر إفضاله به وإيثاره ، أدّى إلى فلان ما تحمل عن الأمير من رسالته التي ملكني بها ملكاً مجدداً ، واسترقني معها استرقاقاً مؤبداً ، فخرت بين مفاخر تفرع النجم ، وفواضل تكثر القطر ، ولم أدر أتمكن من رأيه الشريف أسامى وأفخر ، أم بموضعي من إشفاقه الكريم أباهى وأكثر ، أم أشتغل بما أهلى له من أوصاف هي مستقاة من سعادة ملاحظته ، ومستملاة من زيادة محافظته ، وإذا كان الله تعالى قد نصب الأمير<sup>(١)</sup> علم حق ، وجعله لسان صدق ، وألبسه المجد قشيباً لا ينهج ، وآتاه الكمال وافية لا يندج ، فلا عجب أن أفاض على بحراهما ، وساق إلى سحب إنعامه ، كما أودع ، تعالى ، قلبي من الإخلاص لأيامه ، بقدر ما بسط من لسان في الثناء على زمانه . هذا واعترافي بالعجز عن فرضه ، وانصرافي إلى التسليم لطوله ومنته ، يُعزبان عنى بيان يقول متى سكت ، وينوب متى أمسكت ؛ وقد حضر فلان مجلس مولانا ، فصادف مأوصله ، ثم ما تحمله ، اعتداداً<sup>(٢)</sup> اتسعت منافذه ومناجحه ، وكثرت بواعثه ونتائجه ، لا زال هذا الحبل موصولاً ، وزاد الله النعمة فيه سُبوغاً وشمولاً ، وهو صادر في غد بإذن الله ، وسائر في كنف الكرامة بعون الله .

## ٩ — وله تشكر وتحدث بالنعيم

كتابي — أطال الله بقاء الأمير — ومواد البسطة والقدرة للملك السيد راهنة ، والدنيا لعالي رأيه دائنة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد وآله أجمعين .  
ووصل كتاب الأمير قد ألبس به عبده من حسن رائه ، بكرم ابتدائه ، ثوبا من العز لا يبليه الدهر ، ولا ينحسر عنه الفخر ، فكان المفرغ إلى الدعاء ، شيمة مُخلص الصنائع والأولياء ؛ وقد قرعت باب السماء منه بما الله ولي استجابته ، والإجراء فيه على حسن عادته ، وما آخر كتابي عن حضرة الأمير تقصير — بالله العياذ منه — في خدمته ، ولا ذهاب عما

(٢) في الأصل : اعتذارا .

(١) في الأصل : للأمر .



لى من الشرف بإجابته ، إلا أنى خدمته — أدام الله علاه — خدمتى لمولانا ، فكتبى لا ترد مجلسه الشريف إلا إذا بسطت لها ، وكانت أجوبة لمهمات أستخدم فيها ، وإذ قد رآنى سيدنا أهلا لأدعى الحالين إلى التخصص ، وأبعدهما عن التقبض ، فسأ كتب متشرفا وأنتظر الجمال بالجواب مستشرفا بإذن الله .

فأما إنعام مولانا على عبده ، وصنيع يده ، واستقباله بنفسه والدنيا تسير بسيره ، وخدود النجم مع سنايك خيسله ، وتلقيه إياه بوزراء بابيه وأمرء أجناده ، وعظماء قواده ، متصرفين مع الإعظام ، ومتحفين فى اللقاء والسلام ، ثم [ما<sup>(١)</sup>] رتبني به فى دخولى إلى الدار العمورة بالعز ، وحضورى المجلس المحفوف بالملك ، والتبليغنى إلى رتبة لم يقسمها — حرس الله ملكه — لأحد ممن غشى بابيه المأمول من أطراف الأرض ، وأعيان الشرق والغرب ، واستجلاسى بحضرته التى يقف بها القمران ، على النواصى والهام ، إلى ضروب من الإنعام ، أستعظم — والله — وصفها ، وإن كانت الأخبار قد سارت على متون الرياح بها ، فهو ما لا يرحب به إلا صدر من عضد الله دينه بعزته<sup>(٢)</sup> ، وجعله تاج ملته ، وحكم بأن يملك الأقاليم بلا استثناء ، وتخدمه ملوكها بتظامن واستخذاء .

ولولا أن سيدنا يأنس لعبده بمارفع من ضبغه ، وبسط من يده ، إذ كانت النعمة من عند مولانا صذرُها ، وبغناية الأمير المؤيد توفرها ، وببركة سيدنا تيسرها ، وعند أعرق الخدم فى الدولة القاهرة تقررها ، لسكان فى الشرح إخلال بأدب الخدمة ، وإسراف مع مُعتقد الحشمة ، والله يطيل بقاء مولانا مصرفا الدنيا بخذافيرها ، ومستعليا على تقريرها وتديرها ، ويواصل أيام الأمير المؤيد للملك وحراسته ، والزمان وسياسته ، ويديم فى ظلهما لسيدنا المواهب المنسوقة ، والمراتب المرموقة ، ويوفق عبدهم حفظ حمله بشكر يديمه ، وفرض للطاعة يقيمه ، إنه فعال لما يشاء .

## ١٠ — وله تشكر وإطراء

كتابى — أطل الله بقاء مولاي صاحب الجيش — وما يمهده الله لمولانا الملك السيد من

عضد الدولة له ، وقد مر ذكر ذلك فى ص ١٦٣

(١) زيادة يقتضها السياق .

(٢) يشير فى هذه الرسالة إلى استقبال



مراتب العز والمجد ، وقواعد العلو والملك ، مهني ماقد أناني الله من منحه ، وملائي من نعمه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله أجمعين .

ووصل كتاب صاحب الجيش قد أجرى فيه من البر إلى ما يقصر الوصف عن تقصيه ، ويتقاعد الشكر عن المفروض فيه ، وأنبا خطابه من خبر سلامته عما أجده من أخص مواهب الله وأكرمها ، وأجل رغائبه وأعظمها ، لا زالت يد الله حامية عراضه وجنباته ، وعين الله كاللثة أقطاره وجهاته ، إن الله تعالى كريم .

ووجدت صاحب الجيش قد كتب من تقرّظ فلان وإحماده ، وحسن تخفّفه ببابه ، وبين يدي زكابه ، ما أطاع فيه شرف الشيم ، وأرسل به عنان الإحسان والكرم ، وكل غاية يبلغها خادم ، وإن اكتنفه السداد ، ولم يقعد به جد واجتهاد ، تصغر عن أن يعيرها صاحب الجيش فكره ، فضلا عن أن يتجشم لها ذكره ، ولكنه — أدام الله عزه — لا يفتن في مآثره ، ترفع لم تحرم بها عمادها ، وتعلّى لم تخادم لها نجادها ، إلا بآياله منها أكثر مما يغلو فيه التماسه وتمنيه ، ويرقى إليه اقتراحه وترجييه . وحالة أخرى أن صاحب الجيش يرمق جميع ما يصدر ومن يصدر عن حضرتي بعين مودة قد وفر الله على موادّها وقوّاها ، وأحصد لى مرأثرها وعزّها ، فهي إن رأت يسيرا أكثرته ، وإن شاهدت دميما سترته ، والله يديم لى ما سوّ غنى من حسن عهده الذي تزيده الأيام خلوص عقائد ، وصفاء موارد .

وكان كتاب فلان ورد بما ألبسه صاحب الجيش من أثواب التقريب والإكرام ، ثم التحويل والإنعام ، وشرح ضروبا من ذلك أجد تكريرها ذهابا مع التصنيع ، وقد أغنى الله عن تعاطيه ، وقضى بترك الإفاضة فيه . ومن استبذعت مكارمه ، واستغربت محامده ، فصاحب الجيش مألوف الحمد ، معهود المناقب ، لتظاهرها وتواليها ، مُعوّد النفوس اتصال أعجازها بهوادياها ، لا زال كذلك .



## الباب الثالث عشر

في الاستزادة والتقريع وما يجري مجرى ذلك

### ١ - كتاب تقريع وإنذار

كتابي ومولانا متظاهرا أسباب السعادة والسلطان ، وعلو الشأن وسمو المكان ، وأنا بدولته سالم ، والحمد لله رب العالمين .

وكان كتابك ورد مع صاحبك فعرفت ما أوردت ، وتمثلت ما سردت ، وأنهيت من عَرْضِهِ إلى المجلس — حرسه الله — ما ظننته يعود بصلاح حالك ، ويُفَسِّح بعض الطرق إلى آمالك ، ولكنك شديد التسرع إلى ما لا تؤمن غائلته ، وكثير التقدم إلى ما لا تحمد خاتمته ، ولا بد من أن أصدقك ، ثم أقضى — من بعد — حقك ، وأعرفك موضع ذلك ، ثم أبتدى<sup>(١)</sup> لتقريب أمك . قد علمت أنك قدمت قديما — في مبدأ ورودنا ، وبعد ذاك — هنات ، واغتررت في حالات ، ولو أُوجبت دواعي التوفيق ، واجتمع مع الصواب في طريق ، لعمرت مكانك بالحضرة التي منها اصطناعك ، وغنها إقطاعك ، وفيها سعد أبوك ، رحمه الله ، ثم قدمت أنت ، أيدك الله ، وحين تباعدت عُذت على وجه لم يخف منه ما حسبته عندنا مستورا ، ولم ينكتم دوننا ما ظننته عنا مكتوما ، وقد جرى بموضع كذا ما جرى مرارا ، وقدمت على غير ذلك تحكما بالحلم واغترارا ، وتقدمت إلى غيرها فَأَنْظَرْتُ ، والآن فلا إنظار بعد الإنذار ، ولا اعتذار مع الإعذار .

وقد رسم مولاي بعد الضجر بما أُنهى من سوء معاملتك في تلك الضياع والبقاع التي لم ترسم بها ، ولم يُجْعَل لك يد في توسطها ، إخراج فلان إليك ، وتحميله ما يورده صريحا عليك ، فإن تكن من أبناء الخدمة الذين يعرفون لوازمها ، وقيمون فرائضها ، نالك من الإحسان ما السعادة بمثله جارية ، في كل نقى الطوية ، سليم النية ، ولحقك على الأيام ، من مزيد الإنعام ، ما يشرح الصدر ، ويرفع القدر . وإن قدرت أن المقارة تقع على ما أنت

(١) في الأصل : ابتدأت .



بسبيله ، فما أبعد من تقدير ، وأضله من تدبير ، وأنت حينئذ الجاني على نفسه ، الحيل لصورته وحقه ، فقرر مع فلان ما قد اعتمد لتقريره ، فقد أوعز وأذن لي في جميعه ، واعمل بالأمثلة التي رسمت ، وابن على الأمور التي قدرت ، وكاتبني بما يعين على صورتك ، فإن الرغبة في اصطناعك بعثت على الإنباه لما رقدت ، والإذكار لما غفلت ، والله ولي التوفيق ، وصلى الله على النبي محمد وآله أجمعين .

## ٢ — وله في تحذير العامة من الخوض في الأراجيف

إن الله تعالى مع عظيم حكمته ، وفسيح رحمته ، واستغناؤه عن الأمم ماضيها وبقاياها ، واستعلائه على الخلائق طائعه وعاصيها ، جعل لمواهبه فروضا من الشكر ، من أقامها وعظم مشعرها ومقامها ، ارتبطها عليه ، وثبتها<sup>(١)</sup> لديه ؛ ومن أساء جوارها راكبا هواه ، وأخفى منارها ناكبا عن منحاه ، ارتجعها منه ، وانتزعها عنه ، وتركه مُثَلَّةً للناظرين ، وعبرة للغابرين ؛ بذلك جرت سنته في الأولين ، وتقدمت معذرتة إلى الآخرين ، ولنا في الأخذ بأدب الله عذر لا يعتلّ ، وجدّد لا يخلّ ، وقوة لا تميل ، وأسوة لا تستميل ، والله الكافل لنا بأسدّ الضرائب وأحدها ، والمسبّل لأرشد المذاهب وأسعدها ، له المنة ، وبه الحول والقوة .

وإذا تصفح أهل أصبهان ما فاض عليهم من بركات أيامنا ، وانصب إليهم من ثمرات إنعامنا ، وكثر من خيراتهم في ظل سلطانتنا ، وتوفر من سعاداتهم في كنف إحساننا ، حتى عاد الرمل غنيا مستظهرا ، والمقوى موسراً مكثراً ، والمستتر المخفي لشخصه مباهيا بحاله ، والمنقبض المكاتم لنفسه مساميا بجماله ، ومن كانت السلامة معظم مناه ، والأمن غاية ما يسمو إليه مداه ، تشير إليه الأصابع وتنعطف عليه ، وتَفَيَّأُ أفناء الناس أفنية الخصب والدعة ، بعد البؤس والمترية<sup>(٢)</sup> ، ونفسحوا في ضروب اللذات ، بعد التشحط في حصول الأقوات<sup>(٣)</sup> ، هذا إلى ما تعمدنا به صنفا صنفا من فضل امتد بابه ، ونظر اتسعت رباغه ، وتسويغ كبر قدره ، وتخويل فرض شكره — علموا ، إن لم تكن البصائر مستعجمة ، والأبصار مظلمة ، والأفهام كليلة ، والألباب عليلة ، أن أحدا من الولاة عليهم في قديم الدهر

(١) في الأصل : وثبتها .

(٢) في الأصل : المترية .

(٣) في الأصل : الأوقات .



وحديثه ، وتليد الزمان وطريقه ، لم ينحلهم يسيرا من عظيم ما أسبغناه ، ولم ينحل لهم عن قليل من كثير ما سَوَّغناه ، ولم تخف مؤن خلفائه وخدمه ، ووطأة أوليائه وحشمه ، الخفة التي نصبناها وربتناها قَبْلَه ، فيمن يصرفهم عنا ويدبرهم ، ويوردهم عنا ويصدرهم ، ويزاهمهم — أحسن الله هداهم — يتحسكون بما يعيد بوارق الإحسان صواعق الانتقام ، وقوة البصيرة في الإنعام ، صدق غزيرة في الاصطلام ، وبالله العياذ من أن تخف الأحلام ، ويُؤْخَذَ بالنواصي والأقدام .

وعُرِضَتْ — أدام الله عزك — كتب حُكِي فيها إيضاح<sup>(١)</sup> جمهور الرعية لديكم ، في أراجيف لا يشجع صدر الزمان ، بتفضل الله ، على تصديقها ، ولا تُقَدِّمُ أفكار الأيام ، بإسعاد الله جَدْنَا ، على تحقيقها ، من غير عذرٍ بَعَثَ ذلك وأوجبها ، ولا داعٍ طَرَّقَ إليه وسببه ، غير سوء البطر والأشر ، وقلة التمييز والنظر ، والتمرس بالنقم السود ، والتعرض للتحفت المرصود ، وأن يَخْتَلِقَ بعضٌ فيصدق آخرون ، ويأفك زيد فيتبعه زيدون ، ويتلوهم الجميع في إشاعة الحديث غير باحثين عن منبعه ، ولا فاحصين عن مطلقه ، فلم ندر علام<sup>(٢)</sup> أمورهم ، وبماذا نقابل جمهورهم ، والعراض — والله الحمد — ساكنة ، والنواحي آمنة ، والميامن راهنة ، والولاية دانية . ألم يعلموا أن الله العلي شانه ، القوى سلطانه<sup>(٣)</sup> ، النافذ حكمه ، الماضى حتمه ، الذى يورث من يشاء ما يشاء ، قد ذلل لمولانا ولنا فى إذرء<sup>(٤)</sup> سلطانه ، وبعلاء شانه ، الأرض تهاثها ونجودها ، وحدورها وصعودها ، وسهلها ووعرها ، وبرها وبحرها ، وعراقها وشاماتها ، وأطرافها وعمرصاتها ، وسهولها<sup>(٥)</sup> وجبالها ، وموسوماتها وأغفلها ، وضرب على كل منحرف عن دعوتنا ، ومنصرف عن طاعتنا ، بالهلك والقلة ، والخيْنُ والذلة ، فمن مُعَجَّلٍ إلى سواء الجحيم ، ومن مقيم على العذاب الأليم ، وذلك حين علم علام الغيوب أن سياستنا أرفق ، وحضارنا أسبق ، وباعنا أوسع ، وخيرنا أجمع ، والحق على أيدينا أعز نفيرا ، وأحوط منبرا وسريرا ، وأرحب نطاقا ومجالا ، وأكرم أنصارا ورجالا ، وذلك بفضل الذى يؤتية من يريد ، وهو الحكيم الجيد ، فأية فسحة لإرجاف ملاقيح الفتن ، ومفاتيح الظلم ، وقد أيد

(١) فى الأصل : إيضاح .

(٣) فى الأصل : لسلطانه .

(٢) هكذا فى الأصل ، ويتضح معنى العبارة (٤) لإذرء : إعلاء ، من الذروة .

(٥) فى الأصل : وسولها .

بإضافة كلمة ندير أو نحوها



الله ونصر، ومهد وأقدر، ورفع الشعار وأعلن، وفتح الأمصار ومكن، فلاعدو يخطر بباله غير الاستخذاء، ويعتلج في صدره سوى الارعواء.

ولولا أن الله ألبسنا الحلم والرحمة، ما نفعنا ولم يُغريا، ونجعا ولم يغويا، لكان فيما أضب عليه القوم من هذه الأراجيف، ما يُرْجف عليهم ديارهم، ويضعق قلوبهم، ويُزهق أبصارهم ويعقبهم من الإنكار، ما أفلّه يُسعر جمرات التقويم ويلهبها، ويؤرث نيران التثيف ويثقبها، أو ما درى الأغفال الجهال أن امرأ من أطراف الملك لو استزله الشيطان، فالتوى في الطاعة، وانزوى عن الجماعة، لذرت الرّيح واختطفته، وبحقته الخفاة ونسفته، فلم نحتج بعون الله إلى تجشم حربه، ولم نحتسكه بغير أعوانه وحزبه، بل كانت الأقدار كافية في القضاء عليه، وسوق الفناء إليه. وهذه معذرة قد قدمت، ونُدُر قد أبرمت، فمن عاد فيما أنكر، وفاه بما حظر، فعليه وزر ما يناله. وإثم ما يعتاله، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له، وما لهم من دونه من وال. فرأيك في إشاعة هذا الإنذار، ليصير مأدبة للكافر، وحافظا عادتنا في الرحمة والرأفة، قبل أن تضطر فريضة السيامة إلى ما تصلاه العامة مع الخاصة — موفّقاً.

### ٣ — وله في زجر السفهاء من العوام وإنذارهم بعد تعدد النعم عليهم

أنت، أدام الله عزك، تعلم أن إحسان السلطان، إذا امتدت ظلاله، وشاع اتصاله، وكثرت أعداده، وتوالت أمداده، فصادف نفوساً شاكراً، وألسنة ناشرة، وقلوباً عارفة بحق الإنعام، وصندوقاً منشحة بفرض الإكرام، نمت على الأيام وتظاهر، وتوالى على الزمان وتناصر، وإذا أغرى بالاجترأ على ما يُحظر، والإقدام على ما يُنكر، وصار داعية الجحود، ومؤذناً بسوء الغموط، لم يلبث أن يُرتجع، ولم يمكث أن يُنتزع، وصار عارية استردت حين قلت في ممر الخيانة، لا عارفة خلدت وأنست في مقر الصيانة.

ولئن كانت نعم مولانا على الرعايا مبسوطة لا تُقبَض، وفائضة لا تُحبَس، وسابغة لا تُقصر، ومبرمة لا تُنقض، إن الذي قسم منها لأهل قم<sup>(١)</sup>، لأفسح مذاهب ومشارع، وأوسع مشارب ومناح، وأمنع جوانب ومسارح، فقد جمع لهم بين الإنصاف الموفور، والنظر

(١) مدينة فارسية كبيرة بين أصبهان وطهران، إلى الجنوب على طريق أصبهان.



المبدول ، وأُغيت فيهم أقوال المتنصحين ، وترك تتبع ما يرفع عليهم من الاستدراك العظيم ، ثم أريحوا من كان يطمع في أملاكمهم ، ويحرص على احتناكمهم ، ويتبسط عليهم صارفاً ومصرفاً ، ويستنزهم عن معاشهم والياً ومعزولاً ، ورُدَّ النظر في أمرهم إليكم مع ظلفكم عن الطمَّ التي كانت تُسِف وجوه الضمء والعمال ، وأكابر المتولين لتلك الأعمال . وسمحتُ لك في البعد عن حضرتي رفقاً بهم ، ونظراً لهم ، فهل من حق هذه المواهب البيض ، وهذا الإحسان المستفيض ، بلوغ الجرأة بأراذل المحترفة وأذئاب السفلة ، إلى أن يرد فلان الحاجب البلد مجتازاً ، وقد ضُمَّ إليه أكابر القواد وجوه الغلمان والخواص ، فَيَتَوَثَّب على غلمانهم ، ويُقدِّم على أصحابه ، ولا يُقنَّع بذلك حتى يكون منهم اجتماع وتناصر ، وانفاق وتنافر ، وإجراء إلى ما يقيح ذكره ، ويعظم نشره .

ولولا أنى رغبت إلى مولانا في إقالتهم هذه الدفعة ، لتقوم الحجة بالردع ، ويُفَرط الإنذار بالزجر ، لخرج فيهم من نافذ الأمر ما يقيم الميل ، ويُعرِّف الصراط المستقيم ، ويُنسى التناوى الذى قد صار شعار كثير من أهل تلك الديار . غير أنى جعلت الوسيلة في استعطاف رأى مولانا — لا زال عالياً — ما رَهَن من مواصله لديهم ، وسبق من منأحه إليهم ، وشفعت في أن تُحمى تلك المن عن كدر يعترض صفوها ، وتنغيص يجهد عفوها ، فأجرانى — حرس الله أيامه — على عادة الإيجاب ، بعد إلحاحى فى المسألة والارتقاب ؛ إذ كان مولانا — حفظ الله على الدنيا ظله ، وهناً أهلها عدله — كما ينظر ويحسن ، ويُفضل ويُنعم ، فكذلك يوقِّف ويثقف ، ويعاقب ويهذب ، أخذاً بأدب الله تعالى فى الحالين : إنعاماً وانتقاماً ، وإفضالاً واصطلاماً .

وبذلك البلد — والله الحمد — من سادتى الأشراف ومشايخى من أهل العلم والتهامى<sup>(١)</sup> من قد صانه الله عن هذه المداخل الذميمة ، والمواقف المليمة ، وإنما العتب عليهم إذ لم يأخذوا على أيدى السفهاء ، ولم يزجروا ما بينهم من الأدنياء ، ولم تَحُلْ — أدام الله عزك — من عتب واستزادة ، حين لم توعز فى تقويم الجناة ، وعرضهم على النقمت ، نهياً لأمثالهم ، عن التشبه بأفعالهم ، وقد اعتذرت عنك بما كاد ينقبض ، حتى تأتيت لبسطه ، واعتليت



بالكشف عن وجهه ، فاعرض كتابي على الجماعة ، لينتبه راقدها ، ويتقوّم مأندها ، ويفرق ذاهلها ، ويتقف مائلها ، فلئن بدرت من بُعد جناية ، لتفحشّن النكاية ، ولئن اقترفت جريمة ، لتصدّرّن العظيمة ، والله وليّ التوفيق والتسديد ، إنه خير مبدئٍ ومعيد .

#### ٤ - وله في إنذار وتحذير من حل وثاق مأسورين

من أهل العبث والفساد

كتابي ونعم الله عند مولانا مشفوعة بتظاهر العز والعلو ، ورفع الوليّ وكبت العدو ، وأنا في ظله الظليل ، ورأيه الجميل ، مكثوف بالعافية ، وصلواته على محمد وآله أجمعين .  
وصلت لك كتب ووقفت على مودّعها ، وعرضت ماوجب عرضه في المجلس العالي منها ، وكان من أحسنها موقعاً ، وأحدها مطالعاً ، وأطيبها خبراً ، وأجلها أثراً ، قبضك على هؤلاء النفوس الذين ارتضعوا درّ الفساد ، وكانوا السبب في جرأة سائر الأكراد . ورسمت في كل وقت لفلان مكاتبتك بما تعلم أنه صادر عن لفظي ، ونافذ عن اهتمام صادق مني ، واحتيج الآن إلى مكاتبتك في باب هو من مراعاة مولانا ببال ، ومن ملاحظته بعيان ، وقد وكّد - أعز الله نصره - على القول في مكاتبتك مطيلاً ، وعظمتك كثيراً ، وأن أتبع الأمر وعيداً ، والنهي تحذيراً .

هؤلاء القوم ، الذين قبضت عليهم ، باعتقالهم قل الفساد بعد كثرتهم ، وخف الشر بعد شدته ، ودخلت قلوب أمثالهم هيبة ضمّت أطرافهم ، وحسّمت أطباعهم ، وقد حظر مولانا عليك الفكر في إطلاقهم ، وحل وثاقهم ، والاشتغال بأخذ الرهائن - وإن كانت أرواحهم - منهم ، فإنك إن فعلت ذلك ، فقد قت - والعياذ بالله - مقام من عرفه وليّ نعمته ، ومالك مهجته ، ما يؤثره ، فعدل إلى إثارة نفسه ، وأخلّ بما نفذ من على أمره .

وأقول مع هذا : متى أفرجت عن واحد من هذه الجماعة فقد أوحشتني ، وتذمّمت إلى وقابلت ظني فيك بما لا تستحقه عنايتي عليك ، وأنا عالم أن هذا الخطاب أو بعضه لو كان في معنى أولادك لما أخرت الارتسام ، ولا أجّلت الامتثال ، فليأتني منك في جواب هذا الكتاب ما أعرضه في المجلس مصادفاً للإجماع الكثير ، والموضع اللطيف . وفلان لا بأس



إن ورد الحضرة البهية ليؤدى عنك فى وروده ، وإليك فى رجوعه ، فهانها مهمات شرحها لك يشرح صدرك ، ويسط أملك . وهذا فصل يشرحه فلان ، فراعنى بكتبك وأخبارك إن شاء الله .

## ٥ - ولله

كتابى - أيها الحكيم سيدى ! - كتاب عاتب عليك ، شاك منك إليك ، فإنك ضعيف العقيدة والعقده ، قصير المدة فى حفظ المودة ، قليل الفكر فى حالتى صلتك وهجرانك ، خفيف الذكر لطبقتى أكايرك وإخوانك ، إذا رجيت بالكسل يومك ، لم<sup>(١)</sup> تعرج على من يطيل لومك ، وإذا<sup>(٢)</sup> أدرجت بالملل وقتك ، لم تلتفت إلى ما يطيل مقتك .  
ولولا شغلى الذى قد أجارك من عتب لا السيف يبلغ حدّه ، ولا السنن يسدّ مسدّه ، لو هبت لك ساعة من نهارى ، فتعلم كيف أقصّ بسوء عهدك ، وأترك سيرتك عظة من بعدك ، ولكن ما فعل ووقتي منسوب بأيدي الأعمال ، وزمانى مأخوذ بين الحل والترحال ، أستجيز أن يتألم مولانا - أدام الله ملكه ، وقدم العالم قبله فدية له - فتطوى عنى خبره حتى أتبلد فى أمرى ، وأتبرّم بعمرى ، وأكاد أخالف معتقدى ، وأجنى على نفسى بيدي ، ثم يمين الله تعالى بعافيته ، أدامها الله ما عرف الدوام ، وتعاقبت الليالى والأيام ، فلا تكون آخر الخبيرين إذا لم تكن أول المبشرين .

إنك لجامى الطبع ، قاسى القلب ، دميم المسعاة ، قليل المراعاة ، فبالله لقد مضت بى فى تلك الأيام ساعات كانت الأمنية فيها طروق المنية ، لثلا يقرع سمعى أن الشكاة انتهت بولى نعمتى ، ومالك مهجتي ، إلى ذلك الحد ، وجسمه ، وقاه الله بى ثم بالناس جميعاً ، دُفِعَ إلى ذلك الأمد المشدد ، والحمد لله الذى كشف البلوى ، وأسبغ النعمى .

فأما حديث أبى العباس فكيف ألومك عليه ، وأشكوك فيه ، إذ كنت قد استعجزت التقصير فى الأهم من خبر مولانا - أطال الله بقاءه ، وجعل كافتنا وقاه - وهل يلام تارك الفرض على تأخير النفل ، والمماطل بالحق على التضجيع فى الفضل ، وأنا أوئل أن يكون انتقاله عن الهوى الجانى على نفسه ، سبباً لصحته وانحسار السقم بإذن الله .

(٢) فى الاصل : فإذا .

(١) فى الأصل : علم .



لعلك تحسبني يا أبا الحسن قلت فاشتفيت ، وأطلت فاكنتيت ، كلا ! فقد حملتني من جفائك كلاً لم أحسبه ، وقسمت لي من ضعف وفائك حظاً لم أرتقبه ، والظن يخطئ مرة ويصيب ، والتوفيق يحضر ويغيب ، وسنلتقي فأقول وتسمع ، وأصول بالعتب فتشجع ، أو أجرى على رسمي في احتمالك ، وأعمل حلمي في مقابلة إهمالك ؛ إن شاء الله .

## ٦ - واه

قد نجم — أطل الله بقاء سيدي — بأصهار من الإرجاف مالا سبب يقتضيه ، ولا غرض يستوجبه ويستدعيه ، إلا كفران النعمة ، والتمرس بعدوان الدولة ، وبالله العياذ من الأخذ بالسمع والأبصار ، من سوء البصائر والأفكار .

وقد كان الإنذار سبق في بعض السنين بما حسبناه ينبه القوم من سنتهم ، ويأخذهم عن دميم سنتهم ، وبلغني الآن ما إن لم يتلاف أشفقت على أتباع الجهل من عدوة تركهم بالعدوة القصوى ، وتعرضهم للتي هي أشنع وأخزى . وأطلت سيدي على ما أنهى وحكي ، ليكون من وراء التدارك لما جني ورقي ، فقد تخوض العوام في الإرجاف إذا وقع نكرفي طرف من الأطراف ، فأما إذا كان النصر — بتفضل الله — عزيزاً مبنياً ، والحبل حصيفاً متيناً ، والملك باسطاً ذراعيه يميناً وشمالاً ، ضارباً رواقه <sup>(١)</sup> سهولاً وجبالاً ، فما الفكر في توليد الأباطيل إلا التحكك بالثوب السود ، والتحقق بسوء في الغموط والجحود .

ومولاي ينكر ما أنكرته بما يعم ويخص ، ويثلم ويمس ، فإن يكن في القول مقنع ، وفي العتب مرهق ، وإلا فليوغر بإذكاء العيون ونصب الآذان ، على من يفوه بينيات الجهل ، ويستوخم جوار الإحسان ، فإذا ظفر بالواحد منهم أنهكه عقوبة ، وجعل للسياط في ظهره مشارع مورودة ، كيلا يفشو الشر ، فيصلي بنار الغواة البراء الذين طريقهم الاستقامة ، وبقيتهم السلامة ، إذ كان غير محتمل أن تكون الري <sup>(٢)</sup> ، وهي دار المملكة ، ومقر الدعوة ،

(١) في الاصل : واقبه . وأطلها معروفة اليوم على مقربة من طهران ،

والنسبة إليها رازي .

(٢) مدينة كان لها شأن في العصور الإسلامية ،



ومجمع الراعى والرعية ، لا تُسمع فيها كلمة عوراء ، ولا تحبىط على السنة عوامها عشواء . وأهل أصبهان وهم فى حجرة من الأرض تتناوب عليهم شمس الإنعام وقر العدل ، ثم يلفظ أحدهم بالعظيمة فيما لا يعلم ، ويهيمز بما يُسلم صاحبه فلا يسلم . جعلنا الله ممن لا يحيل بوارق الخير بوائق بقلة شكره ، ولا يعيد عوارض الأمن صواعق بكفرانه وكفره ، والسلام .

#### ٧ — وله إنكار على عامل ظهر منه تقصير

قد علمت أنك قصرت فى عدة أبواب وأهملت وضيعت ، وإنى أول ورودك تلك الناحية عرفت أنك أن القوم يستلينون عريكتك ، وسبيلك أن تشدد عليهم لئلا تتوى الحقوق . فأغفلت حتى تجرأ القوم ؛ وكان من بنى فلان ما كان من كسر الحبس ، وخرق الهيبة ، ومنع السوق من الجلوس ، فرسِم فى أمرهم ما رسم ، واحتيج إلى عزل فلان ، وحبس الجميع .

ولما ورد فلان اعتذر لك بما تقصّر عن الاعتذار بمثله ، واستعداد لك من الإيجاب ما بعد أن تجاب إليه ، فارفع طرفك ، وتلاف أورك ، وقدم على كل أمر رفّع حسابك ، ليُعرف موضع قدمك ، وثق كيف جرت الحال ، بأن عنايتي تصدق بك ، ورعايتي لا تنحرف عنك . وإنى أوجب بموقعك من فلان ، من حقك ما يقوم بإزاء تقصيراتك ، إذا تلافيت وتداركت ، واستدركت ما أضعت .

#### ٨ — وله إنكار وتقريع

كتابي وإن كنت أعلم أن الكتاب ضائع مع انصراف التوفيق عنك ، ومصاحبة الخلدان لك ، واستمرار العجز بك ، وظهور القصور والمهانة فيك ، إذ وليت تلك الناحية هذه المدة القصيرة ، فصار كلاهما أسوداً عادية ، استلانة لجانبك ، وعلماً بتحريك في مذهبك . من بنو لاحق السقاط الأوغاد ؟ حتى يشجعوا لما فعلوا ، ويقدموا على ما أتوا ، ويستجيشوا بالعامية فى حكومة بينهم وبين القاضى . ومرة يكسرون الحبس ، وهو حبس السلطان ، وتارة يحوجون القاضى إلى مفارقة البلد ، ثم لا يقنعهم هذا التسلط والتبسط حتى يتلقوا أبا الجيش — أيده الله — مستغيثين متظلمين ، موعزين إلى أهل البلد بإغلاق الدكاكين .



ولو كنتَ ذارُوح أو نفَس أو مُنَّة ، لما جسر هؤلاء على أن يحكموا بهذا ، ولو رأوه في منامهم ، لأصبحوا وقد زهقت أرواحهم وجلا . والله يعلم أنك كنت كاتب القبض لأبي فلان متخلفاً ، فكيف إذا أخذت تسوس ؟ فإن كفايتك ظهرت في كل باب ، ودليل ذلك ما أحوجت إليه في هذا المجلس<sup>(١)</sup> الذي أصدرته ، من استدانة واستعانة واستسلاف ، لا بارك الله في عجرة الرجال .

وأعجب مامرّ بى أنك لم تخاطب حضرتى حتى الآن بحرف واحد ، وقد كاتبت منذ شهر ، ورسمت في هذا الباب رسوما ، فلا والله إن أجبت بلفظ وقد كنت أحسب للقاضى أبى الحسن ذنباً ، فصح عندى بما أتاه بنو لاحق ثانياً ، أن الجريرة كلها لاصقة بهم ، والفتنة نائرة عنهم ، وقد كتبت إلى أبى الجيش أساتكين بما تقف عليه ، وترسمه ، فاقبض على معاش بنى لاحق أجمع ، من ضياعهم ومستغلاتهم ، ودبرها مع خاص السلطان ، وأشخصهم إلى أصبهان ، كما رسم لأبى الجيش ؛ ومن تعصّب لهم ، أو ثار في الفتنة معهم ، فدلّ أبا الجيش عليه ، ليصرف هذه الطائفة بين التجريد للسياط ، والتغريم في المال<sup>(٢)</sup> ، وإن كان من العامة من ينطق بعد ورود الأمر الجزم فليُصلَب على باب البلد ، والسلام .

## ٩ - وله

قد علمت — أدام الله عزك — أن السياسة تُحرم أحكامها ، عن جرأة الخاصة وإقدامها ، فكيف عن تبسّط أصاغر الرعية وعوامّها ، وأن من لم يتقفه الزجر بالموعظة ، نُبّه بالعقوبة الموقظة ، ومن لم يقوّمه القول الرادع ، أفيض عليه العقاب اللامع ، وكنا نحسبك تعرف سيرتنا فيمن أثار للفتنة ناراً ، ورفع للشر مناراً . هذا في الأمصار المقترة ، والبلدان المكورة ، فكيف في أصغر بلد ، وأقل عدد .

وعرض قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد ، أدام الله تأييده ، كتاب خليفته أبى طاهر الفقيه بناحيته على الحكم<sup>(٣)</sup> ، أسعده الله ، بذكر عظيم ما اجتراً قوم من الرعايا عليه ، وأجروا بسوء اختيارهم إليه . وإن المعروفين بابن حماد وابن علوية أخلاً

(٣) يريد خليفته على الحكم .

(١) المجلس : مال السلطان .

(٢) في الأصل : الحال .



بالبلد زائدين في هَيْج الأوغاد ، ومغترين بما سبق لهما في سالف الآماد . وورد لك كتاب بهذا الذكر ، دل على سوء التأتى لما وجب ؛ وقلة التهدى لما لزم ؛ وسائر ممالكنا شرقاً وغرباً أفسح بقاعاً ، وأوسع رقاعاً ، وأكثر أصنافاً ، وأشد خلافاً ، ولا اعتراض لندى مذهب على صاحبه ، بل كل فرقة تجتمع إلى زعمائها ، وتذهب إلى مذاهبها وآرائها ، فلا تشجع واحدة على منع الأخرى ، وإكراهها على القول بما تهوى . وكان سبيلك أن تعمد إلى عشرة من هؤلاء الشُّقَّاط ، فتمشق في ظهورهم بالسياط ، وتنفيهم عن البلد نفيلاً أوب معه ، ولا رجوع بعده . وأما هذان اللذان أخلاً ، فقد كان الوجه أن تتبعهما بمن يخرجهما إلى الحضرة ، مستوثقاً منهما ليدوقا وبال الفتنة ، ويعرفا مغبة سوء الدخلة ، وتقبض على دورهما ، وتحلّ مثل ذلك بأشياعهما وأوابشهما .

ولولا أننا نرى البُقياً أولى ما نفعت ، والرحمة أخرى<sup>(١)</sup> ما نجعت ، لكتبنا في أمر هؤلاء بما يجعلهم آية لكل جاهل بأمره ، معتد لطوره ، ألا تعلم هذه الطائفة أن الحاكم إذا صدر من حضرته فيده أعلى من كل يد ، وطاعته فرض على أهل البلد ، وأن المعارض له قد أباح من نفسه المحذور ، وجلب عليها التبار والثبور . ثم هذه المذاهب لا إجبار فيها ، من شاء اختار منها ما شاء ، سر ذلك صاحبه أم ساء ، والاختلاف فيها موروث على الأيام ، منقول على وجه الزمان . وهذه تذكرة وتبصرة ، وحجة ومعذرة ، فليقابل الجناة بما توجهه السياسة ، ثم من عادلاً أنكرنا ، وأقدم على ما حظرنا ، فانظر كيف تزلزل روحه في جسمه ، وأرضه من تحتته . وليكن أبو طاهر — أسعده الله — وسائر ذوى المجلس على جهاتهم قبل هذه الفتنة ؛ وليرد كتابك بارتسامك لهذه الجملة ، إن شاء الله تعالى .

## ١٠ — وله إلى أبى عيسى<sup>(٢)</sup> الكردي

كتابى — أطال الله بقاءك — ومولانا ، أدام الله أيامه ، وهنأه إعزازه وإنعامه ، كما تخطبه همته العالية ، وتوجهه كلمته السامية ، والحمد لله رب العالمين وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .



وهذا الكتاب أنشأته في أمر اختصَّ بعناية مولانا ومراعاته ، وعدَّه في خاصِّ مهماته ، فتدبره شديداً ، وتبصره مبدئاً ومعيداً ، واصبر على ما يثقل حمله ، ويخشن مسَّه ، فإنه مؤدِّ إلى صلاحك ، ومفضِّ إلى انتظام أحوالك ، فلا خير في مستلذ أعقب مكروهاً ، كما لا ضير في متكرِّهٍ جلب محبوباً .

أنت — أيدك الله — تعلم أن الأمر الذي أرادك له مولانا بديناً ، وبذاته من نفسك مبدئاً ، حماية السبل ، وحراسة الطرق ، وحياطة الأطراف ، وتطهير الأطرار <sup>(١)</sup> ، لثلايشتغل سائر عساكر السلطان عما هو أخصَّ بخدمتهم ، وأولى بكدهم وملازمتهم . والأمر في جميع ذلك جارٍ على خلاف ما أُصل ، وغير مقلدٍّ وأمل ، فإن حاجتنا تشتد إلى إمدادك برجال ، تلزمنَّا على إِنْهاضهم أموال بعد أموال ، وقد فعلنا هذا سنة بعد أخرى ، وثانية عقب أولى ، ثم الحال لا يخرج بالكيف ، فإن المسالك آمنة ، والمدارج هادية ، وأبواب العيِّث مقبوضة ، ومواد الفساد مرفوعة ، مادمت بالبعد ، فما هو إلا أن تدنو أحنأوك وأحويتك <sup>(٢)</sup> حتى ينجم الشر ، طائر الشرر ، متصل الضرر ، فتخاف المذاهب ، وتراع المسارب ، ويُقطع على الرفق ، وتحتنك أبناء الطرق ، وتبسط اليد على الضياع بالإجحاف ، وعلى الأكرَّة بالاعتساف ، وتسلب <sup>(٣)</sup> المزارع ، وتخرب المصانع ، والسلطان لا يعبر لك على أن يدبر إنعامه ، ويستمر إكرامه ، ويزيد اصطناعه ، ويتصل نظره وإقطاعه ، وثمرة انتفاعه بخدمتك ، واستظهاره بمناسحتك ، أن يحتاج طول المصيف إلى الذب عنك بخواص علمائه ، وخلص أجناده ، فإذا دفع في نحور الباغين لك السوء ، كَرَّ أصحابك على الرساتيق بالإفساد ، وعلى القرى بالخراب ، وعلى الطرق بالإخافة ، وعلى الأموال بالإحاطة .

وهذه الكتب قد وَّالت من قم بأن الناحية التي وردتموها قد انْسِفَتْ ، وأن ارتفاعاتها قد أبطلت ، والأيدي على مزارعها قد بُسِطت ، وتعدى الشر والضر إلى الطرق بين قم والحضرة الجليلة ، فما سمع فيها بقطع منذ تراخت ديارك ، وبعْد أصحابك ، فلما انكفأت عاد الشر جَدْعاً ، والقطع مُقْتَبلاً . وهاهنا عذرٌ يتعلقون به كان يتلبس وقتاً ، ويتموه دهرأ ، وقد صار الآن بإخلاقه لا تخفى صورته ، ولا تغض صفحته ، فإنكم تحيلون على

لأصحابه وتابعيه .

(٣) في الأصل : تسكن .

(١) الأطرار : الأطراف .

(٢) الأحناء جمع حنو وهو الضلع ، والأحوية

جمع حوية ، وهي ما تحوى من الأمعاء . استعارها



البرزيكان<sup>(١)</sup> ، فمن ليت شعري يسمع هذا ويصغى إليه ، أو يعبأ به أو يعول عليه ، بعد ما عُرِفَ في عام بعد عام كيف الطريقة ، وما الشاكلة والجديلة ، وليت شعري أن لا يرد البرزيكان مع بعاذك ، وإنما يشارفون أوان اقترابك !

ورسم مولانا أن أخطبك خطابا أستوفيه وأستقصيه ، وألغى الهوادة فيه ، لتروى في نفسك ، وتستحضر جوامع لبك ، وتداوى هذا الأمر بدوائه ، وتعجل إلى معالجة دائه ، قبل أن يستفحل فيفضل ، ويكثر فيغمر ، وتكف أصحابك إن كانوا<sup>(٢)</sup> غامسين أيديهم معك في الطاعة ، ومجتمعين على<sup>(٣)</sup> فرض الجماعة ، وإن يكونوا عاصين ، وعنك متباينين ، ولما تأمرهم به مخالفين ، برأت نفسك من عيوبهم ، وأخلت صحيفتك من ذنوبهم ، وأعلمت ولي نعمتك ، أطل الله بقاءه ، الذين حاربوا ذهابا مع الضلال ، وتعرضوا للوبال ، فإنه — أدام الله علوه — إذا هم بهم لحظة أخذهم الفناء قبل آجالهم ، وأصفت البقاع والبلاد على استئصالهم ، وأوعز في إحلال النقمات بهم ، وإعداد المكشلات لهم ، بما تعود في نظرائهم ، وعهد في أكفائهم ، حين راغوا عن المحجة القويمة ، وزاغوا إلى الطريقة الذميمة ، وكتب عليهم القتل والإسار ، أو النفي والحصار .

ولو أطلعتي عليهم<sup>(٤)</sup> لكان كثير ممن يشمخ عليك بأنفه مُقَيِّداً ، ولقيد<sup>(٥)</sup> مخالفك من جسمه مصفداً . وقد كفلت عنك في المجلس العمور ، وقلت إنك تبذل غاية المجهود ، وتصرف القوم عن هذا المسلك المذموم ، وتقوم بحماية قم وآبة ، وما ينشعب إليهما وعنهما من طريق ، فلا يسمع بداعر ، ولا يُخَبَّرَ عن مفسد ولا فاسد ، ولا أحسبك تدع ضماني مرهونا حتى ترجعه بالاجتهاد مفكوكا . وأنا أتوقع الجواب ، فلا تعول على خطاب خال تسطره ، وكلام عار تُصدِّره ، واقرن المقال بالفعال ، وقابل الأمر بالامثال ، إن شاء الله عز وجل .

(١) البرزيكان : جماعة من الأكراد ، انظر

ابن الأثير طبع أوربا ٥١٨/٨ .

(٢) في الأصل : كان .

(٣) في الأصل : عن .

(٤) في الأصل : عليه .

(٥) قيد من جسمه : أخذ القود من جسمه ،

وفي الأصل : بقيد .



## الباب الرابع عشر

في التنصل والاسترضاء وما يشاكل ذلك

١ — كتاب استعطف وتشكر واسترضاء وتنصل

قد عُرض ما ورد منك في المجلس العالي ، فأنسَ مولانا لما نشرته عن الأمير جملا وتفصيلا ، وابتداءً وترديداً ، أنساً لا يُضَم قطراه ، ولا يُذرك مداه ، وسرّه — أدام الله له المسارّ ، وأحمده العواقب والمغابّ — ما أبنت عنه من تمثل الحال في الاعتقاد والاعتداد ، وصحة النية والوداد ، فذلك ما كان إرخاء السجوف دونه قد شغل القلوب ، وأخرج الصدور . وأما الذي تصرف فيه الأمير من تلك الأقوال الكريمة ، والمحاطبات الشريفة ، فهو وإن جاوز الاقتصاد إلى أبعاد غاية ، وأبلغ نهاية ، في السرف ، فغير مستبدع مع كرم النَجْر ، وشرف الطبع ، ومساعدة الإقبال ، ومقارنة التوفيق في كل حال . والله يحمى هذه الشائخ عن لواحق الأيام ، وعوارض الأزمان ، ويجعل من تَثَقُل عليه ، ولا تُحَبِّب إليه ، نَهَب الصروف المتقسمة ، والخطوب المتوزعة ، بمنه .

وارتفع طرفي ، واشتد أزرى لما ذكرت أنك أنهيته مجلياً عن عَقْدِي ، ومودَع صدرِي ، وأنت تعلم بطول الصحبة لي ، وفضل الأنس عندي ، أنه لأحد من قريب وغريب ، كانت تلك العوارض على قلبه أشد ، وعلى نفسه أشق ، مني ؛ وأن صورتي كانت ، لما بعدُ تصوّرها ، وتراخي تقرّرها ، صورة المأخوذ عن نفسه ، المفرّق بينه وبين قلبه ؛ وأن همي أجمعه ، وقصدي كله ، وشغلي معظمه ، بما زاد الأعداء قَدِي وعَوْرًا ؛ وأني أوتر في خدمة الأمير ما أوتره في خدمة مولانا ، ولكني الرجل الذي يُؤمن كيف يُؤتى من اختلاف الحساد ، واختراع ذوى الإفساد ، وإن كان الله قد عود أن يكشف مكرهم ، ويحيق بهم خترهم ، ويظهر لموليّنا أني الأنصح جَيِّياً ، الأحمد غَيِّياً .

وفلان قد عرفت ما حكيته عنه ، وقررت ما وصفته منه ، فجزاه مولانا الخير عن حق أداه ، وصدقٍ أنهاء ، وصلاح ابتغاء ، وخير اعتمده ونواه . فأما اعتدادى بما خصني به ذكرا ،



وقولا صدقا ، فعلى حسب ارتياحى <sup>(١)</sup> متى تمثل اعتقادى على حقه ، وارتياعى متى حُرِّف  
عن وجهه .

## ٢ — وله فى إبطال متوهم الظن والإبانة عن السكون

إلى وكيد الوفاء والعقد

تخيّل الأمير منى ارتياحا بعصم عهده ، وفى التقدير عدل وظم ، وظنّ بى امتراء بكرم  
وعده ، وبعض الظن إثم ، ولو حال القمر عن مسراه ، وحرار الفلك فى مجراه ، لما جوّزت  
على بذله بخلا ، ولا تمثلت من عقده حالا ، إذ الأمير أفسح فى الحزم مذهبا ، وأعلى فى العز  
مرقباً ، من أن يُمرَّ أسباب الفضل ثم ينقضها ، ويمد أطناب البر ثم يقرضها ، كلا ! ومن  
جعل المحاسن محبوسة على مجده ، والحامد منقوصة حتى كملها بيده ، ولكنى أعظم ما وهب  
الله منه ، فأبخل برأيه على هُجْنَةِ التكدير <sup>(٢)</sup> ، وأغار على وفائه من جرأة المقادير ، وولوعُ  
الشفيق بسوء الظن داء قديم — ومعاذ الله — بل دواء كريم .

فأما المهم الذى أشار مولاي إليه ، واستخلف منابى عليه ، فإنى فيه عند حكمه ، وعبد  
رسمه ، ولوقدّرت ثم سخرت النجوم ، مهديا سعودها إليه ، ومُغْرِيّاً نحوها بمن يميل عليه ،  
لظننتنى — بعدُ — قريبَ المطلب ، قصير الباع والمنكب ، فلينم مولاي بمكاتبتى أمرا  
ونهيّاً ، يحمّدى جدّاً وسعياً ، إن شاء الله .

## ٣ — وله تنصّل واعتذار وتشكر

كتابى — أطال الله بقاء الملك — عن سعادة مولانا الأمير المؤيد وانتظام أمور  
ملكه ، وانقياد مادنا ونأى لأمره ، وعافيتى فى كنف عزه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته  
على النبي محمد وآله أجمعين .

ووصل كتاب الملك قد تفضل بابتدائه ، زائداً فيما أشكر من جميل رائه ، فحمدت الله  
على ما رهن بحضرته ، من خصائص نعمته ، ورغبت إليه فى إطالة مدته ، لمكرمة يستأنفها ،

(١) فى الأصل : ارتياعى .

(٢) فى الأصل التكرير .



بعد أخرى يُسَلِّفها ، ومنقبة يستقبلها ، بعد مآثرة يحصلها ، والله سميع مجيب .  
ولو أدت الفرض غير معمولٍ على ما يعرفه الملك من عقيدتي في مشايعته ، وبتني في متابعتها ، لكانت كتي تتصل إلى بابه ، ورسل تحطّ بجانبه ، على اتصال الأوقات ، وتعاقب الساعات ، إلا أني كما أتخوّف الإخلال ، أتجنب الإملال ، وكما أشفق من التقصير والإقصار ، أتوقى مواقف الإسمّ والإضجار ، وعلى اختلاف الصورتين ، فإني أعتمد ما فطرت عليه من موالاة ذلك البيت ، لا زال معمورا ، وبالمناجح مكنوفا .  
وقد اعتد مولانا الملك بورود رسوله ، وما أوصل من خطابه ، وكان يجب أن يزيد في انبساطه واسترساله ، إذ كان — أدام الله عزه — في منأح الله قسيما ، وفي عوائد الله شريكا .

#### ٤ — وله جواب شكوى واستجفاء وتأنيس بمكاتبة وإجلال

كتابي — أطال الله بقاء الشيخ — عن سلامة ، قد أحسن الله الإمتاع بها ، وأجمل الدفاع عنها ، ووصل سوابغ النعم بها ، وأجزل حظ السعادة فيها ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .

ووصل كتاب الشيخ فسرّتي سلامته ، هنّاه الله إياها ، وأدام له أوفاهها<sup>(١)</sup> ، بعد أن جمع إلى بعد الدار ترك المواصلّة ، وأحوجَ إلى الاستبطاء والمعاتبة . فأما الأمر الذي حكاه وشكاه فقد طال منه تعجبي ، وكاد إنكارى يسابق تنكرى ، لولا أن الخبر طوى عني ، ولم يُنشر لي ، وما حسبت الخلفة تستفز ذا سنٍّ وترشّمٍ بالعلم لمثل ما وصفه الشيخ عمن تسرّع ، ولا أن حق الهيبة يُنسَى حتى يقع هجوم من هجم ، وقد كان يجب أن يرَدّع هذا الإنسان عن فعله أمورٌ : منها الاجتماع في دار الإمارة وعندها يمتد ظل من الانقباض لا يتحول عنه أهل العقول إلا بالتحول عن ذلك المكان . ومنها أن إطلاق اللسان بحيث يحضره قاضى القضاة ، أدام الله عزه ، بما يدخل لفظه التكذيب ، إخلالٌ بقضية الوفا والتوقير . ومنها أن لكل أحد محلا في نفسه ومكانه ، وعندوا اليه وسلطانه ، وقد شاهد الخلق العظيم كيف رُتِبَةُ الشيخ عندي ، وموقعه من نفسى . وأقدر أن المنازل عند السلطان يُستدل عليها من

(١) في الأصل : وأوفاهها .



فعلى ، والمراتب تُؤخذ أوزانها عن مجلسى ، ولا أبعد أن يكون السامع قدّر الشيخ معرّضاً به ، وتعريض مثله أشد إيلاماً من تصريح غيره ، فحمل نفسه على الخطر فى الانتصار ، وركب متن الغرر فى الانتصاف ، كما يفعله من يسابق رأيه رويّته ، وبصره بصيرته .

والشيخ — أيده الله — شيخ أهل رأى بهذه الكورة ، ومن له لدى عظيم القدر والخطر ، وأنا على جملة التعتب على الحكى عنه سوء التلفظ ، ولولا أنى لم أعرف جلية الحال إلا من هذا الكتاب ، لما اقتصر على هذا القدر ، ولكن عودى يقرب ، بمشيئة الله ولى الأمر ، فتكون زيادتي بقدر تحقق للحال ، لا لأن الشيخ مدفوع الخبر ، لكن حكم الله أولى عند النظر ، أو يوفق المسمى للاعتذار ، والحليم للاغتفار ، فلا ينقبض الشيخ مما اتفق ، فهو المحروس المسكان ، المخصوص بالتقديم والإعظام ، يتميز عندى عن كثير من الأكابر ، وخلق عظيم من الأمثال .

وهذا ينسخ جميع ما تكلم به مسرف على نفسه ، أو معتد لطوره ، وليُسِرَّ مع هذا بخبره ، وعارض وطره .

## ٥ — وله جواب تنصل واعتذار من اجتياز هارب

### والتخلى بينه وبين المجاز

كتابى ، والأمور شرقاً وغرباً لموليننا : الملك السيد ، والأمير المؤيد ، منقادة ، والسعادة فى مصارف رايتهما وآرائهما معتادة ، وأنا بذلك موفور مسرور ، والحمد لله ولى النعم ، وسابغ المنن ، وصلى الله على النبي وآله وسلم .

ووصل كتاب سيدى فأنسى الله بما سوغه من مواهبه ، وأحضره من صادق الرأى وصائبه ، وعلمت ما اتفق فى مجاز المصارف وسلوكه مغافصة لتلك المذاهب ، وأن الحال وافقت تفرق الخيل عن سيدى ، لانصرافه عن البيجار<sup>(١)</sup> قريباً ، وإذنه لمن خدم فى تلك الوجوه طويلاً ، واستنفاده مع ذلك الطاقة ، فيما أظهر به الإخلاص والطاعة .

وأوردت الجميع بحضرة مولانا أحسن إيراد ، واستعصت من الاستزادة فضل اعتداد ، ومعلوم أن الوقت لو فسح فى استثابة العسكر ، لبلغ سيدى فى الحل ماسار به الركبان ، وطن

(١) لعلها تعريب ييگار ومعناها بالفارسية : التبرع بالعمل .



بذكره البلدان . ومولانا من الثقة به على ما لا يتخلله امتراء ، ولا تعترضه شبهة يلتمس لها جلاء ، ومقاي في حفظ الغيب ، وحراسة الاستنامة عن الريب ، المقام الذي يغنى — إن شاء الله — علمه ببيانه وبرهانه عن اقتصاص شرحه ، والإفصاح عن لسانه .

## ٦ — واه

كتابي والأمير المؤيد مختص من نعم الله بأجمعها لأطراف السعادة وأوساطها ، وشروط الإرادة وأشراتها ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبي وآله أجمعين .  
ووصل كتاب الأمير على عادة تشريفه لعبده ، وتنويهه بذكره وقدره ، فتلقيه بالدعاء الذي هو جهد مثله ، والشكر الذي رضى الله من خلقه ، على عظيم منّ ، وانتهيت إلى ما حُكي عن مواقفه كذا ، وعرضته بحضرة مولانا ، فضاق له صدرًا ، واشتغل فكرًا ، إذ<sup>(١)</sup> لم يحسب أن مثله مما تسوّغ حكايته ، أو تصحّح روايته ، وهو زور مصنوع ، واختلاق موضوع ، وقد كانت الثقة مستحكمة بأن رياح المفسدين إلى ركود ، وجراتهم إلى خمود ، وما حُسِب أن عواديتهم تُثمر ما سُمِع ، وتنتج ما اخترع .

وقد قرأت ماصدر عن كذا من شرط ، ووعيت ما حكي من قول وعقد ، فلم ألحظ ولم أسمع مما ادّعى حرفًا ، ولا عرفت من كلِّ بعضا ؛ ولم يكن بحضرة الأمير واصلا ، ولبابه مكاتبًا مراسلا ، فلا قبول بهذه الحضرة البهية له ولا إقبال عليه ، ولا فكر فيه ولا إصغاء إليه . وقد أنفذ فلان بغاية الاستبطاء والإنكار ، مع إحاطة العلم بما في هذا الأمر من البهتان والبهت ، فقد حضر تلك المجامع من كان يكتب بالإيحاء والمع ، والإيحاء واللحظ ، فضلا عن مواقع الشرط ومساقط اللفظ .

والأمير يتحقق ما أنهاه عبده ، فهو — والله — القول الصحيح ، والحق الصريح ، وأنا أسأل الله أن ينزل حواضر نعماته ، على كل مستقل لهذه الألفة ، يُعمل لها المكاييد ، وينصب المراصد ، وإن كانوا سيردّون قريبًا في عثارهم ، ويُردّون بين سفارهم<sup>(٢)</sup> وجفارهم ، ويحرس الله على موالينا أولياء النعم ، ترافد الأيدي واتفاق الكلم .

النصل ، والجفار جمع جفرة وهي الكنانة .

(١) في الأصل : إذا .

(٢) الشفار جمع شفرة : حد السيف ، وجانب



٧ — وله تنصل واعتذار

كتابي — أطال الله بقاء صاحب الجيش — يوم كذا ، وسعادة أيام مولانا جامعة من النعم أحسنها <sup>(١)</sup> ظهوراً ، وأحصنها وفوراً ، والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على النبي محمد وآله أجمعين .

ووصل كتاب صاحب الجيش ، مفتتحاً من ذكر صنع الله الجليل إليه ، بما بدأني قبل ارتهانه لديه ، إذ كنت أجد المنايح إذا خيمت بربعه ، مضافةً إلى ماسو غنى الله من فضله ، وقسم لي من مَنه . وعرفت ما وصف صاحب الجيش به الأحوال التي أثلها الله — تعالى — في الجنبتين ، ونظم بها ذات البين ، وهي مقدورة بقدرها ، ومكنوفة بالمصالح التي لا وفاء بنشرها ، ومتصورة في أرفع مراقبها ، وأعلى محالها <sup>(٢)</sup> ومراتبها . ولولا أن الإسهاب فيما قد عُرِفَتْ مزيتة ، وتُمثِّلَتْ جليته ، في رباط العمل ، وحصار التصنع ، وبمعزل عن فضيلة التحقق ، وجديلة التخصص ، لا تسع نطاق القول كفاء عقيدة النفس ، ووثيقة الصدر .

وصاحب الجيش مؤثر في كل أمر ماهو إلى جمال هذه الوُصْل أدعى ، ولحقوق فيها أرعى ، متعرِّف البركة فيما يُصدر ويورد ، ويتبدى ويجدد ، والله لا يُخْلِي من خلوص مودته ، ويحصن ما أثر الأيام باطالة مدته . وعرفت ما قاله صاحب الجيش في معنى الضياع العتبية <sup>(٣)</sup> بالرى ، معرفةً تقدمها إيثار الإيجاب على الرد ، وترجيح الإنجاز على الوعد ، ولو ورد من تلك الحضرة البهية في أضعافها ماورد ، لكان الإسعاف ملتزماً ، وتقريب المراد مقدماً . هذا إذا التمس لأفناء الأتباع ، ومغمورٍ من الأشياء ، فكيف لمن يُكَبِّرُ قدره ويُفخِّم ، ويُجِلُّ محله ويُعظِّم ، ويُرى توخى محابه ، وتحرَّى إشاره في آرائه .

وسأذكر لصاحب الجيش ما عيانه برهانه ، ووضوحه بيانه : إن جميع هذه الأملاك والضياع ، صائر في أيدي الديلم بالإقطاع ، ولو أمكن حله في الوقت لما أرجى يوم إلى غد ، وقد صدق الاهتمام الآن بفكه ، وإعادته للواجب بحق ملكه . ورسمت أن يناظر الواحد بعد الآخر في قبول العوض ، والرضا بالبدل ، ليتسهَّل في مدة سنة أو سنتين فضُّ الجميع

(٣) العتبية : قليلة الخير .

(١) في الأصل : أحسن .

(٢) في الأصل : محلها .



من حيث لا تبحث نفوس الجند ، ويتيسر المرام بإذن الله عن قُرْب . وقد حُمِّل فلان في جواب الرسالة مايؤديه ، ويقوم بحق التخليص فيه . ولولا أن صاحب الجيش عارف بأن الملتَمَس لم يقصد فيه المدافعة ، ولم تتوخَّ المراجعة ، وعالم بأخلاق الديلم ، وما يحتاج إليه مالمكهم من التأقَّى لحل أقطاعهم لانبسط القول في الاعتذار من هذه المهلة ، وإن كانت العِدة ، في ضمان الوفاء والثقة ، فإن رأى صاحب الجيش أن يتصور ذلك حق تصوره ، ويخاطبني بخبره ووطره ، فعل ، إن شاء الله .

## ٨ - واه

التجرّم - ياسيدى وخليل - دأب من ضاق عطنه عن الأخلاق السمحة ، وتضائل وُدّه عن الطباع العذبة ، فهو دائباً يخلق لإخوانه جريرةً يصلهم نار عتْبِها ، ويولهم جانب عذْلها ، والحرُّ كل الحر من لحظ أحوالهم بعين تجمع إلى النصفة التسمح ، وإلى العُدلة الترخّص ، وإن شاهد جميلاً كثر قليله ، وإن صادف تقصيراً حَسَّن قبيحه ، وقد نزّهك الله عن أن تكون مِعْنًا وعَرِيضًا تنتهز الفرصة ، فلهذا التعدى الذى علقت أوثق أسبابه ، والتجنى الذى ولجت أضيق أبوابه ؟

وقد علم الناس كيف يشارى إياك وإكبارى ، وعلمت كيف أباسطك في خاصّ أحوالى وأسرارى ، حتى كأننا قضينا الشباب على تلاؤم ، وصالحنا الكهولة عن تنادم ، ومتى كان الإعراض الذى أشرت إليه ، والانتقباض الذى نصصت عليه ؟ ومن هذا الواشى الذى يطعم في إحالة حالك ، ولو قعد من الدهر على رَصْد ، ونفت من السَّحر في العُقْد ، فكيف حسبتنى ممن تستفزّه السعاة ، وتهزّه الوشاة ، إنك تستخف حلما ، لعل الأطواد الصمّ تشهد له بالرزانة ، والجبال الشمّ تبرأ إليه من الرصانة .

ولكل ذى قلم جانب من البلاغة هو فيه أوسع عِنانًا ، وأرحب جَنانًا . وكنت في العتب أفسح مجالًا ، وأملأ سِجَالًا . وقد أردت أن أعاتبك عن عتبك فأطيل ، وأبدئ القول وأعيد ، وأذكر مافى هذا الباب من المدام تضادّ محاسنك ، وتحادّ مناقبك ، ثم كفت وصدفت ، واقتصرت وخففت ، نعم وزعمت أنك قد أكثرت على فسئمت ، وأطلت



فقبّرت ، ولو شئت لقلت : إنك أردت تهجينى ، فبدأت بنفسك ، وتبخيلي فتعاملت على فعلك ، إذ قد علم الناس خلاف ما حكيت ، ودروا أنى بمنّاة مما ادعيت ؛ أوجب لمن ضمه إلى السبب الضعيف ما يوجب للأخ المشابك فى الأرومة ، المشارك فى الخوالة والعمومة .  
وإنى لا ألومك على الانقباض لوما يرينى فعلك لؤما ، ولبوذى لو كُلفت مع كل صباح ، تنفس ، حاجات تعاد الرمل ، وتناسب القطر . فهذا هذا والقصتان قد وقعَ فيهما بما رأيت ، وإن سألت فى الالتماس بأمر من العلم ، وأضر من الأرقم . وكل ذلك تأتى به مقبول ، وعلى جانب الأنس محمول ، لا عدمتك .

## ٩ - وله

وصل كتابك ، وعرفت ما كتبت به فيما استقبحتّه ، وأثبت<sup>(١)</sup> من استبطاء قلته ، وأنت تعلم أن ذلك ليس مما فعل على تمكين وإيثار ، ولا بُدّى فيه باستبداد واختيار ، ولكنك أشرت به مُلحفاً ، وأبدأت وأعدت بذكره مستسغفاً ، وزعمت أنه جميل ، وموقعه لطيف ، وإلا فمولانا إذ أوجب أن يُتّعهد مثل فلان ، درى كيف يفرى الفرى ، ويُجزل البر السنى .

وقد أنهيت ماورد منك فمجب مولانا من أوله إلى آخره ، وموارده ومصادره ، وقال : فلان بدأ بالمشورة ، وحكم بمقتضى الصورة ، وهو الآن يقول ويطلق ، ويبدى ويعيد ، ولو خلت أولى سفاراتك عنا وسفاراتك مما ينتج موجدة ، ويصرف محمّدة لجاز ، ، فقد كان فلان على كبره ، وخطر سنه وفضله ، وُبعد مسافة الذين استنجدوا من عنده ، روسل دفعتمين ، فما جرى بعض هذا التخليط والتبكيك ، والله الكافى والمعين .

## ١٠ - وله

قد صار مولاي يظن بى الظنون ، عادلاً عن علمه بباطنى وظاهرى ، ويطيع فى الرّيب<sup>(٢)</sup> مع اختياره لشاهدى وغائبى ، وما كنت أحسبه — لو رآنى على حالٍ منافية

(١) فى الأصل : استبطاء .

(٢) فى الأصل : الرب .



لموالاته — لا يكذب حسه ، ولا يغالط نفسه ، رجوعاً إلى فطرة أمرى في مودته ، وبادئة حالى في طاعته .

يظن مولاي — وبعض الظن إنهم — أن كتابه يرد على فأغفل إجابته ، وأهمل مخاطبته ، ثم لا يرضى ، وقد أطاع سلطان التهمة ، وكدر صفاء الثقة ، حتى يفصح بذلك ويصرح ، ويعقد الخنصر عليه ويحقد ، ويقول : لعل فلانا يميل إلى أن أخفف عنه ولا أثقل ، وأغب مكاتبته ولا أدمن .

هذا وقد علم الله أنى لا أرى أعطاني مهترة ، والدنيا في عيني غضة ، وأيام الشباب طليقة إلا إذا طلعت كتبه واردة ، ونعمه بها متجددة ، لاسيما إذا تفتحت فيها زهرات خطه ، وأجنت بينها ثمرات لفظه . ولو كنت أعق من ضب لما تركت استمداد الفائدة من مخاطباته ، ولا سمحت بانقطاع العائدة في محاوراته ، ولكن مولاي ربما انحط في هوى التشكك ، وعلت عواذيه على دواعي التحقق ، ووقع له أن الصديق ينزع مغرضه بلا علة والولى يخلع ملبسه بلا شبهة ، ولو جاز على الحقائق الانقلاب لما اعترضت طاعى مولاي مريية ، ولا تبدلت لمشايعى إياه صورة .

ولوعلت أن كتابى تمتد إليه أيدي السبل ، وتتحكم فيه هنات الطرق ، لملتته بنفسى ، وأوصلته بيدي ، ومتى قلت لمولاي : إني لم أخرج صدراً ، ولم أعدم صبراً ، عند كتابه الذى خاطب به سيدى أبا محمد ، يجرى وكأنه يداوينى ، ويكلمنى وكأنه يأسونى ، فقد كذبت به عن نفسى وما صدقته ، وذلك لأنى إذا رددت طرفى وكررت لحظى كثيراً ، واستنهضت فكرى غائراً ومنجداً ، وصرفت خاطرى متهماً ومُشْتَبِهاً<sup>(١)</sup> ، لم أرلى غير سيدى قبلة أقابلها بثقتى ، ووجهة أصرف إليها استنماى ، وسنداً متى أردت كان ولياً وعضداً ، ومتى شئت كان أخاً حديباً . والشأن فى أن الكتاب مفتتح لهم سلطانى أردت شغل الفصول به وقصرها على ذكره ، ثم أبى الصدر إلا نفثة ، والسقاء إلا رشة .

(١) فى الأصل : ومشاما .



## الباب الخامس عشر

### في الشفاعات

١

كتابي ، أيها القاضي ! — أطال الله بقاءك — أفردته بذكر أولاد أبي القاسم بن مقرن ، أيدهم الله ، وهم في القرب والقُرْبَة ، والحظ والحظوة ، أولادي ، وصنائعي وتلاذي ، ومن حقهم أن أخذوا الحق عني <sup>(١)</sup> ، واستفادوا دلائله مني ، ومن اعتقد كاعتقادهم فليجتهد وليجاهد في الدين كاجتهادهم وجهادهم . ثم قد حصل لهم مع الدين الستر الثخين ، والعقل الرصين ، وجدد أبو العلاء ، أيده الله عهداً ، وتجشم عن نفسه وشقيقه مشقة وقصدا ، فصار الحق ضعفاً ، واستضاف مثلاً فمثلاً . وطرفاهم في العدالة والسداد مُعْلَمَان معلومان ، ولولا أن تفضيل الخلف عن السلف ، قد كرهه كثير من أهل الفضل والشرف ، لذكرتفاوت ما بينهما ، وبين كثير ممن فرط لهما .

والأقدمان في السن أبو علي [ وأبو العلاء <sup>(٢)</sup> ] وسيتقدمان ، ما بينهما من الوقار ، مستجد إزار ، وإن كان أبو الحسين زيد الثالث يجمع من فضائل الدين والدنيا ما ينشد معه فيه وفيهما :

من تَلَقَّ منهم ثقل لا قيتُ سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى  
هذا ما عرفت ، وما شهدنا إلا بما علمنا ، فليكن إيجابك أيها القاضي — أيذك الله — كفء إخباري عنهما ، فسينزيد الاختبار من لفظهما على ما قدمت به ، والسلام .

### ٢ — وله عناية بدوى <sup>(٣)</sup> الحر مات

وللوسائل اختلاف درجات ومنازل ، ومن أولاهم بتحقيق الحظوة ، وأجرهم بتقدم

(٣) في الأصل : لدوى

(١) في الأصل : مني

(٢) زيادة يقتضيها السياق في هذه الرسالة



الخطوة ، مَنْ ورد أعذب شريعة ، بأوكد ذريعة . وتحمل فلان كتاب فلان إلى حضرة مولانا وإلى ، بما أظهر مواته وحرمانه لدى ، فلما خيّرته في نوازع الأمد ، ومضارب العمل ، كان أقصى مراده ، ومنتهى ارتياده ، أن أخاطب مولاي بذكره ، وأستكني عنايته لاهتمام أمره .

هذا وله لديه ذمام البلدية ، إلى دواع يحكيها مرعية ، فليؤله مولاي من إقباله واشتماله ، ما يُظفره بأمانيه وآماله ، فلولاً رجاءه الذي لم ينزع إلا إلى أرجائه ، ولم يحوم إلا على فنائه ، لكان فيما أورده منتجج بحضرتنا مريع ، وظل من الإحسان ظليل . والله تعالى يحسن توفيق سيدي لما يطيب ذكره ، ويعرف بشره ، بمنه .

### التوقيع فيه

إذا اجتمع إلى نباهة الوسيلة ، وجاهة الحرمات الوكيدة ، كان نيل الأرب فيه مستجيباً عن كشب ، فليزع مولاي لهذا الفتى حسن ارتياده والتماسه ، وليتمّ بتقديمه واختصاصه ، فقد رضى بعد تنجز الكتب من الحضرة بأن يكون ثمرة سفره ، وعائدة أمله ، ما خاطبت به سيدي في معناه ، وحقيق مثله بأن لا تخطئه مناه ، وسيدي — أدام الله عزه — ملي بخلافتي في قضاء حقه ، وإنصافه من دهره .

### ٣ — وله تقرّظ وعناية وإخبار عن شكر متحمّل نعمة

أنا أحمد الله الكريم إذ أطلق الألسنة بمناقب مولاي تابعة للإجماع ، أمنة من النزاع ، حتى البعيد الدار منه ينشر ما ينشره الداني الجوار .

وورد لأداء الفرض المكتوب من الحج فلان ، وهو من أعيان كتاب خراسان ، ومن أشاب نواصي الأيام في مهمات ذلك الديوان ، فرأيت منه محاسن دراية وصيانة ، وديانة ورزانة ، وأدى التفاوض إلى ذكر من يضمه العصر من أفراد الصناعة وآحادها ، وأركانها وأعمادها ، فأعلمته أن ذلك حضارٌ لسيدي سبّقه ، وفي يدي حقه ، ولقلمي رقه ، وحسبتي مُغرباً عليه ، مُبدعاً فيما أهدى إليه ، فإذا هو من رواة فضائل سيدي وحملة إحسانه ، والمنبئين



بمزية إيجابه وامتنانه ، وصار ما أخبر به وعبر عنه نسباً أدناه إلى ، وأعزّه على ، إذ الثناء بمادح سيدى دين أذب عن صحته ، وأوالى كلَّ مُجِلٍّ عن صفحته .  
وقد عرفت سيدى بعض ذلك فى خاص كتيبى إليه ، وأحببت أن يرد فلان بسائره عليه . ومولاي أهدى لإتمام منة تولى إنشاءها ، وأولى بإتباع الدلو رِشاها .

#### ٤ — والى

جناب مولاي مثابة العلم ومحتلميه ، والفضل وأهليه ، فهم أين غابوا آبوا إليه ، وكيفما جؤلوا عولوا عليه . ومن اجتمع له إلى مزية درايته وأدبه أولية شرفه ونسبه ، اهتدت بحضرته يده إلى أمه فلم تضلّ ، واستقرت قدمه فى كنفه فلم تزلّ ، لازال ذاك كذلك .  
وفلان فضيلته وسيلته ، وشاهده رائده ، فهو واحد بنى أبيه فى العلم ، وفرّد ذويه فى التحصيل والفهم ، حتى إذا قلت : لا أعرف فى الأشراف — أيدهم الله — بالعراق من يساويه فى المعرفة بل يدانيه ، قلت ما يلوح بيانه ، ويقوم برهانه . وليس ممن وقف لأحد من مغامسى الأعمال أيام الظلمة بباب ، أوتعرف إليه بسبب من الأسباب ، بل اشتغل بتدريس أو دراسة ، وحجّ أوزيارة ، وانعقدت بينى وبينه أحوال ، لولا غرة الهاشمية لقلت : إنها تفوق اللّحمة الواشجة ، والرحيم الدانية .

وكان خرج إلى طبرستان لمعيشة له بها من وقف فأقام برهة ، ثم آثر الأوبة ، وقد كان استسلف عناية من مولانا الأمير بأصبهان بحضوره مجالس النظر بحضرته ، وكلامه لمن شرّع فى مكالمته ، ورسم مخاطبة الحضرة بذكره ، والإنباء عن الرعاية الصادقة لحقه . وعولت به على مولاي كما أعول بنفسى ، وكشفت عن صفحة ما أعرف من فضله ، وصحيفة ما أأحمد من وده . وغرضه من بين أغراض بنى جنسه أن يكون ملحوظا فى وطنه من الكوفة بإعزاز وتميز ، وإكرام وتقديم ، ليظهر عليه أثر تخصّصه بالعلم الذى أنقب الله فى الدولة القاهرة ناره ، ورفع مناره ، فإن رأى مولاي أن يحتمل تطويل بتطوله ، ويسبغ عليه وعلى ثوب تفصيله<sup>(١)</sup> ، فعل ، إن شاء الله .



## ٥ - واه

كتابي وأمور حضرة مولانا الأمير المؤيد مستقيمة ، ونعم الله علىّ في خدمته الشريفة عظيمة ، والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين .

وقد عوّد الله ، وعز اسمه ، أن تكون المصالح أين سهلت سبلها ، والحاسن أنى وضحت طرقها ، منسوبةً إلى أيام الملك السيد ، ليتصل الدعاء ما اتصل الليل والنهار ، ويدوم الثناء ما اختلف الظلم والأنوار ، والله يحرس دولته القاهرة من شوائب القدر ، ونوائب الغير ، ويكنفها بالبقاء ما بقيت الأمكنة ، ونطقت الألسنة .

وكان انفق على تجار أصبهان ، من القطع في طريق خراسان ما انتشر خبره ، وساء على أكثرهم أثره ، وأتهم البشري بأن القفص<sup>(١)</sup> الذين باشروا ذلك<sup>(٢)</sup> جُدّ من كرمان في طلبهم ، وتيسر الاستيلاء عليهم والظفر بهم ، واقتربت النكابة فيهم ، بارتجاع مافي أيديهم ، وتصرفوا من الدعاء لمولانا فيما الله وليّ استماعه والإجابة إليه . وسألوا أن أخاطب مولاي شاكرا ، وراغباً في الإنعام بإعادة بضائعهم إليهم ، بل التصديق بها عليهم ، فإن ذلك من أقرب أبواب القرب ، وأدعائها إلى الثناء الحسن ، لأن مولاي يحوج ملتئم خير عنده إلى شافع ، ولكنهم عرفوا ما جمعنا الله عليه من الود البالغ ، وعودنى منه في كل أمر سانح ، فقالوا مع الاستظهار ، وملت مع الاسترسال ، فإن رأى مولاي أن يأتي في ذلك ما تحذوه عليه تلك الشيم الطاهرة ، والمكارم الظاهرة ، ويخاطبني بخبره وأمره ، فعل ، إن شاء الله .

## ٦ - واه

لولا ما أخذته على نفسي ، وقدمت فيه نذرى ، أن لا أمنع علويًا عن مطلب يتسع له مالى ، أو يضطلع به جاهي ، لكان ما التمسه أبو عبد الله الحسين بن العباس الرندى ، أيده الله ، من مخاطبة مولاي الشريف ، أطال الله بقاءه ، [ حرّياً<sup>(٣)</sup> ] أن أستدّم

(١) أصار القفص أمس الحالى

(٢) فى الأصل من ذلك

(٣) زيادة يقتضيها السياق

(١) القفص جماعة من الناس فى كرمان يزلون جبلا

بهذا الاسم ، وقد جاء ذكرهم فى شعر المتنبى يمدح

عضد الدولة فى أرجوزته اللامية إذ يقول :



فيه بالمنع ، وأدفع في صدر الإيجاب بيد المذر ، فمكتوبة من لا يكتب غميرة في العقل ، ونقيصة في القدر ، لا سيما ممن عسى أن يقبض بنانه مكتوباً ، بقدر ما ييسط راحته واهبا ، إلا إذا اتفقت مخاطبة مثله من الأعيان الأفراد ، والأركان الأحاد ، ولكن لا بأس ، فإنه إن استمر على الخلق الوعر ، جعلت كتابي هذا بيضة العقر .

وبعد أو قبل فهذا الشريف حسن الهدى والستر ، جميل الطريقة والأمر ، منقطع إلى جانب العفاف والعلم ، وأراد المشهد<sup>(١)</sup> — صلوات الله على ساكنه ، ورحمته على زائره — وسأل أن أحبه كتابي إلى الشريف سؤالا ، أفضى فيه الإلحاح ، إلى النجاح ، والإتحاف ، إلى الإسعاف . والشريف ولي ما يوليه ، كما يستحقه بنفسه وسادتنا من أوليه ، إن شاء الله .

## ٧ - وله

قد علم سيدى أن اهتمامى بما يخص أعماله ، ويُقَرَّب آماله ، لا يتميز عن اهتمامى بأمر ما أراعيه ، وأُعمل الفكر فيه ، فلذلك أستجيز مخاطبته ، ومراسلته ، بما هو وإن ثقل بعض الثقل ، وزاد في طائفة من الشغل ، فهو أجل مرجوعاً ، وأحسن مسموعاً . ومن خاص ذلك أمرُ أبى القاسم فهو صنعة ذلك البيت وتليده ، ورضي ذلك الجنب وعقيدته . والعثار قد يعرض ثم لا يستمر ، والزلل قد يعين ثم لا يستقر ، وكيف جرت حاله فقد فرغ إلى ظلى ، واعتصم بجبلى ، واعتمد كلاي ، واستظهر باهتمامى .

وسيدى يغطى بهذه الذريعة على كل جريمة ، ويقدم هذه الوسيلة على كل عظمة ، ويكظم الغيظ فهو أشبه بفضلته ، ويستعمل الحلم فهو أليق بخلقه ، ويعيد أبا القاسم إلى كنف إيجابه ، ويحقق مسرحة أمره ومسررى طلابه ، فقد أنهضت فلاناً متحملاً في بابه ، مالا يُستكثر من سيدى بين شفاعتى وإيجابه ، فإن رأى أن يأتى في ذلك ما هو المهود من مذاهبه ، المأمول من ضرائبه ، ويخاطبني بخبره وأمره آنس ما أترقبه وأنتظره ، وأولى ما أقدمه كما يؤثره ، فعل ، إن شاء الله .

(١) المشهد : مشهد الإمام على الرضا في خراسان وهو الذى تسمى باسمه اليوم مدينة مشهد



## ٨ - وله

كتابي — أطل الله بقاء الأمير مولاي — ومولانا مؤيد الدولة ، أغز الله رايته ، ونصر كلمته ، ممدود أروقة الملك ، معمور أفنية العز ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .

والأمير بما أوتي من مناقب جمعت محاسن الآراء والحكم ، وفضائل السيف والقلم ، يتصور الأمور بصورها ، ويتخيل عواقبها من غررها ، فيعلم أن مولانا يؤثر له ما هو في الصيت أحسن وأجل ، وفي التدبير أقوم وأعدل ، وربما كان بعض ذلك مثقلا بعض الثقيل ، ولكنه أحزم عند التدبر والتحصيل .

وفلان الرجل نبهت تلك الدولة عليه ، وجذب ذلك البيت بيديه ، فكان ، ما أقام ، حميد الأسعاء ، رضى الأنبياء ، ثم عرض ما قد يتفق مثله ، فإذا حسن نظر الله وصنعه ، أخذ بالفضل من أغز نصره ، وأنفذ أمره . ولولم يكن له بحضرة الأمير حق محفوظ ، ولا ذمام ملحوظ ، ولا سبقت خدمة تستعطف الحلم عليه ، وتستصرف الإغضاء إليه ، لكان التجاؤء إلى هذا الباب العظيم ، والظل الظليل ، يمهده عند الأمير حالا مستقبلة ، ومنزلة مؤتلة ، ولجللت هذه الوسيلة مواقع الاحترام ، وأوردت مشارع الإنعام .

وقد أخرج مولانا فلانا بذكره ، وحمله رسائل في أمره ، والأمير يصفى لها إصغاء مثله ، ممن المحاسن في حصنه ، والمحامد بين قوله وفعله ، ويراجع أكرم خواطره في معناه ، وأجل ما يستصيبه ويراه ، إن شاء الله

## ٩ - وله

وصل كتاب الشريف ، فكان هلال عام ، وزور إنعام ، وعهدى بمخاطباته تفوت القدر ، وتكاثر القطر . على أن الثقة بوده تدفع في صدر العتب ، وتوجب حمل التقصير على كاهل العذر ، وإن كان الأسف على بعده سميرا لا يحمده ، وسعيرا لا يحمده ، وقد يعتب الزمان ويرعوى الدهر ، والأمر يحدث بعده الأمر .



وأما فلان فقد أنشئ له أمان ، لا يُحذَر معه الزمان ، وسيناله من عواطف الجميل ،  
وعوارف النظر الحميد ، ما يتجاوز أمله ، ويسبق ما طَلَب وطُلِبَ له ، وكيف يجوز أن يحظى  
بغير الإحسان والحسنى ، وقد خُفِّتَه من الأمير ملاحظة أسكنته حرماً لا يُرَاع ، ونالته من  
فلان محافظة أوطنته كنفاً لا يضاع . والشريف شفيعه ، وهو المشفع الذى لا يدفع ، والمتبع  
الذى لا يُمنع . إلا أن الشريف يأمره بسرعة الانصراف فى إبطائه ، ما يبعث جرأة  
أكفائه . وفلان نعم الوافد ، والرائد ، وألفيته حسن الفهم ، جيد الوعى لما يطرقه من العلم ،  
ولن يرد عن فلق الصبح ، إلا من اكتسب من ضياء الشمس . والشريف ولئى مخاطبتي  
بخبره ، ووطره ، إن شاء الله .

## ١٠ — ولله

الدول — أطل الله بقاء الأمير — منأخ يداولها الله تعالى بين الناس ، إلا أن فى أربابها  
من يجمع به أمانة العام إلى سعادة الخاص ، وذلك بفضل يؤتونه من العلم والتميز ، يستحلى  
ثمراته أهل الشرف الأصيل والفهم الصحيح . وذلك مشهور يُرأفد العيان فيه منقول الخبر ،  
ويعاضد المشاهدة عليه مأثور السير ، والأمير من الأفراد الأحاد ، الذين خلصت لهم الفضائل ،  
فسعد بهم الأفاضل .

والشريف الحسينى أبو الحسن على بن محمد ، أيد الله ، ممن أشهد له شهادة قاطعة ،  
جامعة ، على تنبيه أيام الأمير حتى لولا طلوع شمسها لما عاود تلك النواحي ولا طرقتها ،  
ولا راجع داره بها ولا سكنها ، إلا أن الله حقق مناه ، وأراه قصارى ما كان مبتغاه ، فاعتنم  
الخروج لأمر ثلاثة : أولها كرم الأمير ، فهو المفزع والمُنْتَجِع ، والربيع والمُرْتَبِع . وثانيها أنه  
يختص بى الاختصاص الذى لولا حلوله من بيت النبوة ذروة النسب ، ومن مقر الوصية  
يفاع الشرف ، : لقلت : إنه الولادة أو الصق ، والأخوة أو أقرب . وثالثها أن من ناهض  
أملا ، وقدم فى الرجاء سلفا ، نازعته نفسه إلى أن يشاهد موقع تأميله ، محفوفاً بإنجاز الله  
وتحقيقه ، فإن يكن الأمير مشفقاً لى كتابا ، وعاجلاً للإنجاز جوابا ، فهذا . والأمير مولاي  
يوليه ، ويولينى فيه ما أعدّه فى بيض أيديه ، ويصرفنى على أمره ونهيه .



١١ — وله تنصح وتنصح

أطال الله بقاء مولانا الأمير ، سابعَ العز ، ساطعَ مطالع الملك ، والحمدُ لله ، وصلواته على النبي وآله .

وقد تصور لاريب أن مولانا ، أعز الله كلمته ، يؤثر في الأمور التي تخص تلك الأعمال ما هو للأمير أوفق ، وبرزاه أوقع ، وإلى مباغية أقرب ، ولذلك رسم لي أن أخطب بذكر فلان ، إذ ترك أمره سُدى مما لعل الرأي لايسوِّغه ، ومغادرة المتصلين به في جانب الخلاف مما الحزم لايرخصه . وإذا استخلص الجماعة لخدمته ، واستفاءها إلى طاعته ، ووقفها لأمره ونهيه ، واستضاف ما في أيديها من المعامل إلى يده ، من دون أثقال تتجسّم ، وأعباء تتكلف ، وأيام تتدافع ، وآجال تتطاول ، كان ذلك أولى فيما يتجلى لنا من الرأي ويبين ، وإن جاز أن يكون هناك ما يغمض عنا ويغيب .

وكان فلان يلتمس في معنى فلان ضروبا فيها سرف وشطط ، فدفع عنها ، ومُنِع بصريح القول منها ، وأعلم أن الكلام<sup>(١)</sup> في بابه لا يقع بعد الأحوال التي وكّد الله مبانيها ، وثبت رواسيها ، إلا من طريق الشفاعة له ، وبعد أن يُخلص في موالاة الأمير نيته وعقده ، فلما تجلّت له الصورة ، وتمثل قدر المعونة ، وعلم كيف يجب أن يلتمس ، وأقلع عن أن يقترح<sup>(٢)</sup> ويحتكم ، أمرني أن أخطب الأمير بأن فلانا وإن زلت به القدم ، فله في ذلك البيت الخدمة والرحم ، وهو الرجل الذي كان الماضي رفعه ، واصطنعه ، ونوّه به ، ونبّه عليه . وإنما تُسَلَف الذم ، وتقدّم العَصم ، لتنفع عند زلة تنفق ، وتنقذ عند هفوة تتجح ، ولولا هذه الحال لما عُرف كيف تغلب الوسائل على الجرائر ، وتقدّم الذرائع على الجرائم ، ولا أثرت قضايا الصفح ، ولا علمت مزايا العفو .

وقد أبى الله إلا سَوِّق الأمر إلى من أوتي به بحق ، وأعطيه بفضل ، فمن فرض إحسان الله أن يُتعمّد المسيء بالإقالة ، ويُتعمّد جرمه بقبول الإنابة ، ويؤثر من كرم الظفر ما هو أليق بأداب المجد والشرف . وعسى أن يكون الصواب في أن يُستعاد آمنا على نفسه والمتصلين

(٢) في الأصل : يعترج

(١) في الأصل : ما في



به ، ويُجْرَى في حسن النظر والطَّعة على رسمه ، ويمكن من الافراد بحضانة فلان ، ويُجْرَى ما يسمى له على يده ليوفِّي الأمر فرض التعبد ، ويبذل المهجة في ضروب التقرب ، ويقود الذين في حصنى كذا وكذا إلى تسليمهما ، والنزول عنهما .

وهذا أمرُ الأميرِ مولاي أعرفُ بمضاره ومنافعه ، ومصلحه ومفاسده ، فإن استوفقه أنعم بتعريفى إياه ، لأتوسطه وأتولاه ، فإنه يجمع قضاء ذمام من شبَّ في خدمة سلفه وشاب ، ودرج في تحمل البيجار<sup>(١)</sup> لهم إلى أن شاخ ، وهو مع تظاهر الحرمة مستظهر بأصرة اللحم ، واستصفاء بقية تلك القلاع مع عظم قدرها ، وغفامة ذكرها ، وإزالة شغل القلب بها ، إذ الأمر إذا أمكن قوده إلى المراد من طريق مُكثَّبة<sup>(٢)</sup> ، ومنازل مُضحَّبة<sup>(٣)</sup> ، فلا وجه لتحمل الكلف ، ومدافعة المدد ، وترك النظر في العواقب والعقب .

وهذه الأحوال إذا رآها الأمير مولاي وأمضاها جمع إلى ما اقتصصته الاستمداد من اعتداد مولانا ، فيمن استجار بالكرم الذي لا يضاع آمله ، والحرَم الذي لا يُراعى نازله ، وقد خاطبت فلانا بما يذكره ، والأمير يتدبَّره ويدبَّره ، فإن رأى أن يتفضل ، ويتمثل ما قلته في معرض ما يراد الحظ فيه لأعماله ، واجتماع كافتنا في صفقة اختياره ، ونظَّم الكلام من أهلها على طاعته ، والإصفاق على مناصحته ، فعل ، إن شاء الله وحده .

(٣) في الأصل : مصحب

(١) التبرع بالعمل  
(٢) في الأصل : مكثب



## الباب السادس عشر

في توصية العمال بتجلب المال وإظهار العفاف وحسن السياسة

### ١ - كتاب ضر ونفع

كتّابى ، ونعمُ الله بالحضرة العالية متوالية ، والكلمة بحمد الله عالية ، والحمد لله وصلواته على نبيه محمد وآله .

ورسم مولانا الملك أن يُعرَف انتقال معاملة (ماه الكوفة<sup>(١)</sup>) إلى ديوان مؤيد الدولة ، وإني استوهبتك لتباشر من مهمى ما أعتمد له قيامك ، وأرضى فيه منابك ، وأُخرجتُ إلى بواقٍ من الديوان المعمور اعتدَّ بها على وكيل مولانا . ويجب أن تباشر العمل مباشرة مثلك ، وتقيم فيه غاية جدك ، وتستنفذ نهاية طَوْقك ووسعك ، وتجعل من أول كدحك وهك أمر العمارات ، والزراعات ، فأيامها قد ضاقت أوفات أو كادت ، وترقه الأكرّة ليقبلوا على تمكين تُلافي الحال به ، واستحفاظ ارتفاع سنة سبعين معه . وقد بلغنى أن عنتا يلحقهم ، ولا عذر الآن بعد نفوذ الخطاب العالى بانتقال المعاملة ، وتضمّن العمل بالبقايا ما تضمّن إيجابها للوكيل .

وهذه البقايا عليك حراستها وتحسينها ، وما احتجت من ذلك فيه إلى مزيد استثمار ، فإنه إلى الشيخ مولاي ، فإنه — أدام الله عزه — رَسَمَ تقرير هذه البقايا وجمعها للوكيل ، وناب فيها عن مولانا مناب الخالص الخصب . وأنا أنتظر ما تأتية ، وتركى شهادتى فيه ، فقد كتبت إلى حضرة مولانا بوصفك ، وذكرت سابق حقك ، وقلت : إني أستوهبك لما عرفته من سدادك ، وحسن قيامك بما يُفَوَّض إلى منابك .

وفلان يزيدك توقيفا وتعريفا ، فقد فاوضته ما علمت أن الشفاء فيه أبلغ وأنجع . وأشغ مع ذلك فى الرعية ، حرسها الله ، ماخرج به الأمر العالى ، أنفذه الله ، وعِدُّهم عن كرم

(١) اسم آخر للدينور ومر سبب تسميتها بذلك فى ص ٦١ .



مولانا مؤيد الدولة بالإحسان والإينعام ، والعدل والفضل ، وعني بما يضاهاى هذه السيرة الشريفة ، وتقضيه أمثلة الدولة السعيدة ، وابلغ في تألف الأكرة والمزارعين ، واستعادة الشاردين ، ما هو قوامُ الصلاح ، ونظام السداد ، وواتر كتبك إلى ، على نسق الأيام ، وقد أمرت أن يُنسخ لك — آخر كتابي — الفصل من الحساب المتسلم من الديوان المعمور ، بذكر البقايا المختصة بعملك ، لتعرف ما يلزمك في ذلك .

## ٢ — ولله

ورد من مولاي أبي فلان بذكر عمال الأرصاد ما كان تطلى وقفاً في سبله ، وفكري موكلًا به ، فلم يقنعى ما أتاه ، ولم يكفى ما كفاه . فإن ذلك الكويتب دامت أيامه في العمل ، وطالت به نوازع الأمل ، وغرّه لين العاملة ، وأمن خشونة المقابلة ، واستعان بكل متبرم يمينه ، مخاطر بوتينه ، لا ينزع عن ذميم سجيته . وسبيلُ سيدى أن يتجرد للجماعة بنفسه ، ويستكشف أحوالها بجده ، ويسمح لخصومها في المقال ، ويضغى [ إلى <sup>(١)</sup> ] ما يُرفع عليها من يمين وشمال ، ثم يجمع لجناتها بين التفرير ، والتنكيل والتقويم ، حتى يسمع الأبعد عنهم تضاعفهم ، والسياط تمشق في ظهورهم ، وتخط على جنوبهم ، وترسب في مفاصلهم ، وتختضب بالعبيط من جوارحهم .

والرصد ليس بذى أصل تُرد إليه رفوعه ، ولا ارتفاعه بما تنبّه عليه نقائصه وخصومه <sup>(٢)</sup> وإنما هو نُفْضة أوقات ، وفرص لحات ، فإذا لم تكن على الأيدى أغلال مخافة ، وحدائد مهابة ، فالمال نُهب ارتفاق ، وعرض إنفاق ، إذ هذه الطائفة عبيد أيامها ، ومبذرة حطامها في وجوه آثامها ، وإن لم تراعى أحوالها طراد الساعات ، نُظر من الارتفاع في أعقاب نجوم غائرات .

## ٣ — ولله

كتابي ومولانا الأمير كما يؤثره علاء نجم ، ومضاء حكم ، وأنا سالم في ظل إينعامه ، وغانم بشرف استخداميه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله .

(٢) خصوم هنا جمع خصم : وهو ما يخضم

(١) زيادة يقتضيه السياق



ووصل كتابك تذكراً ما تيسر لك من نظم مال الخلل وإصداره ، والبلوغ في الاجتهاد إلى أبعد أماده ، وتوفرك على ترويج ما خصّ ومسّ من التسبيب ، وتشكو معاملة بنى حامد وما يتصرفون فيه من ذميم المذاهب ، وفهمته . وقد كان سيدى أبو العباس<sup>(١)</sup> أنهى حسن تصرفك ، وحيد تحقّقك ، وفضل جدك ، وتصيير التقرب كل وكّدك ، فاستمد لك من الإحجاد أوفر الحظوظ والأقسام ، ومن الرضا أكمل السهام والأقساط . وأنت — أيدك الله — أوجه أمثالك محلاً ، وأوجبهم حقاً ، وأكثرهم تحمداً ، وأشدهم بى تحقّقاً ، وحرماً تك تقتضى لك من الرعاية أمدها ظلاً ، وأردّها فضلاً . وإن وسائلك لتخاطبى دائماً مستمّدة إيجاباً ، ومستجدة إطلافاً ، فتصور هذه الحال مثابراً على عمارتها بالانكاش على ما عمر الناحية واستدرّ الأموال ، وبسط العدل فى الرعايا ، وحسم أطماع المتصرفين .

وفلان قد كتبت بتقديم موافقته ، وإنفاذ ما يتقرر من محاسبتها ، وعذرک فى التأخر عن أصبهان مقبول ، ومثل ما اعتذرت به أغفيتك من ورود الحضرة العالمية فى عاجل الحال ، وإن كنت سأستقدمك للزيادة فى الرفع منك ، والتنويه بك ، بمشيئة الله .

وفلان قد عرفت مكانه لدى ، وقرب محله إلى ، وإنى أعدّه فى مشايخ أهل ودّى ، وأقدّمه على أكثر من يتحقّق بى ، وقد عادنا ، فاعرف له قدره ، وفخم أمره ، وتوخّ محابه وتحجّر مساره ، وأجلّ منزلته عن أن تقع معارضة أو تحكّم فيما يقضى به ويراه ، وأجر أمر مشاهرتة فى الإطلاق والإسلاف على ما يقترح ، وكما يلتبس ، فإنك لا تكاد تتحمّد إلى فيما يخصنى بما هو أوقع من هذا وأحمد ، وعرفّه ما خاطبتك به ، بل اعرضه عليه بفصّه ، واعلم أنى لو على قدر الاهتمام أطلت الكتاب ، لنظمته قدر المسافة .

وأما فلان فداؤه معك داء الحاسد ، وما أبعد دواءه ، وأغسّر شفاؤه ، وسبيلك أن تستوفى الحق قبّله من غير إعنات ولا إرهاب ، وتترك ما يفعله أصاغر الناس من استجازه الظلم للتشفي ، ففى العدل مقنع ، بل فى أقل منه متسع ، وما أمكن أن تترك الضياع فى يده ويد ولده ، فلا تقبض عليها ، ولكن بعد أن يصح الواجب عنها . ومولانا إنما يحظر فى بابه الاعتداء ، فأما استيفاء حقوق بيت المال فلا عتب فيه عليك ، والتسويغ فلا وجه للتنكّد دون إجرائه ، إن شاء الله .

(١) لعله أبو العباس الضبي .



## ٤ — وله إلى عامل ناحية

كتابى ومولانا الأمير المؤيد فيما يُعَلِّي الله من جَدِّه ، ويرفع من يده ، على ما يؤثِّره ،  
ونحمد الله عليه ونشكره ، وأنا معافى بدولته ، راغبٌ في الصلاة على النبي محمد وعِترته .

ووصل كتابك بذكر ورودك الناحية وما شاهدته من اضطراب أحوالها ، وتناهى  
اختلالها ، وامتداد الأيدي والأطباع إلى ارتفاعها ، ووقوع التقصير فى تنفيق غلاتها ، إلى  
سائر ما لخصته ، وشرحته ، واقتصصته ، ووصلته بإنهاء الصورة ، وتقديم المشورة ، وفهمته .

وقد كان ذلك الرجل — عفا الله عنا وعنه — اعتلَّ ، فى مبدأ وروده الناحية واختلَّ ،  
ورب أمرٍ قدَّرَه أحوطٌ وأعود ، لم يكن أوفق ولا أرفق . وإنما تظهر كفاءة الكفاءة ،  
وجزالة العمال والولاة ، إذا أصلحوا الفاسد ، وثقفوا المائد ، وتلافوا الفارط ، وتداركوا  
الفائت . ولهذا أزعجتك من يزِدُ<sup>(١)</sup> مع حاجتى إلى مقامك بها ، ولزومك لها ، غير أنى  
قدمت أخص الأمورين ، وأمسَّ المهمين ، وسبيلك أن تفرغ الطاقة ، مستنفداً لجدك ،  
ومستنزفاً لوسعك ، فقد مثلت بحضرة مولانا من أمر العمل ، ما تخلل من الخلل ، فليس  
يلزمك عهدٌ ما لا تطيقه ، ولا يعود عليك دركٌ ما لا تستطيعه .

والصواب أن تعتنق الأمر اعتناق من لا يُعوَّل فيه على الإحالة ، ولا يركن إلى الحجج  
الشاذة ، ولا يقول : سأبشر راضياً بعفوه ، وأخذاً لصفوه ، فما اتجه من أثر حسن كان جماله  
لى ، وما دخل من وهنٍ وتقصير كان عاره على المتولى قبلى — فليس لهذا أُرِدْتُ ولا بهذه  
الشريطة اعتمدت ، ولم أورد ذلك والظنَّة متوجهة إليك ، وحسنُ الظن منصرف عنك ،  
بل لأن الهزَّ والتحريك ، ربما كانا<sup>(٢)</sup> خيراً للمخاطب من المدح والتقريظ ، ولست أدع  
بعث أكثر أصحاب التسيبيات ، على قبض صدرٍ من الغلات ، بعد أن لا يُتَجَاوَز فى السعر  
القانونُ القائم ، فرُضُّهم على هذا قاصداً ما يستتب به الأمر ، ويزول معه الشغل ، ومن  
كان من المتولين قد تخطى طريق الأمانة والصحة ، إلى الخيانة وسوء الثقة ، فلا تدع

(١) مدينة كبيرة فى وسط إيران إلى الجنوب ، (٢) فى الأصل : كان .

وهى حاضرة ولاية يزد .



المبالغة في استكشاف أمره ، حتى إذا وضح ما ظنَّ به بالغت في الإنكار عليه ، والتنكيل به ، على قدر ذنبه ، ومقتضى جرمه ، وطالعتني بجلية فعله .

وجملة من القول : إن عصام بن أحمد إن كان قصراً أو قصر فما سرق ولا تحيف ، ولا تولى زراعة ما استثمره عند هذا الدخّل . والبلد بارتفاعه ومتصرّفيه موكول إليك ، معول فيه عليك ، والقدر الذي يقع من التفاوت بين تقديم الكيول وتأخيرها ، وتنفيق الغلات وترتيبها معروف . ولهذا الفصل الواحد وليت واستكفيت ، فأعطى النصيحة حقها ، ووفر عليها حظها ، وهب ليلك ونهارك ، واشغل أوقاتك وساعاتك بها ، وعرفني ما تأتبه وقتاً وقتاً ، وتدبره أمراً أمراً . وقد كفاني ما أخبرتني به في اختلال الأمور ، واضطراب الشؤون ، فاجعل آف ما تخاطب به بذكر ما تستصلحه وتستدركه ، وتتلافاه وتنظمه ، إن شاء الله العزيز .

## ٥ - واه

في نفسي أن أخاطبك منذ زمان بخطي ، فلم يتفق ذلك لتراكم على وشغلي ، فالصورة متغيرة عما عهدت ، والحال بخلاف ما شهدت ، لأن مولانا ألبسني أثواباً من التشریف والاعتماد ، والإيثار والإحاد ، زائدة على ما تطوقته عند حضورك من إكرامه ، وقسم لي من فوائد إنعامه ، فلا يكاد يتفق أمر ، أو يعرض نفع وضرر ، إلا آثر أن أباشره <sup>(١)</sup> بنفسى ، وأفضله في مجلسى ، والله يحفظ على ظله ، ويديم لي رأيه ، ويقيني بحقوق خدمته ، ويعينني على شكر نعمته .

وقد أكثر السعاة بذكرك ، وأقاموا الأسواق في أمرك ، وجرى فلان على عادته في تشقيق الكتب ، وبث الفيوج والرسل ، ومتى رأى خامة ألفاظهم وضخامة أدراجهم <sup>(٢)</sup> ، ربما قدر وراءها تحصيلاً ، وظن بعدها خيراً كثيراً — وعرفوا ما أراه بك ، وأوجبه لك ، فخرجوا على جميع ما خاطبوا ، في إخفاء مخاطباتهم عني ، وطبها دوني ، وطريقها ، كيف دارت ، على ، ومصبتها ، أين جرت ، إلى ، وقد نيدت في وجوههم ، وردت في

(١) في الأصل : أباشره .

(٢) جمع درج : ورق للكتابة .



صدورهم ، وأنشبت في حلقهم ، وكسرت في نحورهم .

وعرف مولانا ولى النعم أنهم يميلون على جانب السعاية ، ويعتلقون أزمة الوشاية ، فلم يرفع بما حكى عنهم طرفاً ، ولم يشغل بما ورد منهم سمعاً .

ولعلمهم حضروا هناك فلانا فشغلوا قلبه ، وأوقروا أذنه ، حتى خاطب بعض الناس برقعة خائف وجل مما ألقى إليه ، مرعوبٍ حذرٍ مما زُخِرَ لديه . وأجبناه بما أراه صورة القوم واخفحة ، وأدلة على طرائقهم لأثمة . وعلى — ياسيدي — حفظ غيبك ما أمددتني بنصح لهذا الملك تؤثره ، وجميل تؤثره ، وعدل تبسطه ، ومكان تعمُرُه ، فلا يقدرن في نفسك ما تأتيه هذه الفرقة ، ولا يئلمن في صدرك ما تجنيه هذه العصابة ، فسعها باطل ، وكيدها خامل . ولا وجه أيضاً لأن تظهر هذا ، فتجعل لما ارتكضوا فيه وزناً ، أو توهم أنه مما يشغل فكراً ، وداوٍ أمرك بدوائه ، وعالج عملك بعلاجه ، واشتغل بالتقرب إلى مولانا ولى النعمة وقد رفعك ، وأنبتك واصطنعك .

وإذا وصل الحمل الذى أريد أن يكون المهمُّ أجمع موهوباً له ، ومقصوراً عليه ، ومشغولاً به ، وجارياً معه ، فقد توصلت إلى الزيادة في الدعاء لك تقوية لمننتك ، وإضعافاً لحسدتك .

وقد شافهت فلانا بما لم يحجز أن أسطره ، ولم يصلح أن أضمنه ما أصدره . ومحل فلان من مولانا لطيف ، ومكانه من رأيه — أعلاه الله — قريب ، فهو متجاوز رتبة الحجاب إلى منزلة القدماء والشمار . وسبيل تسميته أن يكون مروّجاً ، وماله أن يكون مقدّماً ، ولا بأس إن كاتبته وبأسطته ، فلما يخلفك به من منابٍ جميل موقع أحبه لك وأوثره فيك ، وتكتب لأرباب النظر أجمع بما أنفذته مع فلان ، فليديموا الدعاء لهذا الأمير عن حسن رعايته ، لكافة رعيته ، والسلام .

## ٦ — و له

وصل كتابك وعرفنا ما ذكرته في الأبواب أجمع ، واستدللنا منه ومن سائر ما ورد



على رضاك من نفسك بالتجوز ومن العاملين بالتحكم. وليس لهذا نصبناك ، أو بهذا أمرناك ، تذكر مرة أن المقاطعين يتمتعون من التزام العبر<sup>(١)</sup> ويطمعون في واقع نظر ، وتزعم تارة أن القَبَّاض الثقات لا يوجدون بقاسان ، وتلمس إخراجهم من أصبهان ، وتُنهي إلينا أن أهل راوند<sup>(٢)</sup> يتكرهون خروج غلام إليهم وولايتهم ، كجاري العادة عليهم ، وتحكي عنهم ما يقتضى التأديب ، ويستدعى التقويم .

وقد استظهرنا هذا الخطاب فيما أنكرنا ، ففارق طريقة التواني والمقاربة ، واعدل عن سمت التضجيع والمراقبة ، وخذ نفسك باستيفاء الحقوق وإيجابها عن آخرها ، واجتمع مع أبي منصور على تهذيب الأمور وتقيفها ، ومن كانت عليه مقاطعة ، في السنة الماضية ، فهي الآن له أوجب ، وأزيم ، فلا تحلّ عن أحد معقودا ، وطالبه بمال الضمان موفورا . وأما القبض فالزيم كلا من وجوه البلد وثقات الناحية وتناء<sup>(٣)</sup> الشَّقْع تولى طائفة منه ، فإن كره أحدهم القيام بذلك ، فليقم صاحباً له ، مسكوناً عنده ، يلتزم عهده ، ويودع خطّه الديوان بدرك ما يصير في قبضته .

وأما أهل راوند فخذهم مما أجزوا إليه ، وازجرهم عن معاودة ما اجتروا عليه ، فليس للرعية أن تختار العزل والتولية ، وأما الغلمان والفرسان المقيمون هناك للحماية ، فأزح عنهم في المشاهرة والجراية ، وأنفذ رَج كتابك عريضة بأساميهم وأصناف المقرر لهم ، والاستقبال الذى أُرخت عنه في معاملة سنة ثمان عليهم بمشيئة الله . وتشدد في أمر الغلات ، وأحظر نقلها إلى الحوامة ، على جارى الرسم في كل سنة .

ومتى انتهيت إلى باب ، وقبضك عائق عن إتيان الواجب منه ، فاذكره لأبي الوفاء وأبي منصور ، فما عندهما انقباض لأمر ، ولا اعتصام بعذر ، واعمل على أن تغنى عن الهزّ والبعث ، والتحريك والحث ، بما تستأنفه من جد واستنفاد للوسع ، فإننا — مع استحقار الأرض بما تنظم — نحاسب على النقص ، ونعاقب على القطمير ، فرأيك .

(٣) تناءج تانى : الدهقان .

(١) العبر : وزن الدراهم والدنانير .

(٢) بليدة قرب قاسان وأصبهان .



٧ — وَاَلِه

كتابى ، ياسيدى ! ، والأمور بهذه الحضرة — أدام الله بهجتها — على غاية الاستقامة ،  
والحمد لله ، وأنا معافى بدولة مولانا الأمير مؤيد الدولة ، والشكر لله .

وقد كتبت إليك — يامولاي — كتابا [ ما<sup>(١)</sup> ] تمكنت من إشباعه ، ولا قدرت  
على استيفاء أبوابه ، شغلاً منى بمهمات ، وفرنى مولانا عليها ، واعتمدنى لها . وورد كتابك  
فحسبته خالص إلى من أثناء النجوم ، توقعا لما تحمله من ذكر المال واجتماعه ، والوقت المقدر  
لإصداره ، فيزول عتب مولانا عنك ، وتحول استزادته إحمالا لك ، فأخلف ظنى ، وأخطأ  
تقديرى . وعلام الغيوب يشهد بما تيزاحم على قلبى من أصناف الانزعاج متى رأيت — أدام  
الله تمكينه — مستبطاً لك ، مستقصراً لفعالك ، بعد الرضا التام ، والحمدة الشديدة ،  
والتقريظ الجم ، والأوصاف البليغة . وقد — يشهد الله — نبت ما أمكن ، وقمت بالعدر  
ما اتجه ، ثم تراخى أمر المال فى أضيق وقت ، ومع أمس حاجة ، حتى رأيت ما أورده فى  
الاحتجاج عنك يكاد يولد على ضجرا ، فأسكت ، وتركت الكلام لوقته وصمت . وأرجو  
أن ييسر الله — بلطفه — حمدا وافرا كثيرا ، يقع موقعا لطيفا ، ويسد مسداً عظيما ،  
فيبسط من لسانى ما انقبض ، ويطلع من استرسالى ما غرب . وبالأمس أخرج محمد خليفة  
الحاجب — أيدى الله — إلى مستقرك يا مولاي ! بكتاب أطلته ، واختصرته بالإضافة إلى  
مارسَم ، وبسطته وإن حذف بعض ما مثل .

وأنت — يامولاي — أحزم وأعرف من أن تبصر مواضع الرشد ، وتدل على سواء  
القصد ، فناشدتك — ياسيدى — أن تبيض<sup>(٢)</sup> وجوه إخوانك ، وأهل ودك ، بحميد  
صنعك ، وجميل رفدك ، فإن الأمر إن تراخى يسيراً أو تدفع قليلا ، أخرج أبو الوفاء الحاجب  
على الجازات ، مستدعيا للمال ومقتضيا ، ووطأته ثقل ، ومثوته تعظم ، والقالة تقبح ، والصدى  
يجزع ، والحاسد يشمت . وما يبعثنى على هذه الإطالة إلا الضن بمحلك ، والمنافسة فى ودك ،  
والحرص على بقاء موقعك ، من ولى نعمتنا ونعمتك ، ومالك مهجنا ومهجتك .

(٢) فى الأصل : إن لم تبيض .

(١) زيادة يقتضيا السياق .



وَأَرْجِعْ لغير هذا ، قد عرفت مولانا مودع كتاب فلان إليك ، وبطلان ما أحال به عليك ، وقررت الصورة في توفير المصروف إلى الفيوج على تمام ووفور . وأحمد الغلام أنتظره ، وأنت — يا مولاي ! — لا تؤخره ، فربما اتفقت نهضة ، في أقرب مدة . وإذا لم تلحقني تلك المادة من التسبب وقع تنقص في الأهبة ، وكتبك متوقعة ، وأرجوها لا تتأخر ، إن شاء الله .

## ٨ — ولله

قد كاتبناك ابتداءً وجواباً بما قصرناه على ذكر المال وحمله ، ومساس الحاجة ودعائها ، وأعلمناك أن مثلك يُقدّم ويُرفع ، ويُولى ويُصطنع ، لمثل هذه الحال التي التقرب فيها فرضٌ على الخدم والأشياء ، وبذل الطاقة معها حتمٌ على المتصرفين والأتباع ، وضيقتنا عليك سبل المحاجة والتأخير ، وأبهمنا دونك طرق المدافعة والتقصير ، وحضضناك على ما تحصل به المحمدة الدائمة ، وتُدخر عنه الخطوة الصادقة .

ولا شك في أنك قد جددت واجتهدت ، وقت وقعدت ، واضطربت واحتلت ؛ واستخرجت وتمحلت ، وأن حملك هذا يوفى على كل الذي يحمل من تلك النواحي وعهد ، فنهضتنا تقرب بإذن الله وعونه ، والمون — كما تعلم — ثقل وتعظم ، وما من أوليائنا وحاشيتنا إلا من قد وعدناه بهذا الحمل ومنيناه ، فليكن بحيث يسد مسدداً عظيماً ، ويقع موقعا لطيفا ، وأظهر ما يعرف من كفايتك وغنائك ، ومناصحتك وولائك ، وأعرض عن الراحة ، ورفض الدعة ، واستغن بالمعاملين ، وجد بالخالطين ، فالقليل لا يقنع ، واليسير لا ينجع ، والذي يُرضى منك التكثير والتوفير ، وتجنب الاقتصاد والتعذير .

وقد دعت الصورة إلى ضرورة<sup>(١)</sup> متابعة الكتب ومظاهرة الرسل ، وأخرجنا هذا الركابي بعد أن أمر بالإسراع والتعجل ، وحذر من الإبطاء والتلوّم ، ونحن نتوقع كتابك بمبلغ الحمد وقت صدره ، فالحال تمنع دون احتمال المطاولة ، والإحالة على الحواجز الممانعة ، والعوارض الشاغلة ، والأيام بل الساعات محصورة معدودة ، ومحصة عليك محسوبة ، إلى

(١) في الأصل : الضرورة .



أَنْ تُسْقِطَ عَنَا الشُّغْلَ ، وَتَحْطَ السَّكَلَ ، وَتَقْدَمَ الْحُلَّ ، فَإِنْ التَّوَانَى إِنْ عَرَضَ فِي ذَلِكَ عَرَضٌ  
بِمَكَانِكَ لَدَيْنَا ، وَتَحْيِفَ حَقُوقَكَ عَلَيْنَا ، وَبَعَثَ عَلَى أُمُورٍ أَنْتَ بِحُزْمِكَ وَتَيْقِظُكَ تُغْنِي عَنْهَا ،  
وَلَا تُخَوِّجَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

## ٩ — وَالله

عاد الجواب عما خاطبت به الأستاذ فأفاد سكوناً إلى سلامته ، وفرَّ الله منها حفظه ،  
وحفظها وسائر ودائعها عنده ، وأعقب انزعاجاً ، لتأخر المال عن الوقت الذي قدرته ، وتعذُّر  
حمله على ما التمسته وأردته ، وبالله ما أرتاب ، بمناب الأستاذ في هذا الباب ، وإن استبطأت  
واستزدت ، وراجعت وعادوت ، غير أني أحب أن يُخَصِّرَ من عزائمها أدعائها إلى تسهيل  
ما أوتره ، ويُعْمَلَ مِنْ لَطَائِفِهِ أَدْنَاهَا مِنْ تَقْرِيْبٍ مَا أُنْتَظَرُ ، لِيَتَسَهَّلَ بِعَوْنِ اللَّهِ التَّعَجُّلُ إِلَى  
هَذَا الْبَيْجَارِ ، فَالْإِبْطَاءُ عَنْهُ عَجْزٌ ، وَالتَّأَخُّرُ دُونَهُ ضَعْفٌ ، وَتَرَكْتُ السَّبْقَ إِلَيْهِ وَهَنٌ .

وإن اتفقت حال أفصح فيها عن طاعتي للأمر السيد ولي نعمتي فهذه ، كيلا يحسب  
صنائعه لدى ضائعة ، لا تصادف زكاءً ، ولا تنتج غناءً . وإن قُرِبَ انكفاء الأستاذ فهو  
ما أقترحه ، وأحرص عليه وأحبه ، ليكون ما أوردته وأصدره <sup>(١)</sup> عن رأي منه ومشورة ،  
واستضاءة بما يشجذ من بصيرة ، ويقوّي من عزيمة . والأستاذ — أدام الله عزه — ينجز  
ما وعد في استصحاب أكثر ما تتسع له المقدرة ، وتتوجه فيه الحيلة ، فالنهضة لا تمكن ،  
والخواص على استبطاء ، والغلمان على اقتضاء ، لا سيما والأمر المواجه يقتضي الزيادة  
في الإحسان <sup>(٢)</sup> ، ويبعث على مضاعفة النظر والإنعام ، ليباشروا الخُطْبَ بصدور منسوحة ،  
وأمال منبسطة .

ثم الله تعالى ولي إنجاز مواعيده ، بحسب ما يعرف من نيات عبيده . وهو المأمول  
لإدامة أيام مولانا الأمير السيد عالي الكلمة ، متظاهر البسطة ، سامي الراية ، باقى الدعوة ،  
لا ترتقى هم الأيام إلى ذروة عزه ، ولا يحلّ الزمان عُقْدَةً ملكه ، إنه فعال لما يريد . فإن  
رأى الأستاذ أن يديم إيناسى بكتبه ، ويعلمنى آنف ما يتجشمه ، ويتطوَّع به ويؤثره ، في

(١) فى الأصل : وأصدر .

(٢) فى الأصل : الإحسان به .



أمر المال لأعنت بحسبه ، وَيَقْفَى على خبره ، ويباسطنى فى مهمه ، فعل .

## ١٠ — ولله

عاد الجواب عن كتابى إليه بذكر المال المطلق للخواص ، وما وصفه فى حال الناحية وارتفاعها ، والنجوم التى يقع الاستيلاء عنها ، فانزعجت وقلقت ، واستبطأت واستزدت ، وعجبت من حُؤُول الأستاذ عما عرفته ، وألفته ، فى التشمير لما يعرض من مهماتى لديه ، ويُتَقَى من مآربى إليه . وقد علم أن الإنظار والانتظار بمكان ، ما كانت الأمور ساكنة ، والجيوش هادئة ، وأن الحرب لا تمهل ، والخطب [ لا <sup>(١)</sup> ] يُنْظَر ، والرجال لا تجهز للقتال ، إلا بالأموال .

وإذا كان الأمير السيد قد أمرنى بالاستعداد للخروج ، واستعجلنى للنهوض ، وعول بدواوين خواصى على مال أَرْجَان <sup>(٢)</sup> وكتب الأستاذ بأن مدة حصوله شهران ، فهل إلى النهضة سبيل ، وهل إلى امثال المرسوم طريق . ألا يعلم الأستاذ أن الجمع الذى يهاب بى إليه مجمع يرمقه الولئ المناصح ، ويرقبه العدو الكاشح ، وأن خواصى إذا لم يباشروا تلك الحال بأحسن زينة ، وأجل هينة ، وأوفر عدة ، تَصَوَّرَتْ بصورة يتفادى منها ، ولا يُصْبَرُ على الغضاضة فيها . ولم يكن الأمير السيد ليعول بى على مال <sup>(٣)</sup> ، أبوابه مرتجة ، وطرقه مبهمه ، وليس للحيلة فيه مساغ ، ولا للتمحل فى تحصيله مجال . وما أدفع ماقاله الأستاذ وأورده ، وشرحه ووصفه . غير أن كورة أرجان لا تضيق ، وقد حضرها الأستاذ ، إذا جدّ واجتهد ، واحتال ولطف ، عن القدر المطلق لأصحابه ، لا سيما وهو مصروف إلى أجمع الجهات لحظوظ الدولة ، وأدعاها إلى جمال المملكة .

والذى يزعمنى ويحوجنى أن الذكر قد اضطرب باستدعائى إلى الباب لهذا المهم ، فإن وقع فى حمل المال تأخير ، أو أبطأ به تعذير ، وتأخرت عن مزاوله الخطب ، لم أدر إلى ماذا ينسب تأخرى وعلى أى وجه يحمل هذا . ولو احتجت إلى الخروج منفرداً لما أبطأت عن

من إيران .

(٣) فى الأصل : أموال .

(١) زيادة بقتضيا السياق .

(٢) مدينة فى إقليم فارس فى الجنوب الغربى



موقف أبذل فيه مهجتي عن مالك رقي ونعمتي ، والأستاذ يقضى الحق كله في هذا الأمر ، ويتوخى ارتهان أقصى الشكر في هذا الوقت ، ولا يدع طريقاً يقضى إلى ما التمت إلا سلكه ، ولا يغادر ظهراً يدنى مما حاولت إلا ركبته ، فما أعتد ما تحمله إلا معونة تكلفها من خالص ماله ، ولا يظن ما بسطت من القول عن سوء ثقة بمعقده ، أو صرف ظنة إلى إشفاقه ، غير أن السمعة التي تخوفتها ، والقالة التي تحاميتها ، تصورتا لي ، فبعثتا على ما كتبت واستغزتا لما أوردت ، وأنشده الله ونعمة الأمير السيد أن يترخص في مطاولة أو مدافعة ، أو يحوج إلى مرافعة ومراجعة ، فقد وثق لي ما أعرفه من حرصه على مسرتي ، وتنكبه لما ينتج وحشتي بأن كتابي يحض على تقريب البعيد ، ويهز لتسهيل العسير .

ولعل الأستاذ يفكر في أنه إذا أجاب إلى ما أردت بعد العتب ، وحصل ما أتطلع بتصرف العاملين بين الرفق والعنف ، ظننته — أيده الله — فقصر عند أول ما خاطبته ، ثم تشمر لماً عاتبته ، ومعاذ الله ، فإنه في هذه الحال مخبر بصدق في ذلك ، متشمر لقضاء حق . وساعاتي موهوبة لثرب ما يكتب — أيده الله — مقصورة على انتظار ما يرد من جهته ، وإذا تفضل بما ابتغيته ، كان قد رهن عندي منة توفى على المن الغر ، وترى على الأيادي الزهر ، وتوجب من الإجماد ما لا تأخذ الأيام جدته ، ومن الاعتداد ما لا يتخيف الزمان مادته . فإن رأى أن يوفر فكره وخواطره ، وآراءه وهممه ، على توجيه هذا المال — فما يحسب حالاً كهذه<sup>(١)</sup> ينبيء بها عن عنايته بما عناني ، واهتمامه بما خصني — فعمل إن شاء الله .

## فصل

قرأت كتابك — أطال الله بقاءك — فانبسط لساني بالمناب ، واتجه لي الخطاب في كل باب . وأوردت على مولانا ما وجب ، واصفاً لنييتك وطاعتك ، وبذلك في رضاه أقصى استطاعتك ، ومحبتك للتقرب نهاية جدك ومقدرتك . وتصرفت في وصف ناحيتك وشمول الكساد لغلاتها ، على كثرة آفاتهما ، وشرحت صورة غلات الجاور وكيف بيعت بالرخس ،

(١) في الأصل : لهذه .



وَصُرِفَتْ بِالْوَكْسِ ، وَقُلْتُ إِنَّ مَعَوْلَكَ فِي تَوْجِيهِهِ ارْتِفَاعُكَ كَانَ عَلَى مَا يَمْتَنَاهُ أَهْلُ كَرْمَانَ<sup>(١)</sup> ،  
فَانْهَمُوا الْآنَ كَالْمُسْتَغْنَى عَنْ نُجْعَتِهِ ، لَخَصْبِ بِلَدَتِهِ .

وَوَقَعَ ذَلِكَ أَجَلَ مَوَاقِعِ الْقَبُولِ ، وَزَالَ — يَعْلَمُ اللَّهُ — عَنِّي شُغْلٌ عَظِيمٌ ، وَسَقَطَ دَوْنِي  
هَمٌّ كَبِيرٌ ، فَالْمَطْلَعُ عَلَى مَا تَجَنُّ الْقُلُوبُ ، وَتَجْمَعُ الصَّدُورُ ، يَشْهَدُ مَسَاهَمَتِي إِيَّاكَ ، وَعَنَائَتِي بِمَا  
عِنَّاكَ ، وَمَحَبَّتِي لِازْدِيَادِ صُورَتِكَ جَمَالًا عِنْدَ وَلِيِّ نِعْمَتِنَا وَنِعْمَتِكَ ، وَأَنِّي إِذَا رَأَيْتُ تَوْجِيهِهِ أَدْنَى  
عَتَبِ إِيَّاكَ ، وَتَسْلِيَطِ أَيْسَرِ اسْتِبْطَاءِ عَلَيْكَ ، حَرَجَ صَدْرِي ، وَذَهَبَ عَلَى أَمْرِي ،  
وَإِذَا شَاهَدْتُ أَحْمَادَهُ وَقَدْ تَوَفَّرَتْ عَلَيْكَ ، وَرِضَاهُ وَقَدْ حَسُنَ عِنَّاكَ ، قَوَى قَلْبِي ، وَشَدَّدَ  
مِنْ أَرْزِي ، وَالسَّلَامُ .

---

(١) كَرْمَانَ : وَلايَةِ مَشْهُورَةِ فِي شَرْقِ إِيرَانَ .



## الباب السابع عشر

### في الآداب والمواعظ وما يقاربها

وهو مشتمل على أربع رسالات ولم يكن في الديوان ما يزيد عليها

#### ١ - كتاب

وصل آنفاً من خطابك ما آنسَ مُتَنَاوِلاً ومفوضاً<sup>(١)</sup> ، ومقروءاً ومعروضاً ، وسرني الله — تعالى — بعافيتك ، لا زالت مُرْتَبَطَةً لديك ، مُسْتَصْحِبَةً أقسام النعمة إليك . واعتددت بما وعدتني عن نفسك ، أمتع الله بها ، ودفع الحاذر عنها ، إيماناً للمكاتبة ، واستمداداً من الآداب بالمواظبة . وأرجو أن يكون الإنجاز من همك ، والوفاء من عزمك ، فما اقتنى امرؤ ولا اقتنى له أفضل من علم ينوّه باسمه ، وينبّه على قدره ، ويزيد في قيمة نفسه ، قضاءً من أمير المؤمنين رضي الله عنه حين قال : قيمة كل امرئ ما يحسن ، وكلاً أن يقول ما يملك . وقد تقدمت في باب فلان بما اقتضاه كتابك في معناه ، فأدب مسرّتي بما تديمه ، مراعاةً بأخبارك ، ومناجاةً بأوطارك ، إن شاء الله .

#### ٢ - وله

كتابي — أطال الله بقاء الشيخ — عن سلامة في النفس ، أسأل الله صلتها بسلامة العافية ، وحسن الخاتمة ، وأن يلطف لنا في تخلص النفوس من الشبهات ، كما هدانا في دينه الذي ارتضاه بالبينات ، وأحمده قبل وبعد على إفضاله ، وأسأله الصلاة على النبي وآله .

ووصل كتاب الشيخ فسررت — يشهد الله — باسمه موقعاً على عنوانه ، ثم بخبر سلامته ، فإني أعتدّه جلالاً لإخوانه وزمانه ، وإني لأتحسر على قر به وجواره ، وأتأسف على ما يفوت من شفاهه وجواره ، وأرجوه لا ينسانا في الدعاء ، فإننا لا ننساه في الشناء ، ومتى

(١) في الأصل : مفوضاً بدون واو .



اجتمع عندنا أهل العلم ، ذكرنا لهم ما خصّه الله به من الفضل .

وعلى هذا الذكّر فقد كان هذا البلد من البلاد المستغلبة على أهل عدل الله وتوحيده ، والتصديق بوعدده ووعيده . هذا وفي فقهاؤه وفور ، وفي الفضل به ظهور ، وقد أعان الله على بث كلمة الحق ، وسمّع الأَكْثَرُ على لين ورفق ، وليس تمنعني كثرة شغلي من الانتصاب في بعض ليالي العذاكرة والتبيين ، والتكشيف والتخليص ، فقد صلح خلق كثير ، والحمد لله رب العالمين ، وبه نستعصم من أفعال ، لا تشبه الأقوال ، وهو حسبنّا في كل وقت وحال .

والشيخ — أدام الله عزه — يَسْرُ بِمَخاطباته ، وَيُؤْنَس بِخبره ، وخبر أبي سعد ، أعزّه الله ، وعارض حاجاته ، إن شاء الله .

### ٣ — وله إلى أهل الصيمرة<sup>(١)</sup>

كتّابي — يا إخواني ومشايخي ! — عن سلامة تجمع النفس والدين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .

ووصل كتابكم — فسرّني بما دلّ عليه من استقامة أحوالكم ، وسألته أن يبلغكم في دينكم ودنياكم غاية آمالكم — مُتَوَقَّعاً ، إذ كنتم بحمد الله ومَنّهُ ، وطوّله وفضله ، المشتهرين بالذب عن توحيد الله وعدله ، وصدقه في وعيده ووعدده ، وكان بلدكم من بين البلاد كُفْرَةً أدهم ، وشهاب في ليل مظلم ، وما في النعم أَجَلٌ موقعا ، وأهناً مَشْرَعاً ، من النعمة في القول بالحق والدعاء إليه ، والتدين به والبعث عليه ، ومهانة من شبّه الله بخلقه ، فتتابع في جهله ، أو جورّه في فعله ، فشك في حسن نظره وطوّله . والحمد لله الذي جمع على الصدق آراءنا ، وحى من مكاييد الشيطان أهواءنا ، يزيدنا تسديداً وتأبيداً ، وتثبيتاً وتمهيداً ، ويوفّقنا لصالح الأعمال ، كما وقفنا لصالح الأقوال .

وكان في الواجب أن أبدأكم بالمواصلة والمكاتبة والمراسلة ، ولكنكم سبقتم إلى الجليل كما توجبه أديانكم الصحيحة ، ونياتكم الصريحة . نسأل الله اجتماعاً حيث لا فرقة ، وأنساً

(١) بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان على يسار الناهب من همدان إلى بغداد .



حيث لا وحشة ، فإنما نحن له وبه ، ونَوَاصِينَا فِي مِلْكِهِ وَيَدِهِ ، إِلَيْهِ نَفُوضُ وَبِهِ نَسْتَعِينُ ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقد عرفت شكركم لفلان فاعتقدت له عن ذلك وذاً وعهداً ، وأوجبت شكراً وهداً ، ووجدتني الخصوص بما أزل<sup>(١)</sup> إليكم ، واستمدت به عليكم ، وقد خاطبته معتدّاً بما أتاها ، حاضّاً على إتمام ما أنشاه .

وأنا أسألكم — أيدكم الله — أن تُسَهِّمُوا لِي فِي أَدْعِيَتِكُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَسِرًّا وَجَهَارًا ، لِيَكْفِينَا اللَّهُ شُرُورَ أَنْفُسِنَا ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِخَيْرِ أَعْمَالِنَا ، وَيَتَابَعِ الطَّافَةَ فِي تَخْفِيفِ الْمَآثِمِ ، وَرَدِ الْمَظَالِمِ ، وَتَجْدِيدِ التَّوْبَةِ ، وَالتَّحَرُّزِ مِنَ الْخَوْبَةِ .

ولولا أن الرسول خرج مستعجلاً لأصحبته بعض ما صنعت ، وأبليت وألفت ، وقد أمرت بجميع ما أستصلحه لكم ، وسينفذ — من بعدُ بمشيئة الله — إليكم . ومما أَسْرَمْتُ بِهِ أَنَّ الْجَبْرَ خُصُوصًا كَانَ اسْتَوْلَى عَلَى هَذِهِ الْبَقَاعِ ، فَخِنَ يَسَّرَ اللَّهُ وَرُودِي إِيَّاهَا ، انْكَشَفَتِ الشُّبُهَةُ ، وَزَالَ الْعَمَلُ ، وَقَوِيَ الْحَقُّ وَأَهْلُهُ ، وَرَجَعَ كَثِيرٌ مِمَّنِ الدِّينُ هُمُّهُ ، وَلِلَّهِ الشُّكْرُ ، وَلَهُ الطُّولُ وَالْمَنُ ، فَلَا تَدْعُوا مَكَاتِبِي بِأَخْبَارِكُمْ ، وَحَاجَاتِكُمْ وَأَوْطَارِكُمْ .

#### ٤ — وَلَهُ خُطْبَةٌ نِكَاحٍ

الحمد لله ناظم الأشتات ، ومسبب الأرحام المتشابكات ، وجامع القلوب بعد افتراقها ، ورادّها عن تباينها لاتفاقها ، حمداً يُزْفُ لَدَيْهِ ، وَيُقَرَّبُ إِلَيْهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى الصَّادِقِ بِأَوَامِرِهِ ، وَالدَّالِ عَلَى زَوَاجِرِهِ ، مُحَمَّدٍ الْخِتَارِ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ .

وَإِنْ أَحَقُّ مَا اسْتَعْمَلَهُ الْخَالُونَ<sup>(٢)</sup> ، وَلَحِقَ بِهِ التَّالُونَ ، كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي تَعَبَّدُ بِهِ عِبَادُهُ ، وَأَظْهَرَ فِيهِ مَرَادُهُ ، فَمَا حَضَّنَا عَلَيْهِ ، وَأَهَابَ بِنَا إِلَيْهِ ، طَيِّبُ النِّكَاحِ ، الْمُغْنَى عَنْ خُبْنِ السَّفَاحِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ الْآيَةَ .

وَذَكَرَ فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ عَقِيلَتَكُمْ فُلَانَةَ بِنْتَ فُلَانٍ خَاطِبًا ، وَبَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ رَاغِبًا ، فَخَذُوا بِأَدَبِ اللَّهِ إِجَابَةً إِلَى مَا حَاوَلَهُ ، وَتَصَدَّقًا لِمَا أَمَلَهُ ، خَارَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : الْعَالُونَ .

(١) أَزَلَ : أَسَدَى .



## الباب الثامن عشر

### فصول وغرر ، وتوقيعات ودرر

#### ١ - فصل

ذلك إذا تسهل زاد في تراجع الأعداء على أعقاب الحسور، وأدراج الإقصار والقصور ، وقد تقرر من الأمر ، ما يوجب على إدامة الشكر ، إذ كنت — يشهد الله — أفرض طاعة الأمير على نفسى فريضة ، لا أريد عنها سوى إحماده مَعُوضَةً .

#### ٢ - توقيـع

ما حسبت فلانا وإن علت حكمته ، وارتفعت كلمته ، يَشْجُعُ لتأخير المرسوم لفلان ، وهو يعلم كيف تخصّصه بى ، وتقدّمه أ كفاءه فى مجلسى ، وأنه من لا يكاد يبعد ليلاً ونهاراً عن مرمى طرفى . وقد تلحق العامى السكره ، إذا ملكته من الإهمال نشوة ، فأنبّه من رقدته قولاً ، قبل أن أنبّه فعلاً ، وليعدّ ذم فلان له حمداً ، أستبدل من الإعراض عطفاً . والسلام .

#### ٣ - فصل

مطاولة سيدى تُسْتَلَذُ ، وتقطيع ساعات الصوم بمثلها يُسْتَحَبُّ ، ولكن الشمس قد عادت كالمرآة فى كف الأشلّ ، كأن الأرض تجذبها بمرّس ، وتكسوها السماء لباس ورس ، وآخر دعواى أن الحمد لله رب العالمين .

#### ٤ - فصل

فلان قد أغلق بابى الأداء والحمل ، وسهّل طريق التأخير والمطل ، وأجرى أصحاب



التسييبات مجرّى واحدا في التأخر والمنع ، وصارت الكتب تصدر إليه ، فيعيدها عينا عمياء ، وأذنا صماء . ويجب أن تُبهم عليه طرق المدافعة ، وتأخذ دونه بمنافذ الطاولة ، ولا تقنع بمواعيد ، قد استراح إلى اتصالها ، وأخذ ينجزها بأمثالها .

## ٥ — فصل

مولاي يعلم أن فلانا خدمني صغيرا وكبيرا ، وفارق صاحبه ، ليس لأن مرعاه كان جديبا ، ولكن ليزداد إمرعا ، وقد ازداد عندك إمعارا<sup>(١)</sup> ، فليأذن له سيدي في العود إلى حضرتي لئلا يُطلّ حقه ، ويُهدّر ذمامه ، إن شاء الله .

## ٦ — توقيع إلى عامل

بلغني أنك عزمتم على تفرقة غلة السلطان في الرعية كرهاً ، وما جعل الله ذلك لك ، ولا أمرك سلطانك ، أطل الله بقاءه ، وليت ما فعلته عامداً لم يُفعل ، فإن عاديتَه كَثُرَتْ ، وعاندته قَلَّتْ . فَأَجِرْ — أيدك الله — أمر القوم في الرفق والإحسان مجراهم الأول ، بل زِدْهم بحسب زيادة إحسان الله عند مولانا وعندى في خدمته ، وأَشِعْ ذلك لتكتسب النفوس عن ضعفها قوة ، وعن خيفتها أمانة .

## ٧ — فصل

وصل فلان اليوم بوصول الحمل :

فلم أدر أن الحاجبية وضُـلُّها على القلب أخلا أم نزولى على نجد  
وأنا منذ الغداة أسأله عن أخبار مولانا ، فكأنني أجدهُ المسك فتيقا ، وأصبح الروض  
أنيقا ، لازالت أخبار مولاي أنفاس الأسحار .

## ٨ — فصل

أبو فلان مشاهدته أبعد من النجوم ، فلمَ ذلك ؟ لأنه من عنايتي عارٍ ، أو من إيجاب

(١) الإمعار من أمعرت الأرض : لم يكن فيها نبات .



مولاي خال ، أو لكثرة من يساوقه في الخفة والقرب من مجلسي ؟ . إذا ثقل بعض أعضائي على بعض ، وتبرمت بالنظر إلى الأرض ، وليس الحملُ عندي بعذر ، فإن ماله عنه بمعزل ومعدل . ومولاي يُعْتَبِه أو يكتب رجعته ، لأقيم له البدل وأُكْفَى مراجعته ، إن شاء الله .

#### ٩ — توقيع على ظهر كتاب لابن جحا الكوفائي

لو استغنى موثوق بوده ، مسكون إلى عهده ، عن الإذكار بنفسه ، والدلالة على صحة عَقْدِهِ ، لكنت يا أخي ! — أطل الله بقاءك — ذلك الإنسان ، لاعتمادى سريرتك الخالصة ، ومودتك الصادقة .

والله يعلم أني آنس إلى ذكرك إذا مرَّ بسمعي ، واسمك إذا خطر بفكري ، فكيف بكتابك إذا قابل طرفي ، وأوجب لك ما لم لي لا أوجب من خلص إخواني إلا لأفراد وأعيان ، يعزأ مشألم في الزمان ، فخطبني متى نشطت ، واسترسل في حاجاتك كيف آثرت . وإن جريت فيما يخصك على الانقباض الذي هو طبعك ، فكاتبني بحاجات إخوانك ، ليعرفوا موقعك من إشاري ، ومحلك من اصطفاي واختياري . سقاك الله فرواك ، وحيّاك وأحياك ، وهو حسبي ، وصلواته على النبي محمد وآله .

#### ١٠ — توقيع على رقعة لابن جحا

أنت الأخ ديناً ، والصديق يقيناً ، وكلفة التجشم موضوعة عنك ، أطل الله بقاءك ، لقوة التحقق ، ولو عرفت مقامك حيث أحمرت لكددت الناظر طالباً ، واستنجدت الطرف رائداً . ولو وقفتُ على اعتيادك الباب لرتبت من ينلقاك مكرماً ، ويوصلك مؤثراً . ودون الغيوب أستار لا تكشفها العيون والقلوب . ومتى نشطت للحضور انفرجت أغلاق الأبواب ، وتجاft أعطاف الستور ، وقالت الدار مرحباً .



## الباب التاسع عشر

### في النوادر النادرة في فنها

وهي الكتب الغريبة المعاني في جنسها

#### ١ - فصل في صفة الخَرَ كاهات<sup>(١)</sup>

سبيلها أن لا يتخللها ما يَضْعُفُ عوده ، وَيَهِنُ مَتْنُهُ ، أو يقع فيها ذوات العُقَد والأَبْنِ ، أو يُتَجَوَّزُ في أصابعها وأدهانها ، فتتشقق عند تداول الرياح إياها ، وأن يبالغ في انتقاء أصوافها ، والتناهي في عركها .

#### ٢ - وله عتاب كاتب تراجع في صناعته

كنت ابتدأتك بالمخاطبة ، وحضضتك في آلات الكتابة على المداومة والمواظبة ، فأجِدُ خَطَّكَ يزداد على الأيام ويستجد . ثم أهملت التمهيد ، واستعملت التجوِّز ، وصار ما تكتبه مضطرب الحروف ، متضاعف الضعف والتحريف .

وجعلت أتأول لك يوماً بقلم لم يُسَجَّدَ بِرِيءٍ ، ويوماً بمداد لم يساعد جريئه ، إلى أن صارت رداءة الخطِّ سُنَّةً لك وسُنَّةً ، ورسمًا ثابتًا مرتهنًا ، فقدمت هذا الخطاب مذكرًا ، ورجوت ألاّ تحوج إلى مثله منكرًا .

وإياك إياك<sup>(٢)</sup> واضطراي ، فثابر على المشق والتسويد ، واهتمَّ بالتصحيح والتجويد ، واعمل على أن تقوِّمَ حرفًا حرفًا من خطك ، وتتصوره في نفسك قبل تصويره بيدك ، وليكن لك من يوقفك على مواضع التقصير والتصحيح ، لأتبين الزيادة فيما يرد منك وقتًا وقتًا ، قبل أن أوسعك تهجينًا ومقتًا ، والسلام :

(١) الحركة : الخيمة .

(٢) في الأصل : وإياك .



### ٣ - وله في تكذيب أراجيف العامة

دَلَّ كتابك على أراجيف تتردد بين العوام ، في أخبار مدينة السلام ، وما أدرى أيَّ اختلاف ، قاض للإرجاف ؟ وقد ذلَّ الله لمولانا الملك السيد رقاب الزمان ، وملكه أعنة الأيام ، واستصفي له ما لم تحلم به ملوك العرب ، وأكسرة العجم ، وانضافت الشامات إلى العراقيين في الانقياد ، وترتب العمال في جميع البلاد ، ودانت طواغيت الروم ، وتقرَّبَ المغربي برسول بعد رسول ، وصار بنو حمدان كريم ، طاح في ريح عقيم ، ومُلكت قلاعهم التي لم تنتزع منذ مائة وخمسين سنة ، مملوءة ذخائر ، مشحونة غنائم ، والشمس لاسبيل إلى سترها ، وتقطية أمرها .

وقد عاد — حرس الله أيامه ، ونصر أعلامه — إلى حضرة الخلافة ، ومجلس الإمامة بآثار في الذب عن البيضة ، وأياد<sup>(١)</sup> في الذب عن الحوزة ، ومقامات في تزايد البسطة ، وتضاعف العزة ، أسلمت المناذير للأيدي والأفواه ، وكبَّتْهم على الرؤوس والجباه ، تُجْبَى إليه ثمرات كل أرض ، وتُسَمِّح له الدنيا ذاتُ الطول والعرض ، فالحمد لله على ما أسنَى ، والحمد لله على ما سنَى ، ولا زال موليانا الملك السيد والأمير المؤيد آخذين بأفاق المجد ، مادين لرواق الملك ، إن الله يفعل ما هو لبلاده أصلح ، ويمكن من هو بعباده أرأف .

### ٤ - وله في إعفاء من استعفى من بهاء التلقيب

والوعد بما سواه من أنواع التشريف

كتابي — أطال الله بقاء الأمير — عن سلامة مولانا الأمير المؤيد واتصال السعادات إلى عالي حضرته ، واقتتران البركات بسامى كلمته ، والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله .

وكنت خاطبت الأمير بالسبب الذي استعاد فلانا إلى الحضرة ، وعاد في الجواب مادل على أنه لو أُصْدِرَ بتلك الجملة ، واقتصر دون اللقب على اللواء والعهد والخلعة ، لكان ذلك أدعى إلى محبته ، وأدنى إلى مسرَّته ، وجدَّدَ القول في الاستعفاء من اللقب ، والاكتفاء بما

(١) في الأصل : والزيادة .



سواه من الرُتب ، وخاطبَ حضرة مولانا بما قدمت إصداره ، فعرف — أطل الله بقاءه —  
بغيته وإيثاره ، وقال ، حرس الله ملكه ، إنا حسبنا القلب أوقع بقلبه ، وآثر في نفسه ،  
وإذا كرهه فلا إكراه على التشريف ، ولا امتناع من التخفيف .

وإن فلانا مُنْهَضٌ في الأسبوع بالخَلْع التي يعرف الله ميامنها ، ويُفيض محاسنها ، واللواء  
الذي يُلَوِي أَيْدِي المنازعين ، وَيُلَوِي بالمنابذين والمقارعين ، والعهدِ أَشْرَفَ ماعهد في أمثاله ،  
وأولى ما قدمه السلطان لأمرأأ أعماله . وكتاب مولانا تقتزن به هذه المخاطبة . وإن مولانا  
الأمير رأى إصدارها مع مجزئين ، يصلان مسرعين ، وما يلي هذه المخاطبة ينبئ — بمشيئة  
الله — عن فصول<sup>(١)</sup> فلان ، والنص على اليوم الذي نهض فيه عن الحضرة أجلها الله .

#### ه — وله في الانباء عن الوحشة لمفارقة وليّ النعمة

كتابي — أطل الله بقاء مولاي ورئيسي — وحالي منذ فارقت الباب العمور حال  
من أدخل الجنان ، حتى إذا عرف نعمها كيف تُسَبِّح ، ونعيمها كيف يَخْلُص ، ودرجاتها  
كيف تسمو ، وقطوفها كيف تدنو ، راعه الخروج منها ، فلم يكشف غمته كاشف ، ولم يدفع  
حسرتة دافع ، وهل للخلود عِوَضٌ فتقبله النفوس ، وتطمئن به عليه القلوب ، والله وليّ  
إعادتي إلى ظله الظليل ، وكنفه<sup>(٢)</sup> الشريف العيم .

وأخّر كتابي عن مولاي حتى اليوم ، لأني عدت فتعاون على من الحمى والقلق خصمان  
يدفعاني بينهما ، وضعفت طاقتي عنهما . وقد كنت عن أحدهما عاجز القوة ، قاصر المنّة ،  
فكيف إذا اجتمعا . هذا والبعد عن الحضرة العالية ، أشد وقعا وأحرّ لذعا ، لأنه فوّت  
شرف كان ييسط باع المطاولة ، وتراخي مجد كان اكتسابه لسان المنافرة ، وليس الذي  
يخص الجسم أذاه ، كالذي يشترك فيه النفس والجاه .

وشغلي الآن الدعا لمولانا فقد كان في تواتر تلك النعم ، وتظاهرها تلك المنح ما يشغل عن  
الفكر في ارتفاع أقدارها ، واتساع أقطارها ، والآن أخذت أتبعها ، فلي عند ذكر كل  
واحدة منها جبهةٌ ساجدة ، ودعوة صادقة ، وقُرْبٌ — كما أوجب الله — متصلة ، وزلفٌ

(١) الفصول هنا : الخروج ، وفي الأصل : الفضول (٢) في الأصل : وكنف .



— إن شاء الله — متقبّلة . فأما انزعاجي لفراق مولاي فانزعاج السارى زال قرره ، والروض تخطّاه مطره ، ومنّ هذا الذى يبتعد عن فرد دهره ، وشمس فصله ، ومن يستمد محاسن قوله ، كما يستظهر بمكارم فعله ، فتبقى له جانحة لم تلتهب قلعا ، ولم تشتعل أسفا ! ؟ على أنى حاضره بنيتي ، ومسايره بطويتي ، والمرء يسير بقلبه ، وإن أقام بشخصه . والله لطائف تعيد الدار أدنى منها أفس ، وأحرى بالسرور والأنس ، فإن رأى مولاي أن يعين<sup>(١)</sup> على سقمي وهمي بكتبه جلاء الأحزان ، وشفاء الأبدان ، ويصرفني على أمره ونهيه ، فعل إن شاء الله .

## ٦ — وله في وصف شعر

وصلت لك قصيدة هي السحر أو أدق ، والماء أو أرق ، قد جمعت إلى السلسلة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، فكان الفحلين أبا فراس وأباحزرة<sup>(٢)</sup> ، أنشرا في مسلكك ، وانخرطا في سلكك ، فنحت هذا لك صخره ، وأساح لك ذاك بحره . وحسبك بشعر وقف إعجابي وتعجبي إزاءه ، حتى كررت قراءته ، وأدمت استقراءه . هذا وأكثر ما أسمع — منذ اليوم — يصدى الريان ، ويصدى الأفهام . لا زال عودك في الفضل صليبا ، وغصنك منه رطيبا . وقد اغتفرت لك الغارة الشعواء ، وإن كنت فيها لقوة شغواء ، فأما النعمة التي هنأت بها ، فثوب مدحك طرته ، إن لم يكن طرفا شعرك غرته . وفلان حبذا هو في السجراء ، فليؤل إيصال جوابه ، من تولى إصدار كتابه .

## ٧ — ولله

وصل كتاب الشريف سيدي ومولاي زائدا في بره ، عاضدا سابق فضله ، وآنس الله ربّي وسَمِعِي بخبر سلامته وصل الله خطامها ، وحرس أيامها . وعرفت ما رآه من إتمام عزيمته في الحج ، وتبينت له أمارات الخير والنجاح . وإنما يقصد البيت الذى رفع جده خليل الرحمن — صلى الله عليه — قواعده ، وأعلى أبوه رسول الله — صلى الله عليه —

(٢) يعنى الفرزدق وجريرا .

(١) فى الأصل : يعيد .



مفاخره ، فلا يرى إلا مواقف الأنبياء والأصفياء من أجداده الكرام ، وآبائه العظام ، حيث يهبط الملائكة المقربون على رسول رب العالمين .

تلك منازل ورثها بشرفه العظيم ، ومفخره العظيم . فالحمد لله الذى أوضح فى ذلك دليله ، وسهّل سبيله ، كما أنار حجته ، ورفع فى الذرية الزكية درجته ، وأحسن الله أداؤه ، وأطال فى طاعته بقاءه ، وزكّى عمله ، وبلغه فى مضيه <sup>(١)</sup> وانكفائه أمله . وأنا أسأله — أدام الله عزه ، إذا يسّر الله وروده الحرمين ، ووقوفه فى المشعرين ، وتنقله بين المعرف والمحصب ، وطوافه بالبيت العظيم ، واستلامه الحجر الأسود ، وقيامه على بئر زمزم ، وسعيه بين الصفا والمروة ، ودخوله ، إن دخل ، إلى الكعبة ، ثم إذا قرب من مشهد رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، زائرا ، وعدل إلى البقيع مسلما ، وعاد إلى الغرى <sup>(٢)</sup> والحائر <sup>(٣)</sup> صلوات الله على سكانهما سيد الأوصياء ، وسيد الشهداء — أن يذكرنى فى أديعته ، ويتوسل عني برسول الله ، صلى الله عليه ، والسادة من ذريته ، ويكون ما يلتسمه لى العافية فى الدين والدنيا ، والسعادة فى الخاتمة والعقبى ، والتوفيق لردّ المظالم ، والخروج من التبعات ، والتوبة من السيئات ، والتباعد من الشبهات ، فتلك وديعتي إليه ، وأمانتي قد أخرجتها إليه .

وأما النيابة عن سيدى الشريف فلا أطيل القول ، فيشهد الله أنى — مع ما أتانى الله من حظ دين ودنيا — لا أدفع نفسى عن أيسر أمره ، تقربا إلى خير الأولين ، والآخرين جدّه صلى الله عليه . وسينفذ منى إلى فلان ما يزيد بصيرة فى التكفل بتلك الأسباب ، وهؤلاء الأصحاب ، إن شاء الله .

## ٨ — وله إلى الأستاذ الرئيس أبى العباس <sup>(٤)</sup>

وصل كتاب مولاي فلصق بيدي ، وندي على كبدى ، ولم أدر بماذا أنعمته وقد ملّى قلبى وملأ صدرى ، وكيف أصفه وقد أمتع نفسى ورفع طرقي ، وهل أقول نسيم الرياض تدرّجت الشمال على أنوارها ، وأغرّيت الصبا بإخراج أسرارها ، أم أقول الحياة عادت فى

(٣) البقعة التى دفن بها الحسين بن على .

(٤) هو أبو العباس الضبي .

(١) فى الأصل : مضيته .

(٢) البقعة التى فيها قبر على بن أبى طالب .



الجسد ، والروح سرى في البدن ، فله على كل مستحسنٍ أنيق فضل ، وعند كل حِصَارٍ سَبَقٌ وَخَصْلٌ . وحسبت انبساطَ مولاي فيه مواهبَ قصرت الأمانى عنها ، فطال إحسان الله بها ، ومناحَ رقدت الآمال فيها ، فاستيقظت عينُ أفضال الله عنها ، وأنا أرجو أن يعيدنى الله فيه لأفضل عادته ، ويعيدنى فيه بلطفه ورأفته ، فأقرأ كتابه مبتسماً عن خطّه ، كما قرأته منتظماً للفضله ، لأجمع تحجیل المسرة إلى غُرَّتِها ، وأقرن حِجَّةَ الأنس إلى عُمرَّتِها ، والله يفعل ما يريد ، وهو اللطيف الحميد .

قد عرفت ما شرحه مولاي من أمره ، وأنبأ عنه من أحوال جسمه ، فدلّنى جملته على بقايا في البدن يُحتاج معها إلى الصبر على التنقية ، والرفق بالتصفية . فأما الذى يشكوه من ضعف معدته ، وقلة شهوته ، فلا مَرين : أحدهما أن الجسم — كما قلت آنفاً — لم يُنقَ فتفتق الشهوة الصادقة ، وترجع العادة السابقة . والآخر أن المعدة إذا دامت عليها المطفئات ولزّت بها المُبرِدات ضعفت فتقل الشهوة ويضعف الهضم ، ومع ذلك فلا بد مما يطفى ويغدى ، ثم يَمُنك من بعد أن يتدارك ضعف المعدة بما يقوى منها ، ويزيل العارض المُكْتَسَب عنها ، كما يقول الفاضل جالينوس : قدّم علاج الأهمّ ، ثم عُدْ فأصلح ما أفسدت .

والأقراصُ في أواخر الحُميات خيرٌ ما نُقِيت به الكبد ، وأصلحت به العروق ، وقوى به الطحال ، ليتمكن من جذب [ العكر<sup>(١)</sup> ] لاسيما والذى وجده مولاي ليس الذنب فيه للحميات التى وجدها ، والبلدة التى وردها ، فلو صادف الهواء المتغير جسداً نقيّاً من الفضولات لما أثر هذا التأثير ، ولا طوّل هذا التطويل ، وإنما اعتَرَّ مولاي بأيام السلامة فكان يَنْبَسِطُ فى أنواع الطعام ، ويُسْرِفُ فى تناول الشراب ، فامتلاً الجسم من تلك الكيُمُوسات الردية ، وورد بلداً شديد التحليل مضطرب الأهوية ، فوجدت النفسُ عوناً على حلّ ما انعقد ، ونفض ما اجتمع . وسيتفضل الله بالسلامة فتطول صحبتها ، وتتصل مدتها ، لأن الجسد يخلص خلاص الإبريز إذا زال عنه الخبث ، وسُبِكَ فقارقه الدرن .

وأما الرعشة التى يتألم مولاي منها ، ويضيق صدرها بها ، فليست — والله — محذورة العاقبة ، وإنها لتزول بإقبال العافية ، فالرعشة التى يُخَوِّفُ منها ، هى التى تعرض من ضعف

(١) زيادة من اليتيمة طبعة الشام ٤٢/٣ .



القوة الحيوانية ، كما تعرض للمشايخ وتؤدَّى — بمشاركة الدماغ — إلى كثير من العظام ، فأما هذه التي تُعتاد بعقب الحصى ، فهي على ما قال جالينوس في تفصيله الفضول : من أن حدوثها يكون ، إذا شاركت العروق — التي تحدث فيها العلة — العصب ، وتزول عنه بزوال الفضل .

وعَجِبَ مولاي من تكرُّهه شَمَّ الفواكه ، ولا عجب إذا عرف السبب ، فإن العفونة التي في العروق قد طبقت روائحها آلات الشم ، فما يصل إليها من الروائح الزكية يرد على النفس مغموراً بتلك الروائح الخبيثة فتتكرهها ولا تقبلها ، وتأبأها ولا تؤثرها . وهذا قياس بين على ما كشفه الأفروديسي .

ألا يرى مولاي أن الأشياء الحلوة توجد في فم ذى الصفراء بطعم الأشياء المرة ، لاستيلاء المرارة المضادة للحلاوة ، على آلات الذوق والمضغ والإدارة . وهذا راجع إلى ما حكمنا به أولاً من أن هناك فضلاً لا يمكن الهجوم على تحليله ، لما يُخشى من سقوط القوة ، وإن كان ما لم يخرج لم يؤثر بوفور الصحة .

وأنا أحمد الله ، إذ ليست شهوة سيدى متزايدة ، فالشهوة الغالبة مع الأخلاط الفاسدة تغرى صاحبها بالأكل الزائد ، وتعرضه للمزاج الفاسد ، إلا أن التغذّي لا يجوز إهماله دفعة ، والتبرم به ضربة ، فإن البدن إذا احتاج إليه وجب للعليل أن يتناوله تناوُلُه الدواء الذى يصبر عليه ، وذلك أن في دقة الحمية وترك الرجوع أول أول ، إلى عادة<sup>(١)</sup> الصحة ، إماتة للشهوة ، وحياة للقوة .

وجالينوس شرط في المعالجات أجمع استحقاق القوى ، لأن الذى يفعل الضعف لا يتداركه أمرٌ ، إلا أن ذلك بإزاء ما قاله الحكيم الأول بقراط في البدن السقيم : أنك متى زدته غذاءً زدته شراً ، وهو نفسه يقول : إن الحمية التي في نهاية الدقة ليست بمحمودة ، والطرفان من الإسراف والإجحاف مذمومان ، والواسطة أسلم . أغنى الله مولاي عن الطب والأطباء ، بالسلامة والشفاء ، وقد كتبت في كذا ما يغنى اهتمام سيدى به عن ترديد ذكره :

وإذا رميت إلى ابن عزم حاجة فاعلم بأن جناحها يستيسر

(١) هكذا في اليتيمة وفي الأصل : إعادة .



## ٩ — وله جواب كتاب فتح ورد من الشريف أبي طالب السيلقي

هذا كتاب الشريف سيدى طلع ، أم عهد الشباب رجع ، وخطابه أسفر ، أم لقاءه تيسر ، والربيع ضحك وابتسم ، أم بيانه ظهر فبهر ، والزمان أعتب ، بعد ما أذنب ، أم حوارته تلي وسمع ، والوصل بعد الهجراتيح وقدر ، أم صوب العقول من بين يديه اعتن<sup>(١)</sup> وعرض ، وعشيات الحمى لذت بمهب نسيمها ، أم فقر من سحره تجلت في سلك نظمها ، وساعات اللوى أسعفت بضم الشيتين ، ودفعت بالقرب في صدر البين ، أم رعت العين في حديقة بيانه أظار البلاغة ، وحوامل الخطابة ، وغرة الدهر انتهزت من أثناء نوابها السود ، أم لمع من أفكاره تراءت من خلل السطور ، وصفحة العفو تجلت لموبق من جرائمه ، أم صحيفته حدثت عن غر فوائده ، والهداية أتاحت للحيران وقد أخذ عن مراشده ، أم تهنئته أقبلت مقتبسة من محاسنه ومحامده ، والفقير عاجلته الثروة ناسخة بؤسائه بنعماء ، أم مناجاته توشحت بحلل فهمه وحلاه ، والنزاع نُقع بالاجتماع غليسه ، أم كلامه سهل في المسامع سييله .

نم وصل الكتاب ، فكان مئى النفس وقرة الطرف ، وانشراحه الصدر ، وبرد الكبد ، والشفاء بعد السقم ، وغاية الأمل ، ونهاية الطلب ، ومظنة الوطر ، وغاية المراد ، ونهية المرتاد ، وفرحة الإياب ، وإصابة الغرض الأبعد ، والشامة بالعدو الأنكد ، والعيش الذى يقال فيه سمح ، ويقال غض ، ويقال رطب ، فرأيت به فتحا ثانيا ، ونصرا تاليا ، وأنسا ناميا ، وعيشا راضيا ، وخيرا وافيا ، وسرورا صافيا ، واقتبست عنه علما جيا ، وأدبا غمرا ، وفضلا دثرا ، ووجها من الزمان طلقا ، وجانبا من الخير سمحا ، وقلت له أهلا وسهلا ، وسعة ورخبا ، ولم لا ، وهو كتاب [ سلالة<sup>(٢)</sup> ] خيرة الله من خلقه ، وحجته من أرضه ، والهادى إلى حقه ، والمنبئ على حكمه ، والداعى إلى رشده ، والآخذ بفرضه ، والمؤدب بنبذه ، والمصرف بين إباحته وحظره ، والمؤيد من عنده ، والمحتج به على جنه وإنسه . مختار من أكرم المنابت ، منتجب من أشرف العناصر ، مرتضى من أعلى الحائد ، مؤثر من أعظم

(١) فى الأصل : اعتز .

(٢) زيادة يقتضيا السياق .



العشائر ، مُعْتَمِّمٌ من أَوْحَمِ القبائل ، معضود بالمعجزات الغرّ ، مرفود بالدلالات الزُّهر ، لا تخبو ناره ، ولا يوضع مناره ، ولا يُتَحَيَّفُ سناه وسناؤه ، هُدَى به الخلق من ضلالة سوداء دهاء ، وعَلِّمُوا به من جهالة رَبِّدَاءِ جهلاء . مبارك مولده ، سعيد مورده ، قاطعة حجبته ، سامية درجته ، ساطع صباحه ، متوقد مصباحه ، مظفّرة حروبه ، ميسّرة خطوبه ، نُسِخَتْ بملته الملل ، وبشُرْعَتِهِ الشَّرْع ، وبنحلته النحل ، وبكلمته الكلم ، وبأتمته الأم ، وبسنته السنن ، وصار العاقب والخاتم ، والقاطع والجازم ، قد أفرد بالزعامة وحده ، وختم بأن لا نبيَّ بعده ، فاستوفت دعوته شرق الأرض وغربها ، ومسحت برّ الدنيا وبحرها ، وأذعنت له سود الرجال وُحُرُّها ، وذلت لعزته صيد الملوك وكُبُرُّها ، وصار الخالفون سرّاً ، يضطرون إلى اعتزاً إليه جهرا ، والمنحرفون عنه إدامانا ، يحقنون دماءهم بالانحياز معه إعلانا ، يُفَصِّحُ بشعاره على المنابر ، وبالصلاة عليه في المحاضر ، وتعمّر بذكره صدور المساجد والمنابر ، ويستوى في النظامن لأمره حالتا الغائب والحاضر ، والوارد والصادر ، لم يكتب كاتب إلا ابتداء مصليا عليه ، ولم يختم إلا برّد السلام والتحية إليه ، كأنهم مسخّرون غير مُؤثّرِين ، ومجبرون غير متخيّرِين ، لطفاً من الله جمعهم على فضيلته ، وألفهم على جديليته . ذلك سيد الأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وإن للشریف مع هذا شرفاً آخر تضع له الأفلاك خدودها وجباهاها ، وتلثم النجوم أرضه : أفواهاها وشفاهها ، ينضاف إلى ذلك الذي يلحظ الجوزاء من عال ، ويطول على السماء كلّ مطال ، بمن إسلامه سابق ، ومحله سامق ، ومجده باسق ، وذكره نجم طارق ، وسيفه قدر وبارق ، وعلمه بحر دافق ، وإمامته لواء خافق ، ونظير هرون<sup>(١)</sup> عند المشاكلة ، وباب المدينة<sup>(٢)</sup> عند المشابهة ، بدر يوم بدر بل شمس ، وأخو المصطفى بل نفسه ، مصلي القبلتين ، والهاشمي من الهاشميين ، كفؤ أشرف النسم ، وأكرم الكرائم في الأم . نسله أعز نسل ، وأصله أفضل أصل ، به تُحلّ المشكلات ، وإليه ترجع العضلات ، ولداه الشمس والقمر ، ولولا علىّ لهلك عمر . سيفه أمّ الآجال ، ورحمه يتم الأطفال ، وحملته رفعُ السدود ، وصولته كسرُ البنود ، قوى الله [ به<sup>(٣)</sup> ] أزر المسلمين ، وأفشى القتل

(١) مدينة العلم وعلى بابها .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(١) إشارة إلى ما يروى من أن النبي (ص) قال

لعلي : أنت مني بنزلة هرون من موسى .

(٢) إشارة إلى ما يروى من قول الرسول أنا



في المشركين . قيم<sup>(١)</sup> الجنان ، وباب الرحمة والرضوان . ثانی أصحاب الكساء<sup>(٢)</sup> في إذهاب  
الرجس ، وحامل لواء الحمد عن يمين العرش ، وصاحب الحوض يسقى من شایع ، وبایع ،  
وینع من ناصب ونازع . ذاك أمير المؤمنين صلوات الله [ عليه<sup>(٣)</sup> ] تختص أوصافه عن  
المشاركة ، وتخلص نعوته عن المزاخرة .

وهذا — أطال الله بقاء سيدي — باب إذا اشتغل به استنفد البحر مدادا ، وبسط  
الأرض بياضا وسوادا ، ونباتها وشجرها أقلاما<sup>(٤)</sup> ، وأنفاس البشر خطابا وكلاما . وإنما  
ذكرت من الدائرة نقطة ، ومن البحر قطرة ، لأکید مناصبا ، وأغیظ مجانبا . وأرجع  
للكتاب . نعم وحمد الشريف سيدي ربه على هذا الفتح الكريم منصبه ، العظيم مرقبه ،  
البهی مطلعہ ، السنی موقعه ، الرفیع مناطه ، الواضح سراطه ، السابق رهانه ، القائم  
برهانه ، الشاهد أثره ، السائر خبره ، المرفوع ضبعه وباعه ، المشبوح بسطه وذراعه ،  
الصادق سحابه ونوؤه ، الصادع صباحه<sup>(٥)</sup> وضوؤه . وكيف لا يكون كذلك ومولانا  
الملك السيد فاتح تدبيره ، ومبتدئ تقريره ، ومنشئ سحابه ، ورافع حجابيه ، ومهني  
دواعيه ، ومثقف مساعيه ، والقاسم له لحظة من حفاي سريره ، وقادمة من جناحي تقريره ،  
وإذا عزم فقد أوقع ، وإذا أمر فقد نفذ ، وإذا قال فقد ارتسم ، وإذا صال فقد انتقم ،  
ولاء الأرض خلفاؤه ، وجنود الأقاليم أولياؤه ، والقدر يخدم أمره ، والقضاء يتبع حكمه ،  
والدهر يمثل رسمه ، والزمان يتقبل أخذه وتركه . ومولانا الأمير المؤيد مناهض الخطب  
بنفسه ومراسه ، وناهض له بصولته وباسه ، ومرجف الأرض بسنابك خيله ، وحوافر الجياد  
تحت الأبحاد من جيشه ، ورام ثغر الأعداء بكيده — وهو يرتقي مناكب الجبال الرواجح ،  
حتى يحطمها إلى بطون الأباطح — ومعتمدة صدورهم بأيده<sup>(٦)</sup> . ودونه مانع كل ذات حمل  
عنده حملها ، وتحف الغبراء وتهجر ثقلها ، وملاقيمهم بعد ذلك رجال يسترسلون إلى النسايا ،  
كان رحما — تجمعهم — دانية ، ويأنسون بالحروب كأن أمما<sup>(٧)</sup> — تكفلهم — حانية ، فلم

(١) القيم : السيد ، وفي الأصل : قسم .

(٢) في الأصل : أصحابه .

(٣) الظاهر أن هذه السجعة سابقة للجملة :

الاعتراضية وقد وضعها الناسخ في غير موضعها .

(٤) في الأصل : إماء .

(١) القيم : السيد ، وفي الأصل : قسم .

(٢) يشير إلى ما يقص عند الشيعة من أن الرسول

ألقى عليه وعلى علي وفاطمة والحسن والحسين

كساء وقال نحن أهل البيت الخ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .



تمض إلساعة ، حتى <sup>(١)</sup> أقيمت على الخاذيل الساعة ، وعلم أن الجليل <sup>(٢)</sup> أخس جيل . وكل هذا من تفضل الله على مولينا — أدام الله علاها — لا يدعيان حولاً ولا قولاً إلا به ، ولا يريان عوناً ولا نصرة إلا منه ، يسجدان سجداث الشكر ، ويعفزان لمالك الخلق والأمر ، علما بأنهما عباده ، إلا أنه تعالى استكفاهما أمور العباد ، واسترعاهما سبل الصلاح والرشاد .

وأقول لم يؤت الشريف سيدي من بيان وبلاغة ، وإحسان وإجادة ، ولسن وإصابة وسلاقة وذراية ، ولكن الأمر جلّ في نفسه ، فحسر القرائح عن وصفه ، وقصر الأوهام عن علمه ، وقبض الأيدي عن عدّ فضائله ، وأياس القلوب من حصر مناقبه ، واستوى في الإخبار عن كنهه ، والإنباء عن حقه ، والتحدث بنعمة الله في إشراق نجمه ، وعلوّ قدحه ، حالta القادر والعاجز ، والكامل والناقص ، والمفضل والفاضل ، والصامت والناطق ، والمسهب والمقتصر ، والمطنب والمقتصد ، والمكثر والمختصر ، والفصيح اللهجة ، والمرمى بالكنة ، والميسر لركة العذبة ، والممنوّ بفظ الأسئلة . بلى لبنوة النبوة توفيقٌ يأخذ منه الشريف بحظ السابق ، وحق الوارث ، والمعلّى من قداح الياسر ، فكلامه فصل ، وكتابه في نفسه أصل ، يبلغ بالقول اليسير الغرض البعيد ، وبالإيماء القليل المطلب الشديد ، وبالنكتة يلقيها جملة ، ما يعجز خطباء إياد عن تفصيله برهة ، فهو سلافة من أوتي جوامع الكلم وقال : أنا أفصح العرب ، ختما على الأفواه أن تعارضه ، وعلى الألسنة أن تناقضه ، بنفسى هو وبأنفس الناس أجمعين .

شوقى إلى الشريف سيدي شوقٌ لو تقاسمته ربيعة ومضر ، وتقارعت عليه العرب والعجم ، واشتركت فيه الطوائف والأمم ، وجعل فوضى يغمر القلوب ، وشورى يملأ الصدور ، ونهّى يسع النفوس ، لما كان فيهم إلا ملتهب الجوانح صبوةً ، ومتأجج الأعضاء غلةً ، وسأخ الممع غصةً ، وعازب الصبر حسرةً ، ومهزوز الأعطاف لوعةً ، وممتلئ الأحشاء غمةً ، وهل يسع غير هذا وقر به الرّوح والراحة ، والأنس والغبطة ، والسرور والبهجة . خلق عظيم ، وشرف عظيم ، وطبع كريم ، وعهد قويم ، ولسان فصيح ، وعقد صحيح ، ومجد صريح ، وتواضع لم تمش فيه نخوة ، وتسمّح بل سماحة غمرة ، وعشرة يكاد ماؤها يقطر ، وثغرها يبسم . يعطى من نفسه مالا يستحقّ ، ويسمح عنها بما هو الحق ،

(١) فى الأصل : وقد .

(٢) الجليل سكان جيلان .



وقد أصبح مع ذلك محفوظ الوقار ، سامى المقدار ، محفوظ الأطوار ، محمى الزمار ، عزيز الجوار ، يُخشى سطوه ، كما يُرجى حمله ، وتُحذر صواقه كما تُشام بوارقه ، ويُتخوف نكاله ، كما يُتَشَوَّف إفضاله ، فلا خير فيمن لم يجمع سلاسة وشدة ، وسكوناً وحدة ، وسهولة ومرونة ، وليناً وخشونة ، وانقياداً وجأحاً ، وطمأحاً وإسماحاً . والله المسئول اجتماعاً على حال تشرح الصدر ، وتشد الأزر ، وتظاهر النصر ، وترفع القدر ، وتعلو الذكر ، وتوجب الغلبة والقهر ، وتلزم الأعداء الصغر ، وتسلب على بقاياهم الدهر ، وتقسم لنا العيش السهل ولهم البقاء الوعر ، إلى أن يكونوا حصائد السيوف بعد أن تتساقط أنفسهم نفوساً بأيدي الحسرة ، وطرائد الختوف بعد أن تتهافت قواهم قوة قوة بعوادي الكربة ، فلا بقاء نجيح ، ولا فناء مُريح . وهذا دعاء اغتتمت أن يؤمن عليه الشريف سيدى ، فإن الإجابة — سيدى ! — هناك مرجوة ، وآية الإسعاف متلوة ، وعادة الإفضال مبلوة .

مازلت أترصد وقتاً يفسح لى فى الكتاب إلى الشريف سيدى فلا أجده ، وأتحنن زماناً يخلص لخطارى فى إجابته فأستعبده ، ثم قلت : مالى وللتصنع وقد أسقط الله عنى كلفته ، ورفع بينى وبينه عُلقته ، فلم لا أملئ أسرع من سلة سارق أو لمعة بارق :

وخطفة برقٍ أو كنظرة مغرمٍ على حذرٍ أوردَ طرفَ المراقبِ

فأملت ، وأنا لا أعلم كيف أحت خاطرى ويدَ كاتبى ، وأستعجل لسانى وبنان ناسخى ، وبقى أن يكون الشريف يستر الزلل ، ويتجاوز الهفوة ، ولا يكشف السقطة ، ويغمض على العثرة ، ويُغضى على الخلّة ، فإنى له ومنه ، ومختلط بالولاء معه غير ممتاز عنه ، ومحاسنى — إن كانت — فله جمالها ، وإليه مآلها ، وعنده مستودعها ، وفى أفقه مطلعها ، وبروضه زهرها ، وفى سمائه قرها ، ومقابحى — إن أحصيت — فعليه عهدتها ، وفى ذمته تبعثها ، وهو المقنع بعارها ، المتلفع بشنارها ، والمرمى بنبالها ، والمقصود بجبالها وحبالها ، وقد قال الصادق عليه السلام : نحن الأعْلَوْنَ وشيعتنا العُلُوّيون ، وقبله ما روى : مولى القوم منهم ، فليحسب لنفسه ثم ليحاسب ، وليثبت ثم ليطالب ، وليقض حقى بطى الكتاب إن لم يكن فى نشره فائدة ، وإخفائه إن لم يكن فى إبدائه غنيمة باردة ، فهو عندى من الكلام الذى لا يفتح السمع له إلا حجاباً ضيق المسلك ، ولا يشرع له القلب إلا مجازاً ضحك المشرع :



وأسيء بالإحسان ظناً لا كمن هو بابنه وبشعره مفتون

١٠ — وله عهد لعلوي ولي النقابة بين الذرية الطيبة رضى الله عنهم

الشريف أبو القاسم زيد بن محمد بن الحسين الحسنى أدام الله عزه

قد استخرنا الله كثيراً ، وصلينا على النبي محمد وآله الذين طهرهم من الرجس تطهيراً ، واعتمدناك لما كان جدك ، رحمه الله ، معتمداً له من نقابة العلوية ، أيدهم الله ، بحضرتنا ، وفي أطراف مملكتنا ، إعظاماً — لهذه الذرية الزكية ، والشجرة النبوية — عن أن يتولى الحكم بينها ، والنظر في أحوالها ، طبقات الحكم الخارجين عن جملة الأسرة ، وربة العترة . فكن من الأتقياء لله — تعالى — على ما يكون عليه ، من شرف بينونة النبوة ، وكان سلالته الرسالة . والقرآن العظيم ، الذى يجمع المواضع ، وينظم المرشد ، على جدك صلى الله عليه وعلى آله نزل ، والإنذار فيه بدأ الأقرب من عشيرته فالأقرب ، فأحق الناس بالسداد ، وأولاهم بالرشاد ، من نشأ فى حجر الإمامة والوصية ، وانتمى إلى الدوحة الطيبة الرضية ، وكان جده رسول الله صلى الله عليه ، وأبوه سيد الأئمة الراشدين ، صلى الله عليهما وعلى آلهما أجمعين .

وخط هذا النسب الذى غشاها الله ملابس التعظيم وآتاه جوامع التفخيم ، وقدمه على مفاخر الأولين والآخرين عن أهل الدعوة<sup>(١)</sup> ، والمتحلين اسم النسبة . ومن عثرت به منهم فأشهر ذكروه ، وغير أمره ، فأجدر المناصب بالحراسة عن الدخلاء ، والحماية عن الأدعياء ، منصب كان المصطفى — صلى الله عليه وعلى آله الأدنين — أصله ونجوه ، وذريته<sup>(٢)</sup> مجده وفخره ، ووف شيوخ هذا البيت ، أيدهم الله ، حق الإكرام ، وفرض الإعظام ، بحسب مواقعهم من الصلاح ، ومراتبهم من السداد ، ومنازلهم من العلم ، ومحالهم من الستر ، واكنف باقيهم — أعزهم الله — بالإعزاز والإيثار ، وتوخ غابهم<sup>(٣)</sup> بالإعذار والإنذار ، ومن زاع عن الطريقة ، ولم يرده الزجر إلى حسن البصيرة ، فخذ بأدب جدك ، فقيه العرب وسيد بنى عبد المطلب صلى الله عليه كثيراً وسلم على أهله وصحبه تسلياً ، فى كف معرفته ،

(١) فى الأصل : الدولة .

(٢) فى الأصل : درعه .



ودفع مضرته ، لئلا يقع من أحد ما يهجن علوَّ نسبه ، ويتحيف فضل حسبه ، فإن المنتمى وإن كان عظيما ، فهو مفتقر إلى تقوى الله شديدا .

وابعث الأشراف على إحسان معاملة سائر الرعية وصيانتهم عن الامتهان والأذية ، فقد كان محمد صلى الله عليه وعلى آله — كما وصف الله — رءوفا رحيا . ومهما وعظمتهم به وذكرتهم وهديتهم إليه وبصرتهم فاسبق إليه ، وقدم العمل عليه ، ليقتمدوا بك ، ويهتدوا بمذهبك . واعلم أنا كما حملناك من أمانة الله ثقيلًا ، وقلدناك عظيما جليلا ، فسنوسعك إحسانا وتقديما ، وإكراما وتأيدا ، وإنعاما وتخويلا ، ونرسم إجراء نظرنا وصلاتنا ، وعطايانا وهباتنا ، للعلوية — أيدهم الله — على يدك ، وتفرقتها لديك ، فاستمد هذا الرأي بسلوك أرضى المذاهب وأحمدها ، وأهدى المسالك وأسعدها ، ولا تدع مشاورة أولى العلم والرأي من العلوية ، أعزهم الله ، عموما ، والشریف أبی طالب الحسینی ، أيده الله ، خصوصا ، والله وليّ توفيقك وهدايتك ، وعصمتك وكفايتك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .



## الباب العشرون

في الشوارد ، وهي الكتب المختلفة المعاني

— ١ —

كتابي ومولانا الأمير المؤيد متصل أمداد النعم ، مرفوع عماد الكلم ، وعبدہ سالم بامتداد ظله ، والله الحمد شكراً لمنه .

ووصل كتاب مولاي بعد تراخي العهد به ، واستبهاهم طرق السكون لتأخره ، فقد علم أن المخاطبات بأنبياء أقوات النفس ، ولها أوقات في الورود ، فإذا تدافعت عُدِمَ القرار ، ومُلِكت الأفكار . وعلمتُ أن الذي بطوَّبه ، الشغل بالخروج إلى الأعمال الميمونة ، ومشاهدة النعم الموفورة ، فإنها بهرت العقول قبل العيون ، وفاتت الأحلام قبل الظنون .

وإن كان كل أبيٍّ مستوعر ، وقصيّ متعذر ، متى قصدته الهمة العالية مصححاً يدور الفلك بتقريبه ، ويخف القدر في تسهيله . والله يديم سلطان مولانا ليحرس الدنيا كما ملكها ، ويحوطها كما افتتحها ، بمنّة الواسع ، وصنعه الجميل . وقرب الانكفاء ، بطالع البسطة والعلاء ، إلى السرير الأعظم ، لازال خصاصه مسدوداً بمولى الأم ، وصدره معموراً برب الملوك والكرم الأعظم ، بشرى تعيها المسامع ، وتهنأ معها المنح الجوامع ، ويكسب لها الباطل لوجهه ، ويخزُّ عندها الضلال ليده وفه . وكتاب مولاي من العسكر مرَّغب النفس ومرَّقب النصر ، وانتظام أمر كذا وما يجري معه ؛ أمرٌ كان القضاء تضمّنه ، يوم ألقى مولانا ظله .

٢ — وله

كتابي عن سلامة ونعمة ، مسبغها سكون ظل الخدمة ، والحمد لله . وتطلعت خبرك فأبطاً إبطاءً ، وشغل الفكر وإن لم يضيق العذر ، لعلمي بطيئك المنازل ، وإدراجك المراحل ، وكنا تفاوضنا عود فلان من النهر وإن<sup>(١)</sup> ، وقلتُ : إن ذلك لمستقبل حُسْنِي وإحسان ، فلم

(١) كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرق .



يخطيء ظني ، ولم يبطيء زجري ، لأن صدره كان بالخلع المباركة ، واللواء اليمون ، والعهد الكريم ، ثم أفكر مولانا في أن ذلك إذا تأخر عنه القلب وجد التشريف متحيفاً من بعض جوانبه ، مُحَلَّلاً برسم من مراسمه ؟ فاستعاد فلانا لينضاف القلب المتخير إلى سائر ما استجزل فيه الشرف ، وأوعز في مخاطبة الأمير بهذا الذكر ، ليعرف وفور الاهتمام بمواقع الفخر ، ويؤمن عليه ذهاب الخاطر مع سوء الفكر ، وإنبائك بالأمر لمتثله ، وتعرف آخره ، كما عرفت أوله . وأنا أنتظر إياك ، وقبله كتابك ، وأخبارك ، وآراك .

### ٣ — واليه

كتابي ، ونعم الله عند مولانا الأمير — أدام الله سلطانه — متصلة الورود ، متضمنة أقسام السرور ، وأنا سالم في ظله الظليل ، وبرأيه الجميل ، والله الحمد .  
ووصل كتابك يذكر عرضك ، بحضرة الأمير صاحب الجيش ، ما استصحبت ، ومجاورة بره قولاً وفعلاً لما تطلعت وارتقت ، إلى سائر ما تصرف — أدام الله نعماءه عليه — من بواعث الكرم ودواعيه ، وبسط الجميل والإغراق فيه ، وعرضته ، فاعتد مولانا بما تظهره الأيام زائدة في الثقة ، ومضاعفة للمودة السابقة ، وقال ، أدام الله تمكينه ، إنا لولطفنا كفاء ما عندنا من إكباره ، لتكلفنا ما لا حصر لأقداره ، لكننا علمنا أن القليل إذا اعتمد به حفظ نظام الاسترسال ، وما يجب من الانبساط عند امتزاج الأحوال ، لم يكتسب هجنة ، ولم يواجه ظنة .  
وأوبك الآن متطلع ، إذا رأى الأمير ذلك وأوجبه ، واهتم به فلان وسببه ، فإنه خبرك على تلخيص<sup>(١)</sup> ، إذ قد أبطأ من المجهزين من تقدمك ، وكذلك من صحبك ، وأذكره أحوالك .

### ٤ — واليه

باب التفقي<sup>(٢)</sup> بأصبهان كنت أغلقته ، بل أوثقته ، واقتدى مولانا بي في ذلك فردمه ، وسد ثلمه ، إلا أن الشاذ يقع من حيث لا يتوقع .

(١) تلخيص هنا : تبين .  
من الفروسية وإكرام الضيف وحماية الضعيف ونحو ذلك .

(٢) التفقي يراد به في ذلك العصر أعمال الفتوة



وورد الباب صبي بقرب فلان ، اضطره إلى الخروج إعراض أنيسيان ، آذاه بالدعاء إلى  
التفتي معه — فت الله عضده وأضلعه — ومولاي يزجره زجرا ، يصير خَصْرًا ، ليسلم هذا  
الضعيف عليه ، ويمكنه المقام على أبويه ، إن شاء الله .

## ٥ - وله

وصل كتابك فأنست لوقوع الطرف عليه ، وامتداد اليد إليه ، وفضضته فجمع وفاقا  
وخلافا ، وأطلع شيات أخيافا<sup>(١)</sup> ، فأما الشكر والاعتداد ، والإخلاص والاعتقاد ، فأمر أنت  
تستغني عن ذكرها خبراً ونشراً ، بعد ماقتلتها علماً وخبراً ، فكِلْ معرفتها إلى ، ولا تستزد  
فيها لدى . وأما فلان فقد كنت أحب أن يتفق مقامك بأصبهان ولَمَّا بَعْدَ عنها ، فتشاهد  
توفرّاً ترقّ حواشيه ، وتروق نواحيه ، كما تستحقه على ، وعلى من هو مني .

على أنه خارج بعد أيام ، وواصل — إن شاء الله — قبل مفارقتك أصبهان ،  
فيتلافى بعض الحق إن أعوزك له ، ويؤدّي عني ما لا يؤديه إلا مثله . وأما ما شغلت به من  
أفكارك فكرا ، ومن سطورك سطرا ، في إرجاف زيد ، واختلاف عمرو ، فلو شئت  
لكفيت نفسك وإياي كلفته ، وصنّيت يدك وسمعي عن أن تثرّد<sup>(٢)</sup> جلده ، فمثله لا يصدر  
إلا عن أفواه مانطق صوابا ، ولا قالت إلا كذابا ، لاسيما وأنت تعلم أن سمعي حَرَمٌ  
لا تدخله بُنيّات الكلام ، وهنّات الطعام .

واستدعيت مهماتي ، فخذ — إن لم يكن وفاؤك ظهرياً وعرضك سابرياً<sup>(٣)</sup> — للشيخ  
المرشد — أدام الله عزه — شرح كذا من الفقه ، وقد رأيت جُلّه عندي ، إذ ذكرت  
موقعه من كتبي ، ولكنه بين هُجْنَتَيْن : من اختلاف الخط والتقطيع ، وسُبَّتَيْن<sup>(٤)</sup> : من  
فقد التصحيح والتنميم ، فارتد — إذا عدت لي — نسخة تجمع التمام والحسن والصحة .

وخراجك قد قلت فيه لفلان ما يزيل عنك الشغل ، ويميط دونك النقل ، والتسوية  
الثاني قد أجريت ذكره في المجلس الشريف ، وأنا — إن شاء الله — ألطف في التذكير ،

(٣) العرض السابري : عرض رقيق يشترى

(١) أخيافا : مختلفة .

بأدنى ثمن . (٤) في الأصل : وسبتين .

(٢) تثرّد : تعرك وفي الأصل هكذا : يبرر .



والله وليّ التيسير . فاكتب — أيدك الله — ما أقمت ، ثم إذا انصرفت ، فاذكر حاجاتك كيف اخترت وأحببت ، إن شاء الله .

## ٦ — واه

وصلت رقعتك فذكرت فيها من شكاتك — مسحها الله بإدامة معافاتك — ماشغل قلبي ، وقسم فكري ، والله يهدي لك من العافية أفسحها وطناً ، وأثبتها مرتهناً ، بمنه .  
وفلان ورد كتابه بذكر ما لقي في طريقه أجمع ، من برّ تجاوز القصد إلى السرف ، وجاز كل غاية أمد ، وأنه — حين وصل — تلقاه الأمير متناهايا في التوفر ، وموفقاً أقسام التفضل ، فأورد بهذا الذكر ، ما استنفد طاقة الحمد والشكر ، فوقع بحضرة مولانا الأمير أطف مواقع الاعتداد ، واستجزل من إحماه أكل السهام والأقساط .  
وقد أنهيت جلية ماورد إلى الحضرة العالية إنهاء المشارك المخلص ، والمشايخ المتخصص ، في كل الذي يتصل بجنبة الأمير مولاي ، والله يزيد الأحوال قوة أسباب ، وقرب أنساب ، بمنه .

## ٧ — واه

كتابي يوم كذا وقد تقدمت اليوم بتقديم مضاربني إلى سحنة<sup>(١)</sup> ، لأنقض — بمشيئة الله — بكرة ، مواجهها الحضرة البهية ، والله يعرف في ذلك الخيرة ، ويلقى النجاح والعافية .  
وكانت عليّ في تهذيب هذه الأعمال — التي فسدت على الأيام ، واضطربت على الزمان — أشغال وأثقال ، ولم أحسبها تنزاح في مدة قريبة ، ومهلة يسيرة ، إلا أن سعادة الخدمة الشريفة تسهل العسير وتقرب البعيد ، وحداني على فضل التعجل ، والزيادة في التشمير ، أن السكتب من المجلس الشريف توالى إليّ ، بالبعث على البدار ، والحث على تقديم الفراغ ، للمهمات التي يلزم التصرف على تقريرها ، والتخفيف في تقديمها .

(١) موضع بين بغداد وهمدان ، وقيل بلد بالقرب من همدان .



ووصل كتابك — فتكافأ موقعه وتوقعه ، وآنس مطلعته ومودعه ، وأحمدت ماتصرفت فيه إحمادى سائر أحوالك ، واعتقدت فيه اعتقادى فى كافة أفعالك — بأنى أنكرت إيرادك ، فى جملة اعتذارك ، أنك حسبت كتبك لا تُتَرَقَّب ، فذلك خفت ، ومحاطباتك لا يؤبه لها ، فكرهت المواظبة وأقصرت ، وما علمت أنك — بعد — من اليقين بموضعك لدى فى هذه الدرجة القريبة ، والمعرفة الضعيفة ، وقد كانت لك فى المعاذير فسحة ، وفى مذاهب القول سعة ، فلم ألجأت نفسك إلى أضيق السبل وأوعر الطرق ، ولعمري إن كثيراً من الناس بالرتبة التى ظننت نفسك بها ، حاشاك منها ، فإنك إذا كتبت كان سعيك مشكورا ، وإذا أعتبت عوتبت طويلا ، ولم نظن بك إلا جميلا .

وقد عرفت ما بشرتني به من تماثل فلان وإقباله ، والفضل من ظاهر حاله ، وما شاهدته عند استقباله ، وأنا أرجو أن يهب الله له ولى فيه عافية ، يمتد ثوبها ، وتثوب القوة معها ، فإن الذى يبلغنى من ضعفه قد أضعف المنّة ، وإن لم يضعف الظن بالله والثقة ، كفاه الله بالسلامة ، وشفاه بطائفه الخاصة والعامة . وقد عرفت ما أصدرته إلى الحضرة البهية ، فحمدت الله على معونته لك ، وتوفيقه إياك .

وكتب فلان بأن العدد نقص عن التوظيف شيئاً ، فنتج ذلك فى المجلس الشريف عتباً ، ولا أدري كيف أحاصمك لنفسك ، فإنك تُشَلِّم فى الكثير بتحيف اليسير ، وتُزِيل محمداً الجليل بانتقاص الدقيق ، مع معرفتك بمسألة مولانا عن هذا الباب مستقصياً ، والتماسه الحساب به مستوفياً .

## ٨ — والـهـ

وصل كتاب مولاي فأفادنى من بره ما قد سبق إقرارى بالقصور عن الواجب فيه شكراً واعتداداً ، وإن كنت لا أقصّر نية واعتقاداً .

فأما الذى بشرنى به مولاي من إنعام مولانا فى اختيار يوم لورودى الباب المعمور ، ففوق كل أمل ومأمول ، لم تبلغه همتى ، ولم تشجع له مُتَتى ، إذا سَعِدَ يوم ووقت لأمثالنا من أصاغر الخدم وأنشاء الدار ، يوم يمثلون فيه بإزاء السرير الأعظم مُقبِلين على الأرض



بالتقيل<sup>(١)</sup>، ولكن نفحات الإحسان من ملك الأملاك ، وفلك الأفلاك ، أدام الله أيامه ، لا حصر لها ولا حد . وأنا عامل على ما مثَّل ومُرَّسَم بإذن الله . والذي أَهَّل له السلار أبو نصر — أدام الله غزه — تلقيناً له وترتيباً ، وتشريعاً وتقريباً ، يزيد أولياء الدولة وخدمها انشراح صدور وارتفاع نواظر ، والمداهنين في فرائضها ولوازمها حركات صدور ، ومرارات قلوب .

وقد بادرت بكتاب مولاي ، أدام الله تأييده ، إلى حضرة مولانا الأمير المؤيد ، أدام الله أيامه ، علماً بأنه يهتز لما اتفق ، ويتحقق أن عنايته به ، هي التي شفعت إلى الرأي العالى له ، لا زال كل مرموق وملحوظ مستمداً خيره وجاهه بطاعة للحضرة العالمة يلتزمها ، وخدمة يُخلصها ، ولحمة يستمدّها ، ونظرة يُتفضل عليه بها .

#### ٩ — ولله

كتابي — أطال الله بقاء قاضي القضاة<sup>(٢)</sup> — عن سلامة يسوعها تفضلُ الله الشامل ، وإحسان فوق ما يأمله الآمل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين .

ووصل كتاب قاضي القضاة ، أدام الله غزه ، فسكر أنسى به ، مستقماً من أنسى بقربه ، فأما تفضل مولانا ، أعز الله نصره ، فالصنيعة فيه عند قاضي القضاة — أدام الله غزه — مُصيبة طريق المصنع ، وواقعة أكرم موقع ، ولا غرو أن درّ الغمام ، وقطع السيف الحسام ، أدام الله أيامه ، ولا أفقد إغراسه وإنعامه .

وفلان قد كان وَفَى في بابهِ ، ما استقلت معه المنوى في عقابه ، وإذ قد حكى قاضي القضاة براءة ساحته ، فقد سرّني أن انصرفت اليد عن مساءته .

وما بيني وبين قاضي القضاة يكبر عن الشكر ، لا بل عن إجراء الذكر . فأما أنا فالعافية سابعة على ، والسعادة خالصة لي وإلى ، والله حمد ذلك . بل أنسى مدخول ،

(٢) هو عبد الجبار بن أحمد على ما مر .

(١) لعله يشير إلى استدعاء عضد الدولة له كي يمثل بيابه على نحو ما سبق وصفه في غير هذا الموضع .



ونشاطى معلول ، لشكاة مولاي أبى العباس<sup>(١)</sup> ، والله أسأل أن يقيه ويقيه ، ويكفيه ويعافيه .

الأمر الذى أوما إليه قاضى القضاة من حديث أحنابنا ببغداد ، إذ قد جرت فيهم ضروب ، وترددت خطوب ، ورأيت الصواب فى ترك مخاطبة المزكى لنفسه ، المعجب بدرسه ، فأمسكت ، وللجملة تفصيل ، وإذا التقينا — بمشيئة الله — قلت .

وقد استحضرت فقهاء هذا البلد فى فرص الفراغ ، فرأيت قوماً بهم الاستفادة والتعرف ، والاستعلام والتفهم ، وأجل ما فيهم التصون ثم أن لا تنازع بينهم فى أمر الدنيا ولا تشعب ، بل جميعهم كاليد الواحدة يردون مورداً ؛ ويصدرون مصدراً ، وما بهم عن سماع الحق بُعد ، بل ثم إصغاء وقرب ، وليس يخطئهم التقريب والرفق ، ومن عند الله التوفيق والرشد . هذا وفيهم من يتجاوز هذه الطبقة ، ويعتمد الموافقة فى مقامى على تقرر أحوال الدينور ، فإن استقرت ، كما أريد ، كفيت الخروج إليها ، وإلا ألمت أياما خمسة بها ، ثم أنكفى إلى الحضرة ، فإن البعد عنها يترك النفس فى جانب الفتور ، والأمل فى ناحية القصور ، إلا أن أهل هذه البلدة منذ مدّ عليها ظل العدل كمن أحيى وهو رميم ، وأُنبت وهو هشيم ، نسأل الله توفيقاً لما يرضيه ، وتسديداً فيما يمضيه ، وهو حسبي ونعم الوكيل . لست أذكر تشوقى قاضى القضاة ، أكمله إلى علمه ، وأسأله استشهاد نفسه :

فعلى القلوب من القلوب شواهد وعلى الصدور من الصدور دلائل

## ١٠ — ولله

كتابى ومولانا محبوباً من النعم بما يتجلى صنع الله فيه باهراً للعيون ، محققاً للظنون ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد وآله أجمعين .

وتأخرت كتبى عن مولاي لسرور علل على صارت حلقاً لازماً ، وطبعاً ثانياً ، حتى عادت الصحة كطارقٍ مُستغرب ، وطاريٍّ مُستبدع . وعولت فى المهمات أجمع على ما ينهيه أبو فلان ، فقد عرف فى كل باب ما عرفته ، وعلم منه ما علمته ، وقد نهض منذ أيام ، والله

(١) هو أبو العباس الضبي .



ييسر المنايح أين توجه الخدم عن الباب المعمور ، والأمر المتبوع ، بمنه .

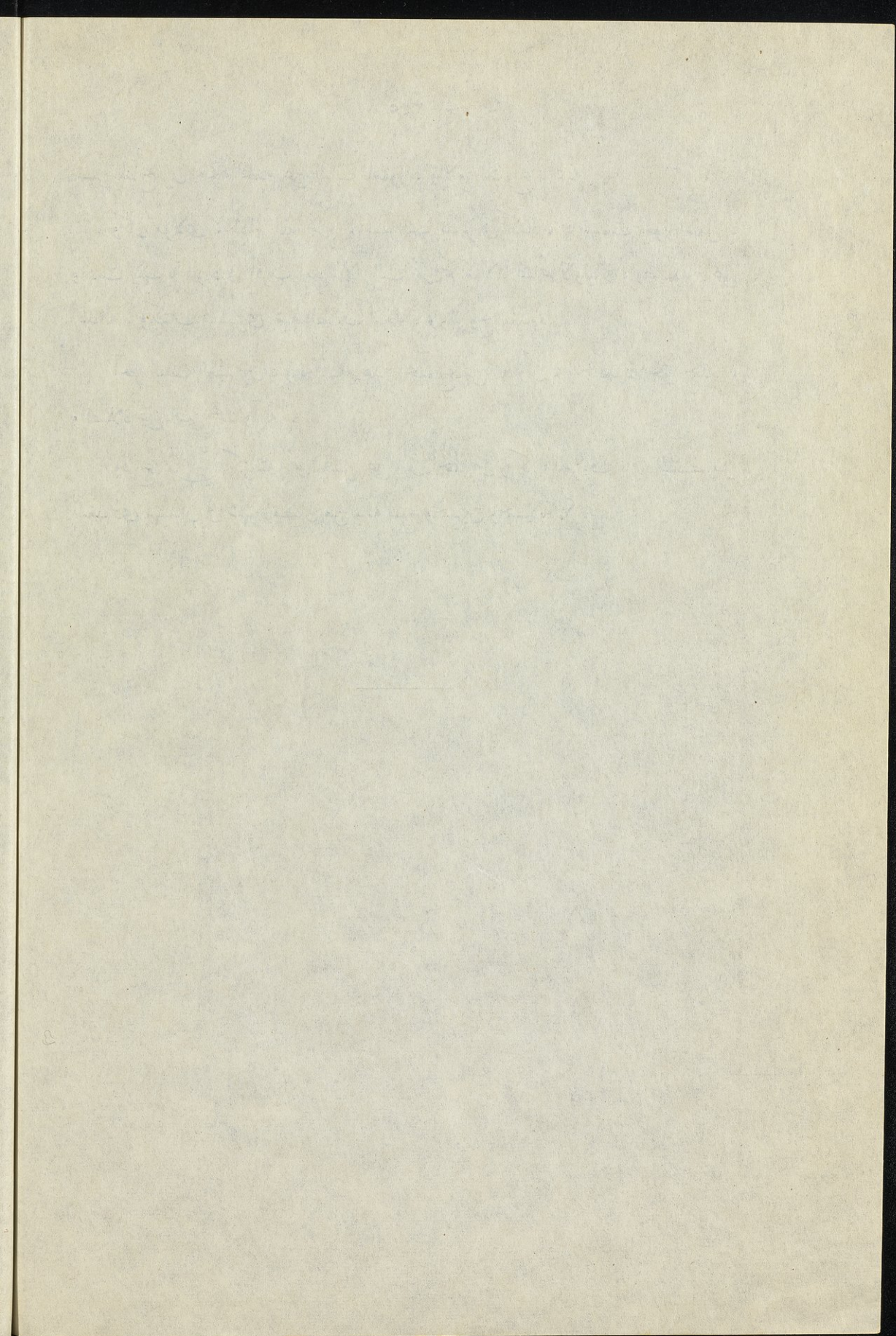
وكان مولاي ، أدام الله عزه ، بشر بما تيسر في كذا ، فابتسمت ثغور الأمل ،  
وأذنت بنهاية المراد في أقرب أمد ، لازالت غنائم مولانا غنائم لأولياته ، وصوارم على  
أعدائه . وكتاب البشرى بغية الطرف ليجلوه ، والروح ليغذوه .

آخر الباب العشرين ، وبه تمام هذا المجموع من الديوان ، والحمد لله حق حمده ،  
والصلاة على النبي محمد وآله .

وفرج من كتابته أبو الحسن علي بن أحمد بن زكريا المعروف بابن الشصاص  
البغدادى بهمذان في شهر رمضان من سنة سبع وخمسين وخمسة مائة .

---







## فهرس الرسائل



بسم الله الرحمن الرحيم



## فهرس الأعلام

- إبراهيم بن القاسم ١٢١  
إبراهيم بن محمد الحاجب ٥٥ ، ٦٦  
إبراهيم بن المرزبان ١٦ ، ٨٧  
ابن الأثير ٤ ، ٥ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٣ — ٢٥  
٢٧ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ١٨٤ ، ١٨٦  
ابن بابويه ١١٦  
ابن جحا الكوفاني ٢٢٣  
ابن حماد ١٨٣  
ابن حمدان ١٢  
ابن الحنفية ١٥٤  
ابن سيمجور (أبو الحسن) ٢٤ — ٢٦  
ابن الشصاص البغدادي (أبو الحسن علي بن أحمد بن  
زكريا) ٢٤٥  
ابن عباد (الصاحب كافي الكفاة) ١ ، ٣ ، ٤ ،  
١٦ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ١٦٨  
ابن عبد الرزاق (محمد) ٢٣  
ابن عساكر ١٥٧  
ابن عكبر ١١٥  
ابن علوية ١٨٣  
ابن العميد (الأستاذ الرئيس) ٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٣  
ابن عنتره ١١٦  
ابن قرانكين ٢٣  
ابن ماكان ٢٣  
ابن مخارق الهلالي ١٦٠  
أبو إسحق الكاتب ١١٨  
أبو بكر الصديق ١٠٧ ، ١٥٦  
أبو الحسين زيد بن أبي القاسم بن مقرن ١٩٦  
أبو الشممق ١٦٠  
أبو طالب الحسيني (الضريف) ٢٣٧  
أبو طالب السيلقي ٢٣١  
أبو طاهر (الفقيه) ١٨٣ ، ١٨٤  
أبو العباس الضبي ١٤١ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٨٠  
٢٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣  
أبو العلاء بن أبي القاسم بن مقرن ١٩٦  
أبو علي بن أبي القاسم بن مقرن ١٩٦
- أبو عيسى الكردى ١٨٤  
أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد ١٣٢  
أبو الفرج الحنط ١٣٤  
أبو القاسم بن مقرن ١٩٦  
أبو منصور بن محمد ٦٤ ، ٢١١  
أبو الهذيل (العلاف) ١٤٠  
أبو الهول الحميري ١٦٠  
أحمد بن إبراهيم (أبو عيسى) ٩٤  
أحمد بن محمد بن المحتاج ٢٣  
أسانكين (أبو الجيش) ١٨٢ ، ١٨٣  
الإستينار ١٠٥  
إسحق بن بندار ١١٩  
إسفهلال بن كوريكنج (أبو منصور) ٤٦  
إسماعيل بن صبيح ١٣٥  
الإصبهذ ٧٩ ، ٨٠  
الأعشى ١٦١  
الأفروديسي ٢٣٠  
أمدروز ١٢ ، ١٤  
الأمير السيد = عضد الدولة  
الأمير المؤيد = مؤيد الدولة  
الأمين بن هرون الرشيد ١٣٥  
بختيار ١٩ ، ٢٠  
بشار ١٦٠  
بشر بن أبي خازم ١١٥  
بشر بن مروان ١١٩  
بقراط ٢٣٠  
بكتاش الحاجب (أبو الهيجاء) ٦٤  
بكتكين الحاجب (أبو الوفاء) ٦ ، ٢١٢  
بيستون بن وشمكير ٤  
تاش (أبو العباس) ٢٥ — ٢٧ ، ٣٣  
تأبط شرا ١٥٦  
جالينوس ٢٢٩ ، ٢٣٠  
جركاس بن وشمكير ٦



الطائع لله ( الخليفة ) ٥ ، ٢٤ ، ٣٤

عاصر بن فهيرة ١٥٦

عباد بن العباس ١٦٠

عباد بن المطهر ( أبو الفرج ) ١٥٩ ، ١٦٠

العباس بن فيلسار ٢٠

عبد الجبار بن أحمد ( قاضي القضاة ) ٣٤ ، ٤٢ ،

١٠٠ ، ١٣٩ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤

عبد الجبار بن يزيد ١٥٧

عبد الحميد الكاتب ١٣٥

عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر ( القاضي أبو القاسم ) ٥٢

عبد الله بن أريقط ١٥٦

عصام بن أحمد ٢٠٩

عضد الدولة ( الأمير السيد ، الملك السيد ، شاهنشاه )

٣ — ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢٢ —

٢٥ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ،

٧٧ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٠٥ ، ١١٣ ،

١٢٤ — ١٢٨ ، ١٣٠ — ١٣٢ ،

١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٦ — ١٧٠ ، ١٧٢ ،

١٨٨ — ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ —

٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣ ، ٢٤٣

عكبر بن إبراهيم ١١٦ — ١١٨

علي بن أبي طالب ( أمير المؤمنين ، وفقه الرب )

١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ،

٢٣٦ ، ٢٣٣

علي بن أحمد الحراويفي ( أبو القاسم ) ١٤٤

علي بن كامة ( أبو الحسن ) ٥ ، ١٦ — ١٨

علي بن محمد ( الشريف أبو الحسن ) ٢٠٢

علي الرضا ٢٠٠

عمر بن الخطاب ١٠٨ ، ٢٣٢

عمرو بن براق ١٥٦

العميد ١٣٢

فاطمة بنت الرسول ( ص ) ٢٣٣

فائق ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٣

نشر الدولة ٥ ، ٣٥ ، ٣٣

الفرزدق ( أبو فراس ) ١٦٠ ، ٢٢٧

الفصل البرمكي ١٦٠

جرير ( أبو حذرة ) ٢٢٧

جعفر بن أبي طالب ١٣٠

الحجاج الثقفي ١٥٧

الحسن بن سهل ١٣٥

الحسن بن علي بن أبي طالب ٢٣٣

الحسين بن أحمد بن عبد الله بن هرون ٥٧

الحسين بن العباس الرندي ( أبو عبد الله ) ١٩٩

الحسين بن علي بن أبي طالب ١٤٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣

الحسين بن محمد ( أبو منصور ) ٥١

الخطيئة ١٦٠

خالد بن دثار ١٥٧

دعيمي الرمل ١٥٦

ربيعة الرقي ١٥٩

الرشيد ( هرون ) ١٣٥

ركن الدولة ( الحسن بن بويه ) ١٦ ، ٢٤ ، ٥٠ ،

٦٤ ، ٦٥ ، ١١٧ ، ١٦٧

الزرقان ١٦٠

زيار بن شهرا كويه ( أبو حرب ) ٥

زيد بن محمد بن الحسين الحسفي ( الشريف ) أبو القاسم ٢٣٦

سعد بن محمد ( الحاجب ) أبو القاسم ٢٠

السلار ٨٧ — ٩١ ، ٩٦ ، ٩٨ — ١٠٠

١٠٣ ، ١١١ — ١١٣ ، ١٢٣ — ١٢٥

١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٤٣

سليك المقانب ١٥٦

سهيل بن سالم ١٦٠

سهيل بن عثمان ١٦٠

الشفري ١٥٦

الصاحب كافي الكفاة = ابن عباد

صاحب الجيش ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٧ ،

٨٢ ، ١٣١ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ،

١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٣٩

صدقة بن أحمد ٦٥

مصم الدولة ٥

طاهر بن محمد ( أبو الوفاء ) ١٤



٥٩، ٥٧ — ٧٢، ٧٠، ٦٩، ٦٥ — ٧٢، ٧٠، ٦٩، ٦٥  
٩١، ٨٧، ٨٤ — ٨٢، ٧٧، ٧٤  
٩٤، ١٠١، ١٠٢، ١١٣، ١٢١،  
١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٤،  
١٦٣، ١٦٤، ١٦٦ — ١٦٩، ١٧٢،  
١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٩، ٢٠١،  
٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٢، ٢٢٥،  
٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤٣

#### النظام ١٤٠

نوح بن نصر ٢٦

النوشجان بن عبد المسيح (أبو عيسى) ١٦١

هرون (الرسول) ٢٣٢

وشمكير بن زيار ٢٤

الوليد بن يزيد ١٥٧

وهسوذان بن محمد ١٦، ١٧

ياقوت ٦١

يحيى البرمكي ١٣٥

يحيى بن محمد بن زيادة العلوي (أبو محمد) ١٤٤،

١٤٥، ١٤٩

يزيد بن أسيد ١٦٠

يزيد بن حاتم المهلي ١٥٩

يزيد بن مزيد الشيباني ١٦٠

يونس بن حبيب ١٦٠

الفضل بن سهل ١٣٥، ١٦٠

الفضل بن العباس ١٦٠

قابوس بن وشمكير ٢ — ٧، ٢٤، ٢٦ — ٣٣،

قبصة (أبو قطن) ١٦٠

لشكرستان بن لشكرين ٧

المأمون ١٣٥

المتني ١٦، ١٧، ١٩٩

المتامس ١٢٠

محمد بن أحمد الكاتب ٥٣

محمد خليفة الحاجب ٢١٢

محمد بن المرزبان بن الفرخان (أبو سعيد) ١٥٤

محمد بن يحيى بن خالد ١٦٠

محمد بن منصور بن زياد ١٦٠

المرزبان بن اسماعيل (أبو نصر) ١٧، ١٨

مسكويه ١٢

مصعب بن الزبير ١١٩

المطيع لله (الخليفة) ٢٣، ٢٤

الملك السيد، ملك الملوك، شاهنشاه = عضد الدولة

متصور بن نوح ٢٤

المهلب ١٥٤

موسى (الرسول) ٢٣٢

مؤيد الدولة (الأمير المؤيد) ٤ — ٦، ٣٤،

٣٩، ٤٢، ٤٦، ٥٠ — ٥٣، ٥٥،



## فهرس الأماكن والبلدان

|                                 |                                           |
|---------------------------------|-------------------------------------------|
| الخطيم ١٤٦                      | آبة ١٨٦، ٦١                               |
| حلوان ٢٠                        | أذربيجان ٩٨، ٨٧، ٦٧، ١٦                   |
| خراسان ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٣٣، ١١٣،     | أرجان ٢١٥                                 |
| ١٤٤، ١٤٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠،        | أردبيل ٦٩، ٦١                             |
| خوزستان ٢١٩                     | أردستان ١٥٦                               |
| الدامغان ٢٤، ٢٧، ١٣٣            | أرمينية ١٧                                |
| ديالى ٢٠                        | إستراباد ٧، ٦، ٣                          |
| ديمرت ١٤٤                       | أصبهان ٣١، ٣٢، ٥٠، ٥١، ٥٧، ٦١،            |
| الدينور ٦٠، ٦١، ٢٠٥             | ١١٦، ١١٩، ١٣٥، ١٤٤، ١٥٦،                  |
| ذو بحار (جبل) ١١٥               | ١٧٥، ١٧٧، ١٨١، ١٨٣، ١٩٨،                  |
| راوند ٢١١                       | ٢١٩، ٢٠٧، ٢١١، ٢٣٩، ٢٤٠،                  |
| الري ٦، ٢٤، ٣٤، ٣٩، ٤٢، ٥٩، ٦١، | أهواز ٢٠، ١٩                              |
| ٧٢، ١٠٧، ١٨١، ١٩٢               | إيران ٢٠٨، ٢١٥، ٢١٧                       |
| زرين رود ٥٤                     | بخارى ٢٥                                  |
| زرم (بئر) ١٤٦، ٢٢٨              | البصرة ١٤، ١٩، ١٠٧                        |
| سارية ٦                         | بغداد (مدينة السلام) ٤، ١٩، ٢١، ٦٧،       |
| ساوة ٤٢، ٦١                     | ١٠١، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٣٨، ٢٤٣،                  |
| سحنة ٢٤١                        | البقيع ٢٢٨                                |
| سهرورد ٤٢                       | بوزجورد ١٢٦                               |
| شميران ١٧                       | البيت العظيم (البيت الحرام) ٧١، ١٤٦، ٢٢٨، |
| الصفاء ٢٢٨                      | بئر معونة ١٥٦                             |
| الصيمرة ٢١٩                     | التيمرتين ٦٢، ٦١                          |
| طبرستان ٤ — ٦، ٢٤، ٢٤، ٧٩، ١٩٨، | الجيل، الجبال (بلاد) ٥، ٦، ١٧، ٦٧،        |
| الطرم ١٧                        | ١١٣، ٢١٩                                  |
| الطف ١٤٨                        | جبل شمريار ٥                              |
| طهران ١٧٧، ١٨١                  | جرجان ٣ — ٦، ٢٢، ٢٧، ٣٣، ٣٤،              |
| طوس ٢٣                          | ١١٩، ١٣٥، ١٤٤                             |
| طيبة ١٤٨                        | جبلان ٢٣٤، ٥                              |
|                                 | الخائر ٢٢٨                                |
|                                 | حرة بنى سليم ١١٥                          |
|                                 | الحرم، الحرمان ١٠١، ١٤٦، ٢٢٨              |



|                                 |                                   |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| المشهد ٢٠٠                      | العراق ١٤٥ ، ١٩٨                  |
| معتق ( جبل ) ١١٩                | الغرى ، الغريان ١٤٨ ، ٢٢٨         |
| المعرف ١٤٦ ، ٢٢٨                | فارس ٣ ، ٢١٥                      |
| مقام إبراهيم ١٤٦                | قاسان ٥١ ، ٥٢ ، ٦٤ ، ١٥٦ ، ٢١١    |
| منى ١٤٦                         | قزوين ٤٢ ، ٤٦ ، ٦١ ، ٩٢ ، ٩١      |
| منور ( جبل ) ١١٥                | قم ٤٢ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٧٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦ |
| نايين ٥٠                        | قوس ٢٧                            |
| نسا ٢٧                          | كرمان ١٩٩ ، ٢١٧                   |
| النوبهار ٧٢                     | الكعبة ٢٢٨                        |
| نهارند ٦١                       | الكوفة ٦١ ، ١٤٨ ، ١٩٨             |
| النهران ٢٠ ، ٢٣٨                | الكوكبان ١٧                       |
| نيسابور ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٢٤٩ | المخصب ١٤٦ ، ٢٢٨                  |
| واسط ١٩ ، ٢٣٨                   | مدينة السلام = بغداد              |
| ويمة ٦                          | المروة ٢٢٨                        |
| همدان ٦١ ، ٦٧ ، ١٢٦ ، ٢١٩ ، ٢٤٥ | مشعر ، المشعران ١٤٦ ، ٢٢٨         |
| يذيل ( جبل ) ١١٩                |                                   |
| يزد ٢٠٨                         |                                   |



## فهرس الموضوعات

| صفحة      |                                                                 |
|-----------|-----------------------------------------------------------------|
| ١         | مقدمة .....                                                     |
| ج         | مدخل .....                                                      |
| ٢٤٥ إلى ١ | الرسائل .....                                                   |
| ١         | مقدمة الرسائل .....                                             |
| ٣ إلى ٣٣  | الباب الأول : في البشائر والفتوح .....                          |
| ٣         | الرسالة الأولى .....                                            |
| ٨         | الرسالة الثانية .....                                           |
| ١٠        | الرسالة الثالثة .....                                           |
| ١١        | الرسالة الرابعة .....                                           |
| ١٤        | الرسالة الخامسة .....                                           |
| ١٥        | الرسالة السادسة .....                                           |
| ١٨        | الرسالة السابعة .....                                           |
| ٢٢        | الرسالة الثامنة .....                                           |
| ٣٠        | الرسالة التاسعة .....                                           |
| ٣٣        | الرسالة العاشرة .....                                           |
| ٣٤ إلى ٥٨ | الباب الثاني : في اليهود .....                                  |
| ٣٤        | الرسالة الأولى .....                                            |
| ٣٩        | الرسالة الثانية .....                                           |
| ٤٢        | الرسالة الثالثة .....                                           |
| ٤٦        | الرسالة الرابعة .....                                           |
| ٥٠        | الرسالة الخامسة .....                                           |
| ٥١        | الرسالة السادسة .....                                           |
| ٥٣        | الرسالة السابعة .....                                           |
| ٥٤        | الرسالة الثامنة .....                                           |
| ٥٥        | الرسالة التاسعة .....                                           |
| ٥٧        | الرسالة العاشرة .....                                           |
|           | الباب الثالث : في الأمان والأيمان والمواقفات والمنشairs ومراعاة |
| ٥٩ إلى ٦٦ | الكبيسة من السنين ومايجرى مجراه .....                           |
| ٥٩        | الرسالة الأولى .....                                            |



صفحة

|    |                 |
|----|-----------------|
| ٦٠ | الرسالة الثانية |
| ٦٠ | الرسالة الثالثة |
| ٦٠ | الرسالة الرابعة |
| ٦١ | الرسالة الخامسة |
| ٦٢ | الرسالة السادسة |
| ٦٣ | الرسالة السابعة |
| ٦٤ | الرسالة الثامنة |
| ٦٥ | الرسالة التاسعة |
| ٦٦ | الرسالة العاشرة |

الباب الرابع : في الوصاة بالحجيج والمصالح وأمر الثغور ... ٦٧ إلى ٧٦

|    |                 |
|----|-----------------|
| ٦٧ | الرسالة الأولى  |
| ٦٧ | الرسالة الثانية |
| ٦٩ | الرسالة الثالثة |
| ٧١ | الرسالة الرابعة |
| ٧٢ | الرسالة الخامسة |
| ٧٣ | الرسالة السادسة |
| ٧٣ | الرسالة السابعة |
| ٧٤ | الرسالة الثامنة |
| ٧٤ | الرسالة التاسعة |
| ٧٥ | الرسالة العاشرة |

الباب الخامس : في الاستعطاف لقلوب أولياء الدعوة والتودد إليهم

بعباسطهم وما يقارب ذلك ... ٧٧ إلى ٨٦

|    |                 |
|----|-----------------|
| ٧٧ | الرسالة الأولى  |
| ٧٨ | الرسالة الثانية |
| ٧٩ | الرسالة الثالثة |
| ٨٠ | الرسالة الرابعة |
| ٨١ | الرسالة الخامسة |
| ٨٢ | الرسالة السادسة |
| ٨٣ | الرسالة السابعة |
| ٨٣ | الرسالة الثامنة |
| ٨٤ | الرسالة التاسعة |
| ٨٦ | الرسالة العاشرة |



الباب السادس: في إصلاح ذات البين والدعاء إلى الطاعة وتهجين

صفحة

العقوق بين ذوى الأحام وما يشاكل ذلك ... ٨٧ إلى ٩٨

|    |       |                 |
|----|-------|-----------------|
| ٨٧ | ..... | الرسالة الأولى  |
| ٨٨ | ..... | الرسالة الثانية |
| ٨٩ | ..... | الرسالة الثالثة |
| ٨٩ | ..... | الرسالة الرابعة |
| ٩١ | ..... | الرسالة الخامسة |
| ٩٢ | ..... | الرسالة السادسة |
| ٩٤ | ..... | الرسالة السابعة |
| ٩٦ | ..... | الرسالة الثامنة |
| ٩٧ | ..... | الرسالة التاسعة |
| ٩٨ | ..... | الرسالة العاشرة |

الباب السابع : في المدح والتعظيم ... .. ٩٩ إلى ١١٠

|     |       |                 |
|-----|-------|-----------------|
| ٩٩  | ..... | الرسالة الأولى  |
| ١٠٠ | ..... | الرسالة الثانية |
| ١٠١ | ..... | الرسالة الثالثة |
| ١٠٣ | ..... | الرسالة الرابعة |
| ١٠٤ | ..... | الرسالة الخامسة |
| ١٠٥ | ..... | الرسالة السادسة |
| ١٠٥ | ..... | الرسالة السابعة |
| ١٠٦ | ..... | الرسالة الثامنة |
| ١٠٧ | ..... | الرسالة التاسعة |
| ١٠٨ | ..... | الرسالة العاشرة |

الباب الثامن : في الذم والتهمين ... .. إلى ١٢٢

|     |       |                 |
|-----|-------|-----------------|
| ١١١ | ..... | الرسالة الأولى  |
| ١١٢ | ..... | الرسالة الثانية |
| ١١٣ | ..... | الرسالة الثالثة |
| ١١٤ | ..... | الرسالة الرابعة |
| ١١٤ | ..... | الرسالة الخامسة |
| ١١٥ | ..... | الرسالة السادسة |
| ١١٦ | ..... | الرسالة السابعة |
| ١١٨ | ..... | الرسالة الثامنة |
| ١١٨ | ..... | الرسالة التاسعة |
| ١٢١ | ..... | الرسالة العاشرة |







صفحة

الباب الثاني عشر : في التشكر وما يشاكله ... ١٦٣ إلى ١٧٣

|     |                 |
|-----|-----------------|
| ١٦٣ | الرسالة الأولى  |
| ١٦٤ | الرسالة الثانية |
| ١٦٥ | الرسالة الثالثة |
| ١٦٦ | الرسالة الرابعة |
| ١٦٧ | الرسالة الخامسة |
| ١٦٧ | الرسالة السادسة |
| ١٦٩ | الرسالة السابعة |
| ١٧٠ | الرسالة الثامنة |
| ١٧١ | الرسالة التاسعة |
| ١٧٢ | الرسالة العاشرة |

الباب الثالث عشر : في الاستزادة والتقريع وما يجري مجرى ذلك ١٧٤ إلى ١٨٦

|     |                 |
|-----|-----------------|
| ١٧٤ | الرسالة الأولى  |
| ١٧٥ | الرسالة الثانية |
| ١٧٧ | الرسالة الثالثة |
| ١٧٩ | الرسالة الرابعة |
| ١٨٠ | الرسالة الخامسة |
| ١٨١ | الرسالة السادسة |
| ١٨٢ | الرسالة السابعة |
| ١٨٢ | الرسالة الثامنة |
| ١٨٣ | الرسالة التاسعة |
| ١٨٤ | الرسالة العاشرة |

الباب الرابع عشر : في التنصّل والاسترضاء وما يشاكل ذلك ... ١٨٧ إلى ١٩٥

|     |                 |
|-----|-----------------|
| ١٨٧ | الرسالة الأولى  |
| ١٨٨ | الرسالة الثانية |
| ١٨٨ | الرسالة الثالثة |
| ١٨٩ | الرسالة الرابعة |
| ١٩٠ | الرسالة الخامسة |
| ١٩١ | الرسالة السادسة |
| ١٩٢ | الرسالة السابعة |
| ١٩٣ | الرسالة الثامنة |
| ١٩٤ | الرسالة التاسعة |
| ١٩٤ | الرسالة العاشرة |



صفحة

الباب الخامس عشر : في الشفاعات ..... إلى ٢٠٤

|     |                      |
|-----|----------------------|
| ١٩٦ | الرسالة الأولى       |
| ١٩٦ | الرسالة الثانية      |
| ١٩٧ | الرسالة الثالثة      |
| ١٩٨ | الرسالة الرابعة      |
| ١٩٩ | الرسالة الخامسة      |
| ١٩٩ | الرسالة السادسة      |
| ٢٠٠ | الرسالة السابعة      |
| ٢٠١ | الرسالة الثامنة      |
| ٢٠١ | الرسالة التاسعة      |
| ٢٠٢ | الرسالة العاشرة      |
| ٢٠٣ | الرسالة الحادية عشرة |

الباب السادس عشر : في توصية العمال بتجلب المال وإظهار العفاف

وحسن السياسية ..... إلى ٢١٧

|     |                 |
|-----|-----------------|
| ٢٠٥ | الرسالة الأولى  |
| ٢٠٦ | الرسالة الثانية |
| ٢٠٦ | الرسالة الثالثة |
| ٢٠٨ | الرسالة الرابعة |
| ٢٠٩ | الرسالة الخامسة |
| ٢١٠ | الرسالة السادسة |
| ٢١٢ | الرسالة السابعة |
| ٢١٣ | الرسالة الثامنة |
| ٢١٤ | الرسالة التاسعة |
| ٢١٥ | الرسالة العاشرة |

الباب السابع عشر : في الآداب والمواعظ وما يقاربها ..... إلى ٢٢٠

|     |                 |
|-----|-----------------|
| ٢١٨ | الرسالة الأولى  |
| ٢١٨ | الرسالة الثانية |
| ٢١٩ | الرسالة الثالثة |
| ٢٢٠ | الرسالة الرابعة |

الباب الثامن عشر : فصول وغرر ، وتوقيعات ودرر ..... إلى ٢٢٣

الباب التاسع عشر : في النوادر النادرة في قتها ..... إلى ٢٢٤

|     |                                 |
|-----|---------------------------------|
| ٢٢٤ | الرسالة الأولى ( فصل من رسالة ) |
|-----|---------------------------------|



| صفحة |                 |
|------|-----------------|
| ٢٢٤  | الرسالة الثانية |
| ٢٢٥  | الرسالة الثالثة |
| ٢٢٥  | الرسالة الرابعة |
| ٢٢٦  | الرسالة الخامسة |
| ٢٢٧  | الرسالة السادسة |
| ٢٢٧  | الرسالة السابعة |
| ٢٢٨  | الرسالة الثامنة |
| ٢٣١  | الرسالة التاسعة |
| ٢٣٦  | الرسالة العاشرة |

الباب العشرون : في الشوارد ، وهي الكتب المختلفة المعاني ... ٢٣٨ إلى ٢٤٥

|     |                 |
|-----|-----------------|
| ٢٣٨ | الرسالة الأولى  |
| ٢٣٨ | الرسالة الثانية |
| ٢٣٩ | الرسالة الثالثة |
| ٢٣٩ | الرسالة الرابعة |
| ٢٤٠ | الرسالة الخامسة |
| ٢٤١ | الرسالة السادسة |
| ٢٤١ | الرسالة السابعة |
| ٢٤٢ | الرسالة الثامنة |
| ٢٤٣ | الرسالة التاسعة |
| ٢٤٤ | الرسالة العاشرة |

فهرس الرسائل ... ٢٤٧ إلى ٢٦٠

فهرس الأعلام ... ٢٤٩

فهرس الأماكن والبلدان ... ٢٥٢

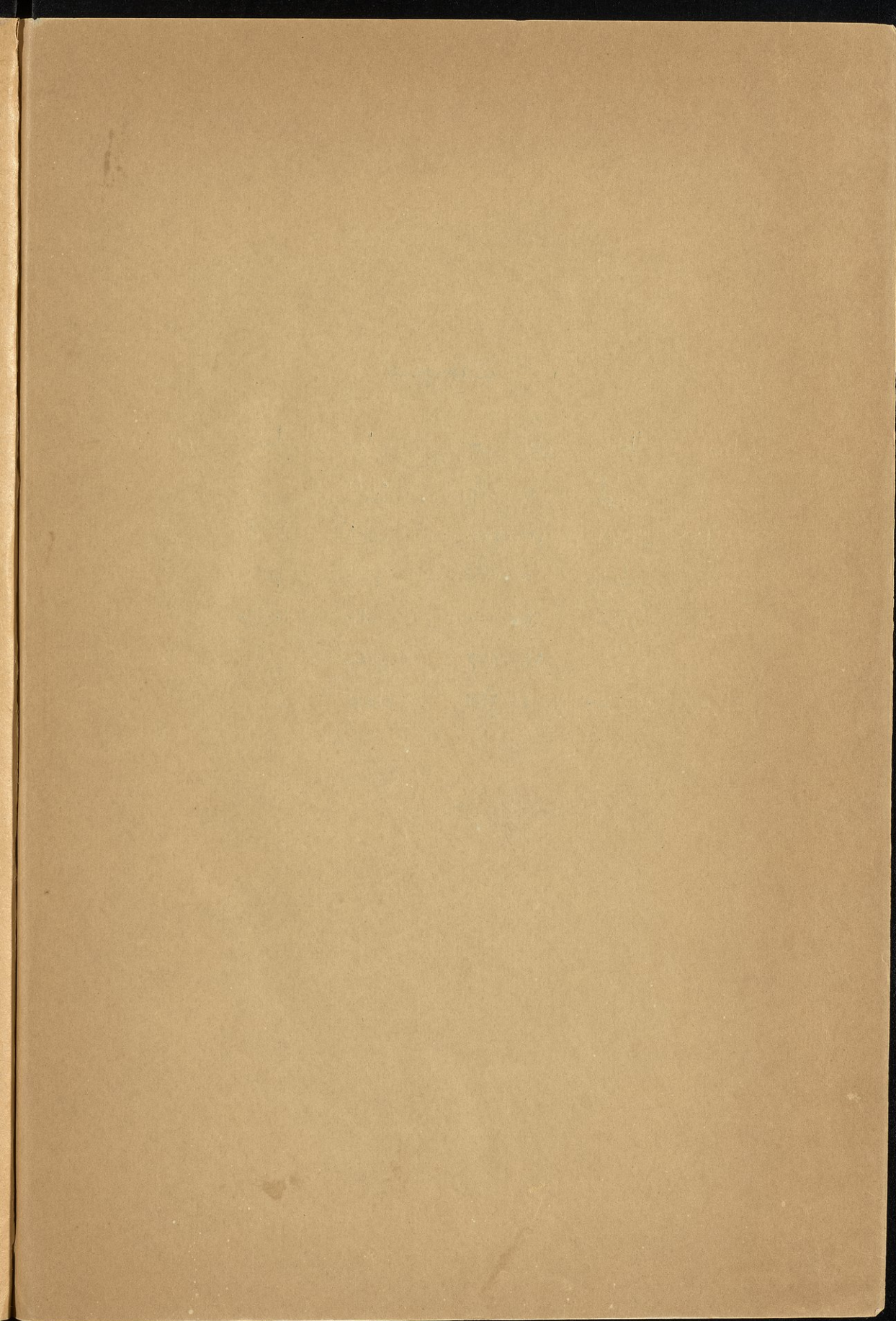
فهرس الموضوعات ... ٢٥٤



## تصحیحات

| ص  | س  | خطاً     | صواب     | ص   | س  | خطاً     | صواب    |
|----|----|----------|----------|-----|----|----------|---------|
| ۲۴ | ۲۰ | حدّ      | لأحدّ    | ۱۰۹ | ۲  | أوجب     | أوجبَ   |
| ۳۵ | ۳  | کتابُ    | کتابَ    | ۱۱۹ | ۱۳ | اشترک    | اشترکَ  |
| ۴۱ | ۱۰ | آثام     | آثام     | ۱۴۷ | ۵  | ضَمِعَ   | ضَمِعَ  |
| ۷۱ | ۶  | مرادَه   | مرادُه   | ۱۵۰ | ۱۴ | فیزورُ   | فیزورَ  |
| ۷۸ | ۱۴ | یُهِنَنی | یُهِنَنی | ۱۷۲ | ۱۴ | ضَمِعَ   | ضَمِعَ  |
| ۸۲ | ۱۴ | تَنوُول  | تَنوُول  | ۱۹۹ | ۴  | وعز اسمه | عز اسمه |









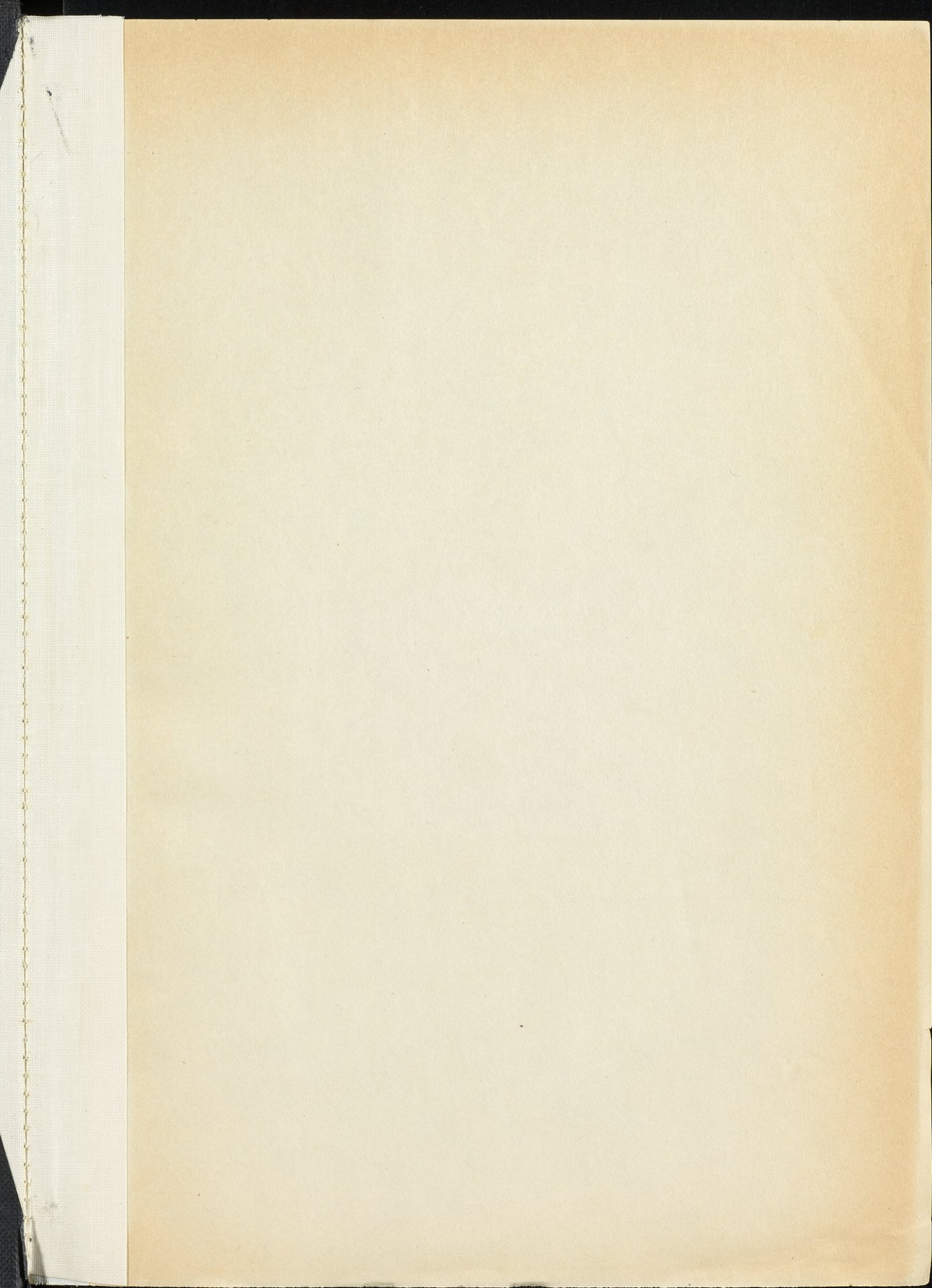


القاهرة  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر  
١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م



7







LIBRARY  
OF  
PRINCETON UNIVERSITY



